سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ صالح الفوزان (٥٠)

شرح

فتح المجيد

بشرح كتاب التوحيد

للإمام/ محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله وغفر له

تأليف

الشيخ/ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب
أجزل الله لهم المثوبة والمغفرة

الشرح لمعالي الشيخ العلامة

الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه

د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

الجزء الثالث

طبع على نفقة
خديجه بنت عبد الهادي بغلف
رحمها الله وغفر لها ولوالديها ولذريتها ولجميع المسلمين

توزيع
جمعية الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بسلطانة
الرياض - ص.ب ٩٢٦٧٥ الرمز البريدي ١١٦٦٣

شرح فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد

شرح

فتح المجيد

بشرح كتاب التوحيد

الجزء الثالث

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبدالله

شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٤/١، / صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان؛ سلمان جابر عثمان المجلهم - ط١، - الرياض، ١٤٤٤ هـ

٤ مج.

ردمك: ٣-٥-٩١٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٤-٨-٩١٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

١- التوحيد ٢- العقيدة الاسلامية أ. المجلهم، سلمان جابر عثمان (محقق) ب- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤٤/٦٦٢٥

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٦٦٢٥

ردمك: ٣-٥-٩١٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٤-٨-٩١٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

الطبعة الأولى

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

الإمام الذهبي

مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الفرع الرئيسي: حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦

فرع المصاحف: ت ٢٢٦١٥٠٤٦ - فرع الجهراء: الناصر مول: تلفون: ٩٥٥٥٨٦٠٨

فرع الفحيحيل: البرج الأخضر - شارع الدبوس - تلفون: ٢٥٤٥٦٠٦٩ - ٩٥٥٥٨٦٠٧

فرع الرياض: المملكة العربية السعودية التراث الذهبي - جوال ٥٥٧٧٦٥١٣٨ ٠٠٩٦٦

الخط الساخن: جوال: ٩٤٤٠٥٥٥٩ ٠٠٩٦٥

z.zahby74@yahoo.com imamzahby

شرح

فتح المجيد

بشرح كتاب التوحيد

للإمام/ محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله وغفر له

تأليف

الشيخ/ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب
أجزل الله لهم المثوبة والمغفرة

الشرح لمعالي الشيخ العلامة

الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه

د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٢- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةَ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةَ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ).

الوثن: يطلق على ما قصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله من القبور والمشاهد وغيرها؛ لقول الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧]. **ومع قوله:** ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ﴾ [الشعراء:٧١]، **وقوله:** ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات:٩٥]، **فبذلك يعلم أن الوثن يطلق على الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله؛ كما تقدم في الحديث.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةَ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ)**، مقصود الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الترجمة الرد على من يقول: إن هذه الأمة لا يقع فيها شرك، ولا ينظر إلى ما يفعله القبوريون عند القبور، وهم ينتسبون إلى الإسلام، وإلى الأمة، ويقول: لا، هذا ليس بشرك؛ لأن الأمة هذه لا يقع فيها شرك.

الرسول أخبر أنه يقع فيها شرك، فمن نصدق: نصدق الرسول أم نصدق هذا الأفاك الكذاب؟ نصدق الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد وقع كما أخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فمن المنتسبين إلى الإسلام الآن من يعبدون القبور، ويبنون عليها الأضرحة، وينادون الأموات، ويطلبون منهم حوائجهم، وهذا كثير في البلاد، كثير في البلاد التي حولنا، وكان موجودًا في هذه البلاد

إلى أن جاء الله بهذه الدعوة المباركة، فأزاح عنها هذه القبورية، لكن يبقى هناك من يسرون هذا العمل، ويفعلونه لكنهم لا يعلنونه؛ لأنهم ممنوعون من إعلانه، فيفعلونه سرًّا. وإلا هناك قبوريون في هذه البلاد، لكن لا يعلنون هذا، أما في البلاد الأخرى والمجاورة، فيعلنون هذا، وينادون الأموات، ويستغيثون بهم.

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد أن يرد على هؤلاء الذين يقولون عن هذا الذي يفعل عند القبور من طلب الحوائج من الأموات: ليس بشرك؛ لأن هذه الأمة لا يقع فيها شرك. في حين أنه جاء عن الرسول أنه سيقع في هذه الأمة عبادة الأوثان من بعض المنتسبين إلى هذه الأمة؛ كما في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الوثن: يطلق على ما قصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله)**، الوثن: يطلق على ما يعبد من دون الله، ولو كان على غير صورة ذات روح؛ صورة إنسان أو صورة من ذوات الأرواح، فالوثن مثل عبادة القبر، هذا ليس على صورة قبر، أو طلب البركة من مكان ليس على صورة صنم.

أما الوثن: فهو ما عُبِدَ من دون الله، ولو لم يكن على صورة؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[١]، فهناك فرق بين الوثن والصنم[٢].

(١) أخرجه الإمام مالك مرسلًا في الموطأ (٨٥) (١/ ١٧٢)، من حديث عطاء بن يسار.

(٢) انظر في تعريف الوثن والصنم والفرق بينهما: معجم الفروق اللغوية (ص٣٢٣)، والغريبين في القرآن والحديث (٦/ ١٩٧١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٥١)، وتحرير ألفاظ التنبيه (ص١٦٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الوثن: يطلق على ما قصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله من القبور والمشاهد وغيرها)**، وليس على صورة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لقول الخليل** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًا﴾ [العنكبوت:١٧])، الخليل إبراهيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لقومه: ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًا﴾ [العنكبوت:١٧]، الإفك: هو الكذب، والأوثان: هو ما عُبِدَ من دون الله ولو على غير صورة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومع قوله:** ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ [الشعراء:٧١])، قوم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يعبدون أصنامًا، لما سألهم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عما يعبدون: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [الشعراء:٧١-٧٤]. تقليد أعمى، ليس عندهم حجة إلا التقليد الأعمى لأهل الشرك وأهل الكفر والضلال من آبائهم وأجدادهم، ولم يلتفتوا إلى الرسل وإلى دعوة الرسل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله:** ﴿أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ﴾ [الصافات:٩٥])، ﴿قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٥، ٩٦]، يصنعون الأصنام بأيديهم، ويبيعونها على الناس؛ كما في قوم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ينحتون، حتى والد إبراهيم -أبوه- كان يصنع الأصنام، ويبيعها على الناس، ويأكل ثمنها.

﴿أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ﴾، لماذا الذي تنحتونه وتكونونه تعبدونه بعد ذلك؟! هذا من الانتكاس -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فبذلك يعلم أن الوثن يطلق على الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله)**، الوثن أعم، الوثن: يطلق على ما عُبِدَ من دون الله، وأما الصنم: فيطلق على ما عُبِد من دون الله، وهو على صورة.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١].

ش: وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١].

روى ابن أبي حاتم عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: «جَاءَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ وَكَعْبُ بْنَ الأَشْرَفِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالُوا لَهُمْ: أَنْتُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ وَأَهْلُ الْعِلْمِ، فَأَخْبِرُونَا عَنَّا وَعَنْ مُحَمَّدٍ، فَقَالُوا: مَا أَنْتُمْ وَمَا مُحَمَّدٌ؟ فَقَالُوا: نَحْنُ نَصِلُ الأَرْحَامَ وَنَنْحَرُ الْكَوْمَاءَ[١]، وَنَسْقِي المَاءَ عَلَى اللَّبَنِ، وَنَفُكُّ الْعُنَاةَ، وَنَسْقِي الحَجِيجَ، وَمُحَمَّدٌ صُنْبُورٌ[٢]، قَطَعَ أَرْحَامَنَا وَاتَّبَعَهُ سُرَّاقُ الحَجِيجِ مِنْ غِفَارٍ، فَنَحْنُ خَيْرٌ أَمْ هُوَ؟ فَقَالُوا: أَنْتُمْ خَيْرٌ وَأَهْدَى سَبِيلًا. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١]»[٣].

---

(١) الكوماء هي النَّاقة الْعَظِيمَة السنام طويلته، والكَوَمُ: العِظَمُ في كل شيء. انظر: مادة (كوم) في العين للخليل (٥/ ٤١٨)، وغريب الحديث للقاسم ابن سلام (٣/ ٨٤)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٢٢٠)، ومقاييس اللغة (٥/ ١٤٨)، ولسان العرب (١٥/ ٢٣٢).

(٢) الصُّنْبُور: أَيْ أَبْتَرُ، لَا عَقِبَ لَهُ. قال ابن الأعرابي: (الصُّنْبُور: الوَحِيدُ، والصُّنْبُور: الضعيف، والصُّنْبُور: الذي لا ولد له، ولا عشيرة، ولا ناصر من قريب ولا غريب). وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٥٥): (وأصل الصنبور: سعفه تنبت في جذع النخلة لا في الأرض، وقيل: هي النخلة المنفردة التي يدق أسفلها. أرادوا أنه إذا قُلع انقطع ذكره، كما ذهب أثر الصنبور؛ لأنه لا عقب له). انظر: مادة (صنبر) في تهذيب اللغة (١٢/ ١٩٠)، وغريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٦٠٥)، ولسان العرب (٤/ ٤٦٩).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٤)، ونقله عنه ابن كثير (٢/ ٣٣٤).

وفي مسند أحمد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نحوه[١].

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان[٢].

وكذلك قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم. وعن ابن عباس وعكرمة وأبي مالك: الجبت: الشيطان. زاد ابن عباس: بالحبشية.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا: الجبت: الشرك. وعنه: الجبت: الأصنام.

وعنه: الجبت: حيي بن أخطب.

وعن الشعبي: الجبت: الكاهن.

وعن مجاهد: الجبت: كعب بن الأشرف[٣].

قال الجوهري: الجبت: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك[٤].

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه معرفة الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها، مع بغضها ومعرفة بطلانها؟

---

(١) لم أقف عليه في مسند أحمد، ولكن أخرجه بنحوه النسائي في الكبرى (١٠/ ٣٤٧)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٥٣٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ١٩٣)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (٤/ ١٢٨٣)، وفي سننه (٢/ ٢٤٧)، والبخاري معلقًا في صحيحه (٦/ ٤٥)، والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٧٩)، وابن كثير في مسند الفاروق (٢/ ٤٨٩).

وانظر: تفسير الطبري (٧/ ١٣٥)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٧٤٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٥، ٣/ ٩٧٤- ٩٧٥)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٩٥).

(٣) أخرج هذه الآثار الطبري في تفسيره (٧/ ١٣٥، ١٣٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٧٤- ٩٧٦).

(٤) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٢٤٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١])، ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وهو التوراة والإنجيل، وهم اليهود والنصارى.

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١]. **الجِبْت**: هو السحر، والطاغوت: هو الشيطان، فهم يعملون هذه الأعمال من السحر ومن عبادة الأموات يعملونها، ويدرجونها أنها من الإسلام -أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: «جَاءَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ وَكَعْبَ بْنَ الأَشْرَفِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ)، لما هاجر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، كان فيها اليهود بجانب الأوس والخزرج، فجاء أقطاب اليهود الذين في المدينة إلى أهل المشركين الذين في مكة يسألونهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَقَالُوا لَهُمْ: أَنْتُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ وَأَهْلُ الْعِلْمِ)، قال لهم أهل مكة: أنتم تسألوننا، ونحن أمة أمية، وأنتم أهل كتاب، كيف تسألوننا؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَأَخْبِرُونَا عَنَّا وَعَنْ مُحَمَّدٍ)، قالوا لليهود -لِحُيَيِّ بن أخطب، وكعب بن الأشرف-: أنتم أهل كتاب، وتعرفون الرسل والكتب، عندكم اطلاع، فأخبرونا، نحن أمة أمية ليس عندنا كتاب، أخبرونا عن شأننا وعن شأن محمد، أينا أهدى وأينا أحسن؟

فقالوا لهم: أنتم أهدى، وأنتم أحسن من محمد. وهم يعلمون أنهم كذابون -والعياذ بالله-، لكن الهوى يعمي ويصم، أنتم أهدى من محمد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَنَفُكُّ الْعُنَاةَ)، يعني: المحبوسين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمُحَمَّدٌ صُنْبُورٌ)**، صنبور: يعني ليس له ذرية، وليس له عقب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾** [النساء:٥١])، **﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾** [النساء:٥٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان)**، فاليهود يؤمنون بالسحر، ويؤمنون بالشيطان، الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان، يعني: أن الشيطان هو رأس الطواغيت، وهو أكبر الطواغيت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعن ابن عباس وعكرمة وأبي مالك: الجبت: الشيطان)**، هذا تفسير آخر للجبت أنه الشيطان، ولا تعارض بين التفسيرين، فالجبت يطلق على السحر، ويطلق على الشيطان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **أيضًا: الجبت: الشرك)**، كذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعنه: الجبت: الأصنام)**، كذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعنه: الجبت: حيي بن أخطب. وعن الشعبي: الجبت: الكاهن)**، كلها تفاسير يؤيد بعضها بعضًا، فهي من اختلاف التنوع، وليس من اختلاف التضاد، الآية تشمل هذه الأنواع كلها، كل واحد فسر بما بلغه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الجوهري)، حماد الجوهري: هذا إمام اللغة العربية، فهو أدرى بمعاني ألفاظ القرآن.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الجوهري: الجبت: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك)**، هذا مما يدل على أن الأقوال التي مضت في الجبت أنه لا اختلاف بينها، وأن الجبت يحتمل هذه المعاني كلها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وفيه معرفة الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها، مع بغضها ومعرفة بطلانها؟)**، فاليهودي حينما قال هذا يعرف أنه كذاب، لكن ليرضي قريشًا، ومن عداوته لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال هذا، وهو يعلم أن هذا غلط وكذب، لكن حمله -والعياذ بالله- الكفر على أن يقول هذا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٦٠].

ش: قوله: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٦٠])، يقول -تعالى- لنبيه محمد صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا؟ وهم أنتم أيها المتصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾، أي: أبعده من رحمته، ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾، أي: غضبًا لا يرضى بعده أبدًا، ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾(١).

وقد قال الثوري: عن علقمة بن مرثد عن المغيرة بن عبد الله اليشكري عن المعرور بن سويد عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَنِ الْقِرَدَةِ وَالخَنازِيرِ، أَهِيَ مِمَّا مَسَخَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا -أَوْ قَالَ- يَمْسَخْ قَوْمًا فَيُجْعَلْ لَهُمْ نَسْلًا وَلَا عَاقِبَةً، وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ»، رواه مسلم(٢).

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٣).

﴿مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٦٠])، كان المشركون يُعَيِّرونَ المسلمين وأتباع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتنقصونهم، فالله أمرهم بالرد على هؤلاء، أمرهم أن يردوا على هؤلاء.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾، أي: شر مما تقولون، ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ يعني: أخبركم ﴿بِشَرٍّ﴾ مما تقولون؟ هو ما ذُكِرَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهل أنتم أيها المتصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾، أي: أبعده من رحمته، ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾، أي: غضبًا لا يرضى بعده أبدًا، ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾)**، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٥٩]: نحن نؤمن بما عندنا من كتاب الله، وبما عندكم من كتاب الله، وأنتم تكفرون بالجميع، أيّنا شر؟!

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾: مما تقولون فينا، ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: أبعده من رحمته وهم اليهود.

﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ﴾: وهم القردة الذين مُسِخوا؛ لما احتالوا على صيد السمك يوم السبت، وأخذوه يوم الأحد، مسخهم الله قردة، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة:٦٥]، فمسخهم الله قردة، وهم من اليهود. فكيف تعيروننا وأنتم مُسِخَ منكم القردة والخنازير؟!! ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾.

وشر من ذلك: من عبد الطاغوت، وهو الشيطان، فكيف تعيروننا -نحن المسلمين-، وأنتم فيكم هذه العاهات القاتلة، وهذه العقوبات الشديدة، وتعيرون المسلمين الحنفاء الذين اتبعوا عقيدة الأنبياء؟!!

التوحيد عقيدة للأنبياء جميعًا، ليس عقيدة لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو عقيدة الأنبياء، كل رسول يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]، كل رسول يقول هذا، ليس هذا من اختصاص محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسير على منهج الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال: «سُئِلَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَنِ الْقِرَدَةِ وَالخَنَازِيرِ، أَهِيَ مِمَّا مَسَخَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا -أَوْ قَالَ- يَمْسَخْ قَوْمًا فَيُجْعَلْ لَهُمْ نَسْلًا وَلَا عَاقِبَةً، وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ»)**، القردة والخنازير خلقٌ مخلوق من الأصل قردة وخنازير، لكن من بني آدم من يُمسخ ويصير على صورة القردة والخنازير، ولا يبقى له نسل ولا عقب. وأما القردة والخنازير، فهي تتناسل؛ لأنها نوع من الدواب التي خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهي تتناسل إلى وقتنا هذا، وأما القردة الذين مسخهم الله من اليهود، فإنهم هلكوا، ولم يبق لهم نسل.

....

ش: قال البغوي في تفسيره: ﴿قُلْ﴾ يا مُحَمَّدُ، ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أُخْبِرُكُمْ، ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ الَّذِي ذَكَرْتُمْ، يَعْنِي: قَوْلَهُمْ لَمْ نَرَ أَهْلَ دِينٍ أَقَلَّ حَظًّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْكُمْ وَلَا دِينًا شَرًّا مِنْ دِينِكُمْ. فَذَكَرَ الجَوَابَ بِلَفْظِ الِابْتِدَاءِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الِابْتِدَاءُ شَرًّا لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الحج: ٧٢].

وقوله: ﴿مَثُوبَةً﴾ ثَوَابًا وَجَزَاءً، نُصِبَ عَلَى التَّفْسِيرِ، ﴿عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾، أَيْ: هُوَ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ، ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾، يَعْنِي: الْيَهُودَ، ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾، فَالْقِرَدَةُ أَصْحَابُ السَّبْتِ، وَالخَنَازِيرُ كُفَّارُ مَائِدَةِ عِيسَى.

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ الْمَسْخَيْنِ كِلَاهُمَا مِنْ أَصْحَابِ السَّبْتِ، فَشُبَّانُهُمْ مُسِخُوا قِرَدَةً وَمَشَايِخُهُمْ مُسِخُوا خَنَازِيرَ».

﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، أَيْ: جُعِلَ مِنْهُمْ مَنْ عَبَدَ الطَّاغُوتَ، أَيْ: أَطَاعَ الشَّيْطَانَ فِيمَا سَوَّلَ لَهُ[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال البغوي في تفسيره: ﴿قُلْ﴾ يا مُحَمَّدُ، ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أُخْبِرُكُمْ، ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ الَّذِي ذَكَرْتُمْ، يَعْنِي: قَوْلَهُمْ لَمْ نَرَ أَهْلَ دِينٍ أَقَلَّ حَظًّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْكُمْ)، يعني: المسلمين.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٦٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا دِينًا شَرًّا مِنْ دِينِكُمْ)**، يعني: دين الإسلام، هكذا يقول هؤلاء اليهود.

الله جَلَّ وَعَلَا أمر بالرد عليهم، فدل على وجوب الرد على الملحد وعلى الكافر الذي يلقي الشبه على الناس؛ لئلا يضل الناس، فيبين كذبه وافتراءه حتى يفتضح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَذَكَرَ الجَوَابَ بِلَفْظِ الابْتِدَاءِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ﴾** [الحج:٧٢]**)**، ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الحج:٧٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿مَثُوبَةً﴾ ثَوَابًا وَجَزَاءً، نُصِبَ عَلَى التَّفْسِيرِ)**، ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً﴾: هذا منصوب على التمييز، والتفسير لـ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾)، وهم اليهود. كيف تعيرون المسلمين وأنتم بهذه الصفة؛ ملعونون، مغضوب عليكم؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾)، وهم الذين اعتدوا في السبت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالخَنَازِيرُ كُفَّارُ مَائِدَةِ عِيسَى)**، الذين طلبوا من عيسى أن يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء، نصحهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأصروا عليه، وقالوا: نحن ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة:١١٣].

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة:١١٥]. نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالخَنَازِيرُ كُفَّارُ مَائِدَةِ عِيسَى**)، الذين طلبوا إنزال المائدة، ووعدوا أنهم يستمرون على الإيمان، ولكنهم خانوا وكفروا، فمسخهم الله خنازير، اليهود مسخهم الله قردة، والنصارى -كفار المائدة- مسخهم الله خنازير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**أَنَّ المَسْخَيْنِ كِلَاهُمَا مِنْ أَصْحَابِ السَّبْتِ**»)، المسخان: القردة والخنازير، الذين اعتدوا في السبت.

....

ش: وقرأ ابن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَمَنْ عَبَدُوا الطَّاغُوتَ»، وَقَرَأَ حَمْزَةُ: «وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ» بِضَمِّ الْبَاءِ وَجَرِّ التَّاءِ، أَرَادَ الْعَبْدَ، وَهُمَا لُغَتَانِ عَبْدٌ: بِجَزْمِ الْبَاءِ، وَعُبُدٌ بِضَمِّهَا، مِثْلُ سَبْعٍ وَسُبُعٍ، وَقَرَأَ الحَسَنُ: «وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ»، عَلَى الْوَاحِدِ[1].

وفي تفسير الطبرسي: قرأ حمزة وحده «وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ» بضم الباء وجر التاء، والباقون: «وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ» بنصب الباء وفتح التاء. وقرأ ابن عباس وابن مسعود وإبراهيم النخعي والأعمش وأبان بن تغلب: «وعُبُدَ الطَّاغُوتِ» بضم العين والباء وفتح الدال وخفض التاء.

قال: وحجة حمزة في قراءته: «وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ» أنه يحمله على ما عمل فيه، جعل كأنه «وجعل منهم عبد الطاغوت». ومعنى «جَعَلَ»: خلق؛ كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام:١]، وليس «عبد» لفظ جمع؛ لأنه ليس من أبنية الجموع شيء على هذا البناء، ولكنه واحد يراد به الكثرة؛ ألا ترى أن في الأسماء المفردة المضافة إلى المعارف ما لفظه لفظ الإفراد ومعناه الجمع؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤]، ولأن بناء «فعل» يراد به المبالغة والكثرة؛ نحو: يقظ ودنس، وكأن تقديره: أنه قد ذهب في عبادة الطاغوت كل مذهب.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٦٦)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٨٥، ١١/ ٤١٥)، والتحرير والتنوير (٦/ ٢٤٦).

وأما من فتح، فقال: «وعَبَدَ الطَّاغُوتِ»، فإنه عطفه على بناء الماضي الذي في الصلة، وهو قوله: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾، وأفرد الضمير في «عبد»، وإن كان المعنى فيه الكثرة؛ لأن الكلام محمول على لفظه دون معناه، وفاعله ضمير «من»؛ كما أن فاعل الأمثلة المعطوف عليها ضمير «من»، فأُفرد لحمل ذلك جميعًا على اللفظ. وأما قوله: «عبد الطاغوت»، فهو جمع عبد.

وقال أحمد بن يحيى: عبد جمع عابد، كبازل وبزل، وشارف وشرف، وكذلك عبد جمع عابد، ومثله عِباد وعبَّاد. اهـ[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقرأ ابن مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وَعَبَدُوا الطَّاغُوتَ»)، وَعَبَدُوا: فعل ماض، وَعَبَدُوا الطَّاغُوتَ، عَبَدَ الطاغوت: فهو فعل ماض، ومن عَبَدَ الطاغوت يعني. وفي قراءة: عُبُدَ الطاغوت، وهو جمع عابد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَرَأَ حَمْزَةُ (وَعَبُدَ) بِضَمِّ الْبَاءِ)، وَعُبُدَ: على الإضافة للطاغوتِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَرَأَ الحَسَنُ: «وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ»، عَلَى الْوَاحِدِ)، عَبَدَ الطاغوت: يعني: واحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَرَأَ حَمْزَةُ: «وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ»)، جمع عَبْدٍ، عُبُدَ: جمع عَبْدٍ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَرَادَ الْعَبْدَ)، يعني: أراد الفرد، وأما العُبُدَ، فهو الجمع.

---

(١) انظر: تفسير الطبرسي (٣/ ٣٣٠، ٣٣١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي تفسير الطبرسي: قرأ حمزة وحده: «وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ» بضم الباء وجر التاء)**؛ بالإضافة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والباقون: «وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ» بنصب الباء وفتح التاء)**، عبَدَ: فعل ماض، والطاغوت: مفعول.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقرأ ابن عباس وابن مسعود وإبراهيم النخعي والأعمش وأبان بن تغلب: «وعُبُدَ الطَّاغُوتِ» بضم العين والباء وفتح الدال وخفض التاء)**؛ عُبُدَ الطاغوتِ على أنه جمع مضاف للطاغوت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وليس «عبد» لفظ جمع)**، إنما هو لفظ واحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ألا ترى أن في الأسماء المفردة المضافة إلى المعارف ما لفظه لفظ الإفراد ومعناه الجمع؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤])**، أي: نعم الله، ﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾، أي: نعم الله، فالمفرد إذا أضيف، يعم -كما يقولون-، المفرد إذا أضيف، يعم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أحمد بن يحيى: عبد جمع عابد، كبازل وبزل، وشارف وشرف، وكذلك عبد جمع عابد. ومثله عباد وعبَّاد)**، هذا كله بحث لغوي لا يعنينا، المهم المعنى.

....

ش: وقال شيخ الإسلام في قوله: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: الصواب أنه معطوف على ما قبله من الأفعال، أي: من لعنه وغضب عليه، ومن جعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت.

قال: والأفعال المتقدمة الفاعل فيها اسم الله، مظهرًا أو مضمرًا، وهنا الفاعل اسم من «عبد الطاغوت»، وهو الضمير في «عبد» ولم يُعِد سبحانه «من»؛ لأنه جعل هذه الأفعال صفة لصنف واحد، وهم اليهود[(١)].

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ مما تظنون بنا ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾، وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر له مشارك؛ كقوله تعالى: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾ [الفرقان:٢٤]. قاله العماد ابن كثير في تفسيره[(٢)]، وهو ظاهر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال شيخ الإسلام في قوله: (وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ): الصواب أنه معطوف على ما قبله من الأفعال، أي: من لعنه وغضب عليه، ومن جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت)، يعني: وجعل منهم من عبد الطاغوت.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٥٥).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٣- ١٤٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال: والأفعال المتقدمة الفاعل فيها اسم الله تعالى، مظهرًا ومضمرًا)**، الذي جعل هو الله، وجعل أي: الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ مما تظنون بنا)**، يعيرون المسلمين، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: قولوا لهم: أنتم شر منا، أنتم شر مكانًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١].

ش: **قوله: وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١]، **والمراد أنهم فعلوا مع الفتية بعد موتهم ما يذم فاعله؛ لأن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**[1]**، أراد تحذير أمته أن يفعلوا كفعلهم.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١]**)**، أصحاب الكهف الذين ناموا، أخذهم النوم مدة طويلة، خرجوا فارين بدينهم من دولة كافرة، وذهبوا إلى غار ليختفوا فيه، فألقى الله عليهم النوم مدة طويلة، ومات هذا الملك، وزالت هذه الدولة، وجاءت دولة مسلمة وسلطان مسلم، استيقظوا على وقت السلطان المسلم، وقت أن ناموا السلطان كافر، وهم يحسبون أنهم لم يلبثوا إلا يومًا أو بعض يوم، ويظنون أن السلطان الذي فروا منه موجود، وهو هالك من زمان، وهم نائمون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمراد أنهم فعلوا مع الفتية بعد موتهم ما يذم فاعله)**، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥، ٤٣٦، ١٣٣٠، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٤٤٤١، ٥٨١٥)، ومسلم (٥٣١).

لما خرج المسلمون، ووجدوا هؤلاء قد ماتوا في كهفهم، ماذا يصنعون بهم؟ قال بعضهم: ابنوا عليهم بنيانًا؛ يعني: سدوا عليهم الغار بجدار واتركوهم، هذا الرأي السديد، اجعلوه قبرًا لهم.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾: الذين لهم السلطة والغلبة، قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١]، يعني: يعظمونهم ويعبدونهم ويتوسلون بهم.

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾: وهذا ضلال وكفر، بناء المساجد على القبور هذا ضلال ووسيلة من وسائل الشرك.

وَعَنْ أبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدخَلْتُمُوْهُ. قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللّهِ، اليَهُوْدَ وَالنَّصارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟». أَخْرَجاهُ[1].

ش: قوله: **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟» أَخْرَجَاهُ**، وهذا سياق مسلم.

قوله: «سَنَنَ» بفتح المهملة، أي: طريق من كان قبلكم. قال المهلب: الفتح أولى[2].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ، اليَهُوْدَ وَالنَّصَارَى؟**)، اليَهُوْدَ: أي أتعني اليهود؟

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قَالَ: «فَمَنْ؟»**)، يعني: من أعني غير هؤلاء اليهود والنصارى.

فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما خرج إلى غزوة حنين بعد فتح مكة، مرَّ الغزو مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قوم من الكفار لهم سدرة يتبركون بها، ويعلقون بها أسلحتهم، ينوطون بها أسلحتهم؛ تبركًا بها. فقال الجهال الذين

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).
(٢) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٣٠١).

أسلموا قريبًا -حديثو عهد بالإسلام ولم يتعلموا-، قالوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. طلبوا من الرسول أن يجعل لهم سدرة؛ يتبركون بها، ويعلقون بها أسلحتهم، من باب التقليد الأعمى.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ!**»، يعني: الطرق.

«**قُلْتُم - وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ - كَمَا قَالَتْ بَنو إِسْرَائِيْلَ لِمُوْسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف:١٣٨]»(١).

يقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوْهُ**»، فهذا فيه ذم التقليد الأعمى، تقليد الكفار والمشركين وأهل الضلال، وأنه لا يجوز تقليدهم، لكن هؤلاء قالوا؛ لأنهم حديثو عهد بالإسلام، أسلموا قريبًا في مكة بعد الفتح، ولم يتعلموا، فقالوا هذه المقالة، فأنكر عليهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «سَنَنَ» بفتح المهملة أي: طريق من كان قبلكم**)، إذا قيل: سَنَنَ، فمعناه طريق، وإذا قيل: سُنَن، فمعناه: طرق، والمعنى واحد.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٦/ ٢٢٥)، والترمذي (٢١٨٠)، وقال: حديث حسن صحيح.

....

ش: قوله: «حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ» بنصب (حَذْو) على المصدر. والقذة بضم القاف واحدة القذذ، وهو ريش السهم. أي: لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه، وتشبهوهم في ذلك؛ كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى، فوقع كما أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبهذا تظهر مناسبة الآيات للترجمة. وقد وقع كما أخبر، وهو عَلَم من أعلام النبوة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ» بنصب (حَذْوَ) على المصدر)؛ لأن السهم إذا صُنِعَ، يُجعل له قذتان متعادلتان؛ حتى لا يسقط في الهواء؛ كجناحي الطائر، يعدل السهم حتى يمضي إلى ما رُمِيَ به. ولو لم يكن فيه هاتان الريشتان، لسقط، فهو يشبه جناحي الطائر، ولابد أن تعتدل القذتان، «حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ»، يعني: يتساويان.

فسيكون في هذه الأمة من يقلد هؤلاء تمامًا، ويساويهم كما تتساوى قذتا السهم. فهذا إخبار منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد وقع في هذه الأمة من يقلد الكفار، ومن يتشبه بهم، ولا يزال إلى الآن يعظمون الكفار، وأنهم حضارة، وأنهم، وأنهم، فيعظمونهم ويقولون: المسلمون متأخرون.

المسلمون عندهم الإسلام الذي يعدل كل الدنيا، ولو كان عندهم تأخر في الصناعة، لكن عندهم الإسلام. والإسلام -أيضًا- يأمر بالصناعة، ويأمر

بإعداد القوة؛ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠]، لا يعظم الكفار من أجل صناعتهم ومن أجل تقدمهم في الصناعة، وإنما ينظر إلى الدين، هو العمدة، الكفار عندهم صناعة، لكن ليس عندهم دين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أي: لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه، وتشبهوهم في ذلك؛ كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى)**، هذا إخبار منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمعنى النهي عن تقليد الكفار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فوقع كما أخبر** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، «**لَتَتَّبِعُنَّ**»، يعني: يحصل منكم تقليد، حتى في الذين عبدوا القبور وُجِدَ في هذه الأمة من يقتدي بهم، ويعبد القبور.

....

ش: قوله: «حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ».

وفي حديث آخر: «حَتَّى لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَأْتِي أُمَّهُ عَلَانِيَةً، لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ»(١)، أراد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أمته لا تدع شيئًا مما كان يفعله اليهود والنصارى إلا فعلته كله، لا تترك منه شيئًا. ولهذا قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا، ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا، ففيه شبه من النصارى. اهـ(٢).

قلت: فما أكثر الفريقين! لكن من رحمة الله تعالى ونعمته أن جعل هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة؛ كما في حديث ثوبان الآتي قريبًا.

قوله: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟».

هو برفع اليهود خبر مبتدأ محذوف، أي: أهم اليهود والنصارى الذين نتبع سننهم؟ ويجوز النصب بفعل محذوف تقديره: تعني.

قوله: «قَالَ: فَمَنْ؟» استفهام إنكاري. أي: فمن هم غير أولئك؟!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي حديث آخر: «حَتَّى لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَأْتِي أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ»)، من باب التقليد، يعتبرون أن هذا تقدم ورقي

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والطبراني في الكبير (١٣/ ٣٠)، من حديث ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٩٧، ١٣/ ١٠٠، ١٦/ ٥٦٧)، وتفسير ابن كثير (٤/ ١٣٨).

وحضارة، يقلدون. لو كان في اليهود والنصارى من يأتي أمه -يزني بها-، لكان في هذه الأمة من يفعل ذلك تقليدًا لهم، ويزني بأمه، مع شناعة هذا الفعل، لكن يقولون: هذه هي الحضارة، وهذه هي المدنية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أراد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أن أمته لا تدع شيئًا مما كان يفعله اليهود والنصارى إلا فعلته كله)**، حتى ولو دخلوا جحر ضب، مع أن أصعب الجحور جحر الضب، ولو دخل اليهود والنصارى جحر الضب المتعسر، لكان في هذه الأمة من يدخله، «لو»، يعني: لو فُرِضَ هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا، ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا، ففيه شبه من النصارى)**؛ لأن الله قال في آخر سورة الفاتحة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾: وهم اليهود، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٦، ٧]: وهم النصارى. نسأل الله أن يجنبنا طريقة اليهود وطريقة النصارى! لأنها لا خير فيها، وإن تزينت في أعين بعض الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لكن من رحمة الله تعالى ونعمته أن جعل هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة)**، لا تجتمع هذه الأمة على ضلالة أبدًا، لكن يكون فيهم من هو ضال؟ نعم، لكن كلهم يضلون؟ لا، لا تجتمع هذه الأمة على ضلالة؛ كما أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهذا حجة للإجماع أنه من الأدلة، الأدلة ثلاثة: الكتاب والسنة والإجماع، والرابع مختلف فيه، وهو القياس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لكن من رحمة الله تعالى ونعمته أن جعل هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة)**، ولو كان فيهم من يضل، ومن يقلد اليهود والنصارى، لكن

فيهم من يتمسك ويبقى على الحق؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ**»[(١)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟»**)، «الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟»، أي: أتعني اليهود والنصارى؟

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قَالَ: فَمَنْ؟**)، يعني: من أعني غير هؤلاء؟!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ويجوز النصب بفعل محذوف تقديره: تعني**)، هذا أظهر، النصب أظهر.

هذه الترجمة يريد بها أنه يوجد في هذه الأمة من يعبد القبور، ومنهم من يعبد الأصنام؛ كما جاء في الحديث: أنه في آخر الزمان يلحق فئام من هذه الأمة بعبدة الأصنام[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١) من حديث المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والبخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ومسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و(١٩٢٣) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٣٧/ ٧٨، ١١٧)، وأبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وفيه: «**وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ**».

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ؛ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيْتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ؛ فَيَسْتَبِيْحَ بَيْضَتَهُمْ. وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ -وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا- حَتَّى يَكُوْنَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»(١).

وَرَوَاهُ البَرْقَانِيُّ فِي صَحِيْحِهِ، وَزَادَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّيْنَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ؛ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَلَا تَقُوْمُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِيْنَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُوْنُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُوْنَ ثَلَاثُوْنَ -كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ- وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُوْرَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»(٢).

هذا حديث عظيم فيه أخبار عظيمة مستقبلية لهذه الأمة، فيه بشارات، وفيه تحذير، فهو حديث عظيم، ولذلك ساقه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الكتاب المبارك، فهذا حديث عظيم مما أطلع الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما سيكون لهذه الأمة، وفيه بشائر، وفيه تخويف، وفيه أخبار مستقبلة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) أخرجه بهذه الزيادة: أحمد (٣٧/ ٧٨، ١١٧)، وأبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢).

....

ش: **هذا الحديث رواه أبو داود في سننه، وابن ماجه بالزيادة التي ذكرها المصنف.**

قوله: «عَنْ ثَوْبَانَ»، هو مولى النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صحبه، ولازمه، ونزل بعده الشام، ومات بحمص سنة أربع وخمسين[(١)].

قوله: «زَوَى لِي الْأَرْضَ». قال التُّورِبِشْتي[(٢)]: زَويت الشيء: جمعته وقبضته، يريد تقريب البعيد منها، حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب[(٣)].

وحاصله: أنه طوى له الأرض، وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره[(٤)].

قال الطيبي[(٥)]: أي: جمعها، حتى أبصرت ما تملكه أمتي من أقصى

---

(١) انظر في ترجمة ثوبان بن بجدد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: معرفة الصحابة لابن منده (ص ٣٥٩)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ٥٠١)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٥)، وإكمال تهذيب الكمال (٣/ ١١٠).

(٢) هو شهاب الدين فضل الله بن حسن التوربشتي، محدث وفقيه من أهل شيراز، قال السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٣٤٩): (شرح مصابيح البغوي شرحًا حسنًا، وروى صحيح البخاري... وأظن هذا الشيخ مات في حدود الستين والستمائة، وواقعة التتار أوجبت عدم المعرفة بحاله). وانظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ٣٤).

(٣) انظر: الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي (٤/ ١٢٤٥).

(٤) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٦٧٦).

(٥) هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، الإمام المشهور، صاحب شرح المشكاة، وحاشية الكشاف، وغيرهما، كان كريمًا، متواضعًا، حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، مظهرا فضائحهم، مع استيلائهم على بلاد المسلمين في عصره، توفي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة. انظر: الدرر الكامنة (٢/ ١٨٥)، والبدر الطالع (١/ ٢٢٩).

المشارق والمغارب منها[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «عَنْ ثَوْبَانَ». هو مولى النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، ثوبان مولى النبي، يعني: أنه كان مملوكًا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعتقه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومات بحمص سنة أربع وخمسين)** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «زَوَى لِي الْأَرْضَ». قال التُّورْبِشْتي: زَويت الشيء: جمعته وقبضته، يريد تقريب البعيد منها، حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب)**، هذا من معجزات الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أن الله زوى له الأرض، يعني: جمعها، قرب بعيدها أمام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرآها كلها، وما يجري فيها، وأن ملك أمته سيبلغ ما زُوِي للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها، وقد وقع كما أخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ انتشر الإسلام، انتشرت الفتوحات، وبلغ ملك الأمة أكثر الأرض.

---

(١) يبدو أنه قد حصل تصحيف، فكتبت الطيبي بدلًا من القرطبي؛ لأن هذا كلام القرطبي في «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٧/ ٢١٦).

....

ش: قوله: «وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا».

قال القرطبي: هذا الخبر وُجِدَ مخبره كما قال، وكان ذلك من دلائل نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة -بالنون والجيم- الذي هو منتهى عمارة المغرب، إلى أقصى المشرق مما هو وراء خراسان والنهر، وكثير من بلاد الهند والسند والصغد، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال. ولذلك لم يذكر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أريه، ولا أُخبر أن ملك أمته يبلغه[1].

قوله: «زُوِيَ لِي مِنْهَا». يحتمل أن يكون مبنيًا للفاعل، وأن يكون مبنيًا للمفعول.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قال القرطبي: هذا الخبر وُجِدَ مخبره كما قال، وكان ذلك من دلائل نبوته** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فامتدت المملكة الإسلامية على مشارق الأرض ومغاربها بواسطة الدعوة، وبواسطة الفتوحات والجهاد في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة -بالنون والجيم- الذي هو منتهى عمارة المغرب**)، طنجة: من بلاد المغرب، لا تزال بهذا الاسم إلى الآن.

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل على صحيح مسلم (٧/ ٢١٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إلى أقصى المشرق مما هو وراء خراسان والنهر، وكثير من بلاد الهند والسند والصغد)**، سقطت الدولتان: دولة فارس والروم، وصارت أملاكها للمسلمين، وكنوزها للمسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال. ولذلك لم يذكر** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه أريه، ولا أُخبر أن ملك أمته يبلغه)**، أكثر ما جاء في الأدلة الشرق والغرب، لم يأت الشمال والجنوب؛ لأن الشمال والجنوب- خصوصًا الشمال -كما تعلمون أنه طرف من طرفي الدنيا، ويختلف توقيته، ويختلف صيفه وشتاؤه عن بلاد المسلمين، أما الشرق والغرب، فهذا يتفق، والسكان أغلبهم في الشرق والغرب، الشمال والجنوب قليل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «زُوِيَ لِي مِنْهَا». يحتمل أن يكون مبنيًّا للفاعل، وأن يكون مبنيًّا للمفعول)**، مبنيًّا للفاعل: زوى، ويحتمل أن يكون مبنيًّا للمفعول: زُوِي، والمعنى واحد.

....

ش: قوله: «وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ».

قال القرطبي: يعني بهما كنز كسرى، وهو ملك الفرس، وكنز قيصر، وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما. وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ»[(١)]، وعبر بالأحمر عن كنز قيصر؛ لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى؛ لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة.

ووُجِدَ ذلك في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته وما كان في بيوت أمواله، وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر[(٢)].

والأبيض والأحمر منصوبان على البدل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ»، قال القرطبي: يعني بهما كنز كسرى، وهو ملك الفرس، وكنز قيصر، وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما)، كنز الروم يغلب عليه الذهب، وكنز الفرس يغلب عليه الفضة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٠)، ومسلم (٢٩١٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه البخاري (٣١٢١)، ومسلم (٢٩١٩) من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل على صحيح مسلم (٧/ ٢١٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ»)**، الأحمر والأبيض يعني: الذهب والفضة؛ الأحمر: هو الذهب، والأبيض: هو الفضة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال القرطبي: يعني بهما كنز كسرى، وهو ملك الفرس، وكنز قيصر، وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما)**؛ لأن الله فتحهما للمسلمين، وأسقط دولة الفرس ودولة الروم، وصارتا للمسلمين بما فيهما من الخيرات والكنوز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّـذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ»)**، لتنفقن كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله، تنفق على المجاهدين في سبيل الله، وقد وقع ما أخبر به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعبر بالأحمر عن كنز قيصر؛ لأن الغالب عندهم كان الذهب)**، وهم الروم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبالأبيض عن كنز كسرى؛ لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة)**، وهم الفرس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ووُجِدَ ذلك في خلافة عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته وما كان في بيوت أمواله، وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر)**، سيقت هذه الكنوز بعد فتوح هذه البلاد إلى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ غنيمة في سبيل الله خليفة المسلمين، حتى سواري كسرى اللذين يلبسهما على ذراعيه جيء بهما إلى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والأبيض والأحمر منصوبان على البدل)**، بدل من الكنزين، الكنزين مفعول منصوب، والأبيض والأحمر بدل عنهما، وبدل المنصوب منصوب، يسمونه التوابع الأربع، وهذا منها.

....

ش: قوله: «وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ».

هكذا ثبت في أصل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بِعَامَّةٍ) بالباء، وهي رواية صحيحة في صحيح مسلم، وفي بعضها بحذفها.

قال القرطبي: وكأنها زائدة؛ لأن (عامة) صفة السنة[(١)].

والسنة: الجدب الذي يكون به الهلاك العام، ويسمى الجدب والقحط: سنة. ويجمع على سنين؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ [الأعراف:١٣٠] أي: الجدب المتوالي[(٢)].

قوله: «وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ»، أي: من غيرهم من الكفار من إهلاك بعضهم بعضًا، وسبي بعضهم بعضًا، كما هو مبسوط في التاريخ فيما قبل إلى زماننا هذا -نسأل الله العفو والعافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ»)، يعني: لا ينزل الغيث، ولا تنبت الأرض، فيصيبها القحط.

فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل ربه ألا يهلك أمته بالقحط، نعم، قد يقع القحط في بعض البلاد، لكن لا يقع على كل الأرض.

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل على صحيح مسلم (٧/ ٢١٧).

(٢) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٥٩٩)، والكامل في اللغة والأدب (٤/ ٥)، ومجمل اللغة (ص٤٧٤)، ومشارق الأنوار (٢/ ٢٢٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**هكذا ثبت في أصل المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بِعَامَّةٍ) بالباء**)، في أصل المصنف الذي هو كتاب التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي بعضها بحذفها**)، «بسَنَةٍ عَامَّةٍ»، بدون الباء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والسنة: الجدب الذي يكون به الهلاك العام، ويسمى الجدب والقحط: سنة**)، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾، يعني: بانحباس القطر، وعدم نبات الأرض، والقحط، ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[الأعراف:١٣٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ»**)، لايسلط الله على هذه الأمة عدوًّا من خارجها، وإنما يكون ذلك بينهم، في الفتن التي قامت بين المسلمين، والقتال الذي حصل بين المسلمين؛ لما اختلفوا فيما بينهم، فلا يسلط عليهم عدوًّا خارجيًّا، وإنما قد يسلط بعضهم على بعض إذا اختلفوا، قد يتقاتلون ويسبي بعضهم بعضًا فيما بينهم، أما عدو خارجي يتسلط على المسلمين؟ فالله منع ذلك، ولذلك تجدون الحروب التي بين المسلمين كلها من بينهم، لم تأت من عدوهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أي: من غيرهم من الكفار من إهلاك بعضهم بعضًا، وسبي بعضهم بعضًا، كما هو مبسوط في التاريخ فيما قبل إلى زماننا هذا**)، هذه المصيبة أنهم يختلفون ويتقاتلون بينهم، مسلمون مع مسلمين، وهذا الذي حصل.

فالذي يجري بين المسلمين من القتال ليس من عدو خارجي، وإنما هو اختلاف فيما بينهم، والاختلاف يسبب القتال؛ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ [البقرة:٢٥٣]، فهذا هو سبب اقتتالهم.

....

ش: قوله: «فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ».

قال الجوهري: بيضة كل شيء حوزته، وبيضة القوم ساحتهم(١).

وعلى هذا فيكون معنى الحديث: إن الله تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين، حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض، وهي جوانبها.

وقيل: بيضتهم: معظمهم وجماعتهم، وإن قلوا(٢).

قوله: «حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»، والظاهر أن (حَتَّى) عاطفة، أو تكون لانتهاء الغاية، أي: أن أمر الأمة ينتهي إلى أن يكون بعضهم يهلك بعضًا. وقد يسلط بعضهم على بعض -كما هو الواقع-؛ وذلك لكثرة اختلافهم وتفرقهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال الجوهري)، هو حماد الجوهري إمام اللغة العربية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وعلى هذا فيكون معنى الحديث: إن الله تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض)،

---

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ١٠٦٨)، وانظر: مادة (بيض) في: مختار الصحاح (ص ٤٢)، ولسان العرب (٧/ ١٢٧).

(٢) انظر: التقفية في اللغة العربية (ص٥٠٦)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٢١٨).

العدو لا يجتاح المسلمين، نعم، يجتاح بعض البلاد، بعض الجهات، لكن جميع المسلمين؟ أبدًا، لا يسلطه الله عليهم أن يجتاحهم جميعًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض، وهي جوانبها)**، لو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض من الكفار، فلا يمكن أن يزيلوا المسلمين نهائيًا من الأرض أبدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقيل: بيضتهم: معظمهم وجماعتهم، وإن قلوا)**، بيضتهم: حوزتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا»)**، هذه المشكلة، يعني: فيما بينهم، يختلفون ويتقاتلون فيما بينهم، وهذا هو الذي وقع بين المسلمين؛ لما اختلفوا تقاتلوا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»، والظاهر أن «حَتَّى» عاطفة، أو تكون لانتهاء الغاية)**: إلى أن يكون، «حتى»، أي: إلى أن يكون بعضهم كذا وكذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد يسلط بعضهم على بعض كما هو الواقع)**، يسلط بعض المسلمين على بعض؛ كالذي وقع فيما بينهم من الحروب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد يسلط بعضهم على بعض -كما هو الواقع-؛ وذلك لكثرة اختلافهم وتفرقهم)**، هذا هو السبب، سبب تقاتل المسلمين فيما بينهم: الاختلاف الذي يحصل بينهم يسبب أنهم يتقاتلون؛ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٣].

....

ش: قوله: «وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ».

قال بعضهم: أي: إذا حكمت حكمًا مبرمًا نافذًا، فإنه لا يرد بشيء، ولا يقدر أحد على رده؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ»(١).

قوله: (وَرَوَاهُ البُرْقَانِي فِي صَحِيحِهِ)، هو الحافظ الكبير أبو بكر أحمد ابن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي، وُلِدَ سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة.

قال الخطيب: كان ثبتًا ورعًا، لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفًا بالفقه كثير التصانيف. صنف مسندًا ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان، وجمع حديث الثوري، وحديث شعبة وطائفة(٢).

وهذا الحديث رواه أبو داود بتمامه بسنده إلى أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ -أَوْ قَالَ: إِنَّ رَبِّي- زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٢٤٤)، وعبد بن حميد في مسنده (ص١٥٠)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ١٣٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٩) من حديث المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر في ترجمته: تاريخ بغداد (٥/ ١٣٧)، وتاريخ دمشق (٥/ ١٩٥- ٢٠٠)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٦٤- ٤٦٨)، وطبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٤٧).

وَإِنَّ رَبِّي قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَلَا أُهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلَا أُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا -أَوْ قَالَ: بِأَقْطَارِهَا- حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَحَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا. وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ -قَالَ ابْنُ عِيسَى: ظَاهِرِينَ. ثُمَّ اتَّفَقَا- لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال الخطيب: كان ثبتًا ورعًا، لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفًا بالفقه كثير التصانيف)، هذا البرقاني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ -أَوْ قَالَ: إِنَّ رَبِّي- زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا»)، وهذا من معجزاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ»)، وأخبر أن ملك أمته سيتسع، فيكون بقدر ما

---

(١) أخرجه: أحمد (٣٧/ ٧٨)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢٢٩)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وأصله في مسلم (٢٨٨٩).

زُوِي للرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ منها، وقد وقع هذا، واتسعت مملكة المسلمين في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

قوله رَحِمَهُاللَّهُ: («وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ»)، دعا ألا يهلكهم بجدب عام، يقع الجدب لكن في بعض البلاد دون بعض، ولا يهلكها بجدب عام كما حصل لآل فرعون؛ ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ [الأعراف:١٣٠]، يعني: الجدب.

قوله رَحِمَهُاللَّهُ: («حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَحَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا»)، حتى يكون بعض الأمة يُهلك بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا؛ كما حصل الاختلاف بينهم، وحصل القتال بين المسلمين -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، حتى يقع بينهم الاختلاف، فيقتتلون فيما بينهم، وأما أن يسلط عليهم عدوًا خارجيًّا، فالله منع ذلك.

قوله رَحِمَهُاللَّهُ: (وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ)، هذه المصيبة: «الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ»؛ من الرؤساء ومن العلماء الضالين، من الرؤساء والملوك الضالين، وأشد من ذلك العلماء -علماء الضلال- أخطر على الأمة من العدو، أخطر على الأمة من الكفار.

فهذه المشكلة: الأئمة المضلون من دعاة الضلال وعلماء السوء، هؤلاء أخطر على الأمة من العدو المسلح. علماء الضلال أخطر على الأمة من العدو المسلح؛ لأنهم يضلون المسلمين بشبهاتهم وأقوالهم الباطلة، والمسلمون

يصدقونهم على أنهم علماء، وهم مضلون، علماء لكنهم مضلون، فالعالم الضال أخطر على الأمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («**وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»)، إذا حصل القتال بينهم، فإنه لا يرفع إلى يوم القيامة، وهذا حصل بمقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لما قُتِلَ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مظلومًا، استمر القتل في هذه الأمة إلى يوم القيامة.

إذا تقاتلوا، يدوم هذا ويبقى، وقد بدأ هذا بقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لا يزال الاقتتال من فتنة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى أن تقوم الساعة بسبب من المسلمين أنفسهم؛ لما جاء الخوارج[١]، وقتلوا عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، استمر القتل فيهم فيما بينهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ**)، وهذه مصيبة، يعني: يرتد قبائل من هذه الأمة، وينتقلون إلى بلاد المشركين، يلحقون بهم في دينهم وفي بلادهم؛ ينتقلون من بلاد المسلمين إلى بلاد الكفار، ويندمجون في الكفار، ويصبحون منهم، فئام: يعني جماعات.

---

(١) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ**». أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص٥٤)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ)**، وحتى توجد عبادة الأوثان في هذه الأمة.

الأوثان: جمع وثن، وهو ما عُبِدَ من دون الله، سواء كان أصنامًا مصورة، أو كان قبورًا، أو شجرًا، أو حجرًا، أو غير ذلك، كله يسمى أوثانًا.

ما عُبِدَ وهو على شكل صورة يسمى صنمًا، وما عُبِدَ وهو على غير صورة يسمى وثنًا، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»(١)، وقد وقع ما أخبر به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يعبدون القبور والأضرحة والمقامات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ)**، المتنبئون الكذبة، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خاتم النبيين، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»، وفي القرآن: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠]. والخاتم: هو الشيء الأخير الذي لا يأتي بعده شيء، فنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خاتم النبيين. فمن يدعي النبوة بعد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو كذاب، وقد ادعاها عدد كثير -كما قال: «**كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ**»-، هؤلاء هم المشهورون منهم، ادعوا النبوة، ولكن -الحمد لله- الله قضى عليهم، ولم يبق لهم باقية.

وكل من ادعى النبوة، فهو كذاب بعد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأولهم: مسيلمة، والأسود العنسي في آخر حياة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظهرا، وقتلا -والحمد لله-، واستمر التنبؤ الذين يدعون النبوة، ومن آخرهم الآن:

---

(١) سبق تخريجه (ص٦).

القادياني في باكستان، ادعى النبوة، وصدقه بعض الناس، غلام أحمد غلام القادياني، يسمون بالأحمدية، وهم ممنوعون من دخول البلاد الإسلامية، إلا خفية أو تسللًا.

فغلام القادياني ادعى النبوة، وصدقه طائفة أو جماعة يسمون القاديانية في الهند في باكستان، ويسمون الأحمدية، يعني: أتباع لأحمد القادياني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**«كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»**)، لا نبي بعد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن تقوم الساعة، ولهذا شريعته كاملة صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تصلح لكل زمان ومكان، شريعة الرسول صالحة لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**)، فالذي يدعي النبوة كافر، أو يصدق من يدعي النبوة بعد الرسول كافر، ولذلك أجمع العلماء على تكفير القاديانية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ**)، هذه بشارة من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنها لا تزال طائفة من أمتي، والطائفة تطلق على الواحد أنه طائفة، وتطلق على أكثر من الواحد، لكن هذه الطائفة تثبت على الحق، لا تتزحزح عنه إلى أن تقوم الساعة.

«**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ**»، مهما كثر الضلال، وكثر دعاة السوء، فإن هذه الطائفة يثبتها الله إلى أن تقوم الساعة؛ كما أن الله حفظ القرآن لا يغير ولا يبدل إلى أن يرفع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهذه بشارة أنها مع هذه الفتن وهذه الحوادث التي تحدث في الأمة يبقي الله من هذه الأمة من هم على الحق؛ «**وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ**»، يعني: منصورين على غيرهم؛ «**لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («**لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**»)، حتى يأتي أمر الله في آخر الدنيا، «**يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**»: يعني: قيام الساعة.

....

ش: **وروى أبو داود -أيضًا- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «تَدُورُ رَحَى الْإِسْلَامِ لِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، فَإِنْ يَهْلَكُوا فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ، يَقُمْ سَبْعِينَ عَامًا، قَالَ: قُلْتُ: أَمِمَّا بَقِيَ أَوْ مِمَّا مَضَى؟ قَالَ: مِمَّا مَضَى»[(١)].**

وروى في سننه -أيضًا- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَّةُ هُوَ؟ قَالَ: الْقَتْلُ، الْقَتْلُ»[(٢)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: قال رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ»)**، يعني: في آخر الزمان، هذه تحصل في آخر الزمان.

«يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ»، بمعنى: أنه يمضي بسرعة؛ في علمك أنك يوم السبت، ولا تدري إلا وأنك في يوم الخميس، وأنت ذاهل لا تدري، يمر عليك، ولم تدر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَيَنْقُصُ الْعِلْمُ)**، هذه المشكلة: (وَيَنْقُصُ الْعِلْمُ): يقل العلماء يعني.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ)**، الهرج: يعني القتل والاقتتال.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٥٥)، وأصله في البخاري (٨٥، ١٠٣٦)، ومسلم (١٥٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَيَكْثُرُ الهَرْجُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَّةُ هُوَ؟ قَالَ: الْقَتْلُ، الْقَتْلُ**)، يعني: الهرج، ما الهرج؟ القتل، القتل.

والآن تسمعون القتل يمينًا وشمالًا في الناس، في بلاد المسلمين مع الأسف، القتل مستحر الآن في بلاد المسلمين، وهذا مصداق ما أخبر به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

....

ش: قوله: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ»، أي: الأمراء والعلماء والعباد، فيحكمون فيهم بغير علم، فيضلونهم؛ كما قال -تعالى-: ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب:٦٧]، وكان بعض هؤلاء يقول لأصحابه: من كان له حاجة، فليأت إلى قبري، فإني أقضيها له، ولا خير في رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب، أو نحو هذا(١). وهذا هو الضلال البعيد؛ يدعو أصحابه إلى أن يعبدوه من دون الله، ويسألوه ما لا يقدر عليه من قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ [الحج:١٢، ١٣]، وقال -تعالى-: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان:٣]، وقال تعالى: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت:١٧]، وأمثال هذا في القرآن كثير، يبين الله تعالى به الهدى من الضلال.

ومن هذا الضرب من يدعي أنه يصل مع الله إلى حال تسقط عنهم التكاليف، أو يدعي أن الأولياء يدعون ويستغاث بهم في حياتهم ومماتهم،

---

(١) هذا الكلام حكاه ابن العماد الحنبلي عن إبراهيم بن عبد ربّه الصّوفي في شذرات الذهب (٩/ ٤٨٣). وانظر الرد عليه في: الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف للصنعاني (ص١٠٩).

وأنهم ينفعون ويضرون، ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة، وأنه يطلع على اللوح المحفوظ، ويعلم أسرار الناس وما في ضمائرهم، أو يجوز بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وإيقادها بالسرج ونحو ذلك من الغلو والإفراط والعبادة لغير الله. فما أكثر هذا الهذيان والكفر والمحادة لله ولكتابه ولرسوله!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ»، أي: الأمراء والعلماء والعباد، فيحكمون فيهم بغير علم، فيضلونهم)**، الأمراء والعلماء والعباد، يعني: الأئمة المضلين، وهؤلاء أخطر على الأمة من العدو الكافر، هؤلاء هم أخطر على الأمة، الأمراء والعلماء الضالون يضلون الأمة؛ هذا بسلطانه، وهذا بعلمه، فيضلون الأمة، فهم أخطر على الأمة من غيرهم، كفى الله شرهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والعباد)**، العباد الجهال؛ لأن الناس يغترون بهم؛ بعبادتهم وورعهم، لكن ليس عندهم علم، فيغتر بهم الناس.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:٦٧])**، ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾: أطاعوا العلماء الضالين، والأمراء الفاسدين، ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:٦٧]. ﴿سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾: أطاعوا العلماء والملوك والرؤساء؛ فأضلوهم السبيل، وهذا خطر عظيم على المسلمين؛ أمراء الضلال، وعلماء الضلال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وكان بعض هؤلاء يقول لأصحابه: من كان له حاجة، فليأت إلى قبري، فإني أقضيها له)**، يدعون الناس إلى الشرك بهم بعد موتهم

-والعياذ بالله من هؤلاء المضلين-، ويقولون: ائت إلى قبري؛ فأنا أسمع وأقضي حاجتك.

فهؤلاء من الأئمة المضلين من يوصي الناس: أنه إذا مات يأتون إلى قبره، ويطلبون حوائجهم منه، فإنه سيقضيها لهم، يدعوهم إلى الشرك بعد موته -والعياذ بالله-، هذا من الأئمة المضلين -والعياذ بالله-، حتى بعد موته يدعو الناس إلى أن يعبدوه من دون الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا خير في رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب)**، هذا من الأئمة المضلين؛ يحث الناس على أن يعبدوه، ويطلبوا حوائجهم منه بعد موته، ولا يمنعه أنه مدفون في التراب، هذا من الأئمة المضلين -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد قال الله تعالى: ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾** [الحج:١٢])، **﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾** [الحج:١١، ١٢]، إلى آخر الآية، هذا هو الخطر العظيم على المسلمين دعاة الضلال، حتى بلغ بهم الأمر أنهم يوصون الناس أن يأتوا إلى قبورهم بعد موتهم، وأن يسألوهم حوائجهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾** [الحج:١٣])، كل من دعا الأموات والمقبورين، فهو من هؤلاء الناس؛ **﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ**

ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴾ [الحج:١٢، ١٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى**: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان:٣])، هذه صفتهم، هذا شأنهم، هذا شأن المخلوقين، لا يُعبد إلا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولا يُطاع إلا الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، هذا سبيل النجاة، وأما ما عداه، فهو سبيل الهلاك.

وأخطر ما على الأمة: العلماء الضالون، علماء الضلال؛ لأن الناس يغترون بعلمهم، والملوك والرؤساء؛ لأن الناس يغترون بسلطانهم وهيبتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى**: ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [العنكبوت:١٧])، هذا الذي ذكره الله عن الخليل إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ ﴾ [العنكبوت:١٧]، هذا الذي أمر به الخليل قومه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، هذا حكاه الله عن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقًا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ ﴾ [العنكبوت:١٧]، هذا حكاه الله عن خليله إبراهيم أنه قاله لقومه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأمثال هذا في القرآن كثير، يبين الله تعالى به الهدى من الضلال**)، القرآن يبين الهدى من الضلال في آيات كثيرة لمن تدبرها، وأقبل عليها، وتبصر بها.

القرآن هدى، لكن لمن يتدبره، ومن يتوقف عند حدوده، وعند وعده ووعيده، وعند إخباره، هو له هدى؛ ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٥] عمومًا، وهدى للمتقين خصوصًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن هذا الضرب من يدعي أنه يصل مع الله إلى حال تسقط عنهم عنه التكاليف)**، بلغ -والعياذ بالله- الضلال بهم إلى أنهم يقولون: إن الإنسان يصل إلى درجة ليس بحاجة إلى العبادة؛ لأنه وصل إلى الله -كغلاة الصوفية-، يسمى العارف بالله، وأنه وصل إلى الله، ولا يصلي، ولا يصوم، ولا يتورع عن الحرام والفواحش؛ لأنه ليس عليه حرام ولا حلال؛ لأنه وصل إلى الله، وإنما الحلال والحرام هذا للعوام. أما الخواص أو خواص الخواص، فهؤلاء ليسوا بحاجة إلى الشرع والحلال والحرام، وهذا موجود -والعياذ بالله-، وصدقهم من صدقهم في هذا. الله جَلَّ وَعَلَا قال لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]، يعني: الموت. فليس لعمل المسلم غاية دون الموت، أما هؤلاء يقولون: لا، إذا وصل الإنسان إلى مرحلة، فإنه تسقط عنه العبادات، وتباح له المحرمات، ولا يؤاخذ على شيء؛ لأنه وصل إلى الله، وليس بحاجة إلى الشرع، ويصدقه الناس، هذه هي المشكلة.

فغلاة الصوفية يزعمون، ويُزعم لهم: أنهم إذا وصلوا إلى حد، وعرفوا الله، تسقط عنهم التكاليف؛ ليس عليهم صلاة ولا صيام ولا حج، ولا يحرم عليهم شيء؛ لأنهم لا تكليف عليهم؛ وصلوا إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ كما يقولون-، يسمونه العارف بالله، وهذا منتهى الضلال -والعياذ بالله.

الله جَلَّوَعَلَا يقول لنبيه -هل هناك أكرم من نبيه، وأعبد من نبيه لله؟!- يقول: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩]، اليقين: الموت. لم يقل: إذا عرفت الله، هذا يكفي، ولست بحاجة إلى أنك تصلي وتصوم؛ كما تقوله غلاة الصوفية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن هذا الضرب من يدعي أنه يصل مع الله إلى حال تسقط عنهم التكاليف)**، انتبهوا! تسقط عنهم التكاليف؛ لا يصلون، ولا يصومون، ويقولون: هؤلاء وصلوا إلى الله؛ ليسوا بحاجة لئن يصلوا ويصوموا، ليسوا بحاجة إلى هذا، هذا للعوام، أما هؤلاء الخواص...، وهذا موجود، لا تحسبوا أن هذا حكاية، لا، موجود الآن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**(أو يدعي أن الأولياء يدعون ويستغاث بهم في حياتهم ومماتهم)**، أو يدعي أن الأولياء -أولياء الله- يدعون في حياتهم وبعد موتهم؛ مع أن الدعاء لله عَزَّوَجَلَّ، لا يدعى إلا الله.

وهؤلاء يشركون بالله؛ فيجعلون الأولياء شركاء لله في العبادة، يدعونهم مع الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وهذا كله بسبب شياطين الإنس والجن الذين أهلكوا الأمة بهذا العمل القبيح.

فالواجب الرجوع إلى أهل العلم المحققين، أهل العقيدة السليمة، المتبعين للرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، المتمسكين بالكتاب والسنة، ولا يلتفت إلى هؤلاء المشعوذين والكذبة والمتآكلين الذين يريدون الرئاسة على الناس بالباطل، لا يلتفت إليهم، ولا إلى من صدقهم، ما دام الإنسان لم يتمسك بالكتاب والسنة، فإنه هالك ساقط.

يقولون: إنهم ليسوا بحاجة إلى الكتاب والسنة؛ لأنهم عرفوا ووصلوا، هذا العارف بالله، وهذا الخاص؛ الخواص ليسوا بحاجة إلى الشرع.

ويقولون: إن النبي جاء ودعا أناسًا من هؤلاء، فقالوا له: اذهب إلى العوام، أما نحن لا نحتاج إليك، يقولون هذا، بلغ بهم الافتراء والكذب إلى هذا الحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو يدعي أن الأولياء يدعون ويستغاث بهم في حياتهم ومماتهم)**، لكن من هم الأولياء، هل كل من قالوا: إنهم أولياء يصيرون أولياء؟ لا، الله بيَّن من هم الأولياء في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، من هم؟ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣]، هؤلاء هم الأولياء: ﴿ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنهم ينفعون ويضرون، ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة)**، لا ينفع ولا يضر إلا الله عَزَّوَجَلَّ، ولا أحد يدبر مع الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

فهؤلاء جعلوهم شركاء لله في الخلق والتدبير، حتى قال بعضهم -واحد من المعاصرين-، قال: إن الأولياء يخلقون الأجنة في البطون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنهم ينفعون ويضرون، ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة)**، على سبيل الكرامة، يقولون: كرامات. الكرامة ليست بهكذا، الكرامة: شيء يجريه الله على يد عبد من عباده لصلاحه ودينه وعقيدته،

يكرمه الله بها[١]، ليست خوارق الطغاة، وخوارق السحرة والمشعوذين يقال لها: كرامات، ليست كرامات، هذه خوارق شيطانية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأنه يطلع على اللوح المحفوظ)**، الرسل لم يطلعوا على اللوح المحفوظ، وهذا يدعي أنه اطلع على اللوح المحفوظ، البوصيري يقول:

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا   وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللوْحِ وَالقَلَمِ[٢]

محمد من علمه، يعني: بعض علمه اللوح والقلم، اللوح المحفوظ، والقلم الذي كتب الله به في اللوح المحفوظ، يقول: هذا بعض علوم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهل أكثر من هذا غلو -والعياذ بالله؟!!

الله أمر رسوله أن يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، ﴿زِدْنِي عِلْمًا﴾، وهو يقول: أنه يعلم كل شيء حتى إنه يعلم ما في اللوح المحفوظ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويعلم أسرار الناس وما في ضمائرهم)**، يعلم خواطر القلوب، ويقول: هواجسك كذا، أنت في نفسك كذا وكذا، يخبره بما في نفسه.

هذا لا يطلع عليه إلا الله سبحانه، ولكن هذا شيطان يريد أن يضله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أو يجوز بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين)**، بناء المساجد على القبور هذا كثير، وهذا هو الذي أهلك الناس، هذه شريعة

---

(١) انظر تعريف الكرامة في اللغة: لسان العرب (١٢/ ٥١٠)، وأساس البلاغة (١/ ٥٤١)، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٨٤).

(٢) انظر: ديوان البوصيري (ص٢٥٢).

اليهود والنصارى؛ «**اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(١)، قال ﷺ وهو يعاني من سكرات الموت: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»(٢)، هذا في آخر نفس من أنفاسه ﷺ.

قالت عائشة: «وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»(٣).

فدُفِن ﷺ في غرفته، في حجرته، حجرة عائشة، ولم يدفن مع أصحابه في البقيع؛ حفاظًا عليه، دُفِنَ في حجرته، وفي البيت تحت الفراش، دُفِنَ تحت الفراش الذي مات عليه في حجرته ﷺ، محافظة عليه مما وقع لغيره.

وهذا هو الوثنية: بناء المساجد على القبور هو سبب الوثنية، وعبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ، المساجد لا تبنى عل القبور، ولا يصلى عند القبور إلا صلاة الجنازة فقط؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك، وهم يبنون مساجد على القبور، يجتمعون عند القبور، والمسجد الذي ليس فيه قبر لا يتوجهون إليه، لا يتوجهون إلا للمساجد التي فيها قبور الأولياء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أو يجوز بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين)**، الآن في الأمصار الأخرى، المسجد الذي ليس فيه قبر لا يذهبون إليه، وليس

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٥).
(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢).
(٣) أخرجه البخاري (١٣٣٠، ١٣٩٠، ٤٤٤١)، ومسلم (٥٢٩).

له قيمة عندهم، لا يذهبون إلا للأضرحة، المساجد التي على قبور يذهبون إليها، وأما المسجد الذي على الشريعة وليس فيه قبر هذا رخيص عندهم، ولا يذهبون إليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإيقادها بالسرج ونحو ذلك من الغلو والإفراط والعبادة لغير الله)**، يوقدونها بالسرج، يجعلون عليها صناديق للنذور، يجعلون عليها سدنة يجمعون هذه النذور وهذه الأموال يقتسمونها، كل هذا من أجل إضلال الناس عن دينهم -والعياذ بالله- والغلو في القبور، يجعلون القبور موارد كسب وتجارة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإيقادها بالسرج)**، إيقادها بالسرج، الآن بالكهرباء، يجعلون عليها كهرباء ملونة وجذابة.

ولذلك لا يجوز أن يجعل في المقابر كهرباء، إنما يأتون بالكهرباء وقت الدفن فقط، ويذهبون، لا يجعل فيها أعمدة كهرباء؛ لأن الرسول لعن المتخذين المساجد والسرج على القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فما أكثر هذا الهذيان والكفر والمحادة لله ولكتابه ولرسوله!)**، لا تظنوا أن هذا غير موجود، يقول: ما أكثر هذا! ما أكثره! صحيح، كثير الآن، والذي ذهب إلى البلاد الأخرى يجد هذا.

هذه البلاد حماها الله جَلَّ وَعَلَا بسبب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وإلا كانت في الأول مثل غيرها، ولكن لما دعا إلى الله، وبين للناس، الله نصره وأعانه ويسر له أعوانًا من الولاة والملوك، فأعانوه على ذلك، فتطهرت هذه البلاد، والحمد لله.

....

ش: وقوله ﷺ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ».

أتى بـ«إنما» التي قد تأتي للحصر بيانًا لشدة خوفه على أمته من أئمة الضلال، وما وقع في خلد النبي ﷺ من ذلك إلا لما أطلعه الله عليه من غيبه أنه سيقع نظير ما في الحديث قبله من قوله: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...» الحديث(١). وقد بين الله تعالى في كتابه صراطه المستقيم الذي هو سبيل المؤمنين، فكل من أحدث حدثًا ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ، فهو ملعون، وحدثه مردود؛ كما قال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»(٢)، وقال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(٣).

وقال ﷺ: «كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٤).

وهذه أحاديث صحيحة، ومدار أصول الدين وأحكامه على هذه الأحاديث ونحوها.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٠، ٣١٧٢، ٣١٧٩، ٦٧٥٥)، ومسلم (١٣٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه أحمد (٢٨/ ٣٧٣)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، والدارمي (٩٦)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٢٤٥)، وابن حبان (١/ ١٧٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٤)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩٥)، من حديث الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ»)**، هذه المشكلة، الأئمة المضلون هؤلاء أخطر على الأمة، العلماء -علماء الضلال-، خافهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته.

الأئمة: يشمل الأئمة من الرؤساء والملوك، والأئمة من العلماء.

إذا كان القبر على السنة، ولم يُجعل عليه أنوار ولا بناء، يقولون: هذا احتقار للميت، احتقار للعالم، يصفون هذا بأنه احتقار له، والذي عليه هذه الأشياء هذا يعتبر تفخيمًا لشأن لهذا الميت وإكرامًا له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ». أتى بـ«إنما» التي قد تأتي للحصر بيانًا لشدة خوفه على أمته من أئمة الضلال)**، أئمة الضلال هم أخطر شيء، العلماء الضالون أو الأمراء المفسدون هم أخطر شيء على الأمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما وقع في خلد النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **من ذلك إلا لما أطلعه الله عليه من غيبه أنه سيقع نظير ما في الحديث قبله من قوله: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...»)**، من كان قبلنا كانوا يعبدون القبور، ويعظمونها ويبنون عليها، ووُجِد في هذه الأمة من يقلدهم، ويعمل هذا الشيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد بين الله تعالى في كتابه صراطه المستقيم)**، مع كثرة هذه الضلالات وهذه الأباطيل فإن الطريق واضح -ولله الحمد-؛ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن

سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، سبيل الله: صراط واضح، وما عداه فهي سبل مضلة منحرفة ذات الشمال وذات اليمين، على كل سبيل منها شيطان يدعو الناس إليها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا»)**، يعني: ابتكر بدعة من عنده. كل من أحدث حدثًا ليس من الإسلام، ونسبه إلى الإسلام، ودعا الناس إليه، فإن عليه **«لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلا عَدْلًا»**.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَوْ آوَى مُحْدِثًا)**؛ أو آوى مبتدعًا، آواه وحماه ودافع عنه، فهو مثله، **«فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»**، نسأل الله العافية!

وفي رواية: **«أَوْ آوَى مُحْدَثًا»**؛ يعني: دافع عن البدعة، ودعا إليها ونشرها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»)**، رَدّ: يعني مردود عليه، لا يقبله الله، وإنما يبطله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. أي: مردود عليه، لا يقبل ويرفض رفضًا تامًّا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»)**، **«كُلَّ مُحْدَثَةٍ»**: في الدين، **«بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ»** في الدين **«ضَلَالَةٌ»**.

هناك من يقول: إن هناك بدعًا حسنة ويزينونها، يقولون: هذه حسنة، الرسول يقول: **«وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**، وأنت تقول: هناك بدع حسنة. يعني: ترد على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!! البدع كلها ضلالة، ليس فيها شيء حسن.

الرسول يقول: «وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، وهؤلاء يقولون: لا، هناك بدعة حسنة. ليس هناك بدعة حسنة، البدع كلها ضلال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذه أحاديث صحيحة، ومدار أصول الدين وأحكامه على هذه الأحاديث ونحوها)**، مدار الدين كله على الكتاب والسنة، ليس على آراء الناس واستحسانات الناس، إنما هو من الكتاب والسنة.

«**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّتِي**»(١)، هذا سبيل النجاة: الكتاب والسنة، ميراث الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«**تَارِكٌ فِيكُمْ**»، لم يترك فينا أموالًا وكنوزًا وقصورًا، ترك فينا: الكتاب والسنة.

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ١٧٢)، والدارقطني في سننه (٥/ ٤٤٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٨٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: وقد بين الله تعالى هذا الأصل في مواضع من كتابه العزيز، كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا ﴾ [الجاثية:١٨، ١٩]، ونظائرها في القرآن كثير.

وَعَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَلْ تَعْرِفُ مَا يَهْدِمُ الإِسْلَامَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ، وَحُكْمُ الأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ» رواه الدارمي[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد بين الله تعالى هذا الأصل في مواضع من كتابه العزيز، كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣])، ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾: هذا مثل قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ ﴾ [الأنعام:١٥٣]. والذي أُنزِلَ يشمل الكتاب والسنة، فالسنة منزلة من عند الله -أيضًا-، فهي الوحي الثاني، ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ ﴾، أي: من دون الله، ﴿أَوۡلِيَآءَ ﴾ غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٢٩٥)، وفي مسنده (١/ ١٢٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى**: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [الجاثية:١٨، ١٩])، قال الله لرسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ذكر قصص الماضين، قال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ ﴾ أيها الرسول ﴿ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾: شريعة الإسلام.

﴿ فَٱتَّبِعْهَا ﴾: اتبعها، ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية:١٨، ١٩]. انتبهوا! القرآن كله يدعو إلى هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ونظائرها في القرآن كثير**)، هذه الآية: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾ [الجاثية:١٨]. لها نظائر في القرآن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَعَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**هَلْ تَعْرِفُ مَا يَهْدِمُ الإِسْلَامَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ، وَحُكْمُ الأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ**»)، يعني: ثلاثة أمور تهدم الإسلام:

- زلة العالم: إذا أخطأ، أخذوا خطأه، قالوا: هذا قول العالم الفلاني، ماذا تقول فيه؟! ويأخذونه؛ لأنه يوافق أهواءهم، وإلا إذا لم يكن يوافق أهواءهم -وإن كان حقًّا واضحًا-، لم يقبلوا به، لكن لما زلة العالم وافقت رغبتهم، عظموها، وجعلوها قولًا يتبع -ولا حول ولا قوة إلا الله! زلة العالم، هذه واحدة.

زلة العالم: العلماء ليسوا معصومين، يغلطون، يخطئون، لا يؤخذ من كلامهم إلا ما وافق الكتاب والسنة؛ لأنهم بشر يخطئون، لكن إذا تمسكوا بالكتاب والسنة، فهم على صواب.

- وجدال المنافق بالقرآن: المنافقون يحفظون القرآن، ويدرون التفاسير، وهم منافقون، ليسوا مسلمين، منافقون يجادلون بالقرآن؛ ليضلوا الناس، المنافقون فيهم علماء، علماء بألسنتهم يضلون الناس -والعياذ بالله-، والله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾، يعني: المنافقين ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون:٤]، يعني: عندهم فصاحة وبلاغة، وعندهم علم -أيضًا-، لكن لم ينتفعوا بعلمهم.

- وحكم الأئمة -السلاطين- المضلين؛ يحملون الناس على الباطل بالقوة، أو بالترغيب والعطاء وغير ذلك.

....

ش: وَقَالَ يَزِيدُ بْنَ عُمَيْرَةَ: «كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ إِلَّا قَالَ: اللهُ حَكَمٌ قِسْطٌ، هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ.

وفيه: فَاحْذَرُوا زَيْغَةَ الحَكِيمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ الضَّلَالَةَ عَلَى لِسَانِ الحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ المُنَافِقُ كَلِمَةَ الحَقِّ. قُلْتُ لِمُعَاذٍ: وَمَا يُدْرِينِي -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ الحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَ، وَأَنَّ المُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الحَقِّ؟ قَالَ: قَالَ لِي، اجْتَنِبْ مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ المُشَبَّهَاتِ الَّتِي يُقَالُ مَا هَذِهِ، وَلَا يُثْنِيَنَّكَ عَنْهُ، فَأَنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ الحَقَّ، وَتَلَقَّ الحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ؛ فَإِنَّ عَلَى الحَقِّ نُورًا». رواه أبوداود وغيره[1].

قوله: «وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وكذلك وقع. فإن السيف لما وقع بقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لم يرفع، وكذلك يكون إلى يوم القيامة، ولكن قد يكثر تارة، ويقل أخرى، ويكون في جهة، ويرتفع عن أخرى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (اللهُ حَكَمٌ قِسْطٌ)، حكم قسط: يعني عادل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيه: فَاحْذَرُوا زَيْغَةَ الحَكِيمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ الضَّلَالَةَ عَلَى لِسَانِ الحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ المُنَافِقُ كَلِمَةَ الحَقِّ)؛ لا تغتروا.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠/ ٣٨)، والآجري في الشريعة (١/ ٤٠٦)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٣٠٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠٧)، وقال: (هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وكذلك وقع)**، لما وقع السيف وقُتِلَ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ انفتح باب الفتنة على الأمة إلى يوم القيامة، فلا يزالون يقتتلون فيما بينهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكذلك يكون إلى يوم القيامة، ولكن قد يكثر تارة ويقل أخرى، ويكون في جهة، ويرتفع عن أخرى)**؛ كما تشاهدون الآن، القتل في المسلمين في بلاد المسلمين وفي المسلمين الآن.

....

ش: قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ». الحي واحد الأحياء، وهي القبائل.

وفي رواية أبي داود: «حَتَّى يَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ»، والمعنى: أنهم يكونون معهم، ويرتدون برغبتهم عن أهل الإسلام، ولحقوهم بأهل الشرك.

وقوله: «وَحَتَّى تُعْبَدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ». الفئام -مهموز-: الجماعات الكثيرة، قاله أبو السعادات(١).

وفي رواية أبي داود: «وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ». وهذا هو شاهد الترجمة.

ففيه: الرد على من قال بخلافه من عباد القبور الجاحدين لما يقع منهم من الشرك بالله بعبادتهم الأوثان؛ وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد وما يناقضه من الشرك والتنديد، فالتوحيد هو أعظم مطلوب، والشرك هو أعظم الذنوب.

وفي معنى هذا الحديث ما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ مرفوعًا: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ».

قال: «وَذُو الْخَلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ»(٢).

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦).

وروى ابن حبان عن معمر قال: «إِنَّ عَلَيْهِ الْآنَ بَيْتًا مَبْنِيًّا مُغْلَقًا»[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي رواية أبي داود: «حَتَّى يَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ»)**، ينتقلون إلى بلاد المشركين؛ عندهم حضارة، عندهم ازدهار، ويذهبون إليهم، وينسون ما هم فيه من الكفر، وما تحتهم من النار، ينسون هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: «وَحَتَّى تُعْبَدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ»)**، يوجد في آخر الزمان جماعات يعبدون الأصنام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قاله أبو السعادات)**، أبو السعادات: هو ابن الأثير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي رواية أبي داود: «وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ». وهذا هو شاهد الترجمة، ففيه الرد على من قال بخلافه من عباد القبور)**، هناك من يقول -حتى المدعين للعلم-، يقول: هذه الأمة لا يقع فيها شرك، هذا جحود للواقع، وقع فيها شرك، موجود الشرك، وهل هناك أشد من بناء الأضرحة على القبور، والطواف بها، وسؤال الحاجات منها؟! ما هو الشرك إن لم يكن هذا هو الشرك؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالتوحيد هو أعظم مطلوب، والشرك هو أعظم الذنوب)**، التوحيد -بلا شك- منجاة، لكن أين الذين يتعلمون التوحيد ويفهمونه؟ أين الذين يدرسون التوحيد، إلا ما شاء الله؟

---

(١) أخرجه ابن حبان (١٥/ ١٥٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الخَلَصَةِ»)**، ذو الخلصة: صنم في جنوب الطائف، وهُدِمَ في أول الإسلام، ثم أعيد إلى عهد قريب إلى أن استولى الملك عبد العزيز على الطائف، وذو الخلصة موجود معمور، فأرسل إليها أمير الطائف عبد العزيز بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهدم ذي الخلصة.

والمشركون لا ييأسون يعيدونه، لكن إذا كانت هناك سلطة قوية تمنع هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الخَلَصَةِ»)**، ودوس: قبيلة في الطائف، منهم أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الدوسي.

....

ش: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قصة هدم اللات، لما أسلمت ثقيف: فيه أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يومًا واحدًا، وكذلك حكم المشاهد التي بنيت على القبور، والتي اتخذت أوثانًا تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة، وأعظم شركًا عندها وبها.

فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وغلب الشرك على أكثر النفوس؛ لظهور الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس.

ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين. اهـ. ملخصًا(١).

قلت: فإذا كان هذا في القرن السابع وقبله، فما بعده أعظم فسادًا؛ كما هو الواقع.

---

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٤٤٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في قصة هدم اللات، لما أسلمت ثقيف)**، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم:١٩، ٢٠]، هذه الثلاث هي أكبر أصنام العرب، فلما فتح الله جَلَّ وَعَلَا مكة على رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه أسقط الأصنام التي على الكعبة، وكانت ثلاثمائة وستين صنمًا، فجعل يشير إليها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨١][(١)]، فتساقطت من على الكعبة، فأمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت، وأرسل إلى هذه الأصنام الثلاثة من يهدمها:

﴿ ٱللَّٰتَ ﴾: وهي لأهل الطائف أرسل إليها المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فدمرها.

﴿ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾: هذه لأهل مكة، في وادي نخلة بين مكة والطائف، أرسل إليها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فهدمها.

﴿ وَمَنَوٰةَ ﴾: في مكان يقع قريبًا من جبل قُديد، بين مكة والمدينة، وكانت للأوس والخزرج، وكانوا يُحرِمون من عندها بالحج.

وأرسل إلى اللات المغيرة بن شعبة، وأبو سفيان بن حرب فهدمها، وبذلك انتهت الأصنام في مكة وحواليها.

فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم:١٩، ٢٠]، يعني: أين ذهبت، وأنتم تزعمون أنها آلهة، هل دافعت عن أنفسها؟ أُتلفت ولم تدافع عن أنفسها، فلو كانت آلهة حقًا لما استطاع أحدٌ أن يدمرها، ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ ﴾: أين ذهبت؟

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧٨١)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ﴾: هذه لأهل الطائف، ﴿وَٱلْعُزَّىٰ﴾: هذه لأهل مكة، ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾: هذه لأهل المدينة في الجاهلية، فدمرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على يد رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلو كانت آلهة حقًّا، لانتصرت لنفسها ولم تدمر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في قصة هدم اللات، لما أسلمت ثقيف)**، أسلمت ثقيف، وهم أهل الطائف؛ لأنها لثقيف، فلما أسلمت هدموها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فيه أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يومًا واحدًا)**؛ لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فور ما فتح الله له مكة، بادر بإزالة الأصنام التي في مكة، والتي خارج مكة، ومنها هذه الأصنام الثلاث: اللات، والعزى، ومناة.

فدل على أنه لا يمهل في إزالة الأصنام إذا تمكن ولي أمر المسلمين من إزالتها، فإنه يبادر بإزالتها.

طلبوا من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يمهلهم يومًا واحدًا في هدم اللات، فأبى إلا هدمها، وهذا واجب ولاة الأمر.

أما الأفراد يذهبون يكسرون الأصنام، هذا يحدث فتنة أشد، فلا يجوز لطلبة العلم والذين ليس لهم سلطة أن يتولوا هذا الشيء إلا بأمر ولي الأمر؛ لأنه لا يقدر أحدٌ أن يعارض ولي الأمر، فهو الذي يهدمها.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان في العيينة قبة على قبر زيد بن الخطاب؛ لأن زيدًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ استشهد مع الذين قاتلوا المرتدين، قاتلوهم في العيينة، فقُتِلَ زيد بن الخطاب، بنوا على قبره قبة تسمى قبة زيد بن الخطاب، وكانوا يطوفون بها، وينادون زيدًا يطلبون منه حوائجهم.

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسمعهم أول ما بدأ دعوته، ولكن ليس معه سلطة، يسمعهم يقولون: يا زيد، يا زيد. فيقول لهم: الله خيرٌ من زيد، الله خيرٌ من زيد، لا يملك إلا أن يقول إلا هذه الكلمة: الله خيرٌ من زيد. فلما مكن الله له في العيينة، وناصره ابن معمر أمير العيينة في أول الأمر، أفتى ابن معمر في هدم قبة زيد بن الخطاب، وجاء معه، وقال: أنت اهدمها، فهدمها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبصحبة الأمير ابن معمر، ولم يستطع أحدٌ أن يمنع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهدمها بيده، هدم قبة زيد بن الخطاب.

فدل على أن هذه المشاهد وهذه المعابد لا يتولى هدمها إلا ولاة الأمور الذين بأيديهم السلطة. أما أن يأتي أحدٌ ليس له أمر ولا سلطة -من العلماء أو من طلبة العلم- ليهدمها، فهذا يحدث فتنة وشرًّا أشد، فتراعى هذه الأمور.

والسلطان إذا أصلحه الله، فإن الله يجعل على يديه خيرًا كثيرًا، ولهذا أول ما يبدأ الدعاة بولاة الأمور يذهبون إليهم، ويدعونهم إلى الله.

الشيخ لما بدأ الدعوة، أول ما ذهب إلى الأمير وأقنعه، فأيده الأمير، في الأول ابن معمر هدده حكام آل عريعر، فقال للشيخ: أنا لا أقدر أني أستمر في نصرتك. فذهب الشيخ إلى الدرعية إلى الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ،

فبايعه محمد بن سعود، ومن ذاك الوقت إلى الآن -والحمد لله- والدعوة في عز وفي نصر بسبب استنادها إلى السلطة الصالحة.

فلابد للدعاة من أن يذهبوا إلى ولاة الأمور أولًا فيدعونهم، فإذا أصلح الله ولاة الأمور، فلا أحد يستطيع أن يقف في وجوههم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فيه: أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يومًا واحدًا)**، طلبوا منه أن يتمهل يومًا وحدًا، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبى وبادر بهدمها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكذلك حكم المشاهد التي بنيت على القبور)**، وكذلك حكم المشاهد، هذه حكمها حكم الأصنام، القبور إذا عُبِدتَ تسمى أوثانًا، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»(١).

فالقبور التي تعبد هذه أوثان، إذا يسر الله من الولاة من يهدمها، وجب عليه المبادرة بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكذلك حكم المشاهد التي بنيت على القبور، والتي اتخذت أوثانًا تعبد من دون الله)**، الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أول ما بدأ بإزالة قبة زيد بن الخطاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر)**، والأحجار التي يتبرك بها وينذر عندها؛ لأن هناك من يعبد الأحجار، وهناك من يعبد الأشجار، وهناك من يعبد القبور، فالمشركون متنوعون في شركهم.

---

(١) سبق تخريجه (ص٦).

ولي الأمر يقضي على كل هذه الأمور بسلطته التي أعطاه الله إياها، والعالم يبين لولي الأمر، العالم عليه الدعوة، وولي الأمر عليه التنفيذ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها)**، مع القدرة على إزالتها، ولا يقدر إلا من لهم سلطة وولاية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة)**، هي مثل اللات والعزى ومناة، أصنام، أوثان، لا فرق بين القبر الذي يعبد وبين اللات والعزى، كله عبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأعظم شركًا عندها وبها)**، ويحصل عند القبور من الشرك أعظم من الذي حصل عند اللات والعزى ومناة، وهذا شيء مشاهد في البلاد التي فيها أضرحة تعبد من دون الله؛ يأتون إليها بالأموال الطائلة، ويقيمون عندها الأيام، ويعكفون عندها، شيء معروف هذا، ينحرون عندها بهيمة الأنعام تقربًا إليها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأعظم شركًا عندها وبها)**، أعظم من اللات والعزى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم)**، اتبع هؤلاء القبوريون سنن -أي: طريق- من كان قبلهم من أهل الجاهلية، فعبدوا هذه القبور وعظموها، ويقولون: هؤلاء رجال صالحون، ونحن عندنا ذنوب، ونريد منهم الشفاعة عند الله، فيتقربون إليهم؛ ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، هذه حجتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة)**، قذة السهم؛ لأن السهم له قذتان متعادلتان يطير بهما في الهواء، فلو أن قذة اختلت أو زادت، سقط السهم.

«**حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ**»، يعني: لابد أن تكون القذتان متساويتان كجناحي الطائر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وغلب الشرك على أكثر النفوس)**، الشرك ليس ببعيد، لو أن أهل الحق يتكاسلون عن مطاردته، لانتشر بسرعة كسرعة النار في الهشيم؛ لأن الشيطان يؤزهم إليه، شياطين الإنس والجن وعلماء الضلال يؤزونهم إليه أَزًّا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لظهور الجهل وخفاء العلم)**، لظهور الجهل وخفاء العلم، فلابد من العلم الذي به يعرف به الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والشرك من التوحيد، فلابد من العلم الموروث عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلابد من أمرين: لابد من العلم، ولابد من السلطة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وصار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة)**؛ كما أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذا تغافل الناس عن الشر، استطال الشر وكثر، وإذا بادروه وأزالوه، سلموا من شره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وطمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام)**، أعلام الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقل العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس)**، هذا كلام الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحكي واقعًا في وقته، والأمر يزيد ويشتد.

يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ﴾: بالجدب والسنين.

﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ [الروم:٤١]: بتعطل وسائل النقل في البحر، وغرقها، هذا الفساد في البحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس)**، بسبب، ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الروم:٤١]: الباء سببية، بسبب ما؟ بسبب كسبهم الضال وعملهم الباطل، هو الذي أوجب هذه العقوبات

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين)**، لا تزال مع هذا، ومع كثرة الشر، وانتشار الشرك في البلاد، يوجد الله من العلماء المصلحين من يقوم بإنكار هذه الأمور، ويتصل بولاة الأمور، فيساعدونهم، فيحصل دحر الباطل على أيدي العلماء وأيدي الولاة الصالحين، لابد من العلم، ولابد من السلطة يتضافران.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين)**؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تَزالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**»**(١).

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية)**، العصابة والعصبة: الجماعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين)**، الحمد لله أن الله يبقي لهذا الدين من يقوم به؛ إذا تركه قوم في بلد، يسر الله قومًا آخرين في بلد آخر؛ ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(انتهى ملخصًا)**، يعني: كلام ابن القيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت)**، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن مؤلف «فتح المجيد».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: فإذا كان هذا في القرن السابع)**، الذي هو عهد ابن القيم، القرن السابع: عصر ابن القيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فما بعده أعظم فسادًا؛ كما هو الواقع)**، كلما تأخر الزمان، كثرت الفتن، وخفي العلم، وانتشر الجهل.

....

ش: وقوله: «أَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ».

قال القرطبي: (وقد جاء عددهم معينًا في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «يَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ دَجَّالُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ: مِنْهُمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ». أخرجه أبو نعيم، وقال: هذا حديث غريب. انتهى[1]. وحديث ثوبان أصح من هذا. قال القاضي عياض: عُدَّ من تنبأ من زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الآن ممن اشتهر بذلك، وعُرِفَ واتبعه جماعة على ضلالته، فوُجِدَ هذا العدد فيهم، ومن طالع كتب الأخبار والتواريخ، عرف صحة هذا)[2].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وقوله: «أَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ»**)، هذا الحديث الذي أورده الشيخ في أول الباب، الحديث الطويل الذي يقول فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَسَيَبْلُغُ مُلْكَ أُمَّتِي مَا زَوَى لِي مِنْهَا**»[3]، ثم أخبر بما سيكون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**حديث حذيفة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «يَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ دَجَّالُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ: مِنْهُمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ»**)، كذابون ثلاثون، كل منهم يدعي أنه نبي.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨/ ٣٨٠)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٧٩)، والطبراني في الكبير (٣/ ١٦٩) والأوسط (٥/ ٣٢٧) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (ص ١٢٢٦).

(٣) سبق تخريجه (ص٣٤).

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»**.

الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، فلا يأتي بعده نبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن شريعته كاملة وصالحة لكل زمان ومكان، فليس الخلق بحاجة إلى نبي، بل بحاجة إلى مجدد، وإلى من يقيم هذا الدين من العلماء وولاة الأمور، وإلا فإن ما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صالح لكل زمان ومكان، لكن يحتاج إلى من يقوم به.

ثلاثون: هؤلاء أكبرهم، وإلا هناك متنبئة كثيرون، منهم المعاصر القادياني الذي يدعي النبوة في بلاد باكستان، والقاديانية -والحمد لله- منفيون ومحاصرون، ولا يدخلون الحرم، لا يدخلون مكة، ممنوعون من ذلك، يسمون الأحمدية، أتباع أحمد القادياني.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال القاضي عياض: عُدَّ من تنبأ من زمن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى الآن ممن اشتهر بذلك، وعُرِفَ واتبعه جماعة على ضلالته، فوُجِدَ هذا العدد فيهم)**، وُجِدَ الثلاثون الذين أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوُجِدَ هؤلاء الثلاثون، ولكن -الحمد لله- ليس لهم أثر ظاهر.

....

ش: وقال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد ظهر مصداق ذلك في زمن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخرج مسيلمة الكذاب باليمامة، والأسود العنسي باليمن، وفي خلافة أبي بكر: طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمة، وسجاح في بني تميم، وقُتِلَ الأسود قبل أن يموت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقُتِلَ مسيلمة في خلافة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتاب طليحة، ومات على الإسلام في زمن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ونُقِلَ أن سجاح تابت أيضًا.

ثم خرج المختار بن أبي عبيد الثقفي، وغلب على الكوفة في أول خلافة الزبير، فأظهر محبة أهل البيت، ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين، فتتبعهم، فقتل كثيرًا ممن باشر ذلك، وأعان عليه، فأحبه الناس، ثم ادعى النبوة، وزعم أن جبريلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يأتيه.

ومنهم الحارث الكذاب، خرج في خلافة عبد الملك بن مروان، فقُتِلَ، وخرج في خلافة بني العباس جماعة.

وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقًا؛ فإنهم لا يحصون كثرة؛ لكون غالبهم ينشأ عن جنون أو سوداء، وإنما المراد من قامت له شوكة، وبدا له شبهة؛ كمن وصفنا. وقد أهلك الله تعالى من وقع له منهم ذلك، وبقي منهم من يلحقه بأصحابه، وآخرهم الدجال الأكبر[١].

---

(١) انظر: فتح الباري (٦/ ٦١٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الحافظ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، إذا أطلق «الحافظ»، فالمراد به: ابن حجر صاحب فتح الباري.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فخرج مسيلمة الكذاب باليمامة)**، مسيلمة الكذاب ادعى النبوة، وكتب إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ مُسَيْلِمَةَ رَسُولِ اللهِ، إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ». رد عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ**»[1].

وظهر الأسود العنسي في اليمن في آخر حياة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الأسود العنسي قُتِلَ في اليمن -والحمد لله-، ومسيلمة الكذاب قُتِلَ في وقعة اليمامة المشهورة، وخرجت -أيضًا- من النساء متنبئات، ولكن الله أبطل كيدهن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي خلافة أبي بكر: طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمة)**، طليحة بن خويلد الأسدي ادعى النبوة، وقاتله المسلمون، ثم إن الله منَّ عليه بالتوبة، فتراجع عن ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وسجاح في بني تميم)**، سجاح: امرأة في بني تميم في اليمامة، لكنها تابت ورجعت إلى الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونُقِلَ أن سجاح تابت أيضًا)**، سجاح تابت وتاب الله عليها، لكن هنا يقول: (نُقِلَ)، يعني: كأنه يضعف هذا، والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم خرج المختار بن أبي عبيد الثقفي)**، هذا في الطائف، المختار بن أبي عبيد، وكان له بأس وسطوة، ادعى النبوة ثم إنه تراجع.

---

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٥٧٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين، فتتبعهم، فقتل كثيرًا ممن باشر ذلك)**، ظالم سُلِطَ على ظلمة، سلطه الله على الذين قتلوا الحسين، فقتل عددًا كبيرًا منهم؛ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقًا، فإنهم لا يحصون كثرة؛ لكون غالبهم ينشأ عن جنون أو سوداء)**، الآن هناك من يدعون النبوة، لكنهم مجانين أو ليسوا عقلاء، ويتبين للناس خفة عقلهم.

واحد قام بالمسجد، وقال: أنا رسول الله، قام واحد آخر، وقال: كذاب هذا، أنا الله، ولم أرسله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد أهلك الله تعالى من وقع له منهم ذلك، وبقي منهم من يلحقه بأصحابه وآخرهم الدجال الأكبر)**، آخر الكذابين: الدجال الأعور اللعين الذي يظهر في آخر الزمان، المسيح الدجال، سمي المسيح؛ لأنه ممسوح العين(١)، أعور، دجال؛ لأنه كذاب(٢).

أما المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سُمِي المسيح؛ لأنه يمسح على ذي العاهة، فيبرأ بإذن الله؛ ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٤٩]؛ معجزات له.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٠٥) (٢٩٣٤) من حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ...».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (١٠١) (٢٩٣٣) واللفظ له، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر».

....

ش: **قوله: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ».**

قال الحسن: (الخاتم: الذي خُتِمَ به)[1]، أي: أنه آخر النبيين؛ كما قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وإنما ينزل عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في آخر الزمان حاكمًا بشريعة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مصليًا إلى قبلته، فهو كأحد أمته، بل هو أفضل هذه الأمة.

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَنْزِلَنَّ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الجِزْيَةَ»[2].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»)**، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**»؛ لا يأتي بعده نبي، الله قال هذا: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠])**، لما قالوا: زيد بن حارثة ابن محمد، فالله أنكر عليهم ذلك؛ ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

---

(١) انظر: الحجة للقراء السبعة (٥/ ٤٧٧)، والتفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٤٧٤)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٢٢، ٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وإنما ينزل عيسى ابن مريم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **في آخر الزمان حاكمًا بشريعة محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، المسيح عيسى ابن مريم رفعه الله عَزَّوَجَلَّ؛ لما أراد اليهود قتله، وحاصروه ليقتلوه، رفعه الله من بينهم؛ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧]، ألقى شبهه على رجل هو الذي دلهم على مكانه، فأُلقي الشبه عليه فقُتِلَ هذا الرجل الذي خان ودلهم على مكان المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ورفعه الله من بينهم وهم لا يشعرون، رفعه الله إليه.

في آخر الزمان ينزل من السماء صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحكم بشريعة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيكون تابعًا لمحمد؛ لأنه ليس بعد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي، فيأتي على أنه حاكم ومصلح وداعية إلى الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مصليًا إلى قبلته**)، مصليًا إلى قبلة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي الكعبة، وكان أهل الديانات السابقة يصلون إلى بيت المقدس، حتى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى إلى بيت المقدس في أول الأمر، حتى حول الله القبلة إلى الكعبة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فهو كأحد أمته، بل هو أفضل هذه الأمة**)، المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو من أفاضل أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو كأحد أتباع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَنْزِلَنَّ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ**»)، الصليب: الذي يعبده

النصارى؛ يزعمون أنه على صورة المسيح، يجعلون صورة تشبه الرجل مصلوبة، ويقولون: هذا المسيح، هذا هو الصليب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَيَضَعَنَّ الجِزْيَةَ)**؛ لأنه لا حاجة إلى الجزية؛ لأنه ينتشر الإسلام، كلهم يدخلون في الإسلام، فلا حاجة إلى ضرب الجزية على أهل الكتاب.

....

ش: قوله: «وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةٌ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ»، قال يزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث، فلا أدري من هم[(١)].

قال ابن المبارك وعلي بن المديني، وأحمد بن سنان والبخاري وغيرهم: إنهم أهل الحديث.

وعن ابن المديني رواية: (هم العرب)، واستدل برواية من روى: «هم أهل الغرب»[(٢)]، وفسر الغرب بالدلو العظيمة؛ لأن العرب هم الذين يستقون بها[(٣)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةٌ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ»)، هذه بشرى، مع كثرة هذه الشرور فإن الحق لا يزال -والحمد لله- على يد طائفة يختارها الله للبقاء على هذا الدين والدعوة إليه؛ «وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ».

(١) انظر: معرفة علوم الحديث للحاكم (ص٢)، وشرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص٢٥، ٢٦)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٦٧)، وعمدة القاري (٢/ ٥٢)، وفتح الباري (١/ ١٦٤، ١٣/ ٢٩٣).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٩٢٥): عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ٧٦٣)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٦٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال يزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث، فلا أدري من هم)**، الطائفة المنصورة: هم أهل الحديث، رواة الحديث، والمعنيون بحديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعن ابن المديني رواية: «هم العرب»، واستدل برواية من روى: «هم أهل الغرب»)**، وليس الغرب المراد به: الغرب المكان الذي هو بلاد الغرب، لا، بلاد الغرب، المراد بهم: أهل الدلو الكبير المعروف عند المزارعين، وعند أصحاب المواشي الذين يسقون المواشي.

العرب، وأهل الغرب: يعني وكأنه تصحف الحديث بدل الغرب: للعرب.

....

ش: قال النووي: (يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحدث ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد. ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض دون بعض منه. ويجوز إخلاء الأرض من بعضهم أولًا فأولاً إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا، جاء أمر الله). ا.هـ. ملخصًا مع زيادة فيه. قاله الحافظ(١).

قال القرطبي: وفيه دليل على أن الإجماع حجة؛ لأن الأمة إذا اجتمعت، فقد دخل فيهم الطائفة المنصورة(٢).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه: الآية العظيمة: أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، والبشارة بأن الحق لا يزول بالكلية.

قلت: واحتج به الإمام أحمد على أن الاجتهاد لا ينقطع ما دامت هذه الطائفة موجودة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد)، قد يكونون متفرقين، لكن هم إخوة على هذا الدين وهذا العلم.

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٦٧)، وفتح الباري (١٣/ ٢٩٥).
(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ٧٦٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويجوز إخلاء الأرض من بعضهم أولًا فأولاً إلى ألا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا، جاء أمر الله)**، حتى يأتي أمر الله، لا ينقرضون حتى آخر الزمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، المصنف: الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه)**، فيه: يعني الحديث هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: الآية العظيمة: أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، والبشارة بأن الحق لا يزول بالكلية)**، الحمد لله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واحتج به الإمام أحمد على أن الاجتهاد لا ينقطع ما دامت هذه الطائفة موجودة)**، الاجتهاد: هو استنباط الأحكام من الأدلة.

....

ش: قوله: «حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ». الظاهر أن المراد به ما رُوِي مِنْ قبض مَنْ بقي من المؤمنين بالريح الطيبة، ووقوع الآيات العظام، ثم لا يبقى إلا شرار الناس؛ كما روى الحاكم أن عبد الله بن عمرو قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ. فَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ لِعَبْدِ اللهِ: أَعْلَمُ مَا تَقُولُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: وَيَبْعَثُ اللهُ رِيحًا رِيحُهَا المِسْكِ، وَمَسُّهَا مَسُّ الحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقِي شِرَارُ النَّاسِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[1].

وفي صحيح مسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ»[2].

وعلى هذا فالمراد بقوله في حديث عقبة وما أشبهه: «حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ»: ساعتهم، وهي وقت موتهم بهبوب الريح. ذكره الحافظ[3].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ». الظاهر أن المراد به ما رُوِي مِنْ قبض مَنْ بقي من المؤمنين بالريح الطيبة، ووقوع الآيات العظام)، في آخر الدنيا تأتي ريح طيبة، وتقبض أرواح المؤمنين، ولا يبقى في الأرض إلا

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٨).

(٣) انظر: فتح الباري (١٣/ ٢٩٥).

الأشرار، وعليهم تقوم الساعة؛ «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ**»، لا تقوم إلا على شرار الخلق.

قال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**»(١)، من شرار الأمة بخبر الرسول ﷺ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما روى الحاكم أن عبد الله بن عمرو قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ)**، عبد الله بن عمرو ابن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٩٤، ٧/ ٢٠٩، ٧/ ٣٦٠)، والبزار في مسنده (٥/ ١٣٦، ١٨٥)، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ٢١٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٦)، وابن حبان في صحيحه (٦/ ٩٤، ١٥/ ٢٦٠)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٨٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: وقد اختُلف في محل هذه الطائفة.

فقال ابن بطال: إنها تكون في بيت المقدس؛ كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة: «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: بِبَيْتِ المَقْدِسِ»(١).

وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: «وَهُمْ بِالشَّامِ»(٢).

وفي كلام الطبري ما يدل على أنه لا يجب أن تكون في الشام أو في بيت المقدس دائمًا، بل قد تكون في موضع آخر في بعض الأزمنة(٣).

قلت: ويشهد له الواقع، وحال أهل الشام وأهل بيت المقدس، فإنهم من أزمنة طويلة لا يُعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه في القرن السابع وأول الثامن، فإنهم على الحق يدعون إليه، ويناظرون عليه، ويجاهدون فيه. وقد يجيء من أمثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلى الحق والتمسك بالسنة. والله على كل شيء قدير.

ومما يؤيد هذا أن أهل الحق والسنة في زمن الأئمة الأربعة، وتوافر العلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده لم يكونوا في محل واحد، بل هم في غالب الأمصار؛ في الشام منهم أئمة، وفي الحرمين، وفي مصر، وفي العراق، وفي

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦/٦٥٦- ٦٥٧)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٤٥)، وفي الشاميين (٢/ ٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤١).

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٣٩٥).

اليمن، وكلهم على الحق يناضلون، ويجاهدون أهل البدع، ولهم المصنفات التي صارت أعلامًا لأهل السنة وحجة على كل مبتدع.

فعلى هذا فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تتفرق، وقد تكون في الشام، وقد تكون في غيره، فإن حديث أبي أمامة وقول معاذ لا يفيد حصرها بالشام، وإنما يفيد أنها تكون في الشام في بعض الأزمان، لا في كلها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد اُختلف في محل هذه الطائفة)**، التي لا تزال على الحق ظاهرين، أين مكانها؟ الظاهر أنها تتنقل في الأرض.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد يجيء من أمثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلى الحق والتمسك بالسنة)**، المهم أن الله جَلَّ وَعَلَا لا يترك دينه بدون من يقوم به ويناصره، ولو كانوا قليلين.

....

ش: وقوله: «تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، قال ابن القيم: البركة نوعان:

أحدهما: بركة هي فعله، والفعل منها بارك، ويتعدى بنفسه تارة وبأداة على تارة، وبأداة في تارة، والمفعول منها: مبارك، وهو ما جُعِل منها كذلك، فكان مباركًا بجعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والنوع الثاني: بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة، والفعل منها تبارك، ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلا له عَزَّ وَجَلَّ.

فهو -سبحانه- المُبارِك، وعبده ورسوله المُبَارَك؛ كما قال المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ [مريم:٣١]، فمن بارك الله فيه وعليه، فهو المُبَارَك.

وأما صفته «تبارك»: فمختصة به؛ كما أطلقها على نفسه -سبحانه- في قوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١]. أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به، لا تطلق على غيره؟ وجاءت على بناء السعة والمبالغة؛ كـ«تعالى» و«تعاظم» ونحوه، فجاء بناء «تبارك» على بناء «تعالى»، الذي هو دال على كمال العلو ونهايته، فكذلك «تبارك» دال على كمال بركته وعظمته وسعتها.

وهذا معنى قول من قال من السلف: تبارك: تعاظم.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: جاء بكل بركة[1].

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ١٨٥-١٨٦).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقوله: «تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»)، (حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**)،** انتبهوا! ما معنى (تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ)؟

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أحدهما: بركة هي فعله)، هي فعله: يعني: فعل الله.**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والنوع الثاني: بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة)، (تضاف إليه): يعني: إلى الله.**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولهذا لا يقال لغيره ذلك)، لا يقال لغير الله** جَلَّ وَعَلَا: **تبارك،** تبارك: هذه اللفظة خاصة بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ كما يكون على ألسنة بعض الناس: تبارك علينا. هذا لا يجوز.

(تبارك): هذا اللفظ لا يقال إلا في حق الله؛ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١]، لا يقال: «تبارك» إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأما صفته تبارك: فمختصة به؛ كما أطلقها على نفسه -سبحانه- في قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤])، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤]، ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١].**

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ النِّسَاءِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ المَائِدَةِ.

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ الكَهْفِ.

الرَّابِعَةُ -وَهِيَ أَهَمُّهَا-: مَا مَعْنَى الإِيْمَانِ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوْتِ؛ هَلْ هُوَ اعْتِقَادُ قَلْبٍ؟! أَوْ هُوَ مُوَافَقَةُ أَصْحَابِهَا مَعَ بُغْضِهَا وَمَعْرِفَةُ بُطْلَانِهَا؟

الخَامِسَةُ: قَوْلُهُمْ: إِنَّ الكُفَّارَ الَّذِيْنَ يَعْرِفُوْنَ كُفْرَهُمْ أَهْدَى سَبِيْلًا مِنَ المُؤْمِنِيْنَ!

السَّادِسَةُ -وَهِيَ المَقْصُوْدَةُ بِالتَّرْجَمَةِ-: أَنَّ هَذَا لَا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي حَدِيْثِ أَبِي سَعِيْدٍ.

السَّابِعَةُ: تَصْرِيْحُهُ بِوُقُوْعِهَا -أَعْنِي عِبَادَةَ الأَوْثَانِ- فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فِي جُمُوْعٍ كَثِيْرَةٍ.

الثَّامِنَةُ: العَجَبُ العُجَابُ؛ خُرُوْجُ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ، مِثْلُ المُخْتَارِ -مَعَ تَكَلُّمِهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَتَصْرِيْحِهِ بِأَنَّهُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَنَّ الرَّسُوْلَ حَقٌّ وَأَنَّ القُرْآنَ حَقٌّ، وَفِيْهِ أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ- وَمَعَ هَذَا يُصَدَّقُ فِي هَذَا كُلِّهِ مَعَ التَّضَادِّ الوَاضِحِ، وَقَدْ خَرَجَ المُخْتَارُ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، وَتَبِعَهُ فِئَامٌ كَثِيْرَةٌ.

التَّاسِعَةُ: البِشَارَةُ بِأَنَّ الحَقَّ لَا يَزُوْلُ بِالكُلِّيَّةِ كَمَا زَالَ فِيْمَا مَضَى، بَلْ لَا تَزَالُ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ.

العَاشِرَةُ: الآيَـةُ العُظْمَى؛ أَنَّهُمْ مَعَ قِلَّتِهِمْ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ ذَلِكَ الشَّرْطَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَا فِيهِ مِنَ الآيَاتِ العَظِيمَةِ؛ مِنْهَا إِخْبَارُهُ بِأَنَّ اللهَ زَوَى لَهُ المَشَارِقَ وَالمَغَارِبَ، وَأَخْبَرَ بِمَعْنَى ذَلِكَ، فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ، بِخِلَافِ الجَنُوبِ وَالشَّمَالِ، وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ أُعْطِيَ الكَنْزَيْنِ، وَإِخْبَارُهُ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ لِأُمَّتِهِ فِي الاثْنَتَيْنِ، وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ مُنِعَ الثَّالِثَةَ، وَإِخْبَارُهُ بِوُقُوعِ السَّيْفِ، وَأَنَّهُ لا يُرْفَعُ إِذَا وَقَعَ، وَإِخْبَارُهُ بِإِهْلَاكِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَسَبْيِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَخَوْفِهِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ المُضِلِّينَ، وَإِخْبَارُهُ بِظُهُورِ المُتَنَبِّئِينَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ، وَإِخْبَارُهُ بِبَقَاءِ الطَّائِفَةِ المَنْصُورَةِ. وَكُلُّ هَذَا وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ، مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مِنْ أَبْعَدِ مَا يَكُونُ فِي العُقُولِ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: حَصْرُ الخَوْفِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ المُضِلِّينَ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فِيهِ مَسَائِلُ)**، يعني: في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ)**، وهي: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء:٥١، ٥٢]. فالذي يقول: إن الكفار أحسن من المسلمين يدخل في هذا الوعيد. المسلمون أحسن من أهل الأرض كلهم،

ولو كان فيهم ضعف، لكنهم أحسن، فالمؤمن خيرٌ من الكافر، والمسلم خيرٌ من الكافر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ المَائِدَةِ)**، وهي: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [المائدة:٦٠]، لما عير اليهود المسلمين، وقالوا فيهم صفات ذميمة، رد الله عليهم: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾: وهم اليهود، ﴿ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾: وهم اليهود مغضوب عليهم.

﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾: مسخ منهم مَن مسخ من آدميين على قردة وخنازير، وذلك أصحاب السبت؛ ﴿ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف:١٦٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الكَهْفِ)**؛ ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف:٢١]، يعني: أصحاب الكهف لما جاءوا إليهم، ورأوهم على صورتهم الموحشة ميتين عن آخرهم، حتى الكلب الذي معهم وجدوه ميتًا معهم. تشاوروا فيما بينهم ماذا يصنعون بهم؟

أهل الإيمان والتوحيد قالوا: ﴿ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ﴾: سدوا عليهم الغار.

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ ﴾، وهم أصحاب السطة والملك، ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف:٢١]، هذه مشكلة، هذا اتخاذ المساجد

على القبور، وهو وسيلة إلى الشرك، لكن هؤلاء لهم غلبة، ﴿غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الرَّابِعَةُ -وَهِيَ أَهَمُّهَا-: مَا مَعْنَى الإِيْـمَانِ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوْتِ؛ هَلْ هُوَ اعْتِقَادُ قَلْبٍ؟! أَوْ هُوَ مُوَافَقَةُ أَصْحَابِهَا مَعَ بُغْضِهَا وَمَعْرِفَةُ بُطْلَانِهَا؟)، يشمل هذا وهذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الخَامِسَةُ: قَوْلُهُمْ: إِنَّ الكُفَّارِ الَّذِيْنَ يَعْرِفُوْنَ كُفْرَهُمْ أَهْدَى سَبِيْلًا مِنَ المُؤْمِنِيْنَ!)، القائلون: إنهم كفار، ومع هذا قالوا: أهدى سبيلًا من المؤمنين، فالذي يفضل الكفار على المسلمين يدخل في هذا الوعيد الشديد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السَّادِسَةُ -وَهِيَ المَقْصُوْدَةُ بِالتَّرْجَمَةِ-: أَنَّ هَذَا لَا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي حَدِيْثِ أَبِي سَعِيْدٍ)، هذا الأمر المنكر يوجد في هذه الأمة من يقوم به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السَّابِعَةُ: تَصْرِيْحُهُ بِوُقُوْعِهَا -أَعْنِي: عِبَادَةَ الأَوْثَانِ- فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فِي جُمُوْعٍ كَثِيْرَةٍ)، كثير من هذه الأمة انتكسوا وعبدوا الأوثان؛ كما أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ»[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّامِنَةُ: العَجَبُ العُجَابُ؛ خُرُوْجُ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ، مِثْلُ المُخْتَارِ -مَعَ تَكَلُّمِهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَتَصْرِيْحِهِ بِأَنَّهُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَنَّ الرَّسُوْلَ حَقٌّ وَأَنَّ القُرْآنَ حَقٌّ، وَفِيْهِ أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّيْنَ- وَمَعَ هَذَا يُصَدَّقُ فِي هَذَا كُلِّهِ مَعَ التَّضَادِّ الوَاضِحِ، وَقَدْ خَرَجَ المُخْتَارُ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، وَتَبِعَهُ فِئَامٌ

(١) سبق تخريجه (ص٣٤).

كَثِيْرَةٌ)، مع أن الله جَلَّ وَعَلَا قال عن محمد: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]. صدقوا المختار أنه نبي، هذا مخالف لقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، لكن الفتنة إذا جاءت -والعياذ بالله- تعمي البصائر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (التَّاسِعَةُ: البِشَارَةُ بِأَنَّ الحَقَّ لَا يَزُوْلُ بِالكُلِّيَّةِ كَمَا زَالَ فِيْمَا مَضَى، بَلْ لَا تَزَالُ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ)، «**وَلَا تَزالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُوْرَةٌ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»[1]، هذا فيه بشارة أن الحق سيبقى مهما كثر الشر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العَاشِرَةُ: الآيَةُ العُظْمَى؛ أَنَّهُمْ مَعَ قِلَّتِهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ)، الآية العظمى: أن الطائفة التي لا تزال على الحق «**لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ**»، مع كثرة المخالفين، وكثرة المخذلين فإنهم لا يضرون هذه الطائفة؛ لأن الله معهم، ومن كان الله معه، فلن يُغلب أبدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ ذَلِكَ الشَّرْطَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ)، يعني يستمر الشر لا ينقطع إلى قيام الساعة، وإن كُثِرَ الخير ووُجِدَ الخير، لكن الشر يبقى أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَا فِيْهِ مِنَ الآيَاتِ العَظِيْمَةِ؛ مِنْهَا إِخْبَارُهُ بِأَنَّ اللهَ زَوَى لَهُ المَشَارِقَ وَالمَغَارِبَ، وَأَخْبَرَ بِمَعْنَى ذَلِكَ)، هذه معجزة عظيمة خاصة بالرسول، زوى له المشارق والمغارب، ورآها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٣).

معجزة من معجزات الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ؛ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»[1]، ووقع كما أخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ بِخِلَافِ الجَنُوْبِ وَالشَّمالِ**)، وهذا في القرآن وفي السنة: المشرق والمغرب، لم يأت الشمال والجنوب أبدًا، إنما المشرق والمغرب؛ ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن:١٧]، ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج:٤٠]، وهذا -والله أعلم- لأن الشمال والجنوب ليس فيهما كثرة سكان، ولا تصلح للسكن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ أُعْطِيَ الكَنْزَيْنِ**): الذهب والفضة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِخْبَارُهُ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ لِأُمَّتِهِ فِي الِاثْنَتَيْنِ، وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ مُنِعَ الثَّالِثَةِ**)، أنه أعطاه اثنتين ومنعه الثالثة، أنه لا يحصل قتال في الأمة، هذا سيحصل قتال فيما بينهم، لا يأتي عدو من الخارج، لكن هم يتقاتلون فيما بينهم، وحصل هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِخْبَارُهُ بِوُقُوْعِ السَّيْفِ، وَأَنَّهُ لَا يُرْفَعُ إِذَا وَقَعَ**)، أول ما وقع السيف على خليفة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم استمر القتل بعد ذلك إلى يوم القيامة، والقتل موجود في هذه الأمة يقتل بعضهم بعضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَخَوْفِهِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ المُضِلِّيْنَ**)، هذه المصيبة: الأئمة المضلون، علماء الضلال هم شر على الأمة؛ «**وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ**

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٤).

المُضِلِّيْنَ»[١]، والعياذ بالله! الأئمة من السلاطين ومن العلماء، وهم أشد أهل الضلال؛ علماء الضلال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِخْبَارُهُ بِظُهُوْرِ المُتَنَبِّئِيْنَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ**)، الكذابين، وظهروا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِخْبَارُهُ بِبَقَاءِ الطَّائِفَةِ المَنْصُوْرَةِ**)، وهذا موجود -والحمد لله-، لا تزال طائفة على الحق -والحمد لله-، مع كثرة الفتن والشرور لا تزال طائفة على الحق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكُلُّ هَذَا وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ**)، لا ينطق عن الهوى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكُلُّ هَذَا وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ، مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مِنْ أَبْعَدِ مَا يَكُوْنُ فِي العُقُوْلِ**)، لا تتصورها العقول، ومع هذا وقعت كما أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: حَصْرُ الخَوْفِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ المُضِلِّيْنَ**)، هم أشر على الأمة، دعاة الضلال وعلماء الضلال هم أشر على الأمة، وأخطر على الأمة من غيرهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيْهُ عَلَى مَعْنَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ**)؛ «**وَلَا تَقُوْمُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِيْنَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ**»[٢]، وقد وقع ما أخبر به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هذا فيه رد على من يقولون: إنه لن يحصل في هذه الأمة كفر ولا ضلال، بل يحصل.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٤).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٤).

٢٣- بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ

ش: قال المؤلف: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ)، أي: والكهانة.

السحر في اللغة: عبارة عما خفي ولطُف سببه[(١)]، ولهذا جاء الحديث: «إنَّ مِنَ البيَانِ لَسِحْرًا»[(٢)]. وسمي السحر سحرًا؛ لأَنَّهُ يقع خفيًّا آخر الليل.

قال أبو محمد المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ في الكافي: (السحر عزائم، ورُقى، وعقد يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه؛ قال الله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢].

وقال سبحانه: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق:٤]، يعني: السَّواحرَ اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن. ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ حَتَّى أَنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلَهُ. وَأَنَّهُ قَالَ لَها ذَاتَ يَوْمٍ: أَتَانِي مَلَكَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَفِي جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ». رواه البخاري[(٣)(٤)].

---

(١) انظر: مادة (سحر) في: تهذيب اللغة (٤/ ١٧٠)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٣٨)، ولسان العرب (٤/ ٣٤٨)، والتعاريف (ص١٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٤٦، ٥٧٦٧) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩).

(٤) انظر: الكافي في فقه الإمام أحمد (٤/ ٦٤- ٦٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ**)، **قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ**)؛ من حيث حكمه، والوعيد عليه، وأضرار السحر.

السحر عمل خبيث، وهو على نوعين:

النوع الأول: سحر تخييلي: وهو ما يسمى بالقمرة؛ يأتي على أبصار الناس، ويخيل إليهم أشياء على غير حقيقتها، هذا سحر تخييلي؛ كما حصل من سحرة فرعون؛ قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾، يعني: إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦]، ألقوا ﴿حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾، وحشوها بالزئبق، فصارت تتحرك، فيظن أنها تسعى بذاتها، وهي يحركها الزئبق، هذا سحر تخييلي؛ ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ﴾، أي: بسبب سحرهم، ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦]، فصارت مثل عصا موسى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي هي معجزة من آيات الله عَزَّ وَجَلَّ لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ يلقيها، ثم تكون حية، ثم يقبضها بيده؛ ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه:٢١]، فهم أرادوا أن يلبسوا على الناس، وأنهم عملوا مثل عمل معجزة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أبطل الله ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩]، فأبطل الله سحرهم وتدجيلهم، وأمر رسوله أن يلقي عصاه، فألقاها فالتهمت كل ما صنعوا، كل ما صنعوه التهمته عصا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فعند ذلك علم السحرة أن هذا ليس سحرًا، وإنما هو من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واعترفوا وتابوا إلى الله، وخروا سجدًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فأبطل الله هذا السحر، وتاب هؤلاء السحرة، وخروا ساجدين لله؛ عرفوا أن ما جاء به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس سحرًا، وهم أصحاب فن ويعرفون، ليس بسحر هذا معجزة، فآمنوا وأسلموا؛ قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٢٦]، قالوا لفرعون: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَا﴾ [الأعراف:١٢٦]، فهذا هو الحاصل.

النوع الثاني: سحر حقيقي: وهو ما يؤثر في الأجسام؛ فيمرض ويقتل، له تأثير في الأجسام بالمرض أو بالموت، وغير ذلك من الأضرار.

فالسحر شر -كفانا الله شره وأبعده عنا وأهله-، فهو شر، إذا فشا في المجتمع أفسد المجتمع؛ ولذلك يجب قتل السحرة؛ إراحة للبشرية منهم ومن شرهم، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ**»، وفي رواية: «**ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ**»[(١)].

وقد قتل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السحرة[(٢)]، وابنته حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قتلت الساحرة[(٣)]، وثبت قتل السحرة عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعن ابنته، وعن غيرهما.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٤٦٠)، والدارقطني (٤/ ١٢٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٠١)، من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٣/ ١٩٦)، وأبو داود (٣٠٤٣)، والبزار (٣/ ٢٦٨)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٤٣٢)، وفي معرفة السنن والآثار (١٢/ ٢٠٣)، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: أَنَّهُ سَمِعَ بَجَالَةَ يَقُولُ: «كَتَبَ عُمَرُ أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ، قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ».

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه مالك (٢/ ٨٧١)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (١٢/ ٢٠٣)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُرَارَةَ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَلَتْ جَارِيَةً لَهَا سَحَرَتْهَا، وَقَدْ كَانَتْ دَبَّرَتْهَا، «فَأَمَرَتْ بِهَا فَقُتِلَتْ».

فالساحر إذا ثبت عليه أنه ساحر، فإنه يجب قتله ولا يستتاب؛ لأنه لا يصدق في التوبة؛ قد يُظهر التوبة، ولكن السحر لا يذهب عنه، ولو تلفظ بالتوبة، فذلك قتله إراحة للمجتمع من شره، فهو شر مستطير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ**)، يعني: من الأدلة على حكمه، وعلى حكم الساحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال المؤلف: قوله: «بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ»، أي: والكهانة**)، قال المؤلف: الذي هو الشيخ.

(والكهانة): لأن الكهانة هي الإخبار بشيء من المغيبات، هذا عمل الكهان؛ لأنهم يسترقون السمع، هم لا يعلمون الغيب. لكن يسرقون السمع من حديث الملائكة بعضهم مع بعض، فيسرقون السمع، ويكذبون مع الكلمة الواحدة مائة كذبة، فيصدقهم الناس بسبب الكلمة التي سُمِعت من السماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السحر في اللغة: عبارة عما خفي ولطُف سببه**)، هذا تعريفه في اللغة، ما لطف وخفي سببه.

ومنه: السَّحَر في آخر الليل؛ لأنه يأتي خفيًا، أول ما يبدأ خفيًّا، ولا يُدرى ما سببه، هذا لغة.

وأما في الاصطلاح: فالسحر: عبارة عن رقى، وعن تمائم، وعن أشياء يعملونها تؤثر بإذن الله.

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢]، فيضرون بإذن الله سبحانه وقدره، قضاءه وقدره.

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾، أي: بالسحر، ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾، أي: أحدًا، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢]: إذنه القدري، لا إذنه الشرعي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولهذا جاء الحديث: «إِنَّ مِنَ البيَانِ لَسِحْرًا»)، (إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا)، فالبيان: الذي هو البلاغة والفصاحة؛ إذا تحدث البليغ، جذب الناس إليه يستمعونه ويتأثرون بكلامه، فهو نوع من السحر المعنوي وليس الحقيقي.

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً، وَإِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال أبو محمد المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكافي)، أبو محمد: الذي هو ابن قدامة صاحب المؤلفات في المذهب: «المقنع»، و«الكافي»، و«المغني»، هذه لأبي محمد عبد الله بن قدامة المقدسي، الذي هو الموفق شيخ المذهب.

و«الكافي»: كتاب في المذهب فوق «المقنع»، يذكر الحكم ودليله؛ ليدرب طالب العلم على الاستدلال، وربط المسائل بأدلتها؛ لأن الموفق ألف كتبًا في المذهب، بدأ بـ«العمدة» -عمدة الفقه-، هذه للمبتدئ، ثم بعد العمدة: «المقنع»، و«المقنع» أوسع من «العمدة»، ثم بعد «العمدة»: «الكافي»، ثم بعد «الكافي»: «المغني».

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٥، ٢٧٨، ٤٨٦، ٥/ ٢٥، ٥٢، ١٥٥، ١٩٤)، وأبو داود (٥٠١١)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٣٠١)، والطيالسي في مسنده (٤/ ٣٩٤)، والخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص٨٥)، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السحر عزائم، ورُقى، وعقد)، عزائم: يعني قراءات يقرؤونها، ورقى: يرقون بها، وعقد: يعقدونها في الخيوط؛ كما قال سبحانه: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾، يعني: السواحر، ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق:٤]، هي تعقد العقد، وتنفث فيها، تستعين بالشيطان، فتسحر بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السحر عزائم، ورُقى، يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل)، تؤثر في القلوب، فتخبل الإنسان؛ إذا صار مسحورًا، يصير كالمخبول في عقله، تؤثر في العقول، وتؤثر في الأبدان أيضًا؛ تمرض وتقتل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويفرق بين المرء وزوجه)، كذلك يحدث البغضاء بين المتحابين، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ [البقرة:١٠٢]، يتعلمون من السحرة ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وهذا ما يسمى بالصرف والعطف؛ يعملون سحرًا فيتحابون الناس، يورث المحبة بين الناس، وهي غير حقيقية، سحر، ويعملون أشياء، فتورث البغضاء بين الناس، آفة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال الله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ [البقرة:١٠٢])، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾، أي: من الملائكة التي نزلت للابتلاء والامتحان، تعلم الناس السحر، وينصحون. قبل أن يعلموه ينصحونه؛ ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة:١٠٢]، يعني: لا تتعلم السحر؛ لأن تعلم السحر كفر، فهم ينصحون، لكن من لا يقبل، يتعلم السحر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال الله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾** [البقرة:١٠٢])، ﴿هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ [البقرة:١٠٢]، ملكان، ﴿مِنْهُمَا﴾، أي: من ﴿هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال -سبحانه-: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾** [الفلق:٤])، ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾: الساحرات، ﴿فِى ٱلْعُقَدِ﴾: تعقد العقدة، ثم تنفث فيها من ريقها الخبيث، وتستعين بالشيطان، فتؤثر بإذن الله؛ ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق:٤].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولولا أن للسحر حقيقة، لم يأمر بالاستعاذة منه)**، لولا أن للسحر وجود وحقيقة، إنه ليس شيئًا تخييلًا فقط، وإنما هو شيء موجود، الله أقدرهم عليه للابتلاء والامتحان، فهو موجود، ولذلك أمر بالاستعاذة منه، وإذا لم يكن له حقيقة، لما أمر الله بالاستعاذة منه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَعَنْ عَائِشَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قَالَتْ: «أَنَّ النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **سُحِرَ حَتَّى أَنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ»)**، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، فأثر ذلك على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصار يخيل إليه أنه فعل الشيء، ولم يفعله، ثم نزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فرقاه[1]، فأبرأه الله من السحر.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٣٢/ ١٤)، والنسائي في المجتبى (٤٠٨٠)، وفي الكبرى (٣/ ٤٥٠)، والطبراني في الكبير (٥/ ١٨٠): عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَحَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَاشْتَكَى لِذَلِكَ أَيَّامًا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: «**إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ سَحَرَكَ، عَقَدَ لَكَ عُقَدًا**»، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاسْتَخْرَجَهَا، فَجَاءَ بِهَا فَجَعَلَ كُلَّمَا حَلَّ عُقْدَةً وَجَدَ لِذَلِكَ خِفَّةً، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ الْيَهُودِيَّ وَلَا رَآهُ فِي وَجْهِهِ قَطُّ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ: مَطْبُوبٌ)**، مطبوب يعني: مسحور، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسحور؛ لأنه بشر، والبشر يجري عليه ما يجري على البشر من المرض والموت والسحر والقتل، وغير ذلك، بشر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ)**، اليهودي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ)**، مشاطة: يعني شعر، جعل السحر فيه، وأخفاه في مكان، فالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمته الملائكة مكان هذا السحر المخفي، فأرسل إليه، فأُحرق، فشفى الله نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَفِي جُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ)**، «طَلْعَةِ ذَكَرٍ»: من النخل، «جُفِّ طَلْعَةِ»: يعني وضعوه في طلع الفحال من النخل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(«فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ»)**، وألقوه في بئر تسمى بئر ذي أروان في المدينة.

وهكذا يعمل السحرة، يعملون السحر للشخص، ويضعونه في مكان خفي؛ لئلا يعثر عليه، لأنه إذا عُثِرَ عليه وأُتلف، أبرأ الله المسحور.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة:١٠٢].

ش: قال ابن عباس: من نصيب(١).

قال قتادة: وقد علم أهل الكتاب فيما عُهِدَ إليهم أن الساحِرَ لا خلاقَ لهُ في الآخرة(٢).

وقال الحسن: ليس له دينٌ(٣).

فدلت الآية على تحريم السحر، وكذلك هو محرم في جميع أديان الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه:٦٩]، وقد نص أصحاب أحمد أنه يكفر بتعلمه وتعليمه(٤).

وروى عبد الرزاق عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَلَّمَ شَيْئًا مِنَ السِّحْرِ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا، كَانَ آخِرُ عَهْدِهِ مِنَ اللهِ»(٥)، وهذا مرسل.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٩٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٣٦٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٩٥)، وابن كثير (١/ ٣٦٤).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٨٤)، والطبري في تفسيره (٢/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٩٥)، وابن كثير (١/ ٣٦٤).

(٤) انظر: المغني (١٢/ ٣٠٠)، والإقناع (٤/ ٣٠٧).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ١٨٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾** [البقرة:١٠٢])، ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾، أي: السحرة، ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾، أي: اقتناه، يعني: اشتراه وعمل به، ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ﴾، يعني: في الجنة، ﴿مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة:١٠٢]: نصيب، ليس له نصيب من الجنة، فهذا دليل على كفر الساحر؛ لأنه لا يحرم من الجنة إلا الكافر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **من نصيب**)، ﴿خَلَاقٍ﴾ [البقرة:١٠٢]: نصيب في الجنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال قتادة: وقد علم أهل الكتاب فيما عُهِدَ إليهم أن الساحِرَ لا خلاقَ لهُ في الآخرة**)، ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة:١٠٢]، نبذوا التوراة وراء ظهورهم، واستبدلوا السحر الذي جاءت به الشياطين على مُلْكِ سليمان؛ لأن سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سُخِرَت له الشياطين والعفاريت بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكان معهم السحر الكثير، فلما جاءوا به على ملك سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قالوا: إن سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يسحر، وأنه سخر هذه الجنود بالسحر، قالوا هذا، وكذبوا في هذا؛ لأن النبي لا يليق به أن يسحر، ولكن الله هو الذي سخر هذه الجنود لسليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة:١٠٢]، أي: على عهد سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ما تعمله الشياطين التي سخرها الله له، فظنوا أن سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يسحر، اتهموا سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالسحر، وقالوا: لم يتمكن من تسخير هذه العوالم إلا بالسحر. قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ [البقرة:١٠٢]،

يعني: لم يسحر، عبر عن السحر بالكفر، فدل على انه كفر، ولا يليق هذا بالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فدلت الآية على تحريم السحر، وكذلك هو محرم في جميع أديان الرسل** عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ **كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾** [طه:٦٩])، ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩]، يعني: من أي مكان جاء لا يفلح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد نص أصحاب أحمد أنه يكفر بتعلمه وتعليمه)**، أن الساحر يكفر بتعلمه وبتعليمه؛ ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢]، أي: فلا تتعلم السحر. فدل على أن تعليم السحر كفر، ويلزم من هذا أن المعلم يكفر -أيضًا-، المعلم والمتعلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ تَعَلَّمَ شَيْئًا مِنَ السِّحْرِ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا، كَانَ آخِرُ عَهْدِهِ مِنَ اللهِ»)**، يعني: أنه يكفر.

....

ش: وقد اختلفوا: هل يكفر الساحر أو لا؟

فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد، قال لأصحابه: إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقي شيء يضر، فلا يكفر[(١)].

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا تعلم السحر، قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر، مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها، فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته كفر. اهـ[(٢)].

وقد سماه الله تعالى كفرًا بقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢]، وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة:١٠٢].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمَا عَلِمَا الخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَالْكُفْرَ وَالْإِيمَانَ، فَعَرَفَا أَنَّ السِّحْرَ مِنَ الْكُفْرِ[(٣)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد)، وهذ هو الصحيح.

---

(١) انظر: المغني (١٢/ ٣٠١)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٧١- ٣٧٢)، والإقناع (٤/ ٣٠٧- ٣٠٨)، ومنتهى الإرادات (٥/ ١٧٤)، وغاية المنتهى في جمع الإقناع والمنتهى (٢/ ٥٠٦).

(٢) انظر: المغني (١٢/ ٣٠١)، والعزيز شرح الوجيز (١١/ ٥٦)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٧١).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٩٢)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٦٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال لأصحابه: إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقي شيء يضر، فلا يكفر)**، وإنما لا يكفر، لكن يطبق عليه الحكم الشرعي في قتله؛ دفعًا لأذاه عن الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **إذا تعلم السحر، قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر، مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها، فهو كافر)**، الأئمة الثلاثة: أبو حنيفة، ومالك، وأحمد يقولون بكفره.

أما الشافعي، فيفصل في السحر إلى أنه منه ما هو كفر، ومنه ما هو دون ذلك، يقول: حتى نقول له: صف لنا سحرك، فإن وصفه بما هو كفر، كفرناه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد سماه الله تعالى كفرًا بقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾** [البقرة:١٠٢]**)**، يعني: فلا تتعلم السحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾** [البقرة:١٠٢]**)**، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾، يعني: لم يسحر، عبّر عن السحر بالكفر، ﴿وَمَا كَفَرَ﴾، أي: ما سحر، ﴿سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢]، فهو من تعليم الشياطين، وليس من تعليم الأنبياء والصالحين.

وَقَوْلِه: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء:٥١].

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الجبتُ: السِّحْرُ. والطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ»(١).

قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ كَانَ ينزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيطانُ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٍ»(٢).

ش: قال المؤلف: تقدم الكلام عليهما في الباب قبله. وفيه أن السحر من الجبت. قاله المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ(٣).

قوله: (قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الجبتُ: السِّحْرُ. والطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ»)، هَذَا الأَثَرُ رَوَاهُ ابْنِ أَبِي حَاتمٍ وَغيره.

قوله: (وَقَالَ جَابِرٌ: الطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ كَانَ ينزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيطانُ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٍ)، هذا الأثر رواه ابن أبي حاتم بنحوه مطولًا عَن وهب بن مُنَبِّه، قَالَ: «سَأَلت جَابر بن عبد الله عَنِ الطَّوَاغِيتِ الَّتِي كَانُوا يتحاكمون إِلَيْهَا، قَالَ: إن فِي جُهَيْنَة وَاحِدًا، وَفِي أسلم وَاحِدًا، وَفِي هِلَال وَاحِدًا، وَفِي كُلِّ حَيّ وَاحِدًا، وَهُمْ كُهَّانٌ تنزل عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينَ».

قوله: (قَالَ جَابِرٌ)، هو ابن عبد الله بن حرام الأنصاري.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٠).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا في باب قوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ (٦/ ٤٥)، والطبري في تفسيره (٤/ ٥٥٨)، والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٧٩)، وابن أبي حاتم كما في فتح الباري (٨/ ٢٥٢)، والدر المنثور (٢/ ٥٨٢-٥٨٣).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٢٧).

قوله: (الطَّوَاغِيتُ)، أراد أن الكهان من الطواغيت، فهو من أفراد المعنى.

قوله: (كَانَ ينزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيطانُ)، أراد الجنس، لا الشيطان الذي هو إبليس خاصة، بل تنزل عليهم الشياطين، ويخاطبونهم، ويخبرونهم بما يسترقون من السمع، فيصدقون مرة، ويكذبون مائة.

قوله: (فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٍ)، الحيُّ: واحد الأحياء، وهم القبائل، أي: في كل قبيلة كاهن يتحاكمون إليه، ويسألونه عن الغيب.

وكذلك كان الأمر قبل مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأبطل الله ذلك بالإسلام، وحُرِسَت السماء بكثرة الشهب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال المؤلف: تقدم الكلام عليهما في الباب قبله)**، تقدم أن الجبت: هو السحر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفيه أن السحر من الجبت)**، الجبت: السحر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَقَالَ جَابِرٌ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **الطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ كَانَ ينزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيطانُ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٍ)**، كان في الجاهلية الكهان منتشرين في القبائل، كل قبيلة لها كاهن يرجعون إليه، ويسألونه. فلما جاء الإسلام، أبطل الله الكهانة، وانتقلت من بلاد المسلمين، وطهر الله بلاد المسلمين من الكهانة، وهي ادعاء علم الغيب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(هذا الأثر رواه ابن أبي حاتم بنحوه مطولًا عَن وهب بن مُنَبّه)**، وهب بن منبه: هذا من أحبار اليهود في اليمن وأسلم، منَّ الله عليه بالإسلام.

وهب بن منبه، وكعب الأحبار: هذان كانا من علماء اليهود فأسلما، وصدقا في إسلامهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورحمهما.

همام بن منبه، ووهب بن منبه وكعب الأحبار: هؤلاء من يهود اليمن، وكانوا من علماء أهل الكتاب، ومنَّ الله عليهم بالإسلام وأسلموا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قَالَ: إن فِي جُهَيْنَة، وَاحِدًا، وَفِي أسلم وَاحِدًا، وَفِي هِلَال وَاحِدًا)**، كانوا في القبائل، كل قبيلة عندها كاهن، في الجاهلية كل قبيلة عندها كاهن يرجعون إليه ويتحاكمون إليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَهُمْ كُهَّانٌ تنزل عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينَ)**، ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٣]، فالكهان تتنزل عليهم الشياطين، وأما الرسل فتتنزل عليهم الملائكة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: (قَالَ جَابِرٌ). هو ابن عبد الله بن حرام الأنصاري)**، هو وأبوه صحابيان، جابر بن عبد الله بن حرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن أبيه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: (كَانَ ينزلُ عَلَيْهِمُ الشَّيطانُ). أراد الجنس لا الشيطان الذي هو إبليس خاصة)**، الشياطين: إبليس وغيره من الشياطين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(بل تنزل عليهم الشياطين، ويخاطبونهم، ويخبرونهم بما يسترقون من السمع)**، يسترقون السمع من الملائكة التي تتحدث في الجو -في العنان-، يسرقون الكلمة الواحدة، ثم يُرمون بالشهب، فمنهم من يقتله الشهاب، ولا يلقي ما معه، ومنهم من يتمكن من إلقاء ما معه على الكاهن قبل أن يدركه الشهاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فيصدقون مرة، ويكذبون مائة)**، يكذبون مع الكلمة التي سُمعِت من السماء مائة كذبة، فيصدقهم الناس في المائة بسبب هذه الكلمة التي سُمِعَت من السماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكذلك كان الأمر قبل مبعث النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فأبطل الله ذلك بالإسلام، وحُرِسَت السماء بكثرة الشهب)**، يقولون: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾، أي: من السماء، ﴿مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن:٩]، يعني: يُرمون بالشهب، فحمى الله السماء بالشهب، فلا يتمكنون، والحمد لله.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»**[(١)].

ش: كذا أورده المصنف غير مَعْزُوٍّ. وقد رواه البخاري ومسلم.

قوله: «اجْتَنِبُوا»، أي: ابعدوا، وهو أبلغ من قوله: دعوا أو اتركوا؛ لأن النهي عن القربان أبلغ؛ كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام:١٥١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»**)، السبع الموبقات، يعني: المهلكات، وهذه أكبر الكبائر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ**)، هذا أكبر الكبائر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالسِّحْرُ**)، انظر إلى السحر جاء بعد الشرك بالله، فدل على قبحه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ**)، الله حرم قتل النفوس إلا بالحق؛ إما بردة، أو قصاص، أو غير ذلك من الأحكام الشرعية التي يُحكم فيها بقتله.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦، ٥٧٦٤، ٦٨٥٧)، ومسلم (٨٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَكْلُ الرِّبَا**)، أكل الربا هذا من أكبر الكبائر -والعياذ بالله-، وليس المراد الاقتصار على أكله، بل كل الانتفاع به؛ سواء بالأكل، أو باللباس، أو بالمراكب، أو بالمنازل، يعم، كل الانتفاع بالربا حرام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ**)، أكل مال اليتيم: وهو من مات أبوه وهو دون البلوغ، فهو لا يحسن التصرف، ولا يحمي ماله، ولذلك يقام عليه الوكيل الذي يحفظ ماله؛ ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾، يعني: أموالهم؛ ﴿ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾، يعني: أنفقوا عليهم من أموالهم، ﴿وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء:٥]، فيقام عليهم وكلاء، الأيتام يقام عليهم وكلاء؛ لأنهم قُصر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ**)، التولي يعني: الفرار من القتال، إذا التقى المسلمون والكفار، فلا يجوز لأحد أن يفر، بل يجب الصمود والقتال مع المسلمين، والفرار من الزحف كبيرة عظيمة من الكبائر؛ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾، أي: في القتال، ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال:١٥، ١٦].

الفرار من الزحف من أكبر الكبائر، إذا التحم القتال، فلا يجوز لأحد أن يدبر، وأن يفر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ**)؛ قذفهن بالزنا، وهن محصنات، يعني: عفيفات عن الزنا، هذا من أكبر الكبائر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «اجْتَنِبُوا»، أي: ابعدوا، وهو أبلغ من قوله: دعوا أو اتركوا**)، كلمة (اجتنبوا) أبلغ من اتركوا؛ لأن (اجتنبوا) يعني: اتركوا المحذور وأسبابه الموصلة إليه، وأما (اتركوا)، فمعناه: اتركوه هو دون أسبابه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لأن النهي عن القربان أبلغ**)؛ لأنه يشمل النهي عن الوسائل الموصلة إليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾** [الأنعام:١٥١])، لم يقل: لا تقعوا في الفواحش، بل: (لا تقربوها)، هذا أبلغ، يعني: اتركوا الأسباب الموصلة إليها.

....

ش: قوله: «المُوبِقَاتِ»؛ بموحدة وقاف، أي: المهلكات، وسُمِيت هذه موبقات؛ لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب.

وفي حديث ابن عمر عند البخاري في الأدب المفرد والطبري في التفسير، وعبد الرزاق مرفوعًا وموقوفًا قال: «الكَبَائِرُ تِسْعٌ»، وذكر السبعة المذكورة، وزاد: «والإِلْحَادُ في الحَرَمِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»(١).

ولابن أبي حاتم عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: الكبائر -فذكر السبع، إلَّا مَالَ اليتيم-، وزَادَ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَالتَّعَرُّبُ بَعْدَ الهِجْرَةِ، وَفِرَاقُ الجَمَاعَةِ، وَنَكْثُ الصَّفْقَةِ»(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وعبد الرزاق مرفوعًا وموقوفًا قال: «الكَبَائِرُ تِسْعٌ»)، الكبائر كثيرة إلى أربعمائة كبيرة أقرب.

ولكن هناك أكبر الكبائر؛ لأن الكبائر تنقسم إلى قسمين: كبائر، وأكبر الكبائر، فالسحر من أكبر الكبائر.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ١٠)، والطبري في تفسيره (٦/ ٦٤٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٥٧٣)، وفي شعب الإيمان (١٠/ ٣٠٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٣٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والإِلْحَادُ في الحَرَم)**، الإلحاد في الحرم، قال جَلَّ وَعَلَا في الحرم: ﴿**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الحج:٢٥]، والإلحاد: هو المعصية، والمخالفة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالتَّعَرُّبُ بَعْدَ الهِجْرَةِ)**، التعرب بعد الهجرة: يعني يلحق بالإعراب؛ يهاجر ويصير مع المسلمين، ثم يعود إلى الأعراب بعدما هاجر، فيبطل هجرته، هذا من أكبر الكبائر، المهاجر لا يرجع عن الهجرة، يستمر فيه إلى الموت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَفِرَاقُ الجَمَاعَةِ)**، جماعة المسلمين، يفارق الجماعة؛ «**مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**»(١).

المسلم يكون مع جماعة المسلمين وإمام المسلمين، يلزم جماعة المسلمين وإمام المسلمين، ويكون مع المسلمين، ولا يشذ عنهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَنَكْثُ الصَّفْقَةِ)**، يعني: البيعة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٩)، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

....

ش: قال الحافظ: ويحتاج عند هذا إلى الجواب عن الحكمة في الاقتصار على سبع.

ويجاب: بأن مفهوم العدد ليس بحجة، وهو ضعيف، أو بأنه أُعلم أولًا بالمذكورات، ثم أُعلم بما زاد، فيجب الأخذ بالزائد، أو أن الاقتصار وقع بحسب المقام بالنسبة للسائل(١).

وقد أخرج الطبراني وإسماعيل القاضي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قيل له: «الْكَبَائِرُ سَبْعٌ؟ قَالَ: هُنَّ أَكْثَرُ من سَبْعٍ وسَبْعٍ»(٢). وفي رواية: «هِيَ إِلَى السَّبْعِينَ أَقْرَبُ»(٣)، وفي رواية: «إلى السبعمائة»(٤).

قوله: «قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ». هو أن يجعل لله ندًّا؛ يدعوه كما يدعو الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويخافه كما يخاف الله. وبدأ به؛ لأنه أعظم ذنب عُصِي الله به؛ كما في الصحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سَأَلْتُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ...». الحديث(٥).

---

(١) انظر: فتح الباري (١٢/ ١٨٣).

(٢) أخرجه إسماعيل القاضي في أحكام القرآن (ص٨٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤٧٧)، والطبري في تفسيره (٦/ ٦٥١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٦٣).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٦٥١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٤). وانظر: فتح الباري (١٢/ ١٨٣).

(٥) أخرجه البخاري (٤٤٧٧، ٦٠٠١، ٦٨١١، ٧٢٥٠)، ومسلم (٨٦).

وأخرج الترمذي بسنده عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ، قَالَ: «قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: لَا تَقُلْ: نَبِيٌّ، إِنَّهُ لَوْ سَمِعَكَ لَكَانَ لَهُ أَرْبَعُ أَعْيُنٍ. فَأَتَيَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَاهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَلَا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَسْحَرُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً، وَلَا تُوَلُّوا لِلفِرَارَ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً اليَهُودَ أَنْ لَا تَعْتَدُوا فِي السَّبْتِ. قَالَ: فَقَبَّلَا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. فَقَالَا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ...». الحديث. وقال: حسن صحيح[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بأن مفهوم العدد ليس بحجة)، هذا الجواب ضعيف، قوله: «مفهوم العدد ليس بحجة» هذا ضعيف، لكن الكبائر ليست على نمط واحد، بعضها أشد من بعض، أكبر الكبائر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي رواية: «إلى السبعمائة»)، الكبائر كثيرة غير محصورة، ولكن أعظمها ما ذُكِرَ، هذا أعظم الكبائر.

و«كتاب الكبائر» هذا فيه سبعون كبيرة، «كتاب الكبائر» للذهبي ذكر فيه أكثر من سبعين كبيرة في هذا الكتاب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ»)، هذا أكبر الكبائر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ». **هو أن يجعل لله ندًّا؛ يدعوه كما يدعو الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويخافه كما يخاف الله**)، ولو سماه شفيعًا؛

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٧٣٣، ٣١٤٤).

لأن المشركين يقولون: شفعاء، هؤلاء شفعاء؛ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وبدأ به؛ لأنه أعظم ذنب عُصِي الله به**)، أعظم ذنب عُصِي الله به: هو الشرك.

ش: قوله: «وَالسِّحْرُ» تقدم معناه. وهذا وجه مناسبة الحديث للترجمة.

قوله: «وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ»، أي: حَرَّمَ قتلها.

«إِلَّا بِالحَقِّ»، أي: بأن تفعل ما يوجب قتلها؛ كالشرك، والنفس بالنفس، والزاني بعد الإحصان.

وقوله: «وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ»، أي: نفسُ المسلمِ المعصومِ، وقتل المعاهد؛ كما في الحديث: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ» الحديث(١).

واختلف العلماء في من قتل مؤمنًا متعمدًا: هل له توبة أم لا؟

فذهب ابن عباس وأبو هريرة وغيرهما إلى أنه لا توبة له؛ استدلالًا بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ [النساء:٩٣](٢). قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، وَهِيَ آخِرُ مَا نَزَلَ، وَمَا نَسَخَهَا شَيْءٌ»(٣).

قال: وفي رواية: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ فِي آخِرِ مَا نَزَلَ، مَا نَسَخَهَا شَيْءٌ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا نَزَلَ وَحْيٌ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦، ٦٩١٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (١/ ٢٦٦)، وتفسير الطبري (٧/ ٣٤٢ - ٣٥٠)، وزاد المسير (١/ ٤٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٩٠، ٤٧٦٦)، ومسلم (٣٠٢٣).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٤٤)، وابن جرير (٧/ ٣٤٦).

ورُوِيَ في ذلك آثار تدل لما ذهب إليه؛ كما عند الإمام أحمد والنسائي وابن المنذر عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا، أَوِ الرَّجُلُ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا»(١).

وذهب جمهور الأمة سلفًا وخلفًا إلى أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله، فإن تاب وأناب وعمل صالحًا، بدل الله سيئاته حسنات؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠]. الآيات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقتل المعاهد؛ كما في الحديث: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا»).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (واختلف العلماء في من قتل مؤمنًا متعمدًا: هل له توبة أم لا؟)، الجمهور على أن له توبة بدليل حديث الذي قتل تسعًا وتسعين نفسًا، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ،

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ١١٢)، والنسائي (٣٩٤٨)، وفي الكبرى (٣/ ٤١٦)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٦٤)، والأوسط (٥/ ٢١٩)، والحاكم (٤/ ٣٩١).

فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واختلف العلماء في من قتل مؤمنًا متعمدًا، هل له توبة أم لا؟)**، ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقول: ليس له توبة، لابد أن يعذب. ليس معناه أنه يكفر عند ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، لا، معناه: ليس له توبة، لابد أن يعذب بالنار؛ ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣]، ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يأخذ بظاهر هذه الآية، ويقول: ليس له توبة تسقط عنه العذاب، وأما الجمهور، فيقول: له توبة؛ بدليل حديث الذي قتل تسعًا وتسعين، وأكمل المائة، وتاب الله عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فذهب ابن عباس وأبو هريرة وغيرهما إلى أنه لا توبة له)**، يعني: لابد أن يُعذب، ليس معناه أنه كافر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **«نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَهِيَ آخِرُ مَا نَزَلَ، وَمَا نَسَخَهَا شَيْءٌ»)**، فهو يرى أنه لابد أن يُعذب، والجمهور على أنه إذا تاب فلا يعذب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ ﴾)، ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ ﴾، فدل على أنه إذا تاب، فإنه يسقط عنه هذا الوعيد الشديد، هذا هو دليل الجمهور.

....

ش: قوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ [النساء:٩٣]. قال أبو هريرة وغيره: «هُوَ جَزَاؤُهُ إِن جَازَاهُ»(١).

وقد رُوِيَ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما يوافق قول الجمهور؛ فروى عبد بن حميد والنحاس عن سعيد بن عبادة أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان يقول: «لِمَنْ قَتَلَ مُؤمنًا تَوْبَة»(٢)، وكذلك ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٣).

وَرُوِي مَرْفُوعًا: «أَنَّ جَزَاؤُهُ جَهَنَّم إِن جَازَاهُ»(٤).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ [النساء:٩٣]. قال أبو هريرة وغيره: «هُوَ جَزَاؤُهُ إِن جَازَاهُ»)، هذا جزاؤه إن جازاه الله، وقد يتوب عليه ولا يجازيه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان يقول: «لِمَنْ قَتَلَ مُؤمنًا تَوْبَة»)، المعروف عنه أنه لا يرى له توبة، ولكن ورد عنه في آخر أمره يرى له التوبة.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٠٣٨)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٢٧٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٨٠)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٣٤٦)، وانظر: الدر المنثور (٢/ ٦٢٧).

(٢) أخرجه عبد بن حميد والنحاس كما في الدر المنثور (٢/ ٦٢٩).

(٣) أخرجه النحاس كما في الدر المنثور (٢/ ٦٢٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٠٣٨)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٢٧٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٨٠)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٣٤٦)، وانظر: الدر المنثور (٢/ ٦٢٧).

....

ش: **قوله: «وَأَكْلُ الرِّبَا»، أي: تناوله بأي وجه كان؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥]. الآيات.**

قال ابن دقيق العيد: وهو مجرب لسوء الخاتمة، نعوذ بالله من ذلك[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «وَأَكْلُ الرِّبَا». أي: تناوله بأي وجه كان**)، ليس خاص بالأكل، وإنما عبر بالأكل؛ لأنه أهم وجوه الانتفاع، وإلا فاللبس من الربا، والسكن من الربا، والمركب من الربا كله سواء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾** [البقرة:٢٧٥])، لا يقومون من قبورهم، إذا قام الناس من قبورهم، ومشوا إلى المحشر مسرعين، فإن الذي أكل الربا يثقل الربا في بطنه، فيقوم ويسقط، يريد أن يذهب مع الناس فيسقط بسبب الربا الذي تضخم في بطنه، نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال ابن دقيق العيد: وهو مجرب لسوء الخاتمة**)، ابن دقيق العيد: هذا من المحدثين، وهو شارح العمدة -عمدة الأحكام-، قال: إنه مجرب هذا الشيء؛ أن آكل الربا يكون يتربى الربا في بطنه، فيكون ثقيلًا، فلا ينشط مع الناس، ولا يذهب مع الناس.

---

(١) انظر: فيض القدير (١/ ١٥٣)، وبريقة محمودية (٤/ ١٩٢).

....

ش: قوله: «وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ»، يعني: التعدي فيه. وعبر بالأكل لأنه أعم وجوه الانتفاع؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

قوله: «وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ»، أي: الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال، وإنما يكون كبيرة إذا فرَّ إلى غير فئة، أو غير متحرف لقتال؛ كما قُيد به في الآية.

قوله: «وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ»، هو بفتح الصاد: المحفوظات من الزنا، وبكسرها الحافظات فروجهن منه، والمراد: الحرائر العفيفات، والمراد رميهن بزنا أو لواط.

و«الغَافِلَاتِ»، أي: عن الفواحش وما رُمِين به، فهو كناية عن البريئات؛ لأَنَّ الغافلَ بريءٌ عما بُهِتَ به. والمؤمنات، أي: بالله تعالى؛ احترازًا من قذف الكافرات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠])، وليس هذا خاص بالأكل، بل إذا لبس من مال اليتيم، أو اشترى دارًا أو عمرها من مال اليتيم، أو اشترى سيارة من مال اليتيم، كله سواء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ»، أي: الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال)**، إذا التحم القتال بين المسلمين والكفار، فلا يجوز لأحد أن يتراجع، بل يقاتل مع المسلمين إلى أن؛ إما أن ينتصروا، أو يُقتل شهيدًا في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

وَعنْ جُنْدُبٍ مرْفُوعًا: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ». رواهُ الترمِذي، وَقَالَ: الصَّحيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ[(١)].

ش: قوله: (وَعَنْ جُنْدُبٍ). ظاهر صنيع الطبراني في الكبير أنه جندب ابن عبد الله البجلي[(٢)]. لا جندب الخير الأزدي قاتل الساحر، فإنه رواه في ترجمة جندب البجلي من طريق خالد العبد عن الحسن عن جندب عن النبي ﷺ. وخالد العبد ضعيف.

قال الحافظ: والصواب أنه غيره. وقد رواه ابن قانع والحسن بن سفيان من وجهين عن الحسن عن جندب الخير: «أَنَّهُ جَاءَ إِلَى سَاحِرٍ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى مَاتَ وَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ...» - فذكره[(٣)].

وجُندب الخير: هو جُندب بن كعب، وقيل: جُندب بن زهير، وقيل: هما واحد؛ كما قال ابن حبان: أبو عبد الله الأزدي الغامدي صحابي[(٤)].

روى ابن السكن من حديث بريدة أن النبي ﷺ قال: «يَضْرِبُ ضَرْبَةً وَاحدةً فَيَكُونُ أُمةً وَاحدةً»[(٥)].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٤٦٠)، والدارقطني (٤/ ١٢٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٣٤)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٦١)، وعبد الرزاق في المصنف (١٠/ ١٨٤)، والحاكم (٤/ ٤٠١).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ١٦١).

(٣) انظر: معجم الصحابة لابن قانع (١/ ١٤٤)، والإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٦١٧).

(٤) انظر في ترجمته: معجم الصحابة لابن قانع (١/ ١٤٤)، وتهذيب الكمال (٥/ ١٤١)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٧٥)، والإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٦١٥- ٦١٧).

(٥) ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٦١٦).

قوله: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ». رُوِيَ بالهاء وبالتاء، وكلاهما صحيح.

وبهذا الحديث أخذ مالك وأحمد وأبو حنيفة، فقالوا: يُقتل الساحر.

ورُوِي ذلك عن عمر، وعثمان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن عبد الله، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز[١].

ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر، إلا إن عمل في سحره ما يبلغ الكفر[٢]. وبه قال ابن المنذر[٣]، وهو رواية عن أحمد[٤].

والأول أولى للحديث، ولأثر عمر، وعمل به الناس في خلافته من غير نكير.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَقَالَ: الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ)**، موقوف على جندب بن عبد الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «يَضْرَبُ ضَرْبَةً وَاحدةً فَيَكُونُ أُمةً وَاحدةً»)**. نعم؛ لأنه قتل الساحر الذي عند الخليفة، ساحر يلعب؛ يقتل شخصًا، ويقسمه نصفين، ثم يقول له: قُمْ فيقوم، يعني: سحر تخييلي ليس حقيقيًّا، فجاء جندب معه سيفه، فقتل هذا الرجل الذي يلعب على الناس،

---

(١) انظر: الإقناع لابن المنذر (٢/ ٦٨٧)، والإشراف على مذاهب العلماء (٨/ ٢٤١)، وحلية العلماء (٧/ ٦٣٥).

(٢) انظر: الاستذكار (٨/ ١٦٠، ١٦١)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٦٥)، وفتح الباري (١٠/ ٢٢٤).

(٣) انظر: الإقناع لابن المنذر (٢/ ٦٨٥)، والإشراف على مذاهب العلماء (٨/ ٢٤٢).

(٤) انظر: المغني (١٢/ ٣٠٢).

يقتل الرجل، ثم يقول له: قُمْ فيقوم، فقال: إن كان صادقًا فليحيي نفسه، ضربه بالسيف وقتله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ». رُوِيَ بالهاء وبالتاء، وكلاهما صحيح)**، «ضَرْبُهُ» أو «ضَرْبَةٌ» كلاهما صحيح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبهذا الحديث أخذ مالك وأحمد وأبو حنيفة، فقالوا: يُقتل الساحر)**، الأئمة الثلاثة على أنه يقتل؛ عملًا بهذا الحديث.

وأما الشافعي، فيفصل، يقول: السحر يختلف؛ إن كان سحرًا حقيقيًّا يُقتل، أما إن كان تخييليًّا فلا يُقتل.

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: «كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر»[(١)].

ش: هذا الأثر رواه البخاري؛ كما قال المصنف، لكن لم يذكر قتل السواحر.

قوله: (عَنْ بَجَالَةَ). بفتح الموحدة بعدها جيم، ابن عبدة -بفتحتين- التميمي العنبري، بصري ثقة.

قوله: «كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ»، وظاهره أنه يقتل من غير استتابة.

وهو كذلك على المشهور عن أحمد، وبه قال مالك؛ لأن علم السحر لا يزول بالتوبة.

وعن الإمام أحمد يستتاب، فإن تاب، قُبِلت توبته، وبه قال الشافعي؛ لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك، والمشرك يستتاب، وتقبل توبته؛ ولذلك صح إيمانُ سَحرةِ فِرعونَ وتوبتِهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ بَجَالَةَ بنِ عَبْدَةَ قَالَ: «كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ. قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ»)، هذا الأثر أن عمر

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٩٦)، وأبو داود (٣٠٤٣)، والبزار (٣/ ٢٦٨)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٣٢)، وفي معرفة السنن والآثار (١٢/ ٢٠٣). وأخرجه البخاري بغير هذا اللفظ، ولم يذكر قتل السواحر (٣١٥٦).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب إلى عماله: «أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ»، فهذا دليل على قتل الساحر، وأنه لا يُترك يفسد في المجتمع وينشر سحره، بل يُقتل، فهذا صح عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصح عن ابنته حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصح عن عبدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صح عن ثلاثة من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم قتلوا السحرة

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ»، وظاهره أنه يقتل من غير استتابة)**؛ لأنه وإن أظهر الاستتابة، فإنه لا يؤمن، يظهر الاستتابة ظاهرًا، ولكنه لا يتوب في الباطن، فيقتل حدًّا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهو كذلك على المشهور عن أحمد، وبه قال مالك؛ لأن علم السحر لا يزول بالتوبة)**؛ لأن علم السحر لا يزول بتوبته، بل هو باق فيه، ولا يؤمن في الصدق في إظهار التوبة، فلابد من قتله، وإنما يقتله ولي الأمر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وعن الإمام أحمد يستتاب، فإن تاب قُبِلت توبته، وبه قال الشافعي؛ لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك، والمشرك يستتاب، وتقبل توبته)**، هذا القول الثاني فيه: أنه يستتاب.

القول الأول: أنه لا يستتاب؛ لأن عمر كتب إلى عماله: «اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ»، ولم يأمر باستتابتهم، وهذا هو الصحيح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولذلك صح إيمانُ سَحرةِ فِرعونَ وتوبتِهم)**، مما يدل على استتابة الساحر: ما ذكره الله عن سحرة فرعون.

فرعون جمع السحرة ليبطل بهم معجزة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ التي هي: أن العصا تلتهم ما بوجهها من السحرة وغيرهم؛ ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الشعراء:٤٥]، ابتلعت كل السحر والسحرة في الوادي.

هذا دليل على أن السحرة يقتلون، وأن السحر لا يترك إذا عُثِرَ عليه يتلف.

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّها أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا، فَقُتِلَتْ»[١]، وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدُبٍ.

قَالَ أَحْمَدُ: عَنْ ثَلاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

ش: هذا الأثر رواه مالك في الموطأ.

وحفصة: هي أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد خنيس بن حذافة، وماتت سنة خمس وأربعين[٣].

قوله: (وَكَذَلِكَ صَحَ عَنْ جُنْدُبٍ). أشار المصنف بهذا إلى قتله الساحر؛ كما رواه البخاري في تاريخه عن أبي عثمان النهدي قال: «كان عند الوليد رجل يلعب، فذبح إنسانًا، وأبان رأسه، فعجبنا، فأعاد رأسه، فجاء جندب الأزدي، فقتله»[٤].

ورواه البيهقي في الدلائل مطولًا. وفيه: فأمر به الوليد فسُجِن، فذكر القصة بتمامها[٥]، ولها طرق كثيرة.

قوله: (قَالَ أَحْمَدُ: عَنْ ثَلاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). أحمد هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٨٧١)، والشافعي في مسنده (ص٣٨٣)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (١٢/ ٢٠٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٥).

(٣) انظر في ترجمتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨١١)، وتهذيب الكمال (٣٥/ ١٥٣)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٧)، والإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٨٥).

(٤) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٢٢).

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٣٤).

قوله: (عَنْ ثَلاثَةٍ)، أي: صَحَّ قتلُ الساحِرِ عن ثلاثةٍ، أو جاءَ قتلُ السَّاحرِ عن ثلاثةٍ من أصحابِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني: عمر، وحفصة، وجندبًا. والله تعالى أعلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **أَنَّها أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَها سَحَرَتْهَا، فَقُتِلَتْ»)**، صح عن حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (أَنَّها أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ)، يعني: مملوكة لها، (سَحَرَتْهَا)، سحرت سيدتها حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأمرت بقتلها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَكَذَلِكَ صَحَ عَنْ جُنْدُبٍ)**، راوي الحديث، وكذلك صح عن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان الوالي يلعب عنده ساحر أمام الناس ويلعب بالسحر، ويظهر للناس أنه يقتل الرجل، ثم يأمره فيقوم ويحييه، فتسلل إليه جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقتله أمام الوالي، وقال: إن كان صادقًا فليحيي نفسه. فهذا دليل ثالث على قتل الساحر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فجاء جندب الأزدي، فقتله)**، قتله أمام الوالي، وأمام الناس، وقال: إن كان صادقًا فليحيي نفسه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفيه: فأمر به الوليد فسُجِن)**، أمر الوليد بسجن جندب لما قتل الساحر، ولكن هذا لا يضره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قَالَ أَحْمَدُ: عَنْ ثَلاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، يعني: صح قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فيْه مَسَائلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ البَقَرَةِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ النِّسَاءِ.

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيْرُ الجِبْتِ وَالطَّاغُوْتِ، وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ الطَّاغُوْتَ قَدْ يَكُوْنُ مِنَ الجِنِّ وَقَدْ يَكُوْنُ مِنَ الإِنْسِ.

الخَامِسَةُ: مَعْرِفَةُ السَّبْعِ المُوبِقَاتِ المَخْصُوْصَاتِ بِالنَّهْيِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ السَّاحِرَ يَكْفُرُ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يُقْتَلُ وَلا يُسْتَتَابُ.

الثَّامِنَةُ: وُجُوْدُ هَذَا فِي المُسْلِمِيْنَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، فَكَيْفَ بَعْدَهُ؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فِيْهِ مَسَائِلُ)، في هذا الباب مسائل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ البَقَرَةِ)، وهي ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ [البقرة:١٠٢]، تفسير آية البقرة، قال الله جَلَّ وَعَلَا فيها: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾، أي: علم اليهود، ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾: يعني السحر، استبدل به دينه، والاشتراء: هو شراء الشيء، واستبدال الشيء بالشيء.

﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البقرة:١٠٢]، أي: ليس له في الجنة من نصيب، ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، يعني: الجنة، ﴿مِنْ خَلَـٰقٍ﴾، يعني: من نصيب، فدل على كفره؛ لأن الجنة لا تحرم إلا على الكافر والمشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ، ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١])، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: وهم اليهود، ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ﴾: والجبت: هو السحر، يصدقون به.

﴿وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١]: الشيطان، هذا مما عليه اليهود -قبحهم الله-، من مخازيهم أنهم يؤمنون بالسحر، ويؤيدونه، ويستعملونه.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾، يعني: اليهود.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة:١٠٢]، أي: ما كانت تعمله الشياطين في عهد سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾، هذا رد على اليهود الذين يزعمون أن سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان يستعمل السحر، ولذلك قالوا: سخر الشياطين، وسخر العفاريت، يقولون: هذا بالسحر -قبحهم الله. والله نفى عن نبيه ذلك، قال: ﴿وَمَا كَفَرَ﴾، أي: وما سَحَرَ، فعبر عن السحر بالكفر، فدل على كفر الساحر.

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾، يعني: وما سَحَرَ -كما تقوله اليهود-، ولكن الله سخر له العفاريت -معجزة لسليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-؛ لأنه دعا ربه، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥]، سخر الله له الريح، وسخر له الشياطين والعفاريت؛ ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ:١٣]،

تعمله له العفاريت الذين سخرهم الله لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأن الله آتاه ملكًا لم يؤته لغيره، ومن ذلك أن الله سخر له العفاريت، وسخر له الريح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الثَّالِثَةُ: تَفْسِيْرُ الجِبْتِ وَالطَّاغُوْتِ، وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا)**، أن الجبت هو السحر، والطاغوت هو الشيطان؛ كما فسرهما عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: أَنَّ الطَّاغُوْتَ قَدْ يَكُوْنُ مِنَ الجِنِّ وَقَدْ يَكُوْنُ مِنَ الإِنْسِ)**، الطاغوت: هو من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، وكل من تجاوز حده، فهو طاغوت، سواء كان من الجن أو من الإنس.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: مَعْرِفَةُ السَّبْعِ المُوبِقَاتِ المَخْصُوْصَاتِ بِالنَّهْيِ)**، السبع الموبقات، يعني: المهلكات، هذه أعظم الذنوب، أولها الشرك.

والثاني: السحر، جعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ مما يدل على قبحه وخطورته.

الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، هذه السبع الموبقات، وأولها بعد الشرك السحر، فعده بعد الشرك، فدل على خطورته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(السَّادِسَةُ: أَنَّ السَّاحِرَ يَكْفُرُ)**، أن الساحر يكفر بدليل الآية؛ أن الله قال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [البقرة:١٠٢]، يعني: ما سَحَرَ، فعبر عن السحر بالكفر.

وأيضًا في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة:١٠٢]، هذا دليل على كفر الساحر؛ لأن المؤمن -وإن عصى- فإن له من الجنة نصيب، ولو عُذِّبَ، فإن مآله إلى الجنة، فله نصيب من الجنة، الذي ليس له نصيب من الجنة هو المشرك والكافر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ**)، «**اُقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ**»، ولم يأمر باستتابتهم، حفصة قتلت جارية لها سحرتها دون أن تستتيبها؛ لأن الساحر لا يؤمن وإن أظهر التوبة، لا يؤمن أنه يمكر بالناس، ولأن السحر لا يزول بالتوبة، السحر الذي تعلمه لا يزول بالتوبة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّامِنَةُ: وُجُوْدُ هَذَا فِي الْمُسْلِمِيْنَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، فَكَيْفَ بَعْدَهُ؟!**)، وجود هذا في المسلمين قديمًا في خلافة عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فكيف بمن جاء بعده، كيف بآخر الزمان؟! الشر يزيد.

٢٤- باب بيان شيء من أنواع السحر

ش: قوله: (بَابُ بَيَانِ شيءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السَّحْرِ).

قلت: ذكر الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ها هنا شيئًا من الخوارق وكرامات الأولياء، وذكر ما اغتر به كثير من الناس من الأحوال الشيطانية التي غرت كثيرًا من العوام والجهال، وظنوا أنها تدل على ولاية من جرت على يديه ممن هو من أولياء الشيطان، لا من أولياء الرحمن. ثم قال: ولشيخ الإسلام كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان». فراجعه. انتهى[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ بَيَانِ شيءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السَّحْرِ)**، لما بين حكم السحر في باب ما جاء في السحر، بيَّن شيئًا من أنواع السحر؛ حتى يعرف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ذكر الشارح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، الشارح: هو الشيخ سليمان بن عبد الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ذكر الشارح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ها هنا شيئًا من الخوارق وكرامات الأولياء)**، الخوارق: هي التي تأتي على خلاف العادة، فإن جرت على يد نبي، فهي معجزة، وإن جرت على يد عبد صالح، فهي كرامة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإن جرت على شيطان أو كافر، فهي من الشيطان، فهي ليست معجزة، وإنما هي كيد من الشيطان وابتلاء وامتحان من الشيطان، فلا يغتر بها الناس.

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٣٩)، ولشيخنا صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله- شرح ممتع عليه، وهو مطبوع ولله الحمد والمنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وذكر ما اغتر به كثير من الناس من الأحوال الشيطانية التي غرت كثيرًا من العوام والجهال)**، السحرة -قبحهم الله- عندهم أشياء غريبة وعجيبة، يغتر بها الذين لا يعرفون السحر، ولا يعرفون حكم السحر، فقد تدخل في أفكارهم وتعجبهم، فلذلك يبادر بقتل الساحر قبل أن ينتشر سحره.

هناك فرق بين الْوَلَايَةُ والْوِلَايَةُ: الْوَلَايَةُ: هي السلطة، والْوِلَايَةُ: وِلاية الله للعبد[1]؛ ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]. والمؤمن وليُّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢، ٦٣].

ليس كل من ادعى الولاية يكون وليًّا، الله بيَّن من هو الولي: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣]، هؤلاء هم أولياء الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وظنوا أنها تدل على ولاية من جرت على يديه ممن هو من أولياء الشيطان، لا من أولياء الرحمن)**، فلا يغتروا بها، ينظر إلى حال من جرت على يده الخوارق؛ فإن كان مستقيمًا على طاعة الله، مؤمنًا بالله، فهي كرامة، أجراها الله على يده، وإن كان عاصيًا وكافرًا ومشركًا، فليست ولاية، وإنما هي عمل شيطاني؛ لأجل إضلال من جرت على يده، وإضلال الناس -أيضًا- بسببه.

(١) انظر: المفردات للراغب (ص ٨٨٥)، وتفسير القرطبي (٨/ ٥٦)، ومنهاج السنة النبوية (٧/ ٢٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولشيخ الإسلام كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»)**، كتاب لشيخ الإسلام مفيد جدًّا، والناس بحاجة إليه، وهو كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، فصل في هذا؛ لئلا يغتر الناس بهؤلاء الدجالين. فبين الفروق بين أولياء الرحمن وبين أولياء الشيطان؛ لئلا يُغتر بهم، ولا يختلط هذا مع هذا.

قَالَ أحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، قَالَ: حَيَّانَ بْنُ الْعَلَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ».

قَالَ عَوْفٌ: الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ: الخَطُّ يُخَطُّ فِي الْأَرْضِ، وَالجِبْتُ، قَالَ الحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيْطَانُ». إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ[1].

وَلِأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسائِي وابنِ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» المُسْنَدِ مِنْهُ[2].

ش: قوله: (قَالَ أَحْمَدُ)، هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل.

و(مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ) هو المشهور بغندر الهذلي البصري، ثقة مشهور، مات سنة ست ومائتين[3].

و(عَوْفٌ) هو ابن أبي جميلة -بفتح الجيم- العبدي البصري، المعروف بعوف الأعرابي، ثقة، مات سنة ست أو سبع وأربعين، وله ست وثمانون سنة[4].

و(حَيَّانَ) بن العلاء هو بالتحتية، ويقال حيان بن مخارق، أبو العلاء البصري، مقبول[5].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٤/ ٢٠٨) بلفظ: «إِنَّهُ الشَّيْطَانُ».

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٠٧)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٦٦)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٥٠٢).

(٣) انظر في ترجمته: تهذيب الكمال (٢٥/ ٥)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٩٨)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول (٥/ ١٦٧)، والأعلام للزركلي (٦/ ٦٩).

(٤) انظر في ترجمته: تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٣٧)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٨٣)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٩٤٧)، والجامع في الجرح والتعديل (٢/ ٣٢٧).

(٥) انظر في ترجمته: تهذيب الكمال (٧/ ٤٧٤)، موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال =

و(قَطَنُ)، بفتحتين: أبو سهل البصري، صدوق[١].

قوله: (عَنْ أَبِيهِ): هو قَبِيصَةَ -بفتح أوله- ابن مخارق -بضم الميم- أبو عبد الله الهلالي. صحابي، نزل البصرة[٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ**)، قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ: تابعي، أما أبوه فهو صحابي، يعني: قَطَنُ: تابعي، قَبِيصَةَ: صحابي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ: حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ»**)، هذا بيان شيء من أنواع السحر.

الْعِيَافَةَ: زجر الطير؛ إذا رأى الطير فإنه يتشاءم به، أو يتيمن به في طيرانه، وهذا هو العيافة، العيافة: زجر الطير، والطير ليس عنده شيء من هذه الأمور؛ يطير من أجل البحث عن رزقه، لا يطير من أجل هذه الأمور التي يلبسونها عليه وهو منها بريء، يسمونها: السوانح والبوارح، وينظرون إلى طيرانها؛ فإن طار في جهة ما، فالأمر كذا، وإن طار في جهة أخرى، فالأمر كذا، وهذا كذب.

= الحديث وعلله (١/ ٣٢٢)، وتحفة اللبيب بمن تكلم فيهم الحافظ ابن حجر من الرواة في غير «التقريب» (١/ ٣٦٨).

(١) انظر في ترجمته: تهذيب الكمال (٢٣/ ٦١٥)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٤٤)، وتحفة اللبيب بمن تكلم فيهم الحافظ ابن حجر من الرواة في غير «التقريب» (٢/ ١٥)، والجامع في الجرح والتعديل (١/ ٣١٤).

(٢) انظر في ترجمته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: معجم الصحابة للبغوي (٥/ ٥٧)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/ ٢٣٣٢)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٢٧٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٤١٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («وَالطَّرْقَ»)، الطرق: هو طرق الحصى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ»)، الطيرة: هي التشاؤم بالأشياء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ عَوْفٌ: الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ**)، زجر الطير: بمعنى أنهم ينظرون إلى طيرانه؛ فإن طار إلى جهة كذا، فالأمر يكون على كذا، وإن طار على وجهة، فالأمر كذا، وهكذا، تخرصات باطلة، الطير ليس عنده هذه الأمور، يطير لطلب رزقه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالطَّرْقُ: الخَطُّ يُخَطُّ فِي الْأَرْضِ**)، الرمالون الذين يخطون في الأرض يقولون: سيحدث كذا، ويحدث كذا. كما كان عند البادية، ولا يزال عند البادية الذين لم تصل إليهم دعوة الإسلام ودعوة التوحيد، عندهم أمور باطلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالجِبْتُ، قَالَ الحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيْطَانُ**)، الجبت: يطلق على الشيطان؛ كما قال عمر، ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ﴾ [النساء:٥١]، قال: الشيطان[١].

ويطلق على كل باطل، السحر كله يسمى جبت، هذه الكلمة يقولون: إنها ليست من أصل عربي، كأنها مولدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالجِبْتُ، قَالَ الحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيْطَانُ**)، الحسن: يعني الحسن البصري إمام التابعين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وعَوْفٌ: هو ابن أبي جميلة**)، هؤلاء رجال السند، يترجم لرجال السند.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٠).

ش: قوله: «إِنَّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ».

قَالَ عَوْفٌ: «الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ»، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهو من عادات العرب، وكثُر في أشعارهم، يقال: عَافَ يَعِيفُ عَيْفًا. إذا زجر وحدس وظن[(١)].

قوله: «وَالطَّرْقُ: الخَطُّ يُخَطُّ فِي الْأَرْضِ»، كذا فسره عوف، وهو كذلك. وقال أبو السعادات: هو الضَّربُ بالحصَى الذي يفعله النساء[(٢)].

وأما «الطِّيَرَةَ»، فيأتي الكلام عليها في بابها -إن شاء الله تعالى.

قوله: «مِنَ الجِبْتِ»، أي: السحر.

قال القاضي: والجبت في الأصل: الفشل الذي لا خير فيه، ثم استعير لما يعبد من دون الله، وللساحر والسحر[(٣)].

---

(١) انظر: مادة (عيف) في: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٣٠)، ولسان العرب (٩/ ٢٦١).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٢١). وانظر: العين (٥/ ٩٩)، وغريب الحديث للقاسم بن سلام (٢/ ٤٦)، ومعالم السنن للخطابي (٤/ ٢٣١).

(٣) قال القاضي البيضاوي: (والجبت في الأصل: اسم صنم، فاستعمل في كل ما عبد من دون الله. وقيل: أصله الجبس، وهو الذي لا خير فيه، فقلبت سينه تاء) تفسير البيضاوي (٢/ ٧٨).

وقال أبو جعفر النحاس: (وأصل الجبت في اللغة: الذي لا خير فيه، وقال قطرب: أصله الجبس، وهو الثقيل الذي لا خير فيه) معاني القرآن للنحاس (١/ ٢٧١). وانظر: تفسير ابن عطية (٢/ ٦٦)، وتاج العروس (٤/ ٤٨٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ عَوْفٌ: «الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ»، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها)**، يتشاءمون بالبومة، هي المعروفة يتشاءمون بها، وهي طائر ليس عنده شيء من هذا، طائر يطلب الرزق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أبو السعادات)**، أبو السعادات: ابن الأثير صاحب النهاية في غريب الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أبو السعادات: هو الضَّربُ بالحصَى الذي يفعله النساء)**، النساء المخرفات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما «الطِّيَرَة»، فيأتي الكلام عليها في بابها إن شاء الله تعالى)**، الطيرة: هي التشاؤم، بخلاف الفأل، الفأل هذا طيب، أما الطيرة هذه من الشرك، وهي من أمور الجاهلية.

....

ش: قوله: «قَالَ الحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيْطَانُ».

قلت: ذكر إبراهيم بن محمد بن مفلح أن في تفسير بقي بن مخلد: «إنَّ إِبْلِيسُ رَنَّ أَرْبعَ رَنَّاتٍ: رَنَّةً حِينَ لُعِنَ، وَرَنَّةً حِينَ أُهْبِطَ، وَرَنَّةً حين وُلِدَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَرَنَّةً حِينَ نَزَلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ»(١).

قال سعيد بن جبير رَحِمَهُٱللَّهُ: «لَمَّا لَعَنَ اللهُ إِبْلِيسَ تَغَيَّرَتْ صُورَتُهُ عَنْ صُورَةِ المَلَائِكَةِ، وَرَنَّ رَنَّةً، فَكُلُّ رَنَّةٍ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». رواه ابن أبي حاتم(٢).

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مَكَّةَ رَنَّ إِبْلِيسُ رَنَّةً اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ جُنُودُهُ». رواه الحافظ الضياء في المختارة(٣).

الرنين: الصوت، وقد رَنَّ يَرِنُّ رنينًا(٤). وبهذا يظهر معنى قول الحسن رَحِمَهُٱللَّهُ.

---

(١) انظر: الروض الأنف للسهيلي (٢/ ١٤٩)، وتفسير القرطبي (١/ ١٠٩)، والبداية والنهاية (٢/ ٣٢٦).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٦٥)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٦٣). وانظر: الروض الأنف للسهيلي (٢/ ١٤٩)، وتفسير القرطبي (١/ ١٠٩)، والبداية والنهاية (٢/ ٣٢٦).

(٣) أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٠/ ١٠٥)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١١)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٦٢).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٧١)، ولسان العرب (١٣/ ١٨٧)، وتاج العروس (٣٥/ ١١٦).

قوله: (ولأَبِي دَاوُدَ والنَّسائِي وابنِ حِبَّانَ في «صحيحِهِ»: المُسْنَدِ مِنْهُ)، ولم يذكر التفسير الذي فسره به عوف. وقد رواه أبو داود بالتفسير المذكور بدون كلام الحسن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(تفسير بقي بن مخلد)**، بَقِيَّ بنَ مَخْلَد الأندلسي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أن في تفسير بقي بن مخلد: «إنَّ إبْلِيسُ رَنَّ أرْبعَ رَنَّاتٍ: رَنَّةً حِينَ لُعِنَ، وَرَنَّةً حِينَ أُهْبِطَ، وَرَنَّةً حين وُلِدَ رَسُولَ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ**، وَرَنَّةً حِينَ نَزَلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ»)**، رنة حزن وبؤس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«لَمَّا لَعَنَ اللهُ إِبْلِيسَ تَغَيَّرَتْ صُورَتُهُ عَنْ صُورَةِ المَلَائِكَةِ»)**، إبليس كان في السماء، وكان مع الملائكة يعبد الله، وهو ليس من الملائكة، لكنه كان معهم يعبد الله، وكان مستقيمًا على طاعة الله، فلما خلق الله آدم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ بيده، وأمر الملائكة بالسجود له؛ ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ [البقرة:٣٤]، يعني: سجود تحية، ليس سجود عبادة، سجود العبادة شرك، ولا يجوز، لكن هذا سجود تحية، وكانوا يسجدون لعظمائهم تحية لهم.

﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾، يعني: سجود تحية، ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾: امتثلوا لأمر الله، ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ [البقرة:٣٤].

وقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾: أنا خير من آدم؛ ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف:١٢].

يقولون: أول من قاس القياس الباطل إبليس(١)، هذا قياس، وهل الذي يخلق من النار يكون أحسن؟!! فهو قاس قياسًا باطلًا، هو قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾، ما هو الدليل؟ ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف:١٢]، وعنده أن النار خير من الطين وهذا كذب؛ فإن النار محرقة ومتلفة، وأما الطين فهو مبارك، ينبت الزرع، وينبت العشب، وينبت الشجر والخيرات، فالطين مبارك، وأحسن من النار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(رواه الحافظ الضياء في المختارة)**، الحافظ المقدسي الحنبلي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرنين: الصوت. وقد رَنَّ يَرِنُّ رنينًا، وبهذا يظهر معنى قول الحسن)**، الصوت، يعني: يصوت، يعني: رن، صوّت من الحزن والضيق الذي أصابه.

---

(١) أخرجه: الدارمي في مسنده (١/ ١١٦)، والطبري في تفسيره (١٠/ ٨٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٦٢٦)، عن الحسن.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ(١).

ش: قوله: (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ». رواه أبو داود بإسناد صحيح)، وكذا صححه النووي والذهبي، ورواه أحمد وابن ماجه(٢).

قوله: «مَنِ اقْتَبَسَ»، قال أبو السعادات: قبست العلم واقتبسته إذا علمته. اهـ(٣).

قوله: «شُعْبَةً»، أي: طائفة من علم النجوم، والشعبة: الطائفة، ومنه الحديث: «الحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»(٤)، أي: جزء منه.

قوله: «فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ»؛ المحرم تعلمه.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ: فقد صرح رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأن علم النجوم من السحر، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩](٥).

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٥٤، ٥/ ٤١)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وصححه النووي في فتاواه (ص٢٣٢)، والذهبي في المهذب في اختصار السنن الكبير (٦/ ٣٢٣٣).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٤). وانظر -أيضا-: غريب الحديث لإبراهيم الحربي (٣/ ١١١٩)، والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (٢/ ٦٥٤).

(٤) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٣).

قوله: «**زَادَ مَا زَادَ**»، **أي: كلما زاد من تعلم علم النجوم، زاد في الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه، فإن ما يعتقده في النجوم من التأثير باطل؛ كما أن تأثير السحر باطل، والله أعلم.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»)**، المنجمون الذين يستدلون بأحوال النجوم وجريانها ومواقعها يستدلون بها على الحوادث في الأرض، وهذا كذب.

النجوم خلقها الله لثلاث- كما يأتي-: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدي بها، هذه فوائد النجوم، وليس منها الدلالة على الخير والشر وما أشبه ذلك، فالمنجمون كذبة.

ويقول شيخ الإسلام: (التنجيم: هو نسبة الحوادث الأرضية إلى الأحوال الفلكية)[(١)]، هذا التنجيم، وهو باطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «شُعْبَةً». أي: طائفة من علم النجوم)، «فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ».**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام: فقد صرح رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بأن علم النجوم من السحر)**، النجوم خلقها الله لثلاث: زينة للسماء، وعلامات يهتدى بها، ورجومًا للشياطين، ولم يخلقها لغير ذلك.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢)، والفتاوى الكبرى (٥/ ٥٣٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد قال تعالى:** ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩])، الساحر مفلس وخائب، ولا يفلح أبدًا؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ [طه:٦٩]، فلا يفلح أبدًا، لا في الدنيا ولا في الآخرة، فهو خاسر وليس بمفلح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإن ما يعتقده في النجوم من التأثير باطل، كما أن تأثير السحر باطل**)، النجوم لا ينسب إليها ما ينسبونه من تغير الأحوال، وتغير الأسعار وحدوث الحوادث، هذا لله جَلَّ وَعَلَا.

أما النجوم، فهي مخلوقات لله جَلَّ وَعَلَا، مسيرات، ليس عندها شيء من السعادة والشقاوة وغير ذلك.

وَللنَّسائِي مِنْ حَدِيثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»[1].

ش: قوله: (وَللنَّسائِي مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»).

هذا الحديث ذكره المصنف من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعزاه للنسائي. وقد رواه النسائي مرفوعًا، وحسنه ابن مفلح[2].

قوله: (وَللنَّسائِي): هو الإمام الحافظ أحمد بن شعيب بن علي بن سنان ابن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن صاحب السنن وغيرها، روى عن محمد بن المثنى وابن بشار وقتيبة وخلق، وكان إليه المنتهي في العلم بعلل الحديث، مات سنة ثلاث وثلاثمائة، وله ثمان وثمانون سنة رَحِمَهُ اللَّهُ[3].

قوله: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ». اعلم أن السحرة إذا أرادوا عمل السحر، عقدوا الخيوط، ونفثوا على كل عقدة، حتى ينعقد كل ما يريدون من السحر. قال الله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾ [الفلق:٤]، يعني: السواحر اللاتي يفعلن ذلك.

والنفث: هو النفخ مع الريق، وهو دون التفل.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٣/ ٤٤٩)، والمجتبى (٤٠٧٩)، والطبراني في الأوسط (٢/ ١٢٨).

(٢) انظر: الآداب الشرعية (٣/ ٨٢).

(٣) انظر في ترجمته: تاريخ الإسلام (٧/ ٥٩)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٥)، وإكمال تهذيب الكمال (١/ ٥٧)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٤).

والنفث فعل الساحر، فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور، ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة، نفخ في تلك العقدة نفخًا معه ريق، فيخرج من نفسه الخبيثة نفسٌ ممازج للشر والأذى مقارن للريق الممازج لذلك. وقد تساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور، فيصيبه السحر بإذن الله الكوني القدري لا الشرعي، قاله ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).

قوله: «وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ». نصٌ في أن الساحر مشرك؛ إذ لا يتأتى السحر بدون الشرك؛ كما حكاه الحافظ عن بعضهم.

قوله: «وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»، أي: من تعلق قلبه شيئًا، بحيث يعتمد عليه ويرجوه، وكله الله إلى ذلك الشيء.

فمن تعلق على ربه وإلهه وسيده ومولاه رب كل شيء ومليكه، كفاه، ووقاه، وحفظه، وتولاه. فنعم المولى، ونعم النصير؛ قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦].

ومن تعلق على السحرة والشياطين وغيرهم من المخلوقين، وكله الله إلى من تعلقه، فهلك، ومن تأمل ذلك في أحوال الخلق، ونظر بعين البصيرة، رأى ذلك عيانًا، وهذا من جوامع الكلم. والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ»)، (مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ)، هذا ذكره الله

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٢١).

جَلَّوَعَلَا في القرآن: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق:٤]؛ كن يعقدن العقد، وينفثن فيها من ريقهن الخبيث، ثم يسحرن من يردن سحره، ويؤثرن فيه؛ إما بقتل، أو تخبيل، أو مرض، أو غير ذلك.

وهذا بقضاء الله وقدره، يسلطهم على من يشاء من عباده؛ قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٠٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ)**، أشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ)**، الواجب أن المسلم يتعلق بالله عَزَّوَجَلَّ، ويعلق أمله بالله، والله يكفيه؛ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾، يعني: كافيه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ [الطلاق:٣]، فيتوكل على الله، ويعلق أمله بالله عَزَّوَجَلَّ.

أما من تعلق على السحرة، على الكهان، على الأشجار أو الأحجار، أو على الجن أو الإنس، فإن الله يكله إليهم؛ عقوبة له؛ **(وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ)**.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أبو عبد الرحمن صاحب السنن)**، السنن للنسائي، «السنن الكبرى»، و«المجتبى من السنن»، كلاهما مطبوع الآن وموجود، «السنن الكبرى»، و«المجتبى» منها، وهي سنن عظيمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكان إليه المنتهي في العلم بعلل الحديث)**، إمام جليل في الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والنفث: هو النفخ مع الريق، وهو دون التفل)**، نفخ مع ريق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد تساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور، فيصيبه السحر بإذن الله الكوني القدري لا الشرعي)**، ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢].

هل الله يأذن بالسحر؟

نقول: الإذن على قسمين: إذن كوني قدري، وإذن شرعي، فالمراد بالإذن هنا: الإذن الكوني لا الإذن الشرعي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ». نصٌ في أن الساحر مشرك)**؛ لأنه يستعين بالشياطين، ومن استعان بالشياطين، فهو مشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ» أي: من تعلق قلبه شيئًا، بحيث يعتمد عليه ويرجوه، وكله الله إلى ذلك الشيء)**، فالواجب أنه يعلق قلبه بالله عَزَّوَجَلَّ، ولا بأس يتخذ الأسباب؛ مأمور بالأسباب، لكن الأسباب النافعة، لكن لا يعتمد عليها، يفعل الأسباب، ويتوكل على الله جَلَّوَعَلَا، يجمع بين الأمرين، لا يفعل الأسباب فقط، ويترك التوكل، ولا يتوكل على الله، ويترك الأسباب، لابد من الجمع بينهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن تعلق على ربه وإلهه وسيده ومولاه رب كل شيء ومليكه، كفاه، ووقاه، وحفظه، وتولاه)**، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال تعالى**: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦])، بلى، ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦]، هذا استفهام تقرير، يعني: الله كاف عبده سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وليس استفهام استخبار وسؤال، لا، هذا تقرير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومن تعلق على السحرة والشياطين وغيرهم من المخلوقين، وكله الله إلى من تعلقه، فهلك**)، المتوكلون على الله، الله جَلَّ وَعَلَا يتولاهم ويهديهم ويرشدهم ويرزقهم ويجيبهم إلى ما سألوا.

أما من توكل على غير الله، فإن الله يكله إلى من توكل عليه -والعياذ بالله-؛ إلى عاجز لا يقدر على شيء، إلا ما أقدره الله عليه.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)].

ش: قوله: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ»: أُخبركم، و«الْعَضْهُ». بفتح المهملة وسكون المعجمة.

قال أبو السعادات: هكذا يروي في كتب الحديث، والذي في كتب الغريب: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعِضَةُ». بكسر العين وفتح الضاد[(٢)].

قال الزمخشري: أصلها «العِضْهَة» فِعْلة، مِنَ العَضْه، وَهُوَ الْبَهْتُ. فحذفت لامه؛ كما حذفت من السَّنة والشَّفة، وتجمع على عِضِين[(٣)].

ثم فسره بقوله: «هي النَّمِيمَةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»، فأطلق عليها العضه؛ لأنها لا تنفك من الكذب والبهتان غالبًا. ذكره القرطبي[(٤)].

وذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير قال: يُفْسدُ النَّمام والكذَّاب في ساعةٍ مَا لا يُفْسِدِ السَّاحرِ في سنةٍ[(٥)].

وقال أبو الخطاب في عيون المسائل: ومن السِّحرِ: السعيِ بالنميمةِ والإفسادِ بين الناسِ[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٦).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٥٤).

(٣) انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري (٢/ ٤٤٣).

(٤) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٥٩٠).

(٥) حكاه ابن مفلح في الفروع وتصحيح الفروع (١٠/ ٢١١).

(٦) انظر: الفروع وتصحيح الفروع (١٠/ ٢١٠)، والإنصاف للمرداوي (١٠/ ٣٥٢)، والإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (٤/ ٣٠٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»)، في هذا الحديث أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأصحابه معلمًا ومبينًا لهم: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ»، يعني: أخبركم، فهذا من باب التعليم على طريقة السؤال والجواب.

«أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟»، يعني: ما هو السحر؟ العضه: هو السحر، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩١]، يعني: سحرًا.

«أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟» قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: «هِيَ النَّمِيمَةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»، والنميمة: هي نقل الحديث بين الناس على وجه الإفساد؛ بأن يذهب للشخص، ويقول: فلان يقول فيك كذا وكذا، ويذمك، ثم يذهب إلى الآخر، ويقول: فلان يقول فيك كذا وكذا؛ ليوقع العداوة بينهما.

وهذا مثل عمل الساحر؛ لأن الساحر يفسد بين الناس، والنمام يفسد بين الناس، إذًا فالنميمة نوع من السحر؛ لأنها تفسد بين الناس كما يفسد السحر.

ولهذا قالوا: (يفسد النمام في ساعة ما يفسده الساحر في سنة)، فإفساد النمام أشد من إفساد الساحر؛ لما يحصل بسبب النميمة من التفريق بين الناس، وإلقاء العداوة بينهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:١٠، ١١]، ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾: يمشي بالنميمة بين الناس؛ ليفسد بينهم.

فيجب الحذر من النمامين؛ لأنهم يفسدون فيما بين الناس، ويوقعون بينهم العداوة، والنميمة من هذا الوجه نوع من السحر، بل هي أشد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير قال: يُفْسدُ النَّمام والكذَّاب في ساعةٍ مَا لا يُفْسِدِ السَّاحرِ في سنةٍ)**، فالنمام أشد إفسادًا في المجتمع وبين المسلمين أشد من الساحر، يفسد النمام في ساعة ما يفسده الساحر في سنة، فالنميمة وخيمة، وهي ذنب عظيم. وحذر الله جَلَّوَعَلَا من النمام: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ [القلم:١٠-١٢]، فدل على عظم إفساد النمام؛ فيجب أن يحذره المسلمون، ويتحاذروه، ولا يقبلوا منه كلامًا أو خبرًا؛ لأنه مفسد في الأرض.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أبو الخطاب)**، أبو الخطاب: من الحنابلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أبو الخطاب في عيون المسائل)**، «عيون المسائل»: اسم كتاب لأبي الخطاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أبو الخطاب في عيون المسائل: ومن السِّحرِ: السعيِ بالنميمةِ والإفسادِ بين الناسِ)**، فالنميمة -إذًا- نوع من السحر؛ لأن النميمة تفسد بين الناس كما يفسد السحر بين الناس، بل ربما تكون النميمة أشد إفسادًا، ولهذا قالوا: يفسد النمام في ساعة ما يفسده الساحر في سنة. ولم تقع الحروب، ولم تقع الفتن إلا بسبب النمامين الذين يسعون بالنميمة بين القبائل، وبين الملوك، وبين الرؤساء.

....

ش: قال في «الفروع»: ووجهه: أنه يقصد الأذى بكلامه وعمله على وجه المكر والحيلة، أشبه السحر، وهذا يعرف بالعرف والعادة أنه يؤثر وينتج ما يعمله السحر، أو أكثر، فَيُعْطَى حكمه تسوية بين المتماثلين أو المتقاربين.

لكن يقال: الساحر إنما يكفر لوصف السحر، وهو أمر خاص، ودليله خاص، وهذا ليس بساحر، وإنما يؤثر عمله ما يؤثره، فيعطى حكمه، وإلا فيما اختص به من الكفر وعدم قبول التوبة. انتهى ملخصًا(١).

وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة. وهو يدل على تحريم النميمة، وهو مجمع عليه.

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة(٢).

وفيه دليل على أنها من الكبائر.

قوله: «الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ». قال أبو السعادات: أي: كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس، ومنه الحديث: «فَفَشَتْ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»(٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال في «الفروع»)، «الفروع»: كتاب لابن مفلح في المذهب، في مذهب الحنابلة.

---

(١) انظر: الفروع (١٠/ ٢١٠- ٢١١).
(٢) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم (ص١٥٦).
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٢٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال في «الفروع»: ووجهه: أنه يقصد الأذى بكلامه وعمله)**، فالنمام يقصد الأذى في كلامه وعمله؛ مثل: الساحر يقصد الإفساد بسحره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا يعرف بالعرف والعادة أنه يؤثر)**، النمام يفسد ويؤثر بين الناس بالإفساد والبغضاء والحقد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وينتج ما يعمله السحر، أو أكثر)**، ينتج: يعني النمام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَيُعْطَى حُكْمَهُ)**؛ لأن «أعطى» ينصب مفعولين: المفعول الأول هو الضمير المستتر، والثاني: «حُكْمَهُ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَيُعْطَى حكمه تسوية بين المتماثلين أو المتقاربين)**، التسوية بين المتماثلين، فالنمام مثل الساحر في الإفساد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لكن يقال: الساحر إنما يكفر لوصف السحر)**، النمام لا يكفر، وإن كانت النميمة نوعًا من السحر، أو هي تشبه السحر، النمام لا يكفر، ولكن النميمة كبيرة من كبائر الذنوب، خلاف الساحر؛ فإنه يكفر، السحر كفر تعلمه وتعليمه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾، يعني: الملكين، ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢]، أي: لا تتعلم السحر، السحر كفر تعلمه وتعليمه.

ولما اتهمت اليهود سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه يسخر العفاريت والشياطين بالسحر، مع أن الله جَلَّ وَعَلَا هو الذي سخر العفاريت لسليمان، ولم يسخرهم سليمان بالسحر؛ لأنه نبي الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فلا يمكن أن يكون النبي ساحرًا -قبحهم الله-، ولهذا قال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [البقرة:١٠٢].

﴿وَمَا كَفَرَ﴾، أي: لم يتعلم السحر، ولم يعلمه، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢]، فالسحر من تعليم الشياطين، لا من تعليم الأنبياء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لكن يقال: الساحر إنما يكفر لوصف السحر، وهو أمر خاص، ودليله خاص)**؛ لأن الساحر يخضع للشيطان، ويستعين بالشياطين، وهذا كفر، خلاف النمام؛ فإنه يفسد ولكنه لا يخضع للشياطين، ويتعاطى علوم الشياطين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا ليس بساحر)**، النمام ليس بساحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا ليس بساحر، وإنما يؤثر عمله ما يؤثره، فيعطى حكمه)**، وإنما يؤثر عمل النمام ما يؤثره السحر، فيعطى حكم الساحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإلا فيما اختص به من الكفر وعدم قبول التوبة)**، الساحر يقتل ولا يستتاب؛ لأنه -وإن أظهر التوبة- فليس بصادق، فيقتل إذا ثبت عليه ذلك، يجب قتله ولا يستتاب؛ لأنه -وإن أظهر التوبة- فإنه لا يصدق في ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة)**، مطابقة الحديث للترجمة التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد؛ أن النميمة نوع من السحر، فتعطى حكمه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو يدل على تحريم النميمة، وهو مجمع عليه)**، يعني: تحريم النميمة مجمع عليه، ليس هناك أحد قال: إن النميمة حلال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن حزم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة)**، قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتفقوا -أي: العلماء- على تحريم النميمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(في غير النصيحة الواجبة)**، إذا كانت الغيبة لها وجه صحيح؛ مثل: المشتكي يذهب إلى الحاكم، ويشتكي من ظلمه، فله ذلك، له أن يشتكي، وأن يصف الشخص الذي يشتكيه بأنه مفسد، بأنه كذا؛ من أجل الوصول إلى حقه.

هذه غيبة: ذكر الخصم عند الحاكم، ذكره بما يكره، لكن لأجل الوصول إلى حقه؛ فيقول: فلان مماطل، فلان كذاب، فمن أجل أن يتوصل إلى حقه لا بأس بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه دليل على أنها من الكبائر)**، يعني: النميمة؛ لأنها إذا كانت نوعًا من السحر، وتعاطي السحر كبيرة من الكبائر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»)**، (الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ): الذين ينقلون الحديث بين الناس؛ قال فلان فيك: كذا، ويذهب للآخر ويقول: قال فلان فيك: كذا؛ من أجل أن يفسد بينهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو السعادات)**، أبو السعادات: هو ابن الأثير الذي يشرح غريب الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنه الحديث: «فَفَشَتْ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»)**، القالة: يعني: كثرة القول.

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»**(١).

ش: «البَيَانِ»: البلاغة والفصاحة.

قَالَ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ: «صَدَقَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ عَلَيْهِ الحَقُّ وَهُوَ أَلْحَنُ بِالحُجَجِ مِنْ صَاحِبِ الحَقِّ، فَيَسْحَرُ الْقَوْمَ بِبَيَانِهِ فَيَذْهَبُ بِالحَقِّ»(٢).

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: تأولته طائفة على الذم؛ لأن السحر مذموم، وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح؛ لأن الله -تعالى- مدح البيان.

قال: وقد قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ لرجل سأله عن حاجة فأحسن المسألة، فأعجبه قوله. قال: هذا -والله- السحر الحلال. انتهى(٣).

والأول أصح، والمراد به البيان الذي فيه تمويه على السامع وتلبيس؛ كما قال بعضهم شعرًا:

فِي زُخْرفِ الْقَوْلِ تَزيينٌ لِبَاطِلِهِ ... وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٦، ٥٧٦٧) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأخرجه مسلم (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠١٢)، والبغوي في شرح السنة (١٢/ ٣٦٥).

(٣) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٥/ ١٧٤).

مَأْخُوذٌ مَنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ(١):

تَقُولُ هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ وَإِنْ تَشَا قُلْتَ ذَا قيءِ الزَّنَابِيرِ
مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»)، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ»، يعني: البلاغة، فالبليغ يأخذ عقول المخاطبين ببلاغته وحسن كلامه، فهو نوع من السحر، لكنه من السحر الحلال، وسُمي سِحْرًا؛ لأنه يؤثر على العقول وعلى المستمعين ببلاغته وحسن منطقه.

«إِنَّ مِنَ البَيَانِ»، أي: البلاغة في القول؛ «لَسِحْرًا»؛ لما يؤثر بين الناس، هذا سحر حلال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ: «صَدَقَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ عَلَيْهِ الحَقُّ وَهُوَ أَلْحَنُ بِالحُجَجِ مِنْ صَاحِبِ الحَقِّ، فَيَسْحَرُ الْقَوْمَ بِبَيَانِهِ فَيَذْهَبُ بِالحَقِّ»)، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا،

---

(١) نظم ابن الرومي، علي بن العباس بن جريج أبي الحسن، الشاعر المشهور، في ديوانه (ص٢٢٦٩)، أبياتًا تشبه هذه الأبيات، فقال:

فِي زُخْرفِ الْقَولِ تَرْجِيحٌ لِقَائِلِهِ وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ بعضُ تَغْيِيرِ
تَقُولُ هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ وإنْ تعِبْ قُلْتَ ذا قَيْءِ الزَّنَابِيرِ
مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا سِحْرُ البَيَانِ يُري الظلماءَ كالنُّورِ

وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص٢٢٥).

بِقَوْلِهِ: **فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا»**(١)؛ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم الغيب، وإنما يبني على الحجج التي يدلي بها الخصوم، ويقضي بين الناس بموجب الحجج، فهو لا يعلم الغيب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال ابن عبد البر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **تأولته طائفة على الذم؛ لأن السحر مذموم**)، «**وَإِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا**»، هل هذا ذم للبيان، وهو بلاغة، أو هو مدح للبلاغة؟

الظاهر أنه من باب المدح للبلاغة؛ أنها تؤثر على السامع، البليغ له تأثير على الناس، ولكنه ليس بساحر، لكن بلاغته في تأثيرها تشبه تأثير السحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح**)، إلى أن قوله: «**وَإِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا**»، أنه من باب المدح، ولهذا يقال: هذا السحر الحلال.

ولما سمع بعضهم -وأظنه عمر بن عبد العزيز- سمع خطيبًا يتكلم، وكان عنده فصاحة وبلاغة، قال: هذا -والله- السحر الحلال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والأول أصح)؛ أنه على الذم، وليس على المدح، «**وَإِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا**»، أنه من باب الذم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والأول أصح، والمراد به البيان الذي فيه تمويه على السامع وتلبيس**)، يعني: ليس كل البيان مذمومًا، بل البيان الذي فيه تمويه، وتلبيس

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٨، ٢٦٨٠، ٦٩٦٧، ٧١٦٨، ٧١٨١، ٧١٨٤)، ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

على السامع، أما البيان الذي ليس فيه تمويه ولا تلبيس على السامع، فإنه مما يمنحه الله لبعض الناس، فيكون منطقه أحسن من منطق الآخر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِي زُخْرفِ الْقَوْلِ تَزيينُ لِبَاطِلِهِ * وَالحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ**

تَقُولُ هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ)، يعني: العسل.

(**تَقُولُ هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ ذَا قيءِ الزَّنَابِيرِ**)، هذا ذم، يعني: الزنابير هي النحل، هذا من باب الذم، فأنت إن شئت أن تمدح العسل تقول: هذا مجاج النحل، وإن شئت أن تذمه تقول: هذا قيء الزنابير؛ لأن العسل من أين يأتي؟ يأتي من النحل؛ ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩]، هذا العسل. فالنحلة تمتص الزهر، ثم تمجه في مكان مخصوص، تمجه وتلفظه فيأخذه الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا**)، وأنت صادق في المدح والذم.

(**مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا**)، قول البليغ يجعل الظلماء كالنور.

....

ش: قوله: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا». هذا من التشبيه البليغ؛ لكون ذلك يعمل عمل السحر، فيجعل الحق في قالب الباطل، والباطل في قالب الحق، فيستميل به قلوب الجهال؛ حتى يُقبل الباطل، وينكر الحق. ونسأل الله الثبات والاستقامة على الهدى.

وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره، ويبطل الباطل ويبينه، فهذا هو الممدوح. وهكذا حال الرسل وأتباعهم، ولهذا علت مراتبهم في الفضائل وعظمت حسناتهم.

وبالجملة فالبيان لا يحمد إلا إذا لم يخرج إلى حد الإسهاب والإطناب، وتغطية الحق، وتحسين الباطل، فإذا خرج إلى هذا، فهو مذموم. وعلى هذا تدل الأحاديث كحديث الباب وحديث: «إِنَّ اللهَ يَبْغَضُ البَلِيغَ مِنْ الرِّجَالِ الذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ بِلِسَانِهَا». رواه الترمذي وأبو داود[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا». هذا من التشبيه البليغ؛ لكون ذلك يعمل عمل السحر، فيجعل الحق في قالب الباطل، والباطل في قالب الحق)، البليغ يستطيع أن يستعمل بلاغته في الإفساد؛ كما يستطيع أن

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٠٥)، والترمذي (٢٨٥٣)، والإمام أحمد في المسند (١١/ ١٠١، ٣٧٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٠٠)، والبزار في مسنده (٦/ ٤٢٢)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٢٠٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٣).

يستعمل بلاغته في الإصلاح -أيضا-، الكلام على استعمال البلاغة، كيف يستعملها؟

البلاغة ليست مذمومة، إنما المذموم استعمالها إذا كان على وجه الإفساد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فيستميل به قلوب الجهال؛ حتى يُقبل الباطل، وينكر الحق)**، إذا اُستعملت البلاغة للباطل، صارت باطلة، وإن اُستعلمت لبيان الحق، فهي محمودة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره، ويبطل الباطل ويبينه، فهذا هو الممدوح)**، هذا هو البيان الممدوح الذي يستعمل لإحقاق الحق ورد الباطل، وأما البيان الذي يستعمل للعكس، فهذا هو المذموم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهكذا حال الرسل وأتباعهم)**، الرسل أعطاهم الله بلاغة وفصاحة عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ ليبينوا للناس، وسيدهم نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفصح الناس وأبلغ الناس صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبالجملة فالبيان لا يحمد إلا إذا لم يخرج إلى حد الإسهاب والإطناب، وتغطية الحق، وتحسين الباطل)**، البيان يمدح ولا يذم إلا إذا استعمل في الإفساد وفي غير الحق فإنه يذم، أما إذا استعمل للحق ولبيان الحق، فإن البيان محمود وممدوح.

الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ① عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ② خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ③ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن:١-٤]، ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾، فهذا من نعم الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وحديث: «**إنَّ اللهَ يَبْغَضُ البَلِيغَ مِنْ الرِّجَالِ الذِي يَتَخَللُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَللُ البَقَرَةُ بِلِسَانِهَا**»)، هذا البيان المذموم الذي يستعمل للإفساد بين الناس، والتأثير على الناس، وقلب الحق باطلًا، والباطل حقًّا.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: أَنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ العِيَافَةِ وَالطَّرْقِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ عِلْمَ النُّجُوْمِ نَوْعٌ مِنَ السِّحْرِ.

الرَّابِعَةُ: العُقَدُ مَعَ النَّفْثِ مِنْ ذَلِكَ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ النَّمِيْمَةَ مِنْ ذَلِكَ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَ الفَصَاحَةِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فِيْهِ مَسَائِلُ)**، يعني: في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الأُوْلَى: أَنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ)**، العيافة: زجر الطير، إذا طارت يتشاءمون بها، إن ذهبت يمينًا أو شمالًا، فإنهم يتشاءمون بطيران الطيور، هذا من التطير المذموم.

والطرق: الذي هو الخط في الأرض والرمل، المفسد يخط في الأرض، ويقول: سيحدث كذا، وسيحصل كذا، أو حصل في محل، هذا الشياطين تملي عليه، يستعمل الخط هذا، ويستعين بالشياطين.

الطيرة: هي التشاؤم، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعجبه الفأل، وينهى عن الطيرة والتطير، يتفاءل بدل أن يتطير، لما ذُكِرت له الطيرة قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَحْسَنُهَا الفَأْلُ**»[١]، أَحْسَنُهَا: أي الطيرة، الفَأْلُ؛ لأن الفأل تأميل للخير،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٤، ٥٧٥٥)، ومسلم (٢٢٢٣): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ**» قَالَ: وَمَا الفَأْلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ**».

والطيرة تأميل للشر، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»(١).

من الجبت: يعني من السحر.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ العِيَافَةِ وَالطَّرْقِ) «إِنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ»**، المسألة التي أخذها الشيخ، ماذا يقول؟

تفسير العيافة والطرق، العيافة: زجر الطير، والطرق: هو الخط الذي يخط في الأرض على وجه الاستعانة بالشياطين.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(الثَّالِثَةُ: أَنَّ عِلْمَ النُّجُوْمِ نَوْعٌ مِنَ السِّحْرِ)**، الذي يتعلم علم النجوم ويستدل بسيرها ومنازلها على المكروه هذا نوع من السحر؛ «**مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُوْمِ؛ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ**»، فالذي يستدل بسير النجوم، ويستدل بمطالعها ومغاربها على المذموم هذا من السحر. وأما الذي يستدل بها على الحساب، الله جعل الشمس والقمر بحسبان؛ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧]، فيهتدي بها المسافرون. وزينة للسماء، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك:٥]، زينة للسماء. والثالثة: أنها ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك:٥]، ينقض منها شهب من النجوم، وتحرق الشيطان الذي يحاول استراق السمع.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(الثَّالِثَةُ: أَنَّ عِلْمَ النُّجُوْمِ نَوْعٌ مِنَ السِّحْرِ)**، إذا استعمله للفساد.

---

(١) أخرجه أحمد (٧/ ٢٥٠)، وأبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: العُقَدُ مَعَ النَّفْثِ مِنْ ذَلِكَ)**، عقد الخيوط؛ ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق:٤]، الساحرات تعقد العقد في الخيوط، وتنفث فيها من ريقها الخبيث، وتستعين بالشيطان، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق:٤]؛ السواحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: أَنَّ النَّمِيْمَةَ مِنْ ذَلِكَ)**، أن النميمة من السحر، من العضه، (أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيْمَةُ)، والعضه: هو السحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةُ: أَنَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْضُ الفَصَاحَةِ)**، الفصاحة إذا استعلمت للباطل، فإنها مذمومة، وإذا استعلمت الفصاحة لبيان الحق، فهي محمودة.

٢٥ - بَابُ مَا جاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنحْوِهِم

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمِ).

الكاهن: هو الذي يأخذ عن مسترق السمع، وكانوا قبل المبعث كثيرًا. وأما بعد المبعث، فإنهم قليل؛ لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب.

وأكثر ما يقع في هذه الأمة: ما يخبر به الجن مواليهم من الإنس عن الأشياء الغائبة بما يقع في الأرض من الأخبار، فيظنه الجاهل كشفًا وكرامة، وقد اغتر بذلك كثير من الناس؛ يظنون ذلك المخبر لهم عن الجن وليًّا لله، وهو من أولياء الشيطان؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمِ)، ما جاء في الكهان ونحوهم ممن يدعون علم الغيب.

والكهان: جمع كاهن، وهو الذي يدعي علم الغيب، وهو يتلقى عن الشياطين، فالشياطين تحاول استراق السمع من السماء، ومن حديث الملائكة، فإذا أخذ كلمة من الحق، أضاف إليها مائة كذبة، فإذا أخبر الناس، صدقوه بسبب الكلمة التي سُمِعَت من السماء، يكذب معها مائة كذبة.

فالكاهن: هو الذي يدعي علم الغيب، ويستخدم الشياطين؛ تخبره بشيء من الغيب الذي تسرقه من كلام الملائكة؛ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٣]، يعني: يأخذ الكلمة التي سُمِعت من السماء، ويضيف إليها مائة كذبة، فيصدقه الناس بسبب الكلمة التي سُمِعت من السماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الكاهن: هو الذي يأخذ عن مسترق السمع)**، عن الشيطان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكانوا قبل المبعث كثيرًا)**، كان الكهان قبل بعثة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرين في الجزيرة العربية وعند القبائل، بل كل قبيلة تتخذ كاهنًا عندها؛ لترجع إليه وتستفتيه، إلى أن جاء الله بالإسلام فأبطل الكهانة، وأحال الناس على الوحي المنزل بدل الكهان، نعمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما بعد المبعث، فإنهم قليل)**، كانوا كثيرين في الجاهلية، وكانت كل قبيلة من قبائل العرب عندها كاهن يرجعون إليه يسألونه، وهؤلاء الكهان يتلقون عن الشياطين الذي يسترقون السمع، فيلقونه إليهم ويكذبون معه كذبًا كثيرًا.

وكانت الشهب في الجاهلية يُرمى بها، لكن لما أراد الله بعثة محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثر الرمي بالشهب؛ لأجل حراسة السماء من الشياطين، كثر الرمي فتعجبه الناس، ما الذي يحدث؟ فكانت بعثة محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب)**، يقولون فيما بينهم -الشياطين-: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾: هذا في الجاهلية، ﴿فَمَن

﴿يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ﴾، يعني: بعد بعثة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن:٩]، فحمى الله السماء منهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأكثر ما يقع في هذه الأمة: ما يخبر به الجن مواليهم من الإنس)**، ما يخبر به الجن: يعني الشياطين، الشياطين هم رؤوس الجن، يخبرون به عملاءهم من الكهان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مواليهم من الإنس)**، وهم الكهان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون ذلك المخبر لهم عن الجن وليًّا لله وهو من أولياء الشيطان)**، وهذا كثير الآن أولياء الشيطان الذين تصدروا الناس، وصاروا يخبرونهم بالمغيبات -بزعمهم-، هذا كثير، إلا من حماه الله بالإسلام، وحماه الله بالقرآن والسنة، فإنه يسلم منهم، وإلا فهم كثيرون الآن في العالم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال -تعالى-: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨])**، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾، يعني: الشياطين.

﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾، أي: أضللتم كثيرًا من الإنس.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾، أي: قال الكهان من الإنس: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: فنحن نخضع للشياطين، وهم يخبروننا بهذه الأشياء.

﴿ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾: فنحن نعظم هؤلاء الشياطين، وهم يفيدونا ويخبروننا بأشياء.

﴿رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٢٨ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٨، ١٢٩]. فالله يسلط الظالمين بعضهم على بعض؛ عقوبة لهم.

وما ظالمٌ إلا سيبلَى بأظلمِ[(١)]. نسأل الله العافية!

---

(١) عجز بيت لم يسم قائله، وصدره: (وما مِن يدٍ إلا يدُ اللهِ فوقَها)، وقد ورد في كثير من الكتب، منها: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي (٧/ ٩٠)، والتبر المسبوك في نصيحة الملوك للغزالي (ص٦٣).

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِه عَنْ بعْضِ أزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»[١].

ش: قوله: «عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ»، هي حفصة، ذكره أبو مسعود الدمشقي؛ لأنه ذكر هذا الحديث في الأطراف في مسندها[٢].

قوله: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا» سيأتي بيان العراف إن شاء الله تعالى.

وظاهر هذا الحديث أن الوعيد مرتب على مجيئه وسؤاله، سواء صدقه أو شك في خبره؛ فإن في بعض روايات الصحيح: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[٣].

قوله: «لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ» إذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسؤول؟!

قال النووي وغيره: معناه أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه. ولابد من هذا التأويل في هذا الحديث؛ فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلاة أربعين ليلة. اهـ. ملخصًا[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣٠) من طريق نافع عن صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي عن النبي ﷺ، وليس فيه: «فَصَدَّقَهُ».
(٢) انظر: الجمع بين الصحيحين للحميدي (٤/ ٢٤٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣٠).
(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ٢٢٧).

وفي الحديث النهي عن إتيان الكاهن ونحوه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره أن يقيم من يتعاطى شيئًا من ذلك من الأسواق، وينكر عليهم أشد النكير، وعلى من يجيء إليهم، ولا يغتر بصدقهم في بعض الأمور، ولا بكثرة من يجيء إليهم ممن ينتسب إلى العلم، فإنهم غير راسخين في العلم، بل من الجهال بما في إتيانهم من المحذور[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»)، «لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»، هذا في صحيح مسلم، وأما في السنن: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، هي حفصة)، حفصة بنت عمر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال النووي وغيره: معناه أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه)؛ لأنه صلى، ولا يؤمر بالإعادة، لكن ليس له فيها ثواب، صلاته لا ثواب فيها.

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ٦٣٣)، وفتح الباري (١٠/ ٢٢١).

(٢) أخرجه بنحوه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولابد من هذا التأويل في هذا الحديث؛ فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلاة أربعين ليلة)**، ولذلك لا يؤمر بإعادة الصلاة، صلى لكن ليس له فيها ثواب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الحديث النهي عن إتيان الكاهن ونحوه)**، في الحديث: النهي عن إتيان الكهان ونحو الكهان ممن يدعون الغيب، فلا يجوز الذهاب إليهم ولا سؤالهم، ولا يجوز إبقاؤهم في المجتمع، بل يجب القضاء عليهم؛ لأنهم يفسدون الناس، ويعارضون الوحي المنزل، الكهان خبثاء لايجوز التساهل معهم أو استعمالهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره أن يقيم من يتعاطى شيئًا من ذلك من الأسواق)**، يجب على المحتسبين -وهم رجال الهيئة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر- أن يطردوهم من الأسواق، فلا يتركوهم في الأسواق، ويسألهم الناس؛ لأنهم مفسدون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا بكثرة من يجيء إليهم ممن ينتسب إلى العلم)**، لا عبرة بمن يأتي إليهم، وإن كان من أهل العلم؛ فإنهم من علماء الضلال، العلماء فيهم أهل ضلال، الذين يذهبون إلى الكهان وهم علماء هؤلاء علماء ضلال -والعياذ بالله!

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ[(١)].

ش: قال: (**وَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عَنْ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ**).

وفي رواية أبي داود: **«أَوْ أَتَى امْرَأَةً». قَالَ مُسَدَّدٌ: «امْرَأَتَهُ حَائِضًا أَوْ أَتَى امْرَأَةً»، قَالَ مُسَدَّدٌ: «امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا، فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ».**

فناقل هذا الحديث من السنن حذف منه هذه الجملة، واقتصر على ما يناسب الترجمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»**)، في هذا الحديث الشريف: الوعيد الشديد على من أتى كاهنًا.

والكاهن: هو الذي يدعي علم الغيب، الذي لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن ادعى علم الغيب، فهو كافر؛ لأنه يزعم أنه يشارك الله عَزَّوَجَلَّ في علم الغيب الذي لا يعلمه إلا هو؛ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]. فلا يعلم الغيب إلا الله.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩).

والغيب: ما غاب عن الناس من الأمور الماضية والأمور المستقبلة، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن:٢٤، ٢٥]، فإن الرسول قد يطلعه الله على شيء من الغيب؛ من باب المعجزة له، ولأجل أن ينفع الناس بذلك؛ يأمرهم وينهاهم.

وما عدا الرسل فإن أحدًا لا يعلم شيئًا من الغيب، والكهان يدعون أنهم يعلمون الغيب.

السبب في ذلك: أن الشياطين تسترق السمع من كلام الملائكة في العنان -يعني: في الجو-، يسترقون الكلمة الواحدة من كلام الملائكة، فيلقونها إلى الكهان، فيكذب الكهان معها مائة كذبة، ويصدق هذا الكذب كله بسبب كلمة واحدة سُمِعت من السماء؛ ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٣]، أكثرهم يكذب مع الكلمة التي سُمِعت من السماء مائة كذبة، فيصدقه الناس في هذا الكذب الكثير بسبب هذه الكلمة التي سُمِعت من السماء.

وكان الكهان لهم رواج في الجاهلية، كل قبيلة تتخذ كاهنًا يخبرها ويسألونه، يكون مرجعًا لهم، فلما أن جاء الإسلام، أرسل الله رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحق، حُرِست السماء بالشهب؛ ولهذا قالت الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا﴾، أي: من السماء، ﴿نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا﴾ [الجن:٩].

فلما كان قبيل البعثة، كثر الرمي بالشهب في السماء، تعجب الناس من هذه الظاهرة، وإذا هي لأجل بعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُرِست السماء من الشياطين.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(وفي رواية أبي داود: «أَوْ أَتَى امْرَأَةً»)، «أَوْ أَتَى امْـرَأَةً فِي دُبُرِهَا».**

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(قَالَ مُسَدَّد)**، مسدد بن مسرهد: من الأئمة الحفاظ.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(قَالَ مُسَدَّدٌ: «امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»)، «مَنْ أَتَى امْرَأَةً حَائِضًا».**

وفي رواية: **«مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ»**: زوجته، **«مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»**، وهذا وعيد شديد؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣]، والحرث: إنما هو في القبل؛ لأنه محل الذرية والإنجاب، أما الإتيان في الدبر، فإنه فساد ووسخ، ولا يحصل به إنجاب، ولا وجود ذرية.

وَلِلأَرْبَعَةِ وَالحَاكِمِ -وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا- عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»[(١)].

وَلأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا[(٢)].

ش: هكذا بيض المصنف لاسم الراوي.

وقد رواه أحمد والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعًا.

قوله: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا»، قال بعضهم: لا تعارض بين هذا وحديث: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»، هذا على قول من يقول: هو كفر دون كفر، أما على قول من يقول بظاهر الحديث، فيسأل عن وجه الجمع بين الحديثين.

وظاهر الحديث: أنه يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان. وكان غالب الكهان قبل النبوة إنما كانوا يأخذون عن الشياطين.

قوله: «فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». قال القرطبي: المراد بالمنزل: الكتاب والسنة. اهـ[(٣)].

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في المسند (١٥/ ٣٣١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩) وصححه، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه بنحوه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، والنسائي في الكبرى (٨/ ٢٠١). قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢١٧): (وله شاهد من حديث جابر وعمران بن حصين، أخرجهما البزار بسندين جيدين).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٩/ ٢٨٠).

(٣) لم أقف عليه عند القرطبي، ولكن وقفت عليه عند الطيبي في شرح المشكاة (٣/ ٨٥٧)،=

وهل الكفر في هذا الموضع كفر دون كفر، فلا ينقل عن الملة، أم يتوقف فيه، فلا يقال: يخرج عن الملة ولا ما يخرج؟ وهذا أشهر الروايتين عن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (وَلأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيْدٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا).

أبو يعلى: اسمه أحمد بن علي بن المثنى الموصلي الإمام صاحب التصانيف كالمسند وغيره، روى عن يحيى بن معين وأبي خيثمة وأبي بكر بن أبي شيبة وخلق، وكان من الأئمة الحفاظ، مات سنة سبع وثلاثمائة[(١)].

وهذا الأثر رواه البزار -أيضًا-، ولفظه: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ سَاحِرًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»[(٢)].

وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر؛ لأنهما يَّدعيانِ علم الغيب، وذلك كفر، والمصدق لهما يعتقد ذلك، ويرضى به، وذلك كفر أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُوْلُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»)، العراف والكاهن سواء، هو الذي يدعي شيئًا من علم الغيب.

= ونقله عنه السيوطي في قوت المغتذي على جامع الترمذي (١/ ٩٠)، وقد نقله الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد عن الطيبي (ص٣٥٠)، ويبدو أنه قد حدث تصحيف في نسخة فتح المجيد التي بين أيدينا.

(١) انظر في ترجمته: تاريخ الإسلام (٧/ ١١٢)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ١٧٤)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول (١/ ١٧٩)، والأعلام للزركلي (١/ ١٧١).

(٢) أخرجه البزار (٥/ ٢٥٦، ٣١٥).

فمن جاءه وسأله عن شيء من الغيب، فقد كفر بما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا وعيد شديد يفيد تحريم إتيان الكهان وسؤالهم وتصديقهم.

ولو أتاهم وسألهم ولم يصدقهم، فإنه آثم؛ كما في صحيح مسلم: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةُ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا**»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**هكذا بيض المصنف لاسم الراوي**)، المصنف: هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مصنف كتاب التوحيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**أما على قول من يقول بظاهر الحديث، فيسأل عن وجه الجمع بين الحديثين**)، ظاهر الحديث أنه يطلق مطلقًا، ولكن الرواية الثانية: أنه لا تقبل له صلاة أربعين يومًا؛ عقوبة له ولا يكفر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان**)، «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَسَأَلَهُ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا**»، صدقه أو لم يصدقه، أما إذا صدقه، «**فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وكان غالب الكهان قبل النبوة إنما كانوا يأخذون عن الشياطين**)، ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء:٢٢١، ٢٢٢]، وهؤلاء هم الكهان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله: «فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». **قال القرطبي: المراد بالمنزل: الكتاب والسنة**)، المنزل: يشمل القرآن، ويشمل

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٠٠).

السنة؛ لأن السنة منزلة من عند الله، وهي الوحي الثاني. قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ** ﴾، يعني: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ [النجم:٣، ٤].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهل الكفر في هذا الموضع كفر دون كفر، فلا ينقل عن الملة، أم يتوقف فيه، فلا يقال: يخرج عن الملة ولا ما يخرج؟)**، وهذا الشأن في أحاديث الوعيد، فأحاديث الوعيد لا تُفسر، وإنما تمر كما جاءت، هذا الموقف الصحيح منها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهذا أشهر الروايتين عن أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ**)**؛ أن أحاديث الوعيد يتوقف فيها ولا تفسر؛ ليكون الزجر بها أبلغ، أما إذا فُسِّرت تهاون الناس بها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَلأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيْدٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا)**، أبو يعلى الموصلي صاحب المسند.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(روى عن يحيى بن معين وأبي خيثمة وأبي بكر بن أبي شيبة وخلق، وكان من الأئمة الحفاظ)**، ومسنده مطبوع.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولفظه: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ سَاحِرًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»، وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر)**؛ لأنه إذا كان من أتاه يكفر، فكفر الكاهن والساحر من باب أولى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر؛ لأنهما يَّدعيانِ علم الغيب، وذلك كفر)**؛ لأن الكاهن والساحر يدعيان علم الغيب، الساحر لا ينفذ سحره ولا يسري إلا إذا استعان بالشياطين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمصدق لهما يعتقد ذلك، ويرضى به، وذلك كفر أيضًا)**؛ لأن الواجب تكذيب الكهان والسحرة.

وَعَنْ عِمْرَانَ بنِ حُصَينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». رَوَاهُ البَزارُ بِإسْنَادٍ جَيْدٍ[(١)].

وَرَوَاهُ الطَّبَراني فِي الأَوْسطِ بِإسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دُونَ قَوْلِهِ: «وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا....» إِلَى آخِرِهِ[(٢)].

ش: قوله: «لَيْسَ مِنَّا»: فيه وعيد شديد يدل على أن هذه الأمور من الكبائر، وتقدم أن الكهانة والسحر كفر.

قوله: «مَنْ تَطَيَّرَ»، أي: فعل الطيرة، «أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ»، أي: قبل قول المتطير له، وتابعه.

وكذا معنى «أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ»؛ كالذي يأتي الكاهن، ويصدقه ويتابعه، وكذلك من عمل الساحر له السحر.

فكل من تلقى هذه الأمور عمن تعاطاها، فقد برئ منه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكونها إما شركًا كالطيرة، أو كفرًا كالكهانة والسحر، فمن رضي بذلك، وتابع، فهو كالفاعل؛ لقبوله الباطل واتباعه.

قوله: (رَوَاهُ البَزارُ): هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، أبو بكر البزار البصري، صاحب المسند الكبير. وروى عن ابن بشار وابن المثنى وخلق،

---

(١) أخرجه البزار (٩/ ٥٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ٣٠٢).

مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَعَنْ عِمْرَانَ بنِ حُصَينٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **»)**، **«لَيْسَ مِنَّا»**: هذا تبري من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تبرأ منه الرسول، وهذا وعيد شديد عن إتيان الكهان والسحرة والذهاب إليهم والعلاج عندهم، وظاهره أنه يكفر الكفر الأكبر.

قوله: (وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، فلا يجتمع تصديق القرآن وتصديق الكهان، لا يجتمعان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «لَيْسَ مِنَّا»: فيه وعيد شديد يدل على أن هذه الأمور من الكبائر)**، هذا أقل درجاتها أنها من الكبائر، وإلا ظاهره أنه يخرج من الملة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتقدم أن الكهانة والسحر كفر)**، الكهانة كفر؛ لأنها ادعاء لعلم الغيب.

والسحر كفر؛ لأنه لا ينفذ السحر إلا إذا استعان الساحر بالشياطين، فالسحرة يستمدون من الشياطين لنفوذ سحرهم، ويستعينون بهم.

---

(١) انظر في ترجمته: تاريخ الإسلام (٦/ ٨٨٦)، وإكمال تهذيب الكمال (١/ ٩٤)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول (١/ ١٨٩)، والأعلام للزركلي (١/ ١٨٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «مَنْ تَطَيَّرَ». أي: فعل الطيرة)**، الطيرة: هي التشاؤم بالطيور، وكانوا في الجاهلية يتشاءمون بالطيور في حال طيرانها، شكل طيرانها، اتجاهاتها، فيتشاءمون بها، فذلك سميت الطيرة، وهذا كفر -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(«أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ»، أي: قبل قول المتطير له وتابعه)**، «**أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ**»؛ سأل السحرة والكهان أن يتطيروا له، وأن يخبروه عما يريده، ويصدقهم.

لا يجوز التعامل مع هؤلاء، ولا الذهاب إليهم، ولا يجوز تركهم في المجتمع، بل يجب إبعادهم عن المجتمع أو إبادتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكل من تلقى هذه الأمور عمن تعاطاها فقد برئ منه رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، «**لَيْسَ مِنَّا**»: هذه براءة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: (رَوَاهُ الْبَزَارُ): هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، أبو بكر البزار البصري، صاحب المسند الكبير)**، هذه ترجمة البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قَالَ البَغَوِي: (العَرَّافُ: الذي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُ بِهَا عَلَى المَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ)[1].

وَقِيلَ: (هُوَ الكَاهِنُ، وَالكَاهِنُ: هُوَ الذي يُخْبِرُ عَنْ المُغَيَّبَاتِ فِي المُسْتَقبلِ، وَقِيلَ: الذي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ).

وَقَالَ أبُو العَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (العَرَّافُ اسْمٌ للكَاهِنِ، وَالمُنَجِّمِ، وَالرَّمَّالِ، وَنَحْوِهِمْ، مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الأُمُورِ بِهَذِهِ الطُرُقِ)[2].

ش: قوله: (قَالَ البَغَوِي....) إلى آخره البَغَوِي -بفتحتين-: هو الحسين ابن مسعود الفراء الشافعي، صاحب التصانيف، وعالم أهل خراسان، كان ثقة، فقيهًا زاهدًا، مات في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة[3].

قوله: (العَرَّافُ: الذي يدعى معرفة الأمور)، ظاهره أن العرَّاف هو الذي يخبر عن الوقائع: كالسرقة، وسارقها، والضالة، ومكانها.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنَّ العَرَّافُ اسْمٌ للكَاهِنِ، وَالمُنَجِّمِ، وَالرَّمَّالِ، وَنَحْوِهِمْ)؛ كالحازر الذي يدعي علم الغيب، أو يدعي الكشف.

وقال -أيضًا-: والمنجم يدخل في اسم العراف، وعند بعضهم هو في معناه[4].

---

(١) انظر: شرح السنة (١٢/ ١٨٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٧٣).

(٣) انظر في ترجمته: تاريخ الإسلام (١١/ ٢٥٠)، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٣٩)، وطبقات الشافعية الكبرى (٧/ ٧٥)، والأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٩).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٣).

وقال أيضًا: والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره من العلماء، وحُكِيَ ذلك عن العرب. وعند آخرين هو من جنس الكاهن، وأسوأ حالًا منه، فيلحق به من جهة المعنى(١).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العرَّاف: طرف من السحر، والساحر أخبث(٢).

وقال أبو السعادات: العراف: المنجم، والحازر: الذي يدعي علم الغيب، وقد استأثر الله تعالى به(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من اشتهر بإحسان الزجر عندهم سموه عائفًا وعرافًا(٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ البَغَوِي)، البغوي: هو الحسين البغوي من كبار الأئمة، وله تفسير جيد، تفسير البغوي، وهو مرجع من مراجع التفسير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العَرَّافُ: الذي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُ بِهَا عَلَى المَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ)، هذا العراف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقِيلَ: هُوَ الكَاهِنُ، وَالكَاهِنُ: هُوَ الذي يُخْبِرُ عَنْ المُغَيَّبَاتِ فِي المُسْتَقبلِ)؛ لأنه يستعين بالشياطين؛ لأن الشياطين يطلعونه على ما لا يطلع

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٣- ١٩٤).
(٢) انظر: المغني لابن قدامة (١٢/ ٣٠٥)، والكافي في فقه الإمام أحمد (٤/ ٦٥).
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢١٨).
(٤) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٢٩).

عليه الإنس؛ لأنهم يطيرون ويذهبون بعيدًا، يتلقون الأخبار المغيبة، فهم بهذه المثابة من الكفر والشرك والبعد عن الله ودين الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **العَرَّافُ اسْمٌ لِلْكَاهِنِ، وَالْمُنَجِّمِ، وَالرَّمَّالِ، وَنَحْوِهِمْ، مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ**)، كلمة العراف تشمل الساحر، وتشمل الكاهن، وتشمل المنجم، كل من يدعي شيئًا من علم الغيب يطلق عليه أنه عرَّاف.

وكان العرافون لهم رواج في الجاهلية عند القبائل؛ يسألونهم ويستفتونهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**البَغَوي -بفتحتين-: هو الحسين ابن مسعود الفراء الشافعي، صاحب التصانيف، وعالم أهل خراسان، كان ثقة، فقيهًا زاهدًا**)، من كبار أئمة أهل السنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: العَرَّافُ: الذي يدعى معرفة الأمور، ظاهره أن العرَّاف هو الذي يخبر عن الوقائع: كالسرقة، وسارقها، والضالة، ومكانها**)، إذا ضيعوا شيئًا من أموالهم، أو سُرِقَ لهم شيء، فإنهم يذهبون إلى العرَّاف، فيخبرهم عن مكان الضالة ومكان المسروق؛ لأنه يستعين بالشياطين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **إِنَّ العَرَّافُ اسْمٌ لِلْكَاهِنِ، وَالْمُنَجِّمِ، وَالرَّمَّالِ، وَنَحْوِهِم**)، كل من يدعي شيئًا من علم الغيب يقال له: العرَّاف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أيضًا: والمنجم يدخل في اسم العراف، وعند بعضهم هو في معناه)**، المنجم: هو الذي يستدل بأحوال النجوم ومساراتها، والاستدلال بالأحوال الفلكية.

التنجيم: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **العرَّاف: طرف من السحر، والساحر أخبث)**، لأنه يعمل مثل عمل الساحر، فهو شبيه بالساحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أبو السعادات)**، أبو السعادات: ابن الأثير صاحب غريب الحديث.

(١) سبق عزوه (ص١٦٩).

....

ش: والمقصود من هذا: معرفة من يدعي معرفة علم شيء من المغيبات، فهو إما داخل في اسم الكاهن، وإما مشارك له في المعنى، فيلحق به؛ وذلك أن إصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف.

ومنه ما هو من الشياطين، ويكون بالفأل، والزجر، والطيرة، والضرب بالحصى، والخط في الأرض، والتنجيم، والكهانة، والسحر، ونحو هذا من علوم الجاهلية.

ونعني بالجاهلية: كل من ليس من أتباع الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**؛ كالفلاسفة، والكهان، والمنجمين، وجاهلية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ فإن هذه علوم القوم ليس لهم علم بما جاءت به الرسل** عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وكل هذه الأمور يسمى صاحبها كاهنًا، أو عرافًا، أو في معناهما، فمن أتاهم، فصدقهم بما يقولون، لحقه الوعيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومنه ما هو من الشياطين، ويكون بالفأل، والزجر، والطيرة، والضرب بالحصى، والخط في الأرض، والتنجيم، والكهانة، والسحر، ونحو هذا من علوم الجاهلية)**، كل هذه من علوم الجاهلية، ويتوصلون بها إلى معرفة شيء من المغيبات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونعني بالجاهلية: كل من ليس من أتباع الرسل** عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ**)**، الجاهلية: كل من لم يتبع الرسل كالمشركين والكفار والفلاسفة الذين لايدينون بدين، وهم في كل وقت، ليست خاصة بالجاهلية التي قبل بعثة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل الجاهلية مستمرة مع الناس إلى أن تقوم الساعة، خصال الجاهلية موجودة، تكون في بعض الناس، ولهذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر -لما عيَّر واحدًا بأمه-: «**أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟! إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»(١)؛ لأن الجاهلية هي التي تعيرَّ الناس بأنسابهم.

وكل ما نُسِبَ إلى الجاهلية، فإنه محرم ومذموم؛ مثل: ظن الجاهلية؛ ﴿**يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ**﴾ [آل عمران:١٥٤]، ﴿**حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ**﴾ [الفتح:٢٦]، فكل ما نُسِبَ إلى الجاهلية فإنه محرم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونعني بالجاهلية: كل من ليس من أتباع الرسل** عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ**؛ كالفلاسفة، والكهان، والمنجمين، وجاهلية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، فكل ما نُسِبَ إلى الجاهلية، فإنه محرم ومذموم، ﴿**أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ**﴾ [المائدة:٥٠]، ﴿**ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ**﴾ [آل عمران:١٥٤]، ﴿**حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ**﴾ [الفتح:٢٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن هذه علوم القوم ليس لهم علم بما جاءت به الرسل** عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ**)**، إنما كانوا يأخذون هذه الأمور عن الشياطين، فهم مرجعهم ومردهم، أما أهل الإيمان، فيأخذون دينهم ويأخذون -أيضًا- أمورهم عن الرسل عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ من الوحي المنزل عن الله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠، ٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١)، من حديث المعرور بن سويد.

فهناك فرق بين الفلاسفة وبين المسلمين في كل زمان؛ هؤلاء مرجعهم الشياطين، والمسلمون مرجعهم الرسل عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكل هذه الأمور يسمى صاحبها كاهنًا، أو عرافًا، أو في معناهما، فمن أتاهم، فصدقهم بما يقولون، لحقه الوعيد)**، لا يجوز الذهاب إليهم، سواء صدقهم أو لم يصدقهم، ولكن إذا صدقهم، فالأمر أشد.

....

ش: وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوام، فادعوا بها علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، وادعوا أنهم أولياء، وأن ذلك كرامة.

ولا ريب أن من ادعى الولاية، واستدل بإخباره ببعض المغيبات، فهو من أولياء الشيطان، لا من أولياء الرحمن؛ إذ الكرامة أمر يجريه الله على يد عبده المؤمن التقي، إما بدعاء، أو أعمال صالحة، لا صنع للولي فيها، ولا قدرة له عليها. بخلاف من يدعى أنه ولي لله، ويقول للناس: اعلموا أني أعلم المغيبات، فإن هذه الأمور قد تحصل بما ذكرنا من الأسباب، وإن كانت أسبابًا محرمة كاذبة في الغالب. ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصف الكهان: «فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ»(١)، فبين أنهم يصدقون مرة، ويكذبون مائة. وهكذا حال من سلك سبيل الكهان ممن يدعى الولاية والعلم بما في ضمائر الناس، مع أن نفس دعواه دليل على كذبه؛ لأن في دعواه الولاية تزكية النفس المنهي عنها بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم:٣٢]، وليس هذا من شأن الأولياء، بل شأنهم الإزراء على نفوسهم وعيبهم لها، وخوفهم من ربهم. فكيف يأتون الناس، ويقولون: اعرفوا أننا أولياء، وأنا نعلم الغيب؟ وفي ضمن ذلك طلب المنزلة في قلوب الخلق واقتناص الدنيا بهذه الأمور.

وحسبك بحال الصحابة والتابعين وهم سادات الأولياء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أفكان عندهم من هذه الدعاوى والشطحات شيء؟ لا -والله-، بل كان

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢١٠، ٣٢٨٨، ٥٧٦٢، ٦٢١٣، ٧٥٦١)، ومسلم (٢٢٢٨).

أحدهم لايملك نفسه من البكاء إذا قرأ القرآن؛ كالصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُسْمع نَشيجه من وراءِ الصفوفِ يبكي في صلاته[٢]، وكان يمر بالآية في ورده من الليل، فيمرض منها ليالي يعودونه[٣]، وكان تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتقلب في فراشه، ولا يستطيع النوم إلا قليلًا؛ خوفًا من النار، ثم يقوم إلى صلاته[٤].

ويكفيك في صفات الأولياء ما ذكره الله -تعالى- في صفاتهم في سورة الرعد، والمؤمنين، والفرقان، والذاريات، والطور.

فالمتصفون بتلك الصفات هم الأولياء الأصفياء، لا أهل الدعوى والكذب، ومنازعة رب العالمين فيما اختص به -من الكبرياء، والعظمة، وعلم الغيب-، بل مجرد دعواه علم الغيب كفر، فكيف يكون المدعي لذلك وليًّا لله؟!

وقد عظم الضرر، واشتد الخطب بهؤلاء المغترين الذين ورثوا هذه العلوم عن المشركين، ولبسوا بها على خفافيش القلوب، نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة!

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧١٦)، ومسلم (٤١٨).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري معلقًا (٢/ ٢٠٦ فتح)، وابن أبي شيبة (١/ ٣١٢، ٧/ ٣٢٤).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٩٥).

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٣١)، وابن أبي شيبة (٢/ ٢٢٤)، وأبو داود في الزهد (١/ ٣٢٧)، والطبراني في الكبير (٢/ ٥٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوام، فادعوا بها علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، وادعوا أنهم أولياء، وأن ذلك كرامة)**، يدعون أن هذا كرامة لهم، وهذا ليس كرامة، هذا خارق شيطاني، الكرامة: هي التي تجري على يد رجل صالح.

الخارق للعادة إن جرى على يد عبدٍ صالح، فهو كرامة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإن جرى على يد عبدٍ فاجر، فهو خارق شيطاني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا ريب أن من ادعى الْوَلَايَة، واستدل بإخباره ببعض المغيبات، فهو من أولياء الشيطان، لا من أولياء الرحمن)**، الْوَلَايَةُ -ليست بالْوِلَايَة-، الْوِلَايَةُ: هي الإمارة، أما الْوَلَايَة فهي من الولاء، وهو القرب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:٢٥٧].

فهناك ناس من هذا النوع أفسدوا الناس، يرجع إليهم الناس، ويصدقونهم إلى الآن، بل الآن هم أكثر من ذي قبل، يسمونهم الأولياء، وهم أولياء الشيطان، ليسوا من أولياء الرحمن.

عندكم كتاب لابن تيمية اسمه: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، فيه علوم عظيمة في هذا الموضوع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إذ الكرامة أمر يجريه الله على يد عبده المؤمن التقي، إما بدعاء، أو أعمال صالحة)**، يجري الله الكرامة على يد العبد الصالح؛ إما لحاجة يحتاجها هو أو غيره، وإما لإظهار الحق. وليس الولي هو الذي يحدث الكرامة، وإنما الله هو الذي يجريها على يده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بخلاف من يدعي أنه ولي لله، ويقول للناس: اعلموا أني أعلم المغيبات**)، الذي يدعي أنه يعلم المغيبات هذا ولي للشيطان وليس وليًّا لله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولهذا قال** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في وصف الكهان: «فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ»**)، الشياطين يسترقون السمع، فيسمعون الكلمة من كلام الملائكة، فيلقيها الشيطان إلى الكاهن من الإنس.

الكاهن يكذب معها مائة كذبة، تصدق كل هذه المائة كذبة بسبب هذه الكلمة التي سُمِعت من السماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فبين أنهم يصدقون مرة، ويكذبون مائة**)، مائة كذبة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لأن في دعواه الولاية تزكية النفس المنهي عنها**)، الذي يدعي الولاية، يقول: أنا ولي لله، هذه تزكية للنفس، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿**فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ**﴾ [النجم:٣٢]، فالإنسان لا يمدح نفسه، ويزكي نفسه، نعم، يزكيها بالطاعة، ﴿**قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾ [الشمس:٩، ١٠]، ﴿**زَكَّىٰهَا**﴾، يعني: بالطاعة، ولم يزكها بادعاء الولاية والكرامة وما أشبه ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾** [النجم:٣٢]، **وليس هذا من شأن الأولياء**)، الأولياء لا يزكون أنفسهم، بل يتواضعون، ويخافون أنهم مذنبون، وأنهم مفرطون، يشتد خوفهم من الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل شأنهم الإزراء على نفوسهم وعيبهم لها، وخوفهم من ربهم)**، هؤلاء أولياء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولهذا قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، ثم بينهم من هم؟ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣]، هؤلاء هم أولياء الله، لا من ادعى لنفسه أنه ولي لله، وهو ليس كذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكيف يأتون الناس، ويقولون: اعرفوا أننا أولياء، وأنا نعلم الغيب؟!)**، وهؤلاء هم أضل الناس، أولياء الشيطان أضل الناس، ولهذا اغتر بهم كثير من الناس، وبنوا على قبورهم أضرحة، يقولون: هؤلاء أولياء. بنوا على قبورهم مساجد، ويقولون: هؤلاء أولياء. وهم أولياء للشيطان، وليسوا أولياء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحسبك بحال الصحابة والتابعين وهم سادات الأولياء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ**)**، الصحابة سادات الأولياء، فأكبر الأولياء صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يدعوا علم الغيب، ولم يطلبوا من الناس أنهم يقبلون لهم، وأنهم يبنون على قبورهم مشاهد -رضي الله عنهم وأرضاهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أفكان عندهم من هذه الدعاوى والشطحات شيء؟)**، لا -والله-، ليس عندهم من هذه الدعاوي شيء، بل كانوا يلومون أنفسهم، وينكسرون أمام ربهم ويتواضعون، ويخافون من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كان أحدهم لا يملك نفسه من البكاء إذا قرأ القرآن؛ كالصديق** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**)**، الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يصلي بالناس ولا يستطيع أن يقرأ من البكاء، كان إذا قرأ بكى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكان تميم الداري** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **يتقلب في فراشه، ولا يستطيع النوم إلا قليلًا؛ خوفًا من النار، ثم يقوم إلى صلاته)**، هؤلاء الصحابة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويكفيك في صفات الأولياء ما ذكره الله تعالى في صفاتهم في سورة الرعد، والمؤمنين، والفرقان، والذاريات، والطور)**، ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١، ٢]، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:٩-١١]. هذه صفاتهم ذكرها الله في سورة المؤمنون.

وفي سورة المعارج: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج:٢٣]، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لا أهل الدعوى، والكذب، ومنازعة رب العالمين فيما اختص به -من الكبرياء، والعظمة، وعلم الغيب)**، نعم، هؤلاء أولياء، ولكنهم أولياء للشيطان، لا للرحمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد عظم الضرر، واشتد الخطب بهؤلاء المغترين الذين ورثوا هذه العلوم عن المشركين)**، الذين يدعون الولاية، ويصدقهم الناس، وإذا ماتوا بنوا على قبورهم مساجد وأضرحة، فهلك الناس بسببهم، صاروا من دعاة الكفر والضلال.

الولي لله عَزَّوَجَلَّ يتواضع ولا يزكي نفسه، وينكسر أمام ربه، ولا يشهر نفسه، ولا يعرف بين الناس، ولا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولبسوا بها على خفافيش القلوب)**، في كثير من الأمصار مبني على القبور مساجد، ويقولون: هذه على قبور الأولياء والصالحين، مبني عليها مساجد وتزار، ويحصل عندها الشرك الأكبر، ودعاء هؤلاء الأولياء كل هذا بسبب شياطين الإنس والجن، وإلا فأولياء الله يتبرؤون من هذا.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاس فِي قَوْم يَكْتُبُونَ (أَبَا جَاد)، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُوم، قَالَ: «مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللَّه مِنْ خَلَاقٍ»[(١)].

ش: قوله: «وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ (أَبَا جَادٍ)،... إلى آخره)، هذا الأثر رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعًا، وإسناده ضعيف، ولفظه: «رُبَّ مُعَلِّمِ حُرُوفِ أَبِي جَادٍ، دَارِسٍ فِي النُّجُومِ، لَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ خَلَاقٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٢)].

ورواه حميد بن زنجويه عنه بلفظ: «رُبَّ نَاظِرٍ فِي النُّجُومِ، وَمُتَعَلِّمٍ حُرُوفَ أَبِي جَادٍ، لَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ خَلَاقٌ».

قوله: «مَا أُرَى» يجوز فتح الهمزة بمعنى: لا أعلم. ويجوز ضمها بمعنى: لا أظن، وكتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدعي بها علم الغيب هو الذي يسمى علم الحرف، وهو الذي جاء فيه الوعيد، فأما تعلمها للتهجي وحساب الجمل، فلا بأس به.

قوله: «وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ»، أي: ويعتقدون أن لها تأثيرًا -كما سيأتي في باب التنجيم.

وفيه من الفوائد: عدم الاغترار بما يؤتاه أهل الباطل من معارفهم وعلومهم؛ كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [غافر:٨٣].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٦)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٣٩) وشعب الإيمان (٧/ ١٦٨)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٤٠).

(٢) أخرجه الطبراني (١١/ ٤١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ «أَبَا جَادٍ»**)، (أَبَا جَادٍ): حروف الجمل، وهذه إن كانت تستعمل لمعرفة جمل ألف، جملة باء، جملة جيم، هذا لا بأس به، وأما إن كانت تستعمل لادعاء الغيب، فهي حرام.

يَكْتُبُونَ (أَبَا جَادٍ)، يعني: (أَبْجَدْ، هَوّزْ، حُطِّيْ، كَلمنْ)، المعروفة، هذه تستعمل للجمل؛ فقرة جيم، فقرة باء، فقرة دال، وهكذا، لا أقل ولا أكثر، لا تستعمل لادعاء علم الغيب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ «أَبَا جَادٍ»، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ**)، لاحظ! يكتبون (أبا جاد)، لا يقتصرون على كتابة (أبا جاد)، كتابة (أبا جاد) لا بأس، لكن ينظرون في النجوم، عند كتابتها ينظرون في النجوم، ويدعون علم الغيب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قَالَ: «مَا أُرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ»**)، يعني: ليس له نصيب في الجنة؛ لكفره، إذا ادعى علم الغيب والنظر في النجوم والاستدلال بها على الحوادث.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فأما تعلمها للتهجي وحساب الجمل، فلا بأس به**)، لا بأس به؛ فقرة باء، فقرة جيم، فقرة دال، فقرة ألف، لا بأس بذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وفيه من الفوائد: عدم الاغترار بما يؤتاه أهل الباطل من معارفهم وعلومهم؛ كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [غافر:٨٣]**)، ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم ﴾؛ المشركون والكفرة، ﴿رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: من

عند الله، لم يقبلوها، وقالوا: نحن عندنا العلم، فرحوا بما عندهم مما يدعون أنه علم، ويقولون: هذا يغنينا عن الوحي؛ ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [غافر:٨٣]: أهلكهم ذلك.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: لَا يَجْتَمِعُ تَصْدِيْقُ الكَاهِنِ مَعَ الإِيْمَانِ بِالقُرْآنِ.

الثَّانِيَةُ: التَّصْرِيْحُ بِأَنَّهُ كُفْرٌ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ مَنْ تُكُهِّنَ لَهُ.

الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ مَنْ تُطُيِّرَ لَهُ.

الخَامِسَةُ: ذِكْرُ مَنْ سُحِرَ لَهُ.

السَّادِسَةُ: ذِكْرُ مَنْ تَعَلَّمَ أَبَا جَادٍ.

السَّابِعَةُ: ذِكْرُ الفَرْقِ بَيْنَ الكَاهِنِ وَالعَرَّافِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيْهِ مَسَائِلُ**)، في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الأُوْلَى: لَا يَجْتَمِعُ تَصْدِيْقُ الكَاهِنِ مَعَ الإِيْمَانِ بِالقُرْآنِ**)، لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن؛ لأن القرآن يكذب الكهان، ويرد عليهم؛ فلا يجتمعان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: التَّصْرِيْحُ بِأَنَّهُ كُفْرٌ**)، يعني: أن الكهانة كفر، وأن ادعاء علم الغيب كفر بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن هذه من خصائص الله جَلَّوَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ مَنْ تُكُهِّنَ لَهُ**)، أنه يناله الوعيد، هو لم يتكهن، لكن طلب من الكاهن أن يتكهن له، فهذا تبرأ منه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه رضي بالكهانة وصدقها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ مَنْ تُطُيِّرَ لَهُ**)، هو لم يتطير لكن ذهب إلى واحد يتطير له؛ هل يسافر أو لا يسافر، يقول له صاحب الطيرة: لا،

لا تسافر. ينظر في طيران الطيور؛ فإن ذهبت إلى جهة ما، قال: لا تسافر، وإن ذهبت إلى جهة أخرى، قال له: سافر، هذا حسن.

والطيور ليس عندها خبر، الطيور مخلوقات، وتطير لمصالحها، ليس عندها خبر من علم الغيب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: ذِكْرُ مَنْ سُحِرَ لَهُ)**، هو لم يسحر، لكنه طلب من الساحر أن يسحر له فلانًا، أن يعمل فلان سحرًا، يدخل في الكفر؛ لأنه رضي به، واستعمله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةُ: ذِكْرُ مَنْ تَعَلَّمَ أَبَا جَادٍ)**، تعلم (أبا جاد)، حروف الجمل، إن كان تعلمها لأمر مباح، فلا بأس، وإن كان تعلمها ليستدل بها على علم الغيب، فهذا هو الشرك، وهو حرام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّابِعَةُ: ذِكْرُ الفَرْقِ بَيْنَ الكَاهِنِ وَالعَرَّافِ)**، الكاهن: هو الذي تنزل عليه الشياطين، وتخبره، فيخبر الناس بذلك.

﴿أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٣]. هذه حالة الكهان، هم عملاء للشياطين، يتلقون عنهم.

وأما العرَّاف: فهو الذي يدعي معرفة الأمور؛ إما بالخط؛ يخط بالرمل، ويقول: سيحدث كذا، وإما بالنظر في النجوم.

٢٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

ش: قوله: (بَـابُ مَا جَـاءَ فِي النُّشْـرَةِ). بضم النون؛ كما في القاموس[١].

قال أبو السعادات: النُّشْرَةُ: ضربٌ من العلاج والرقية، يعالج به من يظن أن به مسًّا من الجن، سميت نشرة؛ لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء، أي: يكشف ويزال. قال الحسن: النُّشْرَةُ من السِّحْرِ، وقد نُشِرت عنه تَنشيرًا. ومنه الحديث: «فَلَعَلَ طِبًّا أَصَابَهُ، ثُمَّ نَشَّره بـ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١]، أي: رَقَاهُ»[٢][٣].

وقال ابن الجوزي: النُّشْرَةُ: حل السحر عن المسحور. ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر[٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْـرَةِ)، لما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب السحر وأنواع من السحر، أعقب ذلك ببيان كيف يعالج السحر.

«مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً»[٥]، ومن ذلك السحر له دواء بإذن

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١١/ ٢٣٣)، ومشارق الأنوار (٢/ ٢٩)، والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (٣/ ٢٩٩)، وتاج العروس من جواهر القاموس (١٤/ ٢١٧).

(٢) ذكره القاسم بن سلام في غريب الحديث (٣/ ١٧٦).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٥٤).

(٤) انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٤٠٨).

(٥) أخرجه أحمد (٧/ ٣٨)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٩٨)، وابن ماجه (٣٤٣٨).

الله، له دواء من الأدوية المباحة، وله دواء -أيضًا- من الرقية الشرعية، وهي ما يسمى بالنشرة.

النشرة: حل السحر عن المسحور؛ كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإن كانت من القرآن، ومن الأدوية، ومن الأدعية المباحة، فهي مشروعة.

وإن كان حل السحر بسحر مثله، فهذا لا يجوز؛ لأن السحر حرام، ولايجوز التداوي بالحرام، والسحر أشد المحرمات بعد الشرك، فلا يجوز التداوي به.

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**»(١).

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ»(٢).

فالسحر يعالج بالأدوية المباحة التي يعرفها المختصون، ويعالج -أيضًا- بالنشرة، وهي الرقية الشرعية.

وعلى الإنسان -كل مسلم- عليه أن يستعمل الوِرد صباحًا ومساءً بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العصر، فهذا من الحروز الشرعية التي يتحرز بها المسلم من السحر وغيره.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٩): عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَتَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩/ ٢٥٠- ٢٥١)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣٨، ٧٥)، والطبراني في الكبير (٩/ ٣٤٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٢).

ورد -أيضًا- أن من تصبح بسبع تمرات من عجوة المدينة[(١)]، وفي رواية: سبع تمرات من عجوة[(٢)]، هذه الرواية سواء كانت من عجوة المدينة أو عجوة غير المدينة، فمن تصبح بسبع تمرات كل يوم، فهذا مما يقيه -بإذن الله- من السحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو السعادات)**، يعني: ابن الأثير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو السعادات: النُّشْرَةُ: ضربٌ من العلاج والرقية)**، ضربٌ يعني: نوع، نوع من العلاج والرقية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يعالج به من يظن أن به مسًا من الجن)**، من الجن أو من السحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الحسن: النُّشْرَةُ من السِّحْرِ)**، يعني: يعالج بها السحر، ليست هي من السحر، وإنما معنى من السحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثُمَّ نَشَره بـ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١]. أي: رَقَاهُ)**؛ لأن ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١]، في آخرها: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٦].

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٠٤٨): عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ فِي عَجْوَةِ الْعَالِيَةِ شِفَاءً -أَوْ إِنَّهَا تِرْيَاقٌ- أَوَّلَ الْبُكْرَةِ**».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٤٤٥، ٥٧٦٨، ٥٧٦٩، ٥٧٧٩)، ومسلم (٢٠٤٧): عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ، وَلَا سِحْرٌ**».

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ، فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَأَبُو دَاودَ[1]، وَقَالَ: (سُئِلَ أَحْمَدَ عَنْهَا، فَقَالَ: ابْنُ مَسْعودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ)[2].

ش: هذا الحديث رواه أحمد، ورواه عنه أبو داود في سننه، والفضل بن زياد في كتاب المسائل عن عبد الرزاق عن عقيل بن معقل بن منبه عن عمه وهب بن منبه عن جابر، فذكره.

قال ابن مفلح: إسناد جيد، وحسَّن الحافظ إسناده[3].

قوله: «سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ»، والألف واللام في النشرة للعهد، أي: النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها، هي من عمل الشيطان.

قوله: (وَقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدَ عَنْهَا فَقَالَ: ابْنُ مَسْعودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ).

أراد أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكره النشرة -التي هي من عمل الشيطان- كما يكره تعليق التمائم مطلقًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدَ عَنْهَا فَقَالَ: ابْنُ مَسْعودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ)، يكره السحر، ويكره -أيضًا- حل السحر بسحر مثله، إنما يحل بالرقية الشرعية، وبالأدوية المباحة.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢/ ٤٠)، وأبو داود (٣٨٦٨).

(٢) لم أقف عليه عن أبي داود، ووقفت عليه عن جعفر بن محمد النسائي؛ كما في الجامع لعلوم الإمام أحمد -الفقه (١٣/ ٢٨٨)، والآداب الشرعية (٣/ ٧٧).

(٣) انظر: الآداب الشرعية (٣/ ٧٧)، وفتح الباري (١٠/ ٢٣٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن عمه وهب بن منبه)**، وهب بن منبه: هذا من أحبار اليهود من أهل اليمن وأسلم وحسن إسلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهب بن منبه، وهمام بن منبه، وكعب الأحبار كل هؤلاء من علماء اليمن؛ لأن اليمن فيه يهود، وهم من اليهود، لكنهم أسلموا وتابوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وصاروا من علماء المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن مفلح: إسناد جيد)**، قال ابن مفلح: يعني في كتابه «الآداب الشرعية».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحسَّن الحافظ إسناده)**، حسَّن الحافظ ابن حجر، إذا أُطلق الحافظ، فالمراد به ابن حجر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ»، والألف واللام في النشرة للعهد)**، يعني: النشرة المعروفة المستعملة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أي: النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها، هي من عمل الشيطان)**، فالنشرة إذا كانت من شيء محرم، فإنها من عمل الشيطان، أما إذا كانت بالقرآن وبالأدوية المباحة، فهي من عمل الشرع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: (وَقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدَ عَنْهَا فَقَالَ: ابْنُ مَسْعودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ)**، قال أحمد: ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يكره هذا كله، كلمه (يكره) إذا جاءت عن الأولين يراد بها التحريم، أما كراهة التنزيه، فهذه إنما جاءت عند المتأخرين من العلماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أراد أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أن ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **يكره النشرة -التي هي من عمل الشيطان)**؛ لأنها هي المعروفة في وقتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أراد أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أن ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **يكره النشرة -التي هي من عمل الشيطان)**، يكره هذا النوع من النشرة، وهي التي من عمل الشيطان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما يكره تعليق التمائم مطلقًا)**، تعليق التمائم، وهي الحروز التي تكتب وتعلق على الطفل أو على المريض؛ يطلبون الشفاء بها، فهذه الحروز والكتابات إن كانت شركية أو في أدعية غير شرعية، فإنها لا تجوز ويحرم تعليقها، أما إذا كانت من القرآن ومن الأدعية المباحة، فقد اختلف العلماء في حكمها؛ بعضهم عمم، وقال: لا يجوز تعليق التمائم، ولو كانت من القرآن. والصحيح: أنها إذا كانت من القرآن لا بأس بها.

وَلِلبُخَارِي عَنْ قَتَادَةَ: «قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ، أَوْ: يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيْدُوْنَ بِهِ الإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ، فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ». انتهى(١).

ش: قوله: (عَنْ قَتَادَةَ) هو ابن دِعامة -بكسر الدال- السدوسي، ثقة، فقيه، من أحفظ التابعين. قالوا: إنه وُلِدَ أكمه. مات سنة بضع عشرة ومائة(٢).

قوله: «رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ»؛ بكسر الطاء، أي: سحر، يقال له: طُب الرجل -بالضم -، إذا سُحِرَ، ويقال: كنوا عن السحر بالطب تفاؤلًا؛ كما يقال لِلَّدِيغ: سليم. وقال ابن الأنباري: الطب من الأضداد. يقال لعلاج الداء: طب، والسحر من الداء، يقال له: طب(٣).

قوله: (يُؤَخَّذُ) بفتح الواو مهموزة، وتشديد الخاء المعجمة، وبعدها ذال معجمة، أي: يحبس عن امرأته، ولا يصل إلى جماعها. والأُخذة -بضم الهمزة-: الكلام الذي يقوله الساحر(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب: هل يستخرج السحر؟ (٧/ ١٣٧). ووصله الطبري في التهذيب، والأثرم في السنن؛ كما في تغليق التعليق (٥/ ٤٩).

(٢) انظر في ترجمته: إنباه الرواة على أنباه النحاة (٣/ ٣٥)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٩)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٣٠١)، والأعلام للزركلي (٥/ ١٨٩).

(٣) انظر: المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٦١- ١٦٢)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٩٠)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ٥٧١)، وشرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٧).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٣٣).

قوله: «أَيُحَلُّ عَنْهُ» بضم الياء، وفتح الحاء، مبني للمفعول.

قوله: «أَوْ يُنَشَّرُ» بتشديد المعجمة.

قوله: «لَا بَأْسَ بِهِ»، يعني: أن النشرة لا بأس بها؛ لأنهم يريدون بها الإصلاح، أي: إزالة السحر، ولم ينه عما يراد به الإصلاح، وهذا من ابن المسيب يحمل على نوع من النشرة لا يُعلم أنه سحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَنْ قَتَادَةَ: «قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ)**، هو سعيد بن المسيب المخزومي من كبار علماء التابعين، بل هو إمام التابعين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ)**، بِهِ طِبٌّ: يعني: سحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَوْ: يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ)**، يعني: أنه يُمنع من الاستمتاع بامرأته، عنده مانع يحول بينه وبين امرأته، معمول له شيء من السحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيْدُوْنَ بِهِ الإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ، فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ)**، ابن المسيب يرى أنه -على هذا- يجوز حل السحر بسحر مثله؛ لأنهم لا يريدون به السحر، وإنما يريدون به الإصلاح، ولكن الجمهور على أنه لا يجوز حل السحر بسحر مثله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «عَنْ قَتَادَةَ» هو ابن دِعامة -بكسر الدال- السدوسي، ثقة، فقيه، من أحفظ التابعين)**، قتادة معروف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قالوا: إنه وُلِدَ أكمه)**، وُلِدَ أكمه: ليس له عينان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «يُؤَخَّذُ» بفتح الواو مهموزة، وتشديد الخاء المعجمة، وبعدها ذال معجمة)**، معجمة: يعني منقوطة، المنقوط: يقال له: معجم، والذي ليس عليه نقطة يقال له: مهمل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أي: يحبس عن امرأته، ولا يصل إلى جماعها)**، «يُؤْخَذُ عَنِ امْرَأَتِهِ»، يعني: يحبس عن امرأته، فلا يتوصل إلى جماعها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «لَا بَأْسَ بِهِ»، يعني: أن النشرة لا بأس بها؛ لأنهم يريدون بها الإصلاح)**، هذا جواب سعيد بن المسيب.

وَيُرْوَى عَنْ الحسَنِ أنَّهُ قَالَ: «لا يَحُلُ السِّحْرِ إلا سَاحِرٌ»[(١)].

ش: قوله: (وَرُوِيَ عَنْ الحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَحُلُ السِّحْرِ إِلا سَاحِرٌ»). هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في جامع المسانيد[(٢)].

والحسن: هو ابن أبي الحسن، واسمه: يسار -بالتحتية والمهملة- البصري الأنصاري، مولاهم، ثقة فقيه، إمام من خيار التابعين، مات سنة عشرة ومائة، وقد قارب التسعين[(٣)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَيُرْوَى عَنْ الحَسَنِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَحُلُ السِّحْرِ إلا سَاحِرٌ»)**، الحسن البصري، «لَا يَحُلُ السِّحْرِ إِلا سَاحِرٌ»، هذا معناه: أنه لا يجوز حل السحر بسحر مثله.

لَا يَحُلُ، ليس لَا يَحِلُّ، لَا يَحِلُّ: هذه يصير حلالًا يعني، أما لَا يَحُل: يعني يحل العقدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والحسن: هو ابن أبي الحسن، واسمه: يسار -بالتحتية والمهملة- البصري الأنصاري)**، الحسن البصري إمام التابعين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه الطبري في تهذيب الآثار. ذكر ذلك ابن حجر في تغليق التعليق (٥/ ٤٩). وانظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٧٧)، وفتح الباري (١٠/ ٢٣٣).

(٢) انظر: جامع المسانيد (٢/ ٨٣).

(٣) انظر في ترجمته: معجم الأدباء (٣/ ١٠٢٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣)، وإكمال تهذيب الكمال (٤/ ٧٨)، والأعلام للزركلي (٢/ ٢٢٦).

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحْرِ عَنِ المَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ: حَلُّ سِحْرٍ بِمِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ؛ فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ المَسْحُورِ.

وَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ، وَالتَّعَوُّذَاتِ، وَالأَدْوِيَةِ، وَالدَّعَوَاتِ المُبَاحَةِ؛ فَهَذَا جَائِزٌ(١).

ش: قوله: (قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: النَّشْرَةُ: حَلُّ السِّحْرِ عَنْ المَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ: حَلُّ سِحْرٍ بِمِثْلِهِ، وَهُوَ الذي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ،...) إلى آخره.

ومما جاء في صفة النشرة الجائزة: ما رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبي سليم قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله، تقرأ في إناء فيه ماء، ثم يصب على رأس المسحور: الآية التي في سورة يونس: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس:٨١، ٨٢]، وقوله: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١١٨]، إلى آخر الآيات الأربع. وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩](٢).

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ٣٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٧٤)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨١)، وعزاه إلى أبي الشيخ.

وقال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب وهب بن منبه: أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء، ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل، ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به، يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حُبِسَ عن أهله[١].

قلت: قول العلامة ابن القيم: (والثاني: النشرة بالرقية، والتعوذات والدعوات، والأدوية المباحة، فهذا جائز)، يشير إلى مثل هذا، وعليه يُحمل كلام مَن أجاز النشرة من العلماء.

والحاصل: أن ما كان منه بالسحر، فيحرم، وما كان بالقرآن والدعوات والأدوية المباحة، فجائز، والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، ابن القيم في كتابه «إعلام الموقعين».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النَّشْرَةُ: حَلُّ السِّحْرِ عَنْ المَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ)، النشرة على نوعين:

* نشرة بالسحر بسحر مثله، فهذا لا يجوز.

* ونشرة بالأدوية والأدعية المباحة، وهذا جائز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١١٨])، ما كانوا يعملون من السحر.

---

(١) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٤٤٦)، وفتح الباري (١٠/ ٢٣٣).

لأن فرعون جمع السحرة؛ من أجل أن يكيد بهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يزعم أن الذي مع موسى سحر، وجمع السحرة؛ لأجل أن يبطلوا ما مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فلما جاء السحرة، ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ ﴾؛ يحلفون بعزة فرعون ﴿إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء:٤٣-٤٥]: ابتلعت كل سحرهم، وأبطلته، عند ذلك عرف السحرة أن هذا الذي مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس سحرًا؛ لأنهم أهل فن، عرفوا أنه ليس سحرًا، فتابوا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؛ ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الشعراء:٤٦-٤٨]؛ لأنهم عرفوا -أهل فن-، عرفوا أن الذي مع موسى ليس سحرًا، وإنما هو من رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله:** ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩]**)**، ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟﴾، أي: السحرة، ﴿كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩]، بل إنه خاسر في كل أحواله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال ابن بطال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتاب وهب بن منبه)**، ابن بطال: شارح البخاري.

وهب بن منبه: كان من علماء اليهود في اليمن، ثم إنه منَّ الله عليه بالإسلام، فصار من علماء المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل)**، القواقل: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق:١]، ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١]، هذه القواقل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم يحسو منه ثلاث حسوات)**، يعني: يبتلع منه ثلاث حسوات، ثلاث بلعات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم يغتسل به)**، يغتسل بالباقي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: قول العلامة ابن القيم: «والثاني النشرة بالرقية، والتعوذات والدعوات، والأدوية المباحة، فهذا جائز»، يشير إلى مثل هذا، وعليه يُحمل كلام مَن أجاز النشرة من العلماء)**؛ لأنها على هذا من النوع المباح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والحاصل: أن ما كان منه بالسحر، فيحرم)**، ما كان من النشرة بالسحر حرام، لا يجوز، وما كان منها بالأدوية المباحة والرقية، فلا بأس به.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: النَّهْيُ عَنِ النُّشْرَةِ.

الثَّانِيَةُ: الفَرَقُ بَيْنَ المَنْهِيِّ عَنْهُ وَالمُرَخَّصِ فِيْهِ؛ مِمَّا يُزِيْلُ الإِشْكَالَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فِيْهِ مَسَائِلُ**)، في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الأُوْلَى: النَّهْيُ عَنِ النُّشْرَةِ**)؛ لما سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: الفَرَقُ بَيْنَ المَنْهِيِّ عَنْهُ وَالمُرَخَّصِ فِيْهِ؛ مِمَّا يُزِيْلُ الإِشْكَالَ**)، الفرق بين ما نُهِيَ عنه، وهو حل السحر بسحر مثله، وما أُمِرَ به، وهو حل السحر بالرقية والأدوية المباحة، فهذا جائز.

٢٧ - بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ)، أي: من النهي عنه والوعيد فيه، مصدر تَطَيَّرَ يَتَطَيَّرُ تَطَيُّرًا.

والطِيَرَةُ: بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن: اسم مصدر من تَطَيَّرَ طِيَرَةً، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما. وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشارع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع أو دفع ضر(١).

قال المدائني: سألت رؤبة بن العجاج، قلت: ما السانحُ؟ قال: ما ولاك ميامِنه. قلتُ: فما البارحُ؟ قال: ما ولاك مياسِره، والذي يجيء من أمامك فهو النَّاطحُ والنَّطيحُ، والذي يجيءُ من خلفك فهو القَاعدُ والقَعيدُ(٢).

ولما كانت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب؛ لكونها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ذكرها المصنف في كتاب التوحيد؛ تحذيرًا مما ينافي كمال التوحيد الواجب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ)، التطير في الأصل: هو التشاؤم بالطيور في طيرانها واتجاهاتها وأنواعها، وهذا من أمور الجاهلية؛ أنهم كانوا

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٥٢).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ١٨٧)، والأمالي في لغة العرب (٢/ ٢٤٤)، ومفتاح دار السعادة (٢/ ٢٢٩).

إذا رَأَوْا الطيور، نظروا إليها أين تتجه، فيتشاءمون بها؛ فإن كانوا يريدون أن يعملوا عملًا، فإنهم يتنازلون عنه، يتشاءمون بالطيور، فيتنازلون عن السفر، يتنازلون عن الزواج؛ لأنهم يتطيرون بها.

والطيرة قديمة، ذكرها الله جَلَّوَعَلَا في القرآن أن بني إسرائيل تطيروا بموسى؛ ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾، يعني: نستحقها على الله، ليس لله منَّة في ذلك؛ لأننا نستحقها على الله، ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ﴾: المراد بالحسنة هنا: الخصب ورخص الأسعار.

﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾: المراد بالسيئة هنا: ما ينزل بالناس من الفقر، ومن غلاء الأسعار، ومن قلة الثمار ونحو ذلك.

﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ﴾: يقولون: هذا بسبب موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، الذي أصابنا هذا سببه موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. يتطيرون بموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، مع أن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو مصدر الخير، مصدر البركات، رسول الله وكليمه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، جاءهم بالخير، جاءهم بالبينات، لكنهم يتطيرون به ويتشاءمون به -والعياذ بالله-، مع أنه مصدر الخير.

﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾: ﴿وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾: من أتباعه من المسلمين.

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:١٣١]: فالذي يصيبهم هو من الله، ليس من موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وإنما هو من الله عَزَّوَجَلَّ بسبب ذنوبهم، وبسبب معاصيهم. أما موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومن معه من المسلمين، فإنهم سببٌ للخير،

سببٌ لعمارة الأرض، سببٌ للبركات، لكن انعكست فطرهم، وانعكست مقاصدهم -والعياذ بالله-، أعماهم الله عَزَّوَجَلَّ بسبب الكفر.

وبقيت الطيرة، الطيرة شرك؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»(١)؛ لأنها اعتقاد أن أحدًا يدبر مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ)**، التطير أصله: التشاؤم بالطيور؛ السوانح والبوارح، وكان هذا في الجاهلية؛ ينظرون إلى طيران الطير، فيتشاءمون به أو يتبركون به.

والطيور ليس عندها من أمر الله شيء، إنما هي طيور تطير في الجو لمصالحها، لكن هم يتطيرون بها، هذا أصل الطيرة، ثم عممت في التشاؤم سواء بالطيور أو غيرها، فالطيرة: هي التشاؤم، وأما الفأل، فإنه جائز، وهو أحسنها؛ لأن الفأل تأميل الخير، والطيرة تأميل الشر.

فقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ»، أي: من النهي عنه والوعيد فيه)**، ما جاء في التطير من الآيات ومن الأحاديث؛ كما في الحديث: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»، وهي التشاؤم بالطيور والاعتقاد في طيرانها، وهذا من أعمال الجاهلية.

وهي (مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ)(٢)؛ ما أمضاك وساعدك على الشيء، أو

---

(١) سبق تخريجه (ص١٩١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٢٧).

ردك عنه، هذه الطيرة. ولا يتوكلون على الله عَزَّوَجَلَّ، إنما يتوكلون على الطيرة، فيبنون عليها تصرفاتهم، هذه من أمور الجاهلية، وهي لا تزال في الناس -إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ، الطيرة موجودة.

فيجب على المسلم أن يتوكل على الله، وألا يعتقد في غير الله أنه يفعل شيئًا من الخير أو الشر، أو الرخاء أو الشدة، أو غير ذلك، أو الجدب أو القحط، هذا كله بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»؛ لأنها اعتقاد أن أحدًا غير الله يحدث هذه الأشياء في الناس، هذا وجه كون الطيرة شرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأصله التطير بالسوانح والبوارح**)، السوانح والبوارح من الطيور في اتجاهاتها إذا طارت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم**)، إذا رأوا أن الطير أو الظبي متجه إلى غير ما يريدون، تشاءموا به، ورجعوا عن سفرهم، وإذا كان موافقًا لما يريدون، مضوا في أمرهم، فيسندون الأمور إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ.

إذا تطير، إذا رأى الطير على جهة لا يرغبها، رجع عن سفره، ورجع عن أمره، ورجع عن بيعه وشرائه -والعياذ بالله-، تشاءم بسبب حركة الطير، وإذا رآها تطير إلى جهة يرغب فيها، فإنه يمضي. فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن ذلك، وقال: «**إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ**»؛ ما أمضاك أو ردك فإنه طيرة، الطيور ليس عندها من أمر الله شيء، وإنما تطير لطلب أرزاقها ومنافعها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فنفاه الشارع وأبطله**)، نفى التطير وأبطله، وأمر بالتوكل على الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(سألت رؤبة بن العجاج)**، رؤبة بن العجاج: من أئمة اللغة، ومرجع في اللغة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: ما السانحُ؟ قال: ما ولاك ميامِنه. قلتُ: فما البارحُ؟ قال: ما ولاك مياسِره، والذي يجيء من أمامك فهو النَّاطحُ والنَّطيحُ، والذي يجيءُ من خلفك فهو القَاعدُ والقَعيدُ)**، هذا في الطيور وطيرانها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولما كانت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب)**، التطير ينافي كمال التوحيد الواجب، ولا ينافي التوحيد. هي من الشرك، لكن من الشرك الأصغر، فليس من تطير أنه يشرك ويرتد عن الإسلام، لا، لكن هذا ذنب ينقص توحيده، إلا أنه لا يدخل ولا يخرج بسبب طيران الطيور، فيسلط عليه التشاؤم، فيحبسه عن المشي -نسأل الله العافية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ذكرها المصنف في كتاب التوحيد؛ تحذيرًا مما ينافي كمال التوحيد الواجب)**، ذكر المصنف الطيرة التي تصد الإنسان عن قصده في كتاب التوحيد؛ لأن هذا ينقص التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لكونها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته ذكرها المصنف في كتاب التوحيد؛ تحذيرًا مما ينافي كمال التوحيد الواجب)**، هذا وجه ذكر الطيرة في كتاب التوحيد: أنها اعتقاد في غير الله، تشاؤم بالمخلوقات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مما ينافي كمال التوحيد الواجب)**؛ لأن كمال التوحيد على نوعين: واجب ومستحب.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣١].

ش: قوله: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣١]). الآية.

ذكر -تعالى- هذه الآية في سياق قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف:١٣١] الآية.

المعنى: أن آل فرعون كانوا إذا أصابتهم الحسنة، أي: الخصب والسعة والعافية -كما فسره مجاهد وغيره[١]-، قالوا: لنا هذه، أي: نحن الجديرون والحقيقيون به، ونحن أهله. وإن تصبهم سيئة، أي: بلاء وقحط، يتطيروا بموسى ومن معه، فيقولون: هذا بسبب موسى وأصحابه، أصابنا بشؤمهم؛ فقال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: طائرهم: ما قُضِي عليهم، وقُدِر لهم.

وفي رواية: شؤمهم عند الله ومن قبله. أي: إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله[٢].

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي: أن أكثرهم جهال لا يدرون، ولو فهموا وعقلوا، لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا الخير، والبركة، والسعادة، والفلاح لمن آمن به واتبعه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٧٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٧٧- ٣٧٨)، وتفسير البغوي (٢/ ٢٢٣).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾** [الأعراف:١٣١])، كان الكفار يتطيرون بالأنبياء، تطيروا بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ﴾، يعني: أقدارهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ليست عند الطيور.

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:١٣١]، ﴿طَٰٓئِرُهُمۡ﴾، يعني: ما يصيبهم من خير أو شر هو من عند الله، وليس من عند الطيور وطيرانها، وإنما هو من عند الله قدره عليهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ذكر -تعالى- هذه الآية في سياق قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾**)، يعني: نستحقها. لا يقولون: هذه منَّ الله بها علينا، وأنعم الله بها علينا، بل يقولون: هذه نستحقها على الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿لَنَا هَٰذِهِۦ﴾، يعني: نستحقها، ويجحدون فضل الله عليهم.

إذا جاءت قوم فرعون الحسنة، ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾: هذه من حقنا، وليس لله فيها منَّة علينا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾**)، يتطيرون بكليم الله وعبده ورسوله موسى بن عمران صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي جاءهم بالخير، جاءهم بالبينات والهدى، يتطيرون به، يتشاءمون به، ومن معه من المسلمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**أن آل فرعون**)، آل فرعون: يعني: أتباع فرعون.

﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ﴾ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾، مع أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء بالخير، ونهى عن الشر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا -أيضًا- غير قوم فرعون يتطيرون بالأنبياء، المشركون يتطيرون بالأنبياء، ويتوسمون فيهم الشر مع أن الأنبياء جاءوا بالخير.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قالوا: لنا هذه، أي: نحن الجديرون والحقيقيون به)**، نستحقها، يقولون: هذه نستحقها على الله، فيجحدون فضل الله عليهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وإن تصبهم سيئة، أي: بلاء وقحط، يتطيروا بموسى ومن معه)**، يقولون: هذا بسب موسى وأتباعه، يتشاءمون بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والمسلمين معه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فيقولون: هذا بسبب موسى وأصحابه، أصابنا بشؤمهم)**، والآن هناك من يتطير بأهل الخير، يقولون: هؤلاء المشايخ هم الذين سبب كذا وكذا، هم الذين حرمونا من التقدم والرقي...إلى آخره، هذا من جنس تشاؤم قوم موسى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فقال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾)**: ﴿طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾: ما قُدِر لهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: طائرهم: ما قُضِي عليهم، وقُدِر لهم)**، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء:١٣]: أي ما قُدِر عليه من خير أو شر، ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفي رواية: شؤمهم عند الله ومن قبله)**؛ أن ما يصيبهم من عند الله، وليس من عند موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه؛ لأن ما يصيبهم من

القحط ومن الأمراض هو من عند الله عَزَّوَجَلَّ، وليس من عند موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والمسلمين معه، إنما هو من عند الله، قدره الله عليهم بذنوبهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله)**، إنما جاءتهم هذه المصيبة بسببهم هم، بكفرهم وأعمالهم السيئة، فكان الواجب عليهم أن يحاسبوا أنفسهم.

فالمسلم إذا أصابته المصيبة، يحاسب نفسه، ويعلم أنها ما أصابته إلا بذنب وقع منه، فيتوب إلى الله، ويحاسب نفسه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾)**، **﴿أَكْثَرَهُمْ﴾**: أكثر بني إسرائيل -غير المسلمين-، أكثر بني إسرائيل الذين لم يسلموا.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يعلمون الحق من الباطل، والعقيدة الصحيحة من العقيدة الباطلة، فهذا فيه ذم الجهل، وهو عدم العلم، وفيه مدح العلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولو فهموا وعقلوا، لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **إلا الخير، والبركة، والسعادة، والفلاح لمن آمن به واتبعه)**، الأنبياء لم يأتوا إلا بالخير، وأما الشر إنما يأتي بسبب ذنوب العباد، والأنبياء جاءوا بالخير والطاعة والعلم. فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والأنبياء والمرسلون والمصلحون جاءوا بالخير للأمم والشعوب والبلاد.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس:١٩].

ش: قوله: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس:١٩]) الآية.

المعنى -والله أعلم-: حظكم وما نابكم من شر معكم بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا، بل ببغيكم وعدوانكم. فطائر الباغي الظالم معه، فما وقع به من الشرور، فهو سببه الجالب له، وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله. كما قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥، ٣٦].

ويحتمل أن يكون المعنى: طائركم معكم، أي: راجع عليكم، فالتطير الذي حصل لكم إنما يعود عليكم. وهذا من باب القصاص في الكلام، ونظيره قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ، فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ»[1]. ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2].

قوله تعالى: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾، أي: من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس:١٩].

وقال قتادة: أَئِنْ ذكرناكم بالله تطيرتم بنا[3]؟!

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨٥، ٦٩٢٦)، ومسلم (٢١٦٣) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤١٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٢)، وابن كثير (٦/ ٥٧٠).

ومناسبة الآيتين للترجمة: أن التطير من عمل أهل الجاهلية والمشركين، وقد ذمهم الله به، ومقتهم. وقد نهى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التطير، وأخبر أنه شرك؛ كما سيأتي في أحاديث الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس:١٩])، هذه في سورة يس.

﴿ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم ﴾، أي: ما أصابكم، ﴿ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾، أي: بسببكم. ما أصابكم فهو بسبب ذنوبكم ومعاصيكم. أتقولون هذا القول لما ذُكرتم ووُعظتم، وبُين لكم، قابلتم هذا بأن العلماء والرسل وأتباعهم هم سبب البلاء؟! نسأل الله العافية!

﴿ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾: فـ﴿ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾، أي: أن ما أصابكم إنما هو بسبب أفعالكم واعتقاداتكم، ليس هو بسبب المصلحين والأنبياء كما تزعمون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فطائر الباغي الظالم معه)، يعني: يحمله بسبب ذنوبه.

﴿ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾: الذي تحملونه من الأعمال السيئة والكفر هو الذي سبب لكم العقوبات، ﴿ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾: تحملونه.

فعلى الإنسان إذا أصابه شيء يكرهه أن يحاسب نفسه، ويعلم أن ما أصابه بذنب، ويتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يلقي باللائمة على غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهو سببه الجالب له، وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله)**، لاحظ! السبب من قبل العبد، وأما القضاء والقدر فهو من قبل الله، وهو عدل؛ حيث عاقبهم على ذنوبهم وسيئاتهم.

هذا عدلٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما أنه يجازي على الحسنات بالخير، فيجازي على السيئات بالشر والعقوبة، هذا عدلٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فسبب ما يصيبهم هو بأفعالهم وذنوبهم وسيئاتهم، والذي قدره عليهم هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ عقوبة لهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** [القلم:٣٥، ٣٦]**)**، **﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾**: هل يسوي الله بين المسلمين والمجرمين؟!! من الذي يقول هذا إلا أهل الكفر والضلال؟ والله لم يسو بين المسلمين والمجرمين، بل إنه فرق بينهم في الدنيا وفي الآخرة.

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾، يعني: هل يكرم المجرمين؟! هذا لا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ، إنما يثيب المسلمين، وأما المجرمون فإن الله سبحانه يعاقبهم، الجزاء من جنس العمل، هذا هو العدل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يسوي -سبحانه- بين المسلمين والمجرمين، لو سوى بينهم كان هذا ظلمًا، والله منزه عن الظلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويحتمل أن يكون المعنى: طائركم معكم، أي: راجع عليكم)**، المعنى واحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونظيره قوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ، فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ»)**، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ،**

فَلَا تَقُولُوا: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ، بَلْ قُولُوا: وَعَلَيْكُمْ، «وعليكم» فقط؛ لأن أهل الكتاب: اليهود والنصارى يسلمون على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فيقولون: «السَّامُ عَلَيْكُمْ»، والسَّام عندهم: الموت، «السَّامُ عَلَيْكُمْ»، ولما سمعتهم عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قالت: «وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ»، فقال لها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ألست قلت لهم: وَعَلَيْكُمْ**»[(١)]: أن شركم راجع عليكم أنتم.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(وقال قتادة: أئن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا؟!)**، هناك الآن من يتطير بالعلماء والدعاة، ويقولون: هؤلاء هم الذين يأتون لنا بالشر، وهؤلاء الذين منعونا من كذا وكذا، يتطير بالعلماء، ويتطير بالدعاة والمصلحين. كل قوم لهم وراث.

يقولون: منعوا عنا الحضارة، لا يدعونا ننطلق مع الناس ومع الدول -يذمون العلماء والمصلحين-، بهذا حبسونا، قالوا بنا كذا. كل قوم لهم وراث.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(ومناسبة الآيتين للترجمة)**، الترجمة: باب ما جاء في الطيرة، ما المناسبة بين الترجمة وهذه الآية؟ تنبهوا!

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(وقد نهى رسول الله** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **عن التطير، وأخبر أنه شرك)**، قال: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**».

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٤، ٦٠٣٠، ٦٢٥٦، ٦٣٩٥، ٦٤٠١، ٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا عَدْوَى، وَلا طِيَرَةَ، وَلا هَامَةَ، وَلا صَفَرَ»، أَخْرَجَاهُ(١).

زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلا نَوْءَ، وَلا غُوْلَ»(٢).

ش: قال أبو السعادات رَحِمَهُ اللَّهُ: العدوى اسم من الإعداء -كالرَّعوى-، يقال: أعداه الداءُ، يُعديه إعداءً، إذا أصابه مثل ما بصاحب الداء(٣).

وفي رواية لمسلم أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يحدث بحديث: «لَا عَدْوَى»، ويحدث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»(٤).

ثم إن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اقتصر على حديث: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»، وأمسك عن حديث: «لَا عَدْوَى»، فراجعوه، وقالوا: سمعناك تحدث به، فأبى أن يعترف به.

قال أبو سلمة -الراوي عن أبي هريرة-: فلا أدري أنسي أبو هريرة، أو نسخ أحد القولين الآخر(٥)؟

وقد روى حديث: «لَا عَدْوَى»، جماعة من الصحابة: أنس بن مالك(٦)،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٢٢) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٩٢).
(٤) أخرجه مسلم (٢٢٢١).
(٥) انظر: الجامع لابن وهب (ص ٧١٩)، وصحيح مسلم (٢٢٢١) (٤/ ١٧٤٣).
(٦) أخرجه البخاري (٥٧٥٦، ٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

وجابر بن عبد الله[(١)]، والسائب بن يزيد[(٢)]، وابن عمر[(٣)]، وغيرهم[(٤)].

وفي بعض روايات هذا الحديث: «وَفِـرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»[(٥)].

وقد اختلف العلماء في ذلك، وأحسن ما قيل فيه قول البيهقي، وتبعه ابن الصلاح، وابن القيم، وابن رجب، وابن مفلح، وغيرهم[(٦)]: أن قوله: «لاَ عَدْوَى» على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى، وأن هذه الأمور تعدي بطبعها، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سببًا لحدوث ذلك، ولهذا قال: «وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»، وقال: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»، وقال في الطاعون: «مَنْ سَمِعَ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلَا يَقْدَمْ عَلَيْهِ»[(٧)]، وكل ذلك بتقدير الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٥٣، ٥٧٧٢)، ومسلم (٢٢٢٥).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٦، ٥/ ١٥٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
و(١١/ ٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
و(٣/ ١٢٧) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
و(٧/ ٢٥٢) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٠٧).

(٦) انظر: البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٥٢)، ومقدمة ابن الصلاح (ص٣٩٠)، وابن القيم في مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٦٤- ٢٦٨)، وابن رجب في اللطائف (ص٦٨- ٦٩)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٣٦٣- ٣٦٤).

(٧) أخرجه البخاري (٥٧٢٨، ٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢١٨) من حديث أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ»**)، «**لَا عَدْوَى**»: كانوا يعتقدون أن المرض يعدي بنفسه، وينتقل بنفسه، وهذا باطل. فالمرض يعدي، نعم، والعدوى موجودة، ولكنها بقضاء الله وقدره، وليست بنفسها، العدوى بقضاء الله وقدره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«**لَا عَدْوَى**»، يعني: على ما يعتقده المشركون أن العدوى تنتقل بنفسها من شخص إلى شخص أو من دابة إلى دابة. والحق: أن العدوى هي بقدر الله، هو الذي ينقلها من شخص إلى شخص، ومن بلد إلى بلد، فيدعى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويرجع إلى الله.

«**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ**»، يعني: لا عدوى على ما يعتقده أهل الجاهلية.

«**وَلَا هَامَةَ**»: الهامة: هي البومة، الطائر الذي يسمى البومة، يتشاءمون بصوتها، يظنون أنها تدل على الموت، فإذا صاحت على جدار أحد، قال: نعت إليَّ نفسي، ويعتقد أنه سيموت، وطائر البومة ليس عنده خبر من هذا، طائر مثل الطيور، مثلما تصوت الطيور تصوت البومة، ولا تدل على خير ولا شر، وهم يعتقدون في البومة أنها شؤم، وأنها تدل على الموت.

فالهامة: طائر يقال له: البومة، كانوا يتشاءمون بها، إذا صوتت، يتشاءمون بصوتها، ويقولون: إنها تدل على الموت، وإنها لا تأتي إلا على بيوت المتوفَين، وإذا سمعها، قال: نعت إليَّ نفسي. هذا في الجاهلية.

الهامة: هذه طائر من سائر الطيور؛ ليس عندها شيء مما تزعمون.

«وَلا صَفَرَ»؛ أنهم يتشاءمون في شهر صفر، كانوا في الجاهلية يتشاءمون بشهر صفر. كانوا يتشاءمون في شهر صفر، هذا معنى«وَلَا صَفَرَ»، فشهر صفر كسائر الشهور، مواقيت خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليست هي التي تسبب الخير أو الشر، إنما هي مواقيت، شهور؛ ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [التوبة:٣٦]. فـ«صفر» من جملة الشهور، وليس يدل على خير ولا شر، الخير والشر يأتي من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يقدره على من يشاء لحكمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَخْرَجَاهُ)**، يعني: البخاري ومسلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلَا نَوْءَ وَلَا غُوْلَ»)**؛ لأنهم يعتقدون في الأنواء -في أوقات الأنواء- أنها فيها أشياء مذمومة، ولا يسافرون فيها، هذا من اعتقاد الجاهلية.

«**وَلَا غُوْلَ**»: الغول: هو ما يتراءى للمسافر أمامه، يتراءى ضوء من الجن، خصوصًا إذا استوحش، فإنها تظهر أمامه هذه الأضواء، وهم الجن؛ لأن الجن تتراءى للمسافر نيرانًا أمامه، إذا أتى إلى مكان النار، يظن أن هناك أحد، فإذا جاء، لم يجد لا نار ولا شيء، تتحرك أمامه، وهكذا.

يعني الجن تخيل له النار؛ من أجل أن تضله عن الطريق، ولأجل أن توحشه -أيضًا-، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفى هذا كله.

فعلى المسلم أن يتوكل على الله عَزَّ وَجَلَّ، ويعتمد على الله، ولا يخاف من هذه الأضواء التي تتغول أمامه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَا عَدْوَى)**، يعني: أن المرض لا يعدي بنفسه، وإنما الله هو الذي ينقله من محل إلى محل، وليس المرض نفسه هو الذي ينتقل كما تعتقده الجاهلية؛ فهم لا ينسبون هذا إلى الله أنه هو الذي نقل المرض من عضو إلى عضو، أو من شخص إلى شخص، أو من بلد إلى بلد، لا يعتقدون هذا، يعتقدون أن المرض هو الذي ينتقل من محل لمحل دون أن ينقله الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا طِيَرَةَ)**، والطيرة: هي التشاؤم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا هَامَةَ)**، والهامة عرفناها، هي طائر البومة الذي يتشاءمون به، ويظنون أنه يأتي يصوت على بيوت المتوفين، أو الذي سيتوفى، يقول: نعت إليَّ نفسي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا صَفَرَ)**، شهر صفر يتشاءمون به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلَا نَوْءَ وَلَا غُوْلَ»)**؛ لأنهم يتشاءمون بالأنواء؛ إذا دخل النجم الفلاني، يحصل كذا وكذا، وإذا دخل النجم الفلاني، يحصل كذا وكذا، فينسبون الحوادث إلى النجوم -نسأل الله العافية!

النجوم مخلوقات مدبرة، ليست هي التي تحدث في الأرض ما يحدث من الحوادث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو السعادات** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، أبو السعادات: ابن الأثير صاحب غريب الحديث، وهو إمام أهل اللغة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويحدث عن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه قال: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»)**، العدوى موجودة، وهذا من اتخاذ الأسباب الواقية.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»، يعني: الإبل السليمة من الجرب لا تورد على الإبل المصابة بالجرب؛ لأن هذا سبب لانتشار المرض، فهذا من اتخاذ الأسباب الواقية. إنما الذي يعتقد أن العدوى تحصل من دون أن الله هو الذي ينقلها، هذا هو الممنوع، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»، فهذا من اتخاذ الأسباب الواقية، هذا يسمى الحجر الصحي، فلابأس.

إذا كان الطاعون في بلد، فلا يخرج منه أحد، ولا يدخل عليه أحد، حتى ينتهي، هذا حجر، يسمونه الآن الحجر الصحي، فهذا مشروع، ومن اتخاذ الأسباب الواقية النافعة -بإذن الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفي بعض روايات هذا الحديث: «وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»)**، الجذام: مرض تتساقط منه الأعضاء -والعياذ بالله-، هذا المجذوم، من الجذام، فلا تخالطه، لا تخالط المجذوم، هذا من اتخاذ الأسباب، والواقي هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقوله: «**وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ**»؛ باتخاذ الأسباب الواقية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقد روى حديث: «لَا عَدْوَى»، جماعة من الصحابة: أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، والسائب بن يزيد، وابن عمر، وغيرهم)**، غير أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال في الطاعون: «مَنْ سَمِعَ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلَا يَقْدَمْ عَلَيْهِ»)**، وقال في الطاعون: إذا وقع في البلد، فلا يخرج منها أحد، وإذا وقع في بلد، فلا يدخل إلى هذا البلد أحد؛ حتى يرتفع هذا الوباء.

هذا من اتخاذ الأسباب الواقية النافعة، فهو مما يسمى بالحجر الصحي، هذا من الحجر الصحي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأحسن ما قيل فيه قول البيهقي، وتبعه ابن الصلاح، وابن القيم، وابن رجب، وابن مفلح، وغيرهم: أن قوله: «لَا عَدْوَى» على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية)**، العدوى موجودة، لكن الجاهلية تعتقد أن المرض ينتقل بنفسه، وأهل الإسلام يقولون: المرض ينتقل، ولكنه بقدر الله وقضائه لا بنفسه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سببًا لحدوث ذلك)**، قد تحصل العدوى، لكنها بقضاء الله وقدره، فأنت تتجنبها؛ من باب اتخاذ الأسباب الواقية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا قال: «وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»)**، «**وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ**»؛ الجذام يعدي، فلا تخالط المجذوم، هذا من اتخاذ الأسباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»)**، البهائم يعني، «**لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»، الذي معه بهائم موبوءة فيها مرض، الذي معه بهائم صحيحة لا يخلطها معها، بل يذهب إلى مكان آخر، وهذا من فعل الأسباب الواقية بإذن الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال في الطاعون: «مَنْ سَمِعَ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلَا يَقْدَمْ عَلَيْهِ»)**، الطاعون -والعياذ بالله- إذا حصل في بلد، فلا يخرج منه أحد، ولا يدخل إليه أحد؛ حتى يرفعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هذا من اتخاذ الأسباب، وليس من اعتقاد الجاهلية، وإنما هو من اتخاذ الأسباب الواقية، وهذا هو ما يسمى الآن بالحجر الصحي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكل ذلك بتقدير الله تعالى)**، بلا شك، لا يحصل شيء إلا بقضاء الله وقدره؛ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، كل شيء بقضاء الله وقدره.

....

ش: ولأحمد والترمذي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «لَا يُعْدِي شَيْءٌ شَيْئًا -قَالَهَا ثَلَاثًا-، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، النُّقْبَةُ مِنَ الجَرَبِ تَكُونُ بِمِشْفَرِ الْبَعِيرِ أَوْ بِذَنَبِهِ فِي الْإِبِلِ الْعَظِيمَةِ، فَتَجْرَبُ كُلُّهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَمَنْ أَجْرَبَ الْأَوَّلَ؟ لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ، خَلَقَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ، فَكَتَبَ حَيَاتَهَا، وَمَصَائِبَهَا، وَرِزْقَهَا»[1]، فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ذلك كله قضاء الله وقدره، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية؛ فكما أنه يؤمر أن لا يلقي نفسه في الماء وفي النار -مما جرت العادة أنه يهلك أو يضر-، فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم، والقدوم على بلد الطاعون، فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف، فالله -سبحانه- هو خالق الأسباب ومسبباتها، لا خالق غيره، ولا مقدر غيره.

وأما إذا قوي التوكل على الله، والإيمان بقضاء الله وقدره، فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتمادًا على الله، ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر، ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك، لاسيما إذا كانت مصلحة عامة أو خاصة. وعلى هذا يحمل الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِ مَجْذُومٍ فَأَدْخَلَهَا مَعَهُ فِي الْقَصْعَةِ، ثُمَّ قَالَ: «كُلْ بِسْمِ اللهِ، ثِقَةً بِاللهِ وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٧/ ٢٥٢، ١٤/ ٨٥)، والترمذي (٢١٤٣)، وابن أبي شيبة (١/ ٢٢٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٢٥)، والترمذي (١٨١٧)، ابن ماجه (٣٥٤٢)، وابن أبي شيبة (٥/ ١٤١)، والحاكم (٤/ ١٥٢)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٥٧)، وشعب الإيمان (٢/ ٤٨٩)، وابن حبان (١٣/ ٤٨٨).

وقد أخذ به الإمام أحمد، وَرُوِيَ ذلك عن عمر وابنه وسلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(١)].

ونظير ذلك ما رُوِيَ عن خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أكل السم[(٢)]، ومنه مشي سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٣)]، وأبي مسلم الخولاني على متن البحر، قاله ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ[(٤)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «لَا يُعْدِي شَيْءٌ شَيْئًا -قَالَهَا ثَلَاثًا-»)، «لَا يُعْدِي شَيْءٌ شَيْئًا» من نفسه، وإنما الله هو الذي ينقل العدوى من شيء إلى شيء، فيجب التوكل على الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ أَجْرَبَ الْأَوَّلَ؟ لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ، خَلَقَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ، فَكَتَبَ حَيَاتَهَا، وَمَصَائِبَهَا، وَرِزْقَهَا»)، فيجب التوكل على الله، والاعتماد عليه، مع اتخاذ الأسباب الواقية: بالدواء، بتجنب مواطن الوباء، ولا يقدم عليها، هذا من اتخاذ الأسباب الواقية.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ٤٠٥، ١١/ ٢٠٥)، وابن أبي شيبة (٥/ ١٤١).

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٨١٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٥٤٨)، وأبو يعلى (١٣/ ١٤١)، والطبراني في الكبير (٤/ ١٠٥)، وانظر ترجمة خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في: الاستيعاب (٢/ ٤٢٧)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٦٦)، وتاريخ الإسلام (٢/ ١٢٧)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢١٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (ص ٥٧٤- ٥٧٨).

(٤) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص٦٩- ٧٠).

«لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»، أيضًا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بأنه إذا وقع الطاعون في بلد، لا يقدم عليه أحد، ولا يخرج منه أحد؛ خشية العدوى، هذا من اتخاذ الأسباب الواقية -بإذن الله-، لكن إذا اعتقد الإنسان أن هذه الأشياء تنتقل بنفسها، وتعدي بنفسها، فهذا لا يجوز؛ لأن هذا راجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ذلك كله قضاء الله وقدره، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية)**، إذا كان في عافية، فيتجنب مواطن المرض، يتجنبها اتقاء أسباب الشر، يعني: يبتعد عنها، لا يقول: أنا متوكل على الله، وسأذهب. لا. نقول: أنت متوكل على الله، لكن تجنب الأسباب الضارة مع التوكل على الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فكما أنه يؤمر أن لا يلقي نفسه في الماء وفي النار -مما جرت العادة أنه يهلك أو يضر-)**، يتجنب المواطن الموبوءة المعدية كما يتجنب البئر؛ فلا يقع فيها، وكما يتجنب النار؛ فلا يحترق فيها، فلا يقول: أنا متوكل على الله. ثم يلقي نفسه في البئر، لا يجوز هذا.

أو يلقي نفسه في النار، ثم يقول: أنا متوكل على الله. ليس هذا هو التوكل على الله، الله أمرك بتوقي الأضرار، وبتجنب الأضرار.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم، والقدوم على بلد الطاعون)**، الجذام يعدي، والطاعون -والعياذ بالله- يعدي، فالإنسان المعافى يبتعد عنها، هذا من اتخاذ الأسباب الواقية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف، فالله -سبحانه- هو خالق الأسباب ومسبباتها، لا خالق غيره، ولا مقدر غيره)، فتتوكل على الله، وتتجنب الأسباب الضارة، الله أمرك بهذا؛ قال: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]، تجنب الأسباب الضارة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأما إذا قوي التوكل على الله، والإيمان بقضاء الله وقدره، فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتمادًا على الله، ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر، ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك، لاسيما إذا كانت مصلحة عامة أو خاصة**)، ولهذا خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جرع السم، أخذ السم وجرعه أمام الناس؛ لأنه متوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يريد أن يبين للناس أن الأمور بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وعلى هذا يحمل الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي: أَنَّ النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَخَذَ بِيَدِ مَجْذُومٍ فَأَدْخَلَهَا مَعَهُ فِي الْقَصْعَةِ، ثُمَّ قَالَ: «كُلْ بِسْمِ اللهِ، ثِقَةً بِاللهِ وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ»**)، إذا بلغ الإنسان من التوكل على الله هذه الدرجة، فلا بأس أن يخالط المجذوم، وبلد الطاعون. أما إذا كان إيمانه لا يصل إلى هذه الدرجة، فلا. يتجنب الأسباب الضارة، هذه نوادر أن الإنسان يفعل الأشياء التي فيها خطر. ولا يفعله إلا إذا كان يترتب عليه فائدة، فخالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فعل أكل السم؛ لأجل أن يبين أن التوكل على الله لا يضر معه شيء.

فإذا قوي التوكل على الله، فلا مانع أنه يخالط هؤلاء، ويقرب منهم؛ لأنه متوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ولكن هذا للخواص، قوة التوكل على الله

للخواص الذين أعطاهم الله قوة الإيمان، وكان في مباشرتهم لهذه الأشياء مصلحة للمسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونظير ذلك ما رُوِيَ عن خالد بن الوليد** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **من أكل السم)**، خالد بن الوليد أخذ السم والتهمه، وقال: ثقة بالله عَزَّ وَجَلَّ، ولم يضره السم؛ لأنه قوي التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنه مشي سعد بن أبي وقاص** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **وأبي مسلم الخولاني على متن البحر)**، قد يباشر أهل الإيمان والتوكل على الله والعلم، قد يباشرون الأشياء التي لو باشرها غيرهم لتضرر، وهم لم يتضرروا بها؛ لقوة توكلهم على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ مشوا على متن البحر خاضوه ولم يغرقوا؛ لأنهم يريدون أن يبينوا أن الأمور بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

....

ش: قوله: «وَلَا طِيَرَةَ»، **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **يحتمل أن يكون نفيًا أو نهيًا، أي: لا تطيروا. ولكن قوله في الحديث: «وَلَا عَدْوَى، وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ» يدل على أن المراد النفي، وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها.**

والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَلَا طِيَرَةَ». قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **يحتمل أن يكون نفيًا أو نهيًا)**، يعني (وَلَا طِيَرَةَ): لا تطيروا، أو نفيًا يعني لا يحصل طيرة، وإنما هذا بقضاء الله وقدره.

فالمعنى هنا يعني لا تطيروا: هذا نهي، (وَلَا طِيَرَةَ): يعني لا تحصل الطيرة من نفسها، وإنما تحصل بقدر الله وقضاءه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولكن قوله في الحديث: «وَلَا عَدْوَى، وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ» يدل على أن المراد النفي، وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها)**، كانوا في الجاهلية يبالغون في التوقي، ويظنون أن هذه الأمراض تعدي بنفسها، وتنتقل بنفسها.

أما المسلمون فيقولون: تعدي، لكنها تعدي إذا أراد الله سبحانه بقضاء الله وقدره، هذا الفرق بين أهل الجاهلية وأهل الإسلام في العدوى.

....

ش: وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم أنه قال لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «وَمِنَّا أُنَاسٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ»(١)، فأخبر أن تأذيه وتَشاؤُمه بالطيرة إنما هو في نفسه وعقيدته، لا في المتطير به، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده لما رآه وسمعه، فأوضح صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأمته الأمر، وبين لهم فساد الطيرة؛ ليعلموا أن الله -سبحانه- لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نصبها سببًا لما يخافونه ويحذرونه، ولتطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم إلى وحدانيته -تعالى- التي أرسل بها رسله، وأنزل بها كتبه، وخلق لأجلها السماوات والأرض، وعمر الدارين -الجنة والنار- بسبب التوحيد.

فقطع صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علق الشرك في قلوبهم؛ لئلا يبقى فيها علقة منها، ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهل النار ألبتة.

فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وتوكل على الله، قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطرها من قبل استمكانها.

قال عكرمة رَحِمَهُٱللَّهُ: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَمَرَّ طَائِرٌ يَصِيحُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: «خَيْرٌ خَيْرٌ». فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا خَيْرَ وَلَا شَرَّ»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٢) أورده ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص١٧٢)، وفي عيون الأخبار (١/ ٢٣٣)، =

فبادره بالإنكار عليه؛ لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر.

وخرج طاوس رَحِمَهُ اللَّهُ **مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير. فقال طاوس: وأي خير عند هذا؟ لا تصحبني[(١)]. اهـ. ملخصًا[(٢)].**

وقد جاءت أحاديث ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة؛ كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّابَّةِ وَالدَّارِ»[(٣)]، ونحو هذا.**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(عن معاوية بن الحكم أنه قال لرسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«وَمِنَّا أُنَاسٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ»)**، الإنسان يجد في نفسه شيئًا من الطيرة، لكنه يتوكل على الله، ويدفعها، تندفع عنه -بإذن الله-، وإلا هي موجودة، هواجس بالإنسان، وتخطر بباله، لكن التوكل يذهبها؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث: **«الطِّيَرَةُ شِرْكٌ»**. قال الراوي: **«وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»**[(٤)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فأوضح** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لأمته الأمر، وبين لهم فساد الطيرة؛ ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نصبها**

= بلا إسناد، وابن أبي الدنيا في أدب الدنيا والدين (ص٣١٥)، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ١٩٤) فقال: (روينا عن عكرمة)، وأورده ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢١٥) وعزاه إلى الطبري.

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠/ ٤٠٦)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٤، ٥)، أورده ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ٣٦٩) وعزاه إلى الخلال.

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٤، ٢٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٥٨)، ومسلم (٢٢٢٥) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) سبق تخريجه (ص١٩١).

سببًا لما يخافونه ويحذرونه)، كانوا في بعض البوادي في نجد المجذوم لا يقربونه أبدًا، يبتعدون عنه، ولا يعالجونه ولا شيء إلى أن يموت، كل هذا من التطير -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال عكرمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَمَرَّ طَائِرٌ يَصِيحُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: «خَيْرٌ خَيْرٌ». فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا خَيْرَ وَلَا شَرَّ»)**، يتشاءمون بالطيور، في مجلس ابن عباس مرَّ طير له صوت، فقال واحد من الجالسين: خير، خير، قال له ابن عباس: لا خير ولا شر، ولا تصحبنا. فطرده من مجلسه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وخرج طاوس)**، طاوس اليماني، طاوس: من علماء اليمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وخرج طاوس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير. فقال طاوس: وأي خير عند هذا؟ لا تصحبني)**، طرده من صحبته، أي خير عند الغراب؟ هذا طائر وهذا صوته، ولا يدل على خير أو شر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد جاءت أحاديث، ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة؛ كقوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّابَّةِ وَالدَّارِ»)**، ظن بعض الناس أنه هناك أحاديث تدل على جواز التطير؛ يعني: التشاؤم بالأشياء، منها قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّارِ وَالدَّابَّةِ»**، يعني: مركوبه.

الحديث صحيح، ولكنه لا يدل على جواز التطير، وإنما أخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله قد يخلق أعيانًا شريرة؛ فيها شر، مثل بعض النساء فيها شر على زوجها، الدابة التي يركبها يكون فيها شر -أيضًا.

«**الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّابَّةِ وَالدَّارِ**»، الدار: يعني البيت يكون مشؤومًا؛ من دخله أو نزل فيه، فإنه يأتيه مصيبة. وهذا لا يدل على جواز التطير، وإنما يدل على أن الله يخلق بعض الأشياء فيها شر؛ بعض النساء فيها شر، بعض الدواب الصعبة فيها شر -أيضًا-، هذا شيء معروف في بعض الدواب.

والدار -أيضًا- قد تكون دارٌ فيها جن أو فيها مؤذيات، فمن سكنها، يحصل له ضرر بذلك.

....

ش: **قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إخباره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشؤم في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعيانًا مشؤومة على من قاربها وسكنها، وأعيانًا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر، وهذا كما يعطي -سبحانه- الوالدين ولدًا مباركًا، يريان الخير على وجهه، ويعطى غيرهما ولدًا مشؤومًا، يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية أو غيرها، فكذلك الدار والمرأة والفرس.**

والله سبحانه خالق الخير والشر، والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودًا مباركة، ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليمن والبركة له، ويخلق بعضها نحوسًا يتنحس بها من قاربها. وكل ذلك بقضائه وقدره؛ كما خلق سائر الأسباب، وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة، كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة، ولذَّذ بها من قاربها من الناس، وخلق ضدها، وجعلها سببًا لألم من قاربها من الناس.

والفرق بين هذين النوعين مُدرَك بالحس، فكذلك في الديار والنساء والخيل، فهذا لون، والطيرة الشركية لون. انتهى[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إخباره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشؤم في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة)، انتبهوا لكلام ابن القيم على هذا الحديث.

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **إخباره** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بالشؤم في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله)**، إثبات الطيرة عمومًا: يعني في كل شيء، ليس فيها ذلك، ليس في الحديث ما يدل على ذلك، وإنما هذه أشياء مخصوصة ذكرها في الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية أو غيرها، فكذلك الدار والمرأة والفرس)**، يخلق بعض الأشياء فيها شر، وليس هذا يدل على التشاؤم في كل شيء.

من الناس من يتشاءم في الأعور، إذا رأى الأعور، فإنه يتشاءم، وهذا لا أصل له، فالأعور قد يكون فيه خير، ولو فقد إحدى عينيه، قد يكون فيه خير، ليس كل أعور يدل على التشاؤم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والله سبحانه خالق الخير والشر، والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودًا مباركة، ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليمن والبركة له، ويخلق بعضها نحوسًا يتنحس بها من قاربها)**، وهذا أشياء خاصة ليست بعامة في كل شيء، إنما هي أشياء خلقها الله خاصة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكل ذلك بقضائه وقدره)**، بلا شك؛ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]. كله خلقه الله وقدره.

هو الذي خلق هذه الأشياء الثلاثة، وجعل فيها شؤمًا، خلق كذلك الكثير من الأشياء الطيبة والأشياء المباركة، فليس هذا عامًّا في كل دابة، وفي كل دار، وفي كل زوجة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة، ولذَّذ بها من قاربها من الناس، وخلق ضدها، وجعلها سببًا لألم من قاربها من الناس)**، والله على كل شيء قدير؛ يخلق الخير، ويخلق الشر، يخلق الأخيار، ويخلق الأشرار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والفرق بين هذين النوعين مُدرَك بالحس، فكذلك في الديار والنساء والخيل، فهذا لون، والطيرة الشركية لون)**، فإذا لم تطب مصاحبتك لهذه المرأة اتركها، طلقها وتزوج غيرها، النساء كثير؛ ربما قد تكون مباركة على غيرك، الدار إذا كانت لا تطيب لك اتركها، وربما تكون دارًا طيبة لغيرك.

فلا يكون هذا لازمًا لهذه الأعيان، والله جَلَّ وَعَلَا جعل متسعًا للعبد؛ إذا لم تعجبه هذه الأشياء، فغيرها يعوض عنها، ولم يحوجك الله إليها.

....

ش: قوله: «وَلَا هَامَةَ». بتخفيف الميم على الصحيح[(١)].

قال الفراء: الهامة طير من طير الليل. كأنه يعني البومة.

قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم، يقول: نعت إليَّ نفسي أو أحدًا من أهل داري، فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «وَلَا هَامَةَ»**)، «وَلَا هَامَةَ»: التي هي طائر البومة، هذه الهامة: البومة؛ كانوا يتشاءمون بصوتها، يقولون: إنها إنما تصوت على الديار الخربة، وإذا صوتت على دار أحد، هذا دليل على أنه سيموت. وهذا غلط، وليس كذلك، الهامة طائر من سائر الطيور، لا تدل على خير ولا شر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «وَلَا هَامَةَ». بتخفيف الميم على الصحيح**)، بعض الروايات: ولا هَامَّة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم، يقول: نعت إليَّ نفسي أو أحدًا من أهل داري**)، وقد تسلط البومة على بعض ضعاف العقيدة، تسلط تقع على بيوتهم وتصوت، فيحصل لهم قلق في هذا؛ لأنهم اعتقدوا فيها، فسلطها الله عليهم، فلا يجوز أن الإنسان يتشاءم بشيء لم يجعله الله مشؤومًا.

---

(١) قال ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢٤١): (قال أبو زيد: هي بالتشديد، وخالفه الجميع فخففوها، وهو المحفوظ في الرواية، وكأن من شددها ذهب إلى واحدة الهوام).

(٢) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٤١).

....

ش: قوله: «وَلَا صَفَرَ». بفتح الفاء، روى أبو عبيدة في غريب الحديث عن رُؤْبة أنه قال: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرب عند العرب(١).

وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى، وممن قال بهذا سفيان بن عيينة، والإمام أحمد، والبخاري، وابن جرير(٢).

وقال آخرون: المراد به شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، وكانوا يحلون المحرم، ويحرمون صفر مكانه(٣)، وهو قول مالك(٤).

وروى أبو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول: «إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر، ويقولون: إنه شهر مشؤوم، فأبطل النبي ﷺ ذلك(٥).

قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال، والتشاؤم بصفر هو من

(١) انظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام (١/ ٢٥- ٢٦)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٥، ٢٦).
(٢) انظر: فتح الباري (١٠/ ١٧١)، وتحفة الأحوذي (٦/ ٢٩٦).
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٦).
(٤) أخرج نحوه أبو داود في سننه (٣٩١٤)، وانظر: التمهيد لابن عبد البر (٢٤/ ١٩٩)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/ ٤٩)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ٢١٤، ٢١٥).
(٥) أخرجه أبو داود (٣٩١٥).

جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام كيوم الأربعاء، وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة[(١)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله: «وَلَا صَفَرَ»**)، «**وَلَا صَفَرَ**». قيل: هو الشهر، شهر صفر كانوا يتشاءمون به دون سائر الشهور، يتشاءمون بشهر صفر، وهو لا أصل لهذا التشاؤم، شهر صفر شهر كسائر شهور السنة.

وقيل: صفر: مرض يكون في الأمعاء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**عن رُؤْبة**)، رؤبة بن العجاج: هذا لغوي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**عن رُؤْبة أنه قال: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرب عند العرب**)، هذا القول الثاني، قيل: هي الشهر. وقيل: هي مرض يأتي في البطن، حية تكون في البطن تخلق فيه، وهذا موجود في بطون بعض المرضى، يكون فيها نوع من هذه الأشياء المخلوقة، تتكون بإذن الله من المرض فيتأذى بها.

الحمد لله، الأدوية الآن كثيرة، والأطباء متوفرون، ولا حاجة لهذا التضايق، «**مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»[(٢)]، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ**»[(٣)]. والنبي

---

(١) انظر: لطائف المعارف (ص٧٤).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٣٠).

(٣) أخرجه أحمد (٣٠/ ٣٩٨)، وأبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨)، والنسائي في الكبرى (٧/ ٧٩)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، من حديث أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**فَتَدَاوَوْا وَلَا تَتَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**»[(١)]: بدواء حرام، محرم. وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -أيضًا- يقول: «**فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ**»[(٢)]، الشيء المحرم ابتعد عنه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى)**، هذا المرض الذي في البطن.

الأمراض تأتي على الناس، ويكون في بطونهم هذه الأشياء، يكون فيها حية صغيرة تخلق منها، ليست الحية المعروفة، لا، حية تخلق منها، مرض يتكون منه هذا الشيء، يعالج، والحمد لله العلاج موجود.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وممن قال بهذا سفيان بن عيينة، والإمام أحمد، والبخاري، وابن جرير)**، على أنه مرض يكون في البطن، ينشأ منه تخليق حية صغيرة في البطن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال آخرون: المراد به شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء)**، ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ [التوبة:٣٧].

والنسيء: هو نقل الأشهر الحرم من وقتها إلى وقت آخر، ينسؤونها: يعني يؤخرونها؛ ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٣٠).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا (٧/ ١١٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩/ ٢٥٠، ٢٥١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٨، ٧٥)، والطبراني في الكبير (٩/ ٣٤٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٢)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٨).

ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة:٣٦]، يعني: حُرِّمَ فيها القتال، وهي شهر شوال، وذو القعدة وذو الحجة: ثلاثة، والرابع شهر صفر، هذه يحرم فيها القتال في أول الإسلام.

والراجح أن هذا نُسِخَ، فصار قتال الكفار يشرع في أي وقت مناسب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وروى أبو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول: «إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر، ويقولون: إنه شهر مشؤوم، فأبطل النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ذلك»**)، لا شؤم في شهر صفر كغيره من الشهور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال**)، أشبه الأقوال: يعني أرجح الأقوال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها**)؛ لأن صفر شهرٌ كسائر الشهور، ليس فيه خير ولا شر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة**)، يعني: لا يعقدون النكاح في شهر شوال، يقولون: إنه لا يوفق الزوج أو الزوجة. وهذه كلها أمور جاهلية.

....

ش: قوله: «وَلَا نَوْءَ»: النوء واحد الأنواء، وسيأتي الكلام عليه في بابه -إن شاء الله تعالى.

قوله: «وَلَا غُولَ»: هو بالضم اسم، وجمعه أغوالٌ وغيلان، وهو المراد هنا.

قال أبو السعادات رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الغولُ واحد الغيلان، وهو جنس من الجنِّ والشياطين. كانت العرب تزعم أن الغولَ في الفلاة تتراءى للناس، تتلون تلونًا في صور شتى، وتغولهم، أي: تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبطله[1].

فيكون المعنى بقوله: «لَا غُولَ»: أنها لا تستطيع أن تضل أحدًا مع ذكر الله والتوكل عليه. ويشهد له الحديث الآخر: «لَا غُولَ وَلَكِنَّ السَّعالِي سَحَرَةُ الجِنِّ»[2]، أي: ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل.

ومنه الحديث: «إِذَا تَغَوَّلَتِ الْغِيلانُ، فَبَادِرُوا بِالأَذَانِ»[3]. أي: ادفعوا شرها بذكر الله، وهذا يدل على أنه لم يرد بنفيها عدمها.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٩٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٥/ ٦٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٢/ ١٧٨، ٢٣/ ٣١٥)، والنسائي في الكبرى (٩/ ٣٤٩)، والبزار (٤/ ٧٨)، وأبو يعلى (٤/ ١٥٣)، وابن أبي شيبة (٦/ ٩٣)، وعبد الرزاق (٥/ ١٦٣)، والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٧٣) من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومنه: حديث أبي أيوب: «كَانَ لِي تَمْرٌ فِي سَهْوَةٍ، فَكَانَتِ الْغُولُ تَجِيءُ فَتَأْخُذُ...»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «وَلَا نَوْءَ»)، يعني: أنهم ينسبون الأوقات، هناك أوقات يحصل فيها شر.

والأنواء: هي أوقات قد ينزل فيها المطر، سميت بالنوء؛ لأنها قد ينزل فيها المطر، وكانوا يتشاءمون في بعضها، فنفاه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالأنواء لا تدل على شيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَلَا نَوْءَ»: النوء واحد الأنواء، وسيأتي الكلام عليه في بابه إن شاء الله تعالى)**، النوء: وقت نزول المطر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَلَا غُولَ» هو بالضم)**، الغول: هو ما يتراءى للمسافر بالليل من نار تكون أمامه، فإذا وصل إليها لم يجد شيئًا، ثم تتلون في مكان آخر، وهكذا، خصوصًا إذا أوجس في نفسه خوفًا أو استوحش، وهذا من الجن، يتغول له الجن؛ ليروعوه بذلك.

ولهذا جاء في الأثر: «إِذَا تَغَوَّلَتِ الْغِيلانُ، فَبَادِرُوا بِالأَذَانِ»؛ لأنها إذا سمعت الأذان تذهب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَلَا غُولَ» هو بالضم اسم، وجمعه أغوالٌ وغيلان)**، وأما الغَوْلُ: فهو السُّكْرُ، سكر الخمر، يقال له: الغَوْل؛ لأنها اغتالت عقله.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨/ ٥٦٣)، وابن أبي شيبة (٦/ ٩٤)، والطبراني في الكبير (٤/ ١٦٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٦٥١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو السعادات)**، هو ابن الأثير الذي يشرح غريب الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كانت العرب تزعم أن الغولَ في الفلاة تتراءى للناس، تتلون تلونًا في صور شتى، وتغولهم، أي: تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبطله)**، وأمر بالتوكل على الله، ولا يلتفت إلى هذا الذي يتراءى أمامه، يذهب عنه بإذن الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويشهد له الحديث الآخر: «لا غول ولكن السعالي»)**، السعالي: يعني من الجن، هذا الضوء الذي يتراءى هؤلاء الجن يريدون أن يضلوا بني آدم، ويضلوهم عن الطريق، فإذا ذكر الراكب ربه، وقرأ القرآن ذهبت عنه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنه الحديث: «إِذَا تَغَوَّلَتِ الْغِيلانُ، فَبَادِرُوا بِالأَذَانِ»، أي: ادفعوا شرها بذكر الله، وهذا يدل على أنه لم يرد بنفيها عدمها)**، هي موجودة، لكن يطردها عنك ذكر الله، تلاوة القرآن، بالتسبيح والتهليل والتكبير، والاستعاذة بالله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنه: حديث أبي أيوب: «كَانَ لِي تَمْرٌ فِي سَهْوَةٍ، فَكَانَتِ الْغُولُ تَجِيءُ فَتَأْخُذُ...»)**، أبو أيوب الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ. قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»(١).

ش: قوله: «وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ». قال أبو السعادات: الفأل، مهموز: فيما يسر ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استعملت فيما يسر. يقال: تفاءلت بكذا وتفاولت، على التخفيف والقلب.

وقد أولع الناس بترك الهمزة تخفيفًا، وإنما أحب الفأل؛ لأن الناس إذا أملوا فائدة الله، ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي، فهم على خير، وإذا قطعوا آمالهم ورجاءهم من الله -تعالى-، كان ذلك من الشر.

وأما الطيرة، فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء، والتفاؤل: أن يكون رجل مريض، فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة، فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه، ويجد ضالته. ومنه الحديث: «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ».

قوله: «قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ». بين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الفأل يعجبه، فدل على أنه ليس من الطيرة المنهى عنها(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية، التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها؛ كما أخبرهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه حُبِب إليه من الدنيا النساء

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٠٥).

والطيب[(١)]، وكان يحب الحلواء والعسل[(٢)]، ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان، ويستمع إليه[(٣)]، ويحب معالي الأخلاق ومكارم الشيم[(٤)].

وبالجملة يحب كل كمال وخير وما يفضي إليهما، والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن، ومحبته، وميل نفوسهم إليه. وكذلك جعل فيها الارتياح، والاستبشار، والسرور باسم الفلاح، والسلام والنجاح، والتهنئة والبشرى، والفوز والظفر، ونحو ذلك.

فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع، استبشرت بها النفس، وانشرح لها الصدر، وقوي بها القلب. وإذا سمعت أضدادها، أوجب لها ضد هذه الحال، فأحزنها ذلك، وأثار لها خوفًا، وطيرة، وانكماشًا، وانقباضًا عما قصدت له، وعزمت عليه، فأورث لها ضررًا في الدنيا، ونقصًا في الإيمان، ومقارفة الشرك[(٥)].

وقال الحليمي: وإنما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال[(٦)].

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (١٩/ ٣٠٥، ٣٠٧، ٢٠/ ٣٥١، ٢١/ ٤٣٣)، والنسائي في المجتبى (٣٩٣٩، ٣٩٤٠)، وفي الكبرى (٨/ ١٤٩)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٤٣١)، ومسلم (١٤٧٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٤٠٩)، ومسلم (٨٠٠) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٤).

(٦) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ٢٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهما عن أنس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال: قال رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ. قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»)**، الفأل: حسن ظن بالله، يتفاءل الإنسان، بدل أن يتشاءم يتفاءل بالخير؛ إذا سمع الكلمة الطيبة، تفاءل خيرًا، إذا سمع الاسم الحسن، تفاءل خيرًا، فالتفاؤل طيب، وأما التشاؤم، محرم ولا يجوز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإنما أحب الفأل؛ لأن الناس إذا أملوا فائدة الله، ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي، فهم على خير)**، من إحسان الظن بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان، ويستمع إليه)**، كما استمع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبي موسى الأشعري، وهو يقرأ في صلاة الليل؛ لحسن صوته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَوْ رَأَيْتَنِي الْبَارِحَةَ، وَأَنَا أَسْتَمِعُ إِلَى قِرَاءَتِكَ»**. قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُ لِي لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا»، يعني: زينت صوتي تزينًا أكثر مما سمعت؛ لأن الله أعطاه حسن الصوت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه: **«إِنَّهُ أُعْطِيَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»**(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع، استبشرت بها النفس، وانشرح لها الصدر، وقوي بها القلب)**، ولذلك يستحب للوالد أن يختار لمولوده الاسم الحسن، يختار له الاسم الحسن الذي تنشرح له النفوس، ويتفاءل به.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣).

وَلِأَبِي دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ قَالَ: «ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»[(١)].

ش: قوله: (عَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ)، هكذا وقع في نسخ التوحيد، وصوابه: عن عروة بن عامر؛ كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما، وهو مكي، اُختلف في نسبه، فقال أحمد: عن عروة بن عامر القرشي، وقال غيره: الجهني[(٢)].

واُختلف في صحبته، فقال الماوردي: له صحبة، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين[(٣)]، وقال المزي: لا صحبة له تصح[(٤)].

قوله: «فَقَالَ: أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ»، قد تقدم أنه ﷺ كان يعجبه الفأل.

وروى الترمذي، وصححه عن أنس رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ: يَا نَجِيحُ، يَا رَاشِدُ»[(٥)].

وروى أبو داود عن بريدة: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا، سَأَلَ عَنِ اسْمِهِ، فَإِذَا أَعْجَبَهُ، فَرِحَ بِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ، رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ...»[(٦)]، وإسناده حسن. وهذا فيه استعمال الفأل.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩١٩).

(٢) انظر: موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله (٢/ ٤٤٢).

(٣) انظر: الثقات (٥/ ١٩٥).

(٤) انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٠٤).

(٥) أخرجه الترمذي (١٦١٦)، والطبراني في الصغير (١/ ٣٣١)، وفي الأوسط (١/ ٣٣١).

(٦) أخرجه أحمد (٣٨/ ٣٤)، وأبو داود (٣٩٢٠)، والنسائي في الكبرى (٨/ ١١٥)، =

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الفأل من الطيرة، وهو خيرها، فأبطل الطيرة، وأخبر أن الفأل منها، ولكنه خير منها، ففصل بين الفأل والطيرة؛ لما بينهما من الامتياز والتضاد، ونفع أحدهما ومضرة الآخر، ونظير هذا: منعه من الرقى بالشرك، وإذنه في الرقية إذا لم يكن فيها شرك؛ لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(عَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ قَالَ: «ذُكِـرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»)**، الطيرة قد تعرض للإنسان، فيتشاءم، أو يكره، فيبادر بالدعاء: «اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»، فهذا علاجها، تذهب -بإذن الله- مع هذا الدعاء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «عَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ» هكذا وقع في نسخ التوحيد، وصوابه: عن عروة بن عامر)**، بدل عقبة: عروة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(عن أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«أَنَّ النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ، يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ: يَا نَجِيحُ، يَا رَاشِـدُ»)**، يحب أن يسمع الاسم الحسن.

= وابن حبان في صحيحه (١٣/ ١٤٢)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٤٠)، وفي شعب الإيمان (٢/ ٩٩).

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ، رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ)**، لكنه لا يتكلم بشيء صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونظير هذا: منعه من الرقى بالشرك، وإذنه في الرقية إذا لم يكن فيها شرك؛ لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة)**، الرقية: قراءة المريض أو المصاب من القرآن ومن الأدعية، هذه مرخص فيها شرعًا؛ لأنها سبب من الأسباب النافعة بإذن الله.

....

ش: قوله: «وَلَا تَـرُدُّ مُسْلِمًا». قال الطيبي: تعريض بأن الكافر بخلافه[(١)].

قوله: «اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَـنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّـيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ»، أي: لا تأتي الطيرة بالحسنات، ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات، وتدفع السيئات.

ففيه: نفي تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعًا، ولا تدفع ضرًّا، ويعد من اعتقدها سفيهًا مشركًا.

قوله: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»؛ استعانة بالله تعالى على فعل التوكل، وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سببًا لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها، وذلك الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات.

والحول والتحول: الانتقال من حال إلى حال، والقوة على ذلك بالله وحده لا شريك له.

ففيه التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته، وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليل على توحيد الإلهية، الذي هو إفراد

---

(١) انظر: شرح المشكاة للطيبي (٩/ ٢٩٨٧).

الله تعالى بجميع أنواع العبادة، وهو توحيد القصد والإرادة، وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا»**)، أي: الطيرة إذا تطير الإنسان، لاترده الطيرة عن مقصده، بل يرفضها، ولا تضره بإذن الله، وإلا الطيرة يجد الإنسان في نفسه شيئًا، لكن يدفعه بالتوكل؛ كما قال بعض الصحابة: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»(١)، يتوكل على الله وتذهب عنه الطيرة ولا تضره، أما إذا انساق معها، فإنها تشتد عليه وتعطله عن أعماله، فيصبح دائمًا متطيرًا.

بعضهم كان لا يخرج من بيته من الطيرة؛ لئلا يرى أحدًا لا يرغب في رؤيته، أو يسمع شيئًا لا يرغب في سماعه، فينحبس في بيته -والعياذ بالله-، كل هذا من شدة التطير عنده.

الإنسان يتوكل على الله، ولا تضره الطيرة، وتذهب عنه، إذا أحس بها، يدعو بهذا الدعاء: «**اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**»، «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**»(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ففيه: نفي تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد**)، تعلق القلب بالله في جلب الخير ودفع الشر، هذا هو التوحيد.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٩١).

(٢) أخرجه أحمد (١١/ ٦٢٣)، والطبراني في الكبير (١٣/ ٢٢)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٠٣)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويعد من اعتقدها سفيهًا مشركًا)**، من اندفع مع الطيرة هذا سفيه العقل، وهو -أيضًا- مشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والحول والتحول: الانتقال من حال إلى حال)**؛ «**وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**»، أي: لا أقدر على التحول من حال إلى حال إلا بإعانتك.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحهُ، وَجَعَلَ آخرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ[١].

ش: ورواه ابن ماجه وابن حبان.

ولفظ أبي داود: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا». ثلاثًا، وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من تعلق القلب على غير الله تعالى.

قال ابن حمدان: تُكره الطيرة، وكذا قال غيره من أصحاب أحمد[٢].

قال ابن مفلح: والأولى القطع بتحريمها؛ لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروهًا الكراهية الاصطلاحية[٣]؟!!

قال في شرح السنن: وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أَنَّ الطيرة تجلب لهم نفعًا، أو تدفع عنهم ضرًّا إذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوا مع الله تعالى[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٧/ ٢٥٠)، وأبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٣١٣)، وابن حبان (١٣/ ٤٩١)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: كشاف القناع (١٥/ ٢٩٥).
(٣) انظر: الآداب الشرعية (٣/ ٣٦٠).
(٤) انظر: شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٥/ ٦٧٥).

قوله: «وَمَا مِنَّا إِلَّا». قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري: في الحديث إضمار. والتقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك. اهـ[(١)].

وقال الخلخالي: حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا من أدب الكلام[(٢)].

قوله: «وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»، أي: لكن لما توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر، أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده.

قوله: «وَجَعَلَ آخرَهُ مِنْ قَولِ ابْنِ مَسْعُودٍ»، قال ابن القيم: وهو من الصواب، فإن الطيرة نوع من الشرك[(٣)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»)، هذا الحديث من كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضوع الطيرة والتطير، وهو التشاؤم.

الطيرة: هي التشاؤم بالشر؛ إذا رأى شيئًا أو سمع صوتًا لا يتناسب مع رغبته، تشاءم به، وتوقع الشر، وهذا أمر لا يجوز؛ لأن الأمور بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعلى المسلم أن يتوكل على الله، ولا يتأثر بمثل ما يرى أو ما يسمع مما يكره، يتوكل على الله عَزَّ وَجَلَّ، تذهب عنه هذه الطيرة، ولهذا يقول

(١) انظر: الترغيب والترهيب للمنذري (٤/ ٣٣)، ونيل الأوطار (٧/ ٢١٧).
(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص ٣٧٥).
(٣) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٤).

ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -كما سبق- يقول: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»؛ لأنها فيها نسبة المكروه إلى غير الله، ونسبة الشر إلى غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهي فيها إشراك؛ لأن فيها اعتقاد أن غير الله ينفع أو يضر، وهذا هو الشرك.

والإنسان بشر قد يقع في قلبه شيء منها؛ إذا رأى شخصًا لا يحب رؤيته، أو سمع صوتًا، فإنه يتشاءم، لكن يذهب ذلك بالتوكل على الله.

ولهذا قال ابن مسعود: «وَمَا مِنَّا إِلَّا»: من يجد في نفسه شيئًا من الطيرة.

«**وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**»: التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هذا علاجها: أن تتوكل على الله، ولا يضرك شيء إلا بإذن الله؛ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، ثم -أيضًا- يدعو بالدعاء الوارد: «**اللَّهُمَّ لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**»، فيذهب عنه ذلك بإذن الله.

«**اللهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»، بالدعاء هذا مع التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا تضره الطيرة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **مَرْفُوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا، وَمَا مِنَّا إِلَّا»)**، «وَمَا مِنَّا إِلَّا»: وما منا إلا يجد في نفسه شيئًا منها، ولكن الله يذهبه بالتوكل على الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ)**، وهو قوله: «وَمَا مِنَّا إِلَّا»: جعله من قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»: هذا كلام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**وَمَا مِنَّا إِلَّا**»: هذا من كلام ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ولفظ أبي داود: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا**». ثلاثًا، وهذا صريح في تحريم الطيرة)؛ لأن الشرك هو أعظم المحرمات، إذًا فالطيرة هي أعظم المحرمات.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (**قال ابن حمدان: تُكره الطيرة**)، يعني: تحرم، إذا جاء لفظ «تُكره» أو «يكره» عند السلف، فمعناه التحريم؛ كما في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء:٣٨]، يعني: محرمًا. إنما جعل المكروه: لا يثاب تاركه، ويعاقب فاعله هذا اصطلاح المتأخرين، أما عند المتقدمين: فالمكروه هو المحرم.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (**قال ابن مفلح**)، ابن مفلح الحنبلي صاحب «الفروع في المذهب»، وهو إمام جليل.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (**قال ابن مفلح: والأولى القطع بتحريمها**)، الأولى القطع بتحريم الطيرة، ولا شك، ما دامت أنها شرك، فالشرك محرم.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (**وكيف يكون الشرك مكروهًا الكراهية الاصطلاحية؟!!**)، كراهة التنزيه الاصطلاحية عند المتأخرين.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (**قال في شرح السنن**)، شرح سنن أبي داود للإمام الخطابي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أَنَّ الطيرة تجلب لهم نفعًا، أو تدفع عنهم ضرًا إذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوا مع الله تعالى)**، إذا اعتقد أن الطيرة تجلب الشر أو تجلب الخير، هذا شرك بالله؛ لأنه لا يأتي بالحسنات ولا يدفع السيئات إلا الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَمَا مِنَّا إِلَّا». قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري: في الحديث إضمار. والتقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك)**، «وَمَا مِنَّا إِلَّا»: فيه كلام محذوف، «وَمَا مِنَّا إِلَّا»: من يقع في قلبه شيء من الطيرة، ولكن ما دام لم يتكلم به، وتوكل على الله، فإن الله يذهبه بالتوكل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الخلخالي: حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة)**، حذف المستثنى بعد (إلا)؛ لأنه مكروه، «وَمَا مِنَّا إِلَّا» من يجد في نفسه شيئًا من الطيرة.

وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ. قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»(١).

ش: هذا الحديث رواه أحمد والطبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفي إسناده ابن لهيعة وبقية رجاله ثقات.

قوله: من حديث ابن عمرو، هو: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي أبو محمد. وقيل: أبو عبد الرحمن، أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليَالِي الحرَّة على الأصح بالطائف(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ. قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»)، «وَمَا مِنَّا إِلَّا»: من يجد في نفسه شيئًا من التطير إذا رأى ما يكره، ولكن المسلم لا يتفاعل مع ذلك، بل يرفضه، ويتوكل على الله، فيذهب عنه ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١١/ ٦٢٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣١٢)، والطبراني في الكبير (١٣/ ٢٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص٢٥٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٢٠١). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٠٥): (رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات).

(٢) انظر في ترجمته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الاستيعاب (٣/ ٩٥٦)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٧٩)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٦٦٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٦٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرُو** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **«مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»)**، الإنسان إذا وجد في نفسه شيئًا من الطيرة، امتنع عما أراد، فإنه تضره الطيرة، تكون شركًا. أما إذا مضى في أمره، وتوكل على الله، فإنها لا تضره، هذا علاجها؛ أنك تمضي، ولا تتأثر بها مع الدعاء الوارد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»)**، هذا نوع من الدعاء.

والنوع الثاني: «اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»؛ تعالج بهذه الأدعية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي إسناده ابن لهيعة)**، ابن لهيعة: هذا من رواة الحديث، لكنه اختلط في آخر حياته، وصارت روايته فيها مقال. ولكن إذا جاء الحديث من طرق أخرى، فإنها تعضده وتؤيده، ويندفع ما فيه من ضعف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: من حديث ابن عمرو، هو: عبد الله بن عمرو ابن العاص بن وائل السهمي)**، صحابي جليل، أحد العبادلة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: عبد الله بن عمرو بن العاص، عبد الله بن عباس، عبد الله بن مسعود، عبد الله بن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، هؤلاء هم العبادلة(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أحد السابقين المكثرين من الصحابة)**، المكثرين: يعني من رواية الحديث.

---

(١) انظر: الجامع لعلوم الإمام أحمد -الفقه (٦/ ١٦٧)، وأخبار مكة للفاكهي (٢/ ٣٢٥)، وطبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/ ٣٤٨)، ومقدمة ابن الصلاح (ص٢٩٦، ٣٩٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأحد العبادلة الفقهاء**)، وهم الأربعة الذين ذكرنا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مات في ذي الحجة ليَالِي الحرَّة**)، ليالي الحرَّة: الوقعة التي حصلت في الحرَّة عند المدينة؛ لما خرج أهل المدينة على يزيد بن معاوية، خرجوا عليه ولم يبايعوه. وهذا غلط منهم بلا شك، ابن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لم يوافقهم على هذا، بل جمع أولاده وأهله، ونصحهم ألا يتابعوا أهل المدينة، هذا خروج على ولي الأمر ولا يجوز، فهم أخطؤوا في هذا. وكانت النتيجة أن يزيد غزا أهل المدينة؛ لأنهم عصوه، خرجوا عن طاعته، وهو ولي أمر المسلمين بعد أبيه، فحصلت الحرَّة، وقُتِل فيها خلقٌ كثير من أهل المدينة.

....

ش: قوله: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ»، وذلك أن الطيرة: هي التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع. فإذا رده شيء من ذلك عن حاجته التي عزم عليها -كإرادة السفر ونحوه-، فمنعه عما أراده وسعى فيه ما رأى، وما سمع تشاؤمًا، فقد دخل في الشرك -كما تقدم-، فلم يخلص توكله على الله بالتفاته إلى ما سواه، فيكون للشيطان منه نصيب.

قوله: «فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟...» إلى آخره. فإذا قال ذلك، وأعرض عما وقع في قلبه، ولم يلتفت إليه، كفر الله عنه ما وقع في قلبه ابتداء؛ لزواله عن قلبه بهذا الدعاء المتضمن للاعتماد على الله وحده، والإعراض عما سواه.

وتضمن الحديث أن الطيرة لا تضر من كرهها ومضى في طريقه، وأما من لا يخلص توكله على الله، واسترسل مع الشيطان في ذلك، فقد يعاقب بالوقوع فيما يكره؛ لأنه أعرض عن واجب الإيمان بالله، وأن الخير كله بيده، فهو الذي يجلبه لعبده بمشيئته وإرادته، وهو الذي يدفع عنه الضر وحده بقدرته ولطفه وإحسانه، فلا خير إلا منه، وهو الذي يدفع الشر عن عبده، فما أصابه من ذلك فبذنبه؛ كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإذا رده شيء من ذلك عن حاجته التي عزم عليها كإرادة السفر ونحوه، فمنعه عما أراده وسعى فيه ما رأى، وما سمع تشاؤمًا، فقد

دخل في الشرك)؛ لأنه اعتقد حصول الشر من غير الله عَزَّوَجَلَّ، والله جَلَّوَعَلَا هو الذي يدبر الخير ويدبر الشر، هو الذي يدبر الأمور، لا المتشائم هو الذي يدبر، هذا شرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ولكن المسلم إذا دفعها ومضى في طريقه ولم يتأثر بها لم تضره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟...» إلى آخره. فإذا قال ذلك، وأعرض عما وقع في قلبه، ولم يلتفت إليه، كفر الله عنه ما وقع في قلبه ابتداء؛ لزواله عن قلبه بهذا الدعاء المتضمن للاعتماد على الله وحده، والإعراض عما سواه)**، إذًا تعالج الطيرة بأمرين:

أولًا: أنها لا تؤثر عليه، ويمضي فيما أراد.

والأمر الثاني: أن يأتي بالدعاء الذي سيأتي -إن شاء الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما من لا يخلص توكله على الله، واسترسل مع الشيطان في ذلك، فقد يعاقب بالوقوع فيما يكره)**، أما من تأثر بالطيرة، وأمسك عن حاجته؛ خوفًا مما يصيبه، فإن الله قد يسلط عليه ما خاف منه؛ عقوبة له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهو الذي يجلبه لعبده بمشيئته وإرادته، وهو الذي يدفع عنه الضر وحده بقدرته ولطفه وإحسانه)**، كل الأمور بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا علقت قلبك بالله، فإنها لا تضرك، الطيرة إذا حصل في قلبك شيء منها لا تضرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فما أصابه من ذلك فبذنبه؛ كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩])**، ﴿مَّآ أَصَابَكَ

مِنْ حَسَنَةٍ﴾: المراد بالحسنة هنا: جميع الخير؛ العافية، الرزق، كل الخير يسمى حسنة. ليست الحسنة التي هي الذنب، لا، ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، يعني: ما أصابك من خير، فهو من الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩]، يعني: ما أصابك مما تكره، فإنه بسبب نفسك واعتقادك، وهو مقدر عليك من الله؛ عقوبة على ما وقع منك من التفاعل مع الطيرة، يسلط الله عليك ما تكره.

أما لو توكلت على الله، فالله يمنع عنك ما تكره بإذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الأمور بيده.

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الفَضْلِ بنِ عبَّاسٍ: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاك، أَوْ رَدَّك»[(١)].

ش: قوله: (وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الفَضْلِ بنِ عَبَاسٍ: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ، أَوْ رَدَّكَ»)، هذا الحديث عند الإمام أحمد من حديث الفضل بن عباس، قال: «خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمًا فَبَرِحَ ظَبْيٌ، فَمَالَ فِي شِقِّهِ فَاحْتَضَنْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَطَيَّرْتَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ، أَوْ رَدَّكَ».

وفي إسناده انقطاع، أي: بين مسلمة -راويه-، وبين الفضل، وهو الفضل بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن معين: قُتِلَ يوم اليرموك.

وقال غيره: قُتِلَ يوم مرج الصفر سنة ثلاث عشرة، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة. وقال أبو داود: قُتِلَ بدمشق. كان عليه درع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٢)].

قوله: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ، أَوْ رَدَّكَ». هذا حد الطيرة المنهى عنها: أنها ما يحمل الإنسان على المضي فيما أراده، ويمنعه من المضي فيه كذلك.

وأما الفأل الذي كان يحبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيه نوع بشارة، فيسر به العبد، ولا يعتمد عليه؛ بخلاف ما يمضيه أو يرده، فإن للقلب عليه نوع اعتماد، فافهم الفرق. والله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٢٧).

(٢) انظر في ترجمته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مشاهير علماء الأمصار (ص ٢٨)، والاستيعاب (٣/ ١٢٦٩)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٤)، والإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٢٨٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ)**، يعني المصنف: الذي هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَهُ: مِنْ حَدِيْثِ الفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ»)**، حديث الفضل بن العباس بن عبد المطلب: هو أكبر أولاد العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولهذا يقال له: أبو الفضل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عند الإمام أحمد من حديث الفضل بن عباس، قال: «خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمًا فَبَرِحَ ظَبْيٌ، فَمَالَ فِي شِقِّهِ فَاحْتَضَنْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَطَيَّرْتَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ، أَوْ رَدَّكَ»)**، «مَا أَمْضَاكَ» في طريقك، «أَوْ رَدَّكَ» عن طريقك، هذه الطيرة، تؤثر عليك.

فإذا حصل شيء في قلبك، ادفعها بالتوكل على الله، ولا تضرك، وامض فيما عزمت عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي إسناده انقطاع)**، الانقطاع: إذا سقط من الحديث راوٍ في أوله، في أول السند، أو في وسطه، أو في آخره، يقال: هذا حديث منقطع، فإذا سقط منه راويان متواليان، يسمى بالمعضل(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن معين: قُتِلَ يوم اليرموك)**، قُتِلَ الفضل بن العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في يوم غزوة اليرموك مع الروم بقيادة خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) انظر في معنى المنقطع والمعضل والفرق بينهما: مقدمة ابن الصلاح (ص ٥٦- ٦١)، والتقريب والتيسير للنووي (ص ٣٥- ٣٦)، والمنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي (ص٤٦- ٤٧)، وشرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي (١/ ٢١٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال غيره: قُتِلَ يوم مرج الصفر سنة ثلاث عشرة)**، مرج الصفر: بالشام، والمرج: هو البستان، مرج الصفر هذا في الشام، حصل فيه وقعة، فسُمِيت الوقعة: مرج الصفر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أبو داود: قُتِلَ بدمشق)**، مرج الصفر في دمشق، لا تناقض.

«**الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ**»: ما أمضاك إلى حاجتك، أو ردك عنها، هذه هي الطيرة، أما مجرد أن الإنسان يجد في نفسه شيئًا منها، فيمضي في حاجته، ولا تمنعه عن حاجته، فإنها لا تضره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ، أَوْ رَدَّكَ». هذا حد الطيرة المنهى عنها: أنها ما يحمل الإنسان على المضي فيما أراده، ويمنعه من المضي فيه كذلك)**، الذي تؤثر عليه الطيرة يأثم بذلك، وهذا شرك، والذي لا تؤثر عليه ويمضي في طريقه لا تضره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما الفأل الذي كان يحبه النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فيه نوع بشارة، فيسر به العبد)**، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعجبه الفأل؛ إذا رأى أحدًا يحبه، أو سمع كلمة طيبة، أو اسمًا حسنًا، تفاءل بذلك، تفاءل بالخير من الله عَزَّ وَجَلَّ، فالفأل طيب؛ لأنه حسن ظن بالله عَزَّ وَجَلَّ، وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعجبه الفأل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بخلاف ما يمضيه أو يرده)**، هذه طيرة، ما يمضيه: يعني يؤثر عليه، فهذه طيرة لا تجوز.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: التَّنْبِيْهُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾.

الثَّانِيَةُ: نَفْيُ العَدْوَى.

الثَّالِثَةُ: نَفْيُ الطِّيَرَةِ.

الرَّابِعَةُ: نَفْيُ الهَامَةِ.

الخَامِسَةُ: نَفْيُ الصَّفَرِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ الفَأْلَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ.

السَّابِعَةُ: تَفْسِيْرُ الفَأْلِ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ الوَاقِعَ فِي القُلُوْبِ مِنْ ذَلِكَ -مَعَ كَرَاهَتِهِ- لَا يَضُرُّ، بَلْ يُذْهِبُهُ اللهُ بِالتَّوَكُّلِ.

التَّاسِعَةُ: ذِكْرُ مَا يَقُوْلُ مَنْ وَجَدَهُ.

العَاشِرَةُ: التَّصْرِيْحُ بِأَنَّ الطِّيَرَةَ شِرْكٌ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: تَفْسِيْرُ الطِّيَرَةِ المَذْمُوْمَةِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فِيْهِ مَسَائِلُ)، في هذا الباب.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا انتهى الباب، ذكر ما يستفاد من الأدلة الواردة فيه، ما يستفاد من الأحكام الشرعية، فهذه المسائل هي فقه الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الأُوْلَى: التَّنْبِيْهُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾)، ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:١٣١]، أي: أن ما يصيبهم من خير أو شر هذا عند الله، يتوكل على الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وأما قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [يس:١٩]، يعني: إذا تشاءموا ومنعتهم الطيرة عما أرادوا، فهو معهم. ولهذا في سورة يس؛ لما قالوا لرسل الله الذين أرسلهم إليهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [يس:١٨]، ﴿قَالُواْ﴾: قالت الرسل: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [يس:١٩]: هذا منكم، وهو الذي أثر عليكم، وليس بسببنا، ما أصابكم هو بسبب تطيركم، وليس بسبب الرسل التي جاءتهم بالخير.

بنو إسرائيل إذا ﴿جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ [الأعراف:١٣١]، فالطيرة قديمة هذه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّانِيَةُ: نَفْيُ العَدْوَى)**، الفائدة الثانية: نفي العدوى؛ «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ**»، يعني: أن المرض لا يعدي بنفسه -كما تعتقده الجاهلية-، وإنما يعدي بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو الذي ينقل المرض من عضو إلى عضو، أو من شخص إلى شخص، أو من بلد إلى بلد، الله جَلَّ وَعَلَا هو الذي ينقل هذا المرض، أما أن المرض يعدي بنفسه، فهذا اعتقاد الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّالِثَةُ: نَفْيُ الطِّيَرَةِ)**، نفي الطيرة التي يتطيرها المشركون، أنها منفية وباطلة لا وجود لها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: نَفْيُ الهَامَةِ)**، وهي طائر البومة؛ يتشاءمون بطائر البومة إذا سمعوا صوتها، الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**وَلَا هَامَةَ**»، يعني: هذا الطائر لا ينسب إليه شيء؛ لأنه كسائر الطيور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: نَفْيُ الصَّفَرِ)**؛ «**وَلَا صَفَرَ**»، في الحديث: «**وَلَا صَفَرَ**»، قيل: هو مرض يكون في البطن، يزعمون أنه يعدي، وقيل:

هو شـهر صفر المعروف؛ كانوا يتشـاءمون به، وهذا هو المعروف، يتشاءمون بشهر صفر؛ ولهذا يقول العلماء لما يذكروه، يقولون: صفر الخير. هذا رد على المتشائمين به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةُ: أَنَّ الفَأْلَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ)**؛ أن الفأل ليس من الطيرة؛ لأنه حسن ظن بالله، ورجاء للخير، فليس هو من الطيرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الفَأْلِ)**، الفأل: ما يسرك، تأميل الخير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّامِنَةُ: أَنَّ الوَاقِعَ فِي القُلُوْبِ مِنْ ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَتِهِ؛ لَا يَضُرُّ بَلْ يُذْهِبُهُ اللهُ بِالتَّوَكُّلِ)**، أن الطيرة إذا وقعت في القلب، ولم يتفاعل معها الإنسان، وتوكل على الله، فإنها لا تضره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التَّاسِعَةُ: ذِكْرُ مَا يَقُوْلُ مَنْ وَجَدَهُ)**، ذكر ما يقول من وجد الطيرة؛ لأن الإنسان بشر تقع الطيرة في نفسه، لكن يدفعها -أولًا- بعدم الانفعال معها، والمضي معها.

ثانيًا: بالدعاء: «**اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**»، هذا نوع من الدعاء.

والنوع الثاني: «**اللَّهُمَّ لا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**»، فإذا جاء بهذا الدعاء أو ذاك، فإن الله يذهب عنه الطيرة التي وجدها في نفسه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(العَاشِرَةُ: التَّصْرِيْحُ بِأَنَّ الطِّيَرَةَ شِرْكٌ)**؛ «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»: هذا تصريح بأنها شرك؛ لأنها نسبة الأمر إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: تَفْسِيْرُ الطِّيَرَةِ المَذْمُوْمَةِ)**؛ «**مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ**»، في الحديث: «**الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ**»، يعني: ما تفاعلت معها وتأثرت بها.

٢٨- بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: التنجيم هو: الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية[١].

وقال الخطابي: علم النجوم المنهي عنه: ما يدعيه أهل التنجيم، من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان: كأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وتغير الأسعار، وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها، واجتماعها وافتراقها، يدعون أن لها تأثيرًا في السفليات. وهذا منهم تحكم على الغيب، وتعاطٍ لعلم قد استأثر الله به، ولا يعلم الغيب سواه[٢].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ)، التنجيم: هو الاعتقاد في النجوم؛ إذا طلع النجم الفلاني، قالوا: لا تسافروا، لا تغزوا، لا تزرعوا، يتشاءمون ببعض النجوم.

التنجيم: هو نسبة الحوادث الأرضية إلى الأحوال الفلكية، هذا هو التنجيم، يتشاءمون بالنجوم، وهذا التنجيم شرك.

الذي يعتقد في النجوم، النجوم مخلوقة ليس لها تصرف بالكون، خلقها

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢)، والفتاوى الكبرى (٥/ ٥٣٦).
(٢) انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٢٩- ٢٣٠).

الله لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها في الطرق والأسفار.

زينة للسماء: كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات:٦].

ورجومًا للشياطين: كما قال الله جَلَّوَعَلَا في النجوم أن الشياطين إذا أرادت أن تسترق السمع يأتيها شهاب من النجم، لا أن النجم هو الذي يسقط، لا، شهاب ينطلق من النجم، فيصيب الشياطين.

وعلامات يهتدى بها في الأسفار: قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦]؛ يهتدون به في السفر، يمشون على النجم في البراري، وفي البحار -أيضًا- تمشي على النجم، وتهتدي -بإذن الله-، تعرف الاتجاه، إذا رأيت النجم، عرفت الاتجاه، وتبين لك الطريق الذي تريده، هذا من فوائد النجوم.

﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ﴾، يعني: نوع النجوم، ليس نجمًا معينًا مثلما يقولون: الجدي، لا، النجم عام لكل النجوم يهتدى بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **التنجيم هو: الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية)**، هذا تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية؛ أن التنجيم: هو الاستدلال على الحوادث الأرضية، يعني: ما يجري في الأرض من مصائب أو من خير أو مما يكرهه الناس ينسبونه إلى النجوم، وهذا شرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الخطابي: علم النجوم المنهي عنه: ما يدعيه أهل التنجيم)**، علم النجوم على نوعين:

النوع الأول: علم التأثير، وهذا هو المحرم؛ أن النجوم تؤثر في الحوادث الأرضية. علم الـاثير هذا حرام وشرك.

والنوع الثاني: علم التسيير الذي يعرف به الحساب، حساب السنة يعرف بطلوع النجوم، هذا لا بأس به، يستدل به على الأوقات -أوقات الصلوات-، هذا لا بأس به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يدعون أن لها تأثيرًا في السفليات)**، في السفليات: يعني ما يجري في الأرض، النجوم مخلوقات ليس لها تدبير، ولا تدل على حدوث شيء.

نجوم تسير في السماء بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفوائدها ذكرها الله في القرآن: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا منهم تحكم على الغيب، وتعاطٍ لعلم قد استأثر الله به، ولا يعلم الغيب سواه)**، هذا كلام الخطابي.

قَالَ البُخَارِي فِي صَحِيحِه: قَالَ قَتَادَةُ: «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ، أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ». انتهى(١).

ش: هذا الأثر علقه البخاري في صحيحه، وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم. وأخرجه الخطيب في كتاب «النجوم» عن قتادة، ولفظه قال: «إِنَّمَا جَعَلَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثِ خِصَالٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَجَعَلَهَا يُهْتَدَى بِهَا، وَجَعَلَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينَ. فَمَنْ تَعَاطَى فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَدْ قَالَ بِرَأْيِه، وَأَخْطَأَ حَظَّهُ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ. وَإِنَّ نَاسًا جَهَلَةً بِأَمْرِ اللهِ، قَدْ أَحْدَثُوا فِي هَذِهِ النُّجُوم كَهَانَةً: مَنْ أَعْرَسَ بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَمَنْ سَافَرَ بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَعَمْرِي مَا مِنْ نَجْمٍ إِلا يُولَدُ بِهِ الأَحْمَرُ وَالأَسْوَدُ، وَالطَّوِيلُ وَالْقَصِيرُ، وَالحَسَنُ وَالذَّمِيمُ. وَمَا عَلِمَ هَذَا النَّجْمُ وَهَذِهِ الدَّابَّةُ، وَهَذَا الطَّائِرُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْغَيْبِ. وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا عَلِمَ الْغَيْبَ لَعَلِمَهُ آدَمُ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ» انتهى(٢).

وتأمل ما أنكره هذا الإمام مما حدث من المنكرات في عصر التابعين، وما زال الشر يزداد في كل عصر بعدهم، حتى بلغ الغاية في هذه الأعصار،

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا - كتاب بدء الخلق، باب في النجوم (٤/ ١٠٧)، والطبري في تفسيره (٢٣/ ١٢٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩١٣)، والبغوي في شرح السنة (٤/ ٣٩٥). وانظر: الدر المنثور (٣/ ٣٢٨).

(٢) انظر: النجوم للخطيب البغدادي (ص ١٨٥ - ١٨٦)، وقد نقله السيوطي عن الخطيب في الدر المنثور (٣/ ٣٢٨).

وعمت به البلوى في جميع الأمصار، فمقل ومستكثر، وعز في الناس من ينكره، وعظمت المصيبة به في الدين. فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ الْبُخَارِي فِي صَحِيحِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ»**)، قال قتادة بن دعامة الدوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ»: ثلاث حكم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا**)، هذا مذكورة في القرآن، كل هذه الثلاث مذكورة في القرآن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ**)، من نسب إلى النجوم شيئًا غير هذه الثلاث، فقد أخطأ، وأضاع نصيبه، يعني: دينه، اعتقد في هذه النجوم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ**)، نسبة هذا إلى النجوم من باب التخرص الذي لا دليل عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**هذا الأثر علقه البخاري في صحيحه**)، المعلق في البخاري: هو الذي يذكره بدون سند، وهو على نوعين: معلق بصيغة الجزم، ومعلق بغير صيغة الجزم(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأخرجه الخطيب في كتاب النجوم**)، الخطيب البغدادي.

---

(١) انظر تعريف المعلق في: نزهة النظر (ص٩٨)، وشرح نخبة الفِكَر (ص٣٩١)، والنكت على ابن الصلاح (١/ ٣٢٣)، وتوضيح الأفكار (١/ ٢٦٧).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عن قتـادة، ولفظه قال: «إِنَّمَا جَعَلَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلاثِ خِصَالٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَجَعَلَهَا يُهْتَدَى بِهَا، وَجَعَلَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ»)، ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ﴾: ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾، يعنـي: بالشـهب، ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات:٦-٨].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَمَنْ تَعَاطَى فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَدْ قَالَ بِرَأْيِه، وَأَخْطَأَ حَظَّهُ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ)؛ لأنه لا يعلم الحكم في مخلوقات الله إلا الله، لا أحد يقول فيها برأيه، لا يعلم الحكم التي في مخلوقات الله إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما جاء عن الله أو عن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو مقبول، وما جاء من التخرصات، فهو مردود.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِنَّ نَاسًا جَهَلَةً بِأَمْرِ اللهِ، قَدْ أَحْدَثُوا فِي هَذِهِ النُّجُومِ كَهَانَةً: مَنْ أَعْرَسَ بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا)، يقول العوام: إن نجمه حسن. أي: الذي وُلِدَ فيه حسن، وهذا نجمه ليس بحسن. لا يجوز الكلام هذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا عَلِمَ الْغَيْبَ، لَعَلِمَهُ آدَمُ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلائِكَتَهُ، وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ)، لو أن أحدًا علم الغيب، لعلمه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبو البشر الذي خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١]، ومع هذا لم يعلم الغيب، آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يعلم الغيب، ولا أحد يعلم الغيب، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، كل من السماوات والأرض: لا الملائكة، ولا الرسل، ولا العلماء ولا غيرهم،

لا يعلم الغيب إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن ادعى علم الغيب، فهو كافر مرتد عن دين الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إِنَّمَا جَعَلَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلاثِ خِصَالٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَجَعَلَهَا نَهْتَدِي بِهَا، وَجَعَلَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينَ)**، الثلاث الحكم مذكورة في القرآن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَمَنْ تَعَاطَى فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَدْ قَالَ بِرَأْيِه)**، من نسب إليها غير هذه الثلاث، فإنه مخطئ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَا عَلِمَ هَذَا النَّجْمُ وَهَذِهِ الدَّابَّةُ، وَهَذَا الطَّائِرُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْغَيْبِ)**، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]، فلا أحد يدعي علم الغيب إلا الله جَلَّ وَعَلَا هو الذي يعلم الغيب.

الله جَلَّ وَعَلَا قال عن نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨]، الرسول يقول: أنه لا يعلم الغيب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا عَلِمَ الْغَيْبَ لَعَلِمَهُ آدَمُ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلائِكَتَهُ، وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ)**، لم يعلم الغيب آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كذلك غيره، الملائكة الكرام قالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة:٣٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتأمل ما أنكره هذا الإمام مما حدث من المنكرات في عصر التابعين)**، قتادة: من التابعين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما زال الشر يزداد في كل عصر بعدهم، حتى بلغ الغاية في هذه الأعصار، وعمت به البلوى في جميع الأمصار)**، يذكرون الآن في بعض الجرائد، يذكرون فيها نجم كذا ونجم كذا، والبروج، يذكرونها في الجرائد؛ من أجل أن الناس يعتقدون فيها -نسأل الله العافية-، ليست جرائدنا، الجرائد في البلاد الأخرى.

....

ش: قوله: «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ» قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك:٥]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦]، وفيه إشارة إلى أن النجوم في السماء الدنيا؛ كما روى ابن مردويه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا السَّماء الدُّنْيَا، فَإِن اللهَ خلقهَا مِنْ دُخانٍ، وَجعل فِيهَا سِرَاجًا، وقمرًا منيرًا، وزينها بمصابيح، وَجعلهَا رُجُومًا للشياطينِ، وحَفِظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ»(١).

قوله: «وَعَلَامَاتٍ»، أي: دلالات على الجهات.

«يُهْتَدَى بِهَا»، أي: يهتدي بها الناس في ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧]، أي: ليعرفوا بها جهة قصدهم، وليس المراد أنه يُهتدى بها في علم الغيب؛ كما يعتقده المنجمون. وقد تقدم وجه بطلانه، وأنه لا حقيقة له؛ كما قال قتادة: «فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرِ ذَلِكَ»، أي: زعم فيها غير ما ذكر الله في كتابه من هذه الثلاث، «فَقَد أَخْطَأَ»؛ حيث زعم شيئًا ما أنزل الله به من سلطان، «وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ» من كل خير؛ لأنه أشغل نفسه بما يضره ولا ينفعه.

فإن قيل: المنجم قد يصدق؟

---

(١) انظر: الدر المنثور (٥/ ٦٩).

قيل: صدقه كصدق الكاهن، يصدق في كلمة، ويكذب في مئة، وصدقه ليس عن علم، بل قد يوافق قدرًا، فيكون فتنة في حق من صدقه.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ﴾ [النحل:١٥،١٦]، فقوله: ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ معطوف على ما تقدم مما ذكره في الأرض، ثم استأنف، فقال: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦]، ذكره ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بمعناه[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ». قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك:٥])، هذه اثنتان: ﴿زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾؛ لأن النجوم في السماء الدنيا.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾، يعني: النجوم، هذه فائدة؛ أنها زينة للسماء.

الفائدة الثانية: أنها رجوم للشياطين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦])، هذه الفائدة الثالثة: أنها علامات يهتدي بها في الأسفار.

﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ﴾، أي: نوع النجوم.

﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾: يسيرون عليه في الظلام، وفي طريق يمشون عليه، ويصلون إلى مقصودهم، تعرف الاتجاه، إذا رأيت النجم، عرفت الاتجاه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٩٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه إشارة إلى أن النجوم في السماء الدنيا)**، ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الملك:٥]: القريبة من الأرض، التي تلي الأرض، وبين الأرض والسماء الدنيا مسيرة خمس مائة سنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال: «قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَمَا السَّمَاء الدُّنْيَا، فَإِن اللهَ خلقهَا مِنْ دُخانٍ»)**، من دخان: يعني من بخار الماء؛ ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت:١١، ١٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَجعل فِيهَا سِرَاجًا، وقمرًا منيرًا)**، السراج: يعني: الشمس والقمر معروف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وزينها بمصابيح، وَجعلهَا رُجُومًا للشياطينِ)**، وزينها بمصابيح: هي النجوم، وجعل هذه المصابيح رجومًا للشياطين.

ليس النجم نفسه ينطلق، لا، شظية من النجم تنطلق وتصيب الشيطان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(«يُهْتَدَى بِهَا»، أي: يهتدي بها الناس في ذلك)**، يهتدون بالجبال، يهتدون بنوع التربة، ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ﴾: في الأرض.

﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل:١٦]: في السماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى:** ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ **[الأنعام:٩٧])**، ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ ﴾ [النحل:١٦].

وهنا: ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا ﴾ [الأنعام:٩٧]، فدل على أن المراد بالنجم: نوع النجم، ليس نجمًا معينًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وليس المراد أنه يُهتدى بها في علم الغيب؛ كما يعتقده المنجمون)**، يهتدى بها في السير في الأرض ومعرفة الجهات، لا أنها تدل على الحوادث.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقد تقدم وجه بطلانه، وأنه لا حقيقة له؛ كما قال قتادة: «فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرِ ذَلِكَ»)**، فمن تأول فيها غير ذلك؛ أي: غير هذه الثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدي بها، من نسب إليها غير ذلك، فإنه أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(صدقه كصدق الكاهن، يصدق في كلمة، ويكذب في مئة، وصدقه ليس عن علم، بل قد يوافق قدرًا، فيكون فتنة في حق من صدقه)**، إذا صدق في بعض المرات، لا يصدق في كل الأمور، يصدق في بعض الأحيان؛ لأنه وافق الحقيقة، وإذا صدق في مرة واحدة، لا يصدق في كل مرة، بل أغلب أحواله أنه يكذب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وعن ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **في قوله تعالى:** ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:١٥])، ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾، وهي الجبال جعلها الله تثبت الأرض؛ لئلا تميد بأهلها، ثبتها الله بالرواسي، وهي الجبال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(في قوله تعالى:** ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ [النحل:١٥، ١٦])، ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ علامات.

....

ش: وقد جاءت الأحاديث عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإبطال علم التنجيم؛ كقوله: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»(١).

وعن رجاء بن حيوة أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي: التَّصْدِيقُ بِالنُّجُومِ، وَالتَّكْذِيبُ بِالْقَدَرِ، وَحَيْفُ الْأَئِمَّةِ» رواه عبد بن حميد(٢).

وعن أبي محجن مرفوعًا: «أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي ثَلَاثًا: حَيْفَ الْأَئِمَّةِ، وَإِيمَانًا بِالنُّجُومِ، وَتَكْذِيبًا بِالْقَدَرِ». رواه ابن عساكر، وحسنه السيوطي(٣).

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي بَعْدِي خَصْلَتَيْنِ: تَكْذِيبًا بِالْقَدَرِ، وَإِيمَانًا بِالنُّجُومِ». رواه أبو يعلى وابن عدي والخطيب في كتاب «النجوم»، وحسنه السيوطي -أيضًا(٤). والأحاديث في ذم التنجيم والتحذير منه كثيرة.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٦٨).

(٢) رواه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٨/ ٣١).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٨/ ٤٠١)، وذكره الرافعي في التدوين في أخبار قزوين (٢/ ٣٩٠)، وذكره السيوطي في الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (١/ ٥٣)، وضعفه في الجامع الكبير (١/ ١٩٦).

(٤) أخرجه أبو يعلى (٧/ ١٦٢)، وابن عدي في الكامل (٥/ ٥٤)، والخطيب البغدادي في النجوم (ص ١٦٣)؛ كما في الدر المنثور (٣/ ٣٣٠)، وكذا أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٢٠٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كقوله: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»)**، المنجم مثل الساحر لا يعتمد على شيء، وإنما يعتمد على أمور باطلة ليست صحيحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعن رجاء بن حيوة أن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي: التَّصْدِيقُ بِالنُّجُومِ، وَالتَّكْذِيبُ بِالْقَدَرِ، وَحَيْفُ الْأَئِمَّةِ»)**، يعني: ولاة الأمور يجور بعضهم، أو يحيف بعضهم، لكن يجب الصبر على ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعن أنس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا: «أَخَافُ عَلَى أُمَتِي بَعْدِي خَصْلَتَيْنِ: تَكْذِيبًا بِالقَدَرِ، وَإِيمَانًا بِالنُّجُومِ»)**، كل هذه الآثار تدل على أنه لا يعتقد في النجوم غير ما خلقها الله لأجله: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها.

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعلُّمَ مَنَازِلِ القَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ. ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا. وَرَخَّصَ فِي تَعلُّمِ المَنَازِلِ: أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ[1].

ش: قوله: (وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّم مَنَازِلَ القَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّص ابْنُ عُيينَةَ فِيهِ، ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهَما، وَرَخَصَ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ).

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال، وتُعلم به جهة القبلة، فإنه غير داخل فيما نُهِيَ عنه، وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئًا بأكثر من أن الظل مادام متناقصًا، فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي، وإذا أخذ في الزيادة، فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي. وهذا علم يصح إدراكه بالمشاهدة، إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروها بما اتخذوه من الآلات التي يستغني الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصدته. وأما ما يستدل به من النجوم على جهة القبلة، فإنها كواكب رصدها أهل الخبرة بها من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها، وصدقهم فيما أخبروا به عنها، مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة، ويشاهدها على حال الغيبة عنها، فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعاينة، وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم؛ إذ كانوا عندنا غير متهمين في دينهم، ولا مقصرين في معرفتهم. انتهى[2].

---

(١) انظر: مسائل حرب بن إسماعيل الكرماني (الطهارة والصلاة) (ص ٥٩٤- ٥٩٥)، وفتح الباري لابن رجب (٣/ ٦٩)، وتفسير ابن رجب (١/ ٦١٢).

(٢) انظر: معالم السنن (٤/ ٢٣٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلَ القَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ ابْنُ عُيينَةَ فِيهِ، ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا. وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ**)، هذا الباب هو باب ما جاء في التنجيم، والاعتقاد في النجوم أنها تؤثر، أو هو نسبة الحوادث الأرضية إلى الأحوال الفلكية؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)].

والمنجمون معروف حكمهم في الإسلام؛ أن هذا الذي يعتقد في النجوم أنها تؤثر في هذا الكون؛ إذا طلع النجم الفلاني، أو غرب النجم الفلاني، يحصل كذا وكذا من هبوب الرياح؛ من الأمطار، فهذا اعتقاد باطل.

النجوم مخلوقة، خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كسائر المخلوقات، مخلوقة مدبرة مسيرة، ليس لها من الأمر شيء، ولكن شياطين الإنس والجن يروجون مثل هذه العقائد على الناس؛ ليفسدوا عقائدهم؛ فلذلك عقد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب؛ لأن هذا موجود عند الناس، فهو يريد أن يبطل هذا العمل، وأن يورد ما ورد في هذا من الآيات والأحاديث.

الله جَلَّ وَعَلَا حصر الحكمة في خلق النجوم في ثلاث، خلق الله النجوم لثلاث:

الأول: زينة للسماء؛ كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ** ﴾ [الملك:٥]، فأنت إذا نظرت إلى السماء في الليل، تجدها مزينة بهذه النجوم، تشتاق إلى رؤيتها والنظر فيها، زينة للسماء، هذه واحدة.

الثانية: رجومًا للشياطين؛ ﴿ **وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ** ﴾، يعني: بالنجوم هذه، ﴿ **وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ** ﴾ [الملك:٥]؛ لئلا يسترقوا السمع من

---

(١) سبق عزوه (ص١٦٩).

الملائكة؛ لأن الملائكة يتحدثون بالوحي في عنان السماء، فمسترقو السمع يترصدون لذلك، والله جَلَّوَعَلَا يحرقهم بالشهب، تدركهم الشهب فتحرقهم، وقد ينجو أحد منهم أن يدركه الشهاب، فيلقي ما معه من السرقة -سرقة الجو-، فيلقيها إلى الكاهن.

والكاهن: هو الذي يدعي علم الغيب؛ ليلقيها على الكاهن، هذه الكلمة التي سمعها، كلمة واحدة سمعها من السماء، ليلقيها إلى الكاهن من بني آدم، الكاهن يكذب معها مائة كذبة، كلمة واحدة صدق من السماء يكذب معها مائة كذبة، وينشرها في الناس، فيصدقه الناس في هذه المائة كذبة بسبب هذه الكلمة التي سُمعِت من السماء؛ فتنة للناس.

والله كشف أمرهم، وبين ذلك -لئلا يغتر بكذبهم وكيدهم- لبني آدم؛ حماية لعقيدة التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، أبو سليمان الخطابي: إمام جليل مشهور بعلم الحديث وغيره، له كلام في هذا الموضوع، كلام جميل فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا علم يصح إدراكه بالمشاهدة، إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروها بما اتخذوه من الآلات التي يستغني الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصدته)**، هذا علم التسيير، يسمونه علم التسيير، وهو مباح؛ أن يعرف أوقات العبادات، يعرف أوقات البذور والزراعة، ويعرف زيادة الليل وزيادة النهار، المداولة بينهما، هذا مباح، وفيه فائدة -أيضًا-، وهذا يسمى علم التسيير.

أما الثاني الممنوع: فهو علم التأثير، وهو الذي يظنون أن النجوم تؤثر في الحوادث، تؤثر في الأرض، هذا علم التأثير، وهو محرم، وهو اعتقاد باطل.

النجوم لم يخلقها الله لهذا، لم يخلقها الله لتؤثر في الأرض، في الحوادث والحروب والمجاعات، لم يخلقها الله لذلك، إنما خلقها لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها؛ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾: زينة، ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك:٥]، هذه الفائدة الثانية؛ لئلا يسترقوا السمع.

وليس المراد أن النجم ينقض ويسقط من مكانه، وإنما ينبعث من النجم شهاب، فيصيب مسترق السمع فيحرقه، ليبطل الله جَلَّ وَعَلَا كيد هؤلاء، ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك:٥].

والفائدة الثالثة: ذكرها الله جَلَّ وَعَلَا في قوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦]، فالمسافر في ظلمة الليل يسير على النجم، يعرف الجهة التي هو قاصد لها فيسير على النجم.

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ﴾: يعني جعلنا لهم علامات ينتفعون بها في الأرض، ﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾: الذي في السماء، ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦].

وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧]، والنجم يهتدى به في البر ويهتدى به في البحر، يعرف

به الاتجاه، فيسير المسافر عليه، على الجهة التي يريدها، هذه الحكمة من خلق النجوم لهذه الثلاث. ولا يعتقد فيها غير ذلك؛ أنها تؤثر، أنها يحصل عندها كذا من الحوادث، هذا من اعتقاد الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعاينة، وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم، إذ كانوا عندنا غير متهمين في دينهم، ولا مقصرين في معرفتهم)، هذا كلام الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

....

ش: وروى ابن المنذر عَن مُجَاهِد أَنَّهُ «كَانَ لَا يَرَى بَأْسًا أَنْ يتعَلَّم الرجل منَازِل الْقَمَر»(١). ورُوِى عَنْ إِبْرَاهِيمَ: «أَنَّهُ كَانَ لاَ يَرَى بَأْسًا أَنْ يَتعَلَّمَ الرجل مِنَ النُّجُومِ مَا يَهْتَدِي بِهِ»(٢).

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمأذون في تعلمه التسيير، لا علم التأثير؛ فإنه باطل محرم، قليله وكثيره.

وأما علم التسيير، فيتعلم منه ما يحتاج إليه من الاهتداء ومعرفة القبلة والطرق، جائز عند الجمهور(٣).

قوله: «ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا»، هو الإمام الحافظ حرب بن إسماعيل أبو محمد الكرماني الفقيه، من جلة أصحاب الإمام أحمد. روى عن أحمد وإسحاق وابن المديني وابن معين وغيرهم. وله كتاب المسائل التي سئل عنها الإمام أحمد وغيره، مات سنة ثمانين ومائتين(٤).

وأما إسحاق، فهو ابن إبراهيم بن مخلد أبو أيوب الحنظلي النيسابوري، الإمام المعروف بابن راهويه. روى عن ابن المبارك وأبي أسامة وابن عيينة وطبقتهم.

---

(١) انظر: مسائل حرب بن إسماعيل الكرماني (الطهارة والصلاة) (ص ٥٩٤)، والمشيخة البغدادية للسلفي (٥/ ٣٥)، وقد ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١١٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٤٠)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٢٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٧٩٢).

(٣) انظر: فضل علم السلف على علم الخلف (ص١٢).

(٤) انظر في ترجمته: تاريخ دمشق لابن عساكر (١٢/ ٣٠٩)، وتاريخ الإسلام (٦/ ٣١٠)، وطبقات الحنابلة (١/ ١٤٥)، وتسهيل السابلة (١/ ٢٢٧).

قال أحمد: إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين.

روى عنه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم، وروى هو -أيضًا- عن أحمد، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وروى ابن المنذر عَن مُجَاهِد أَنَّهُ «كَانَ لَا يَرَى بَأْسًا أَنْ يتَعَلَّم الرجل منَازِل الْقَمَر»)، مجاهد بن جبر: تلميذ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لا يرى بأسًا أن يتعلم الإنسان منازل القمر؛ ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩]، فيعرف منازل القمر لا بأس بذلك، هذا فيه فائدة، ولا مضرة فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ورُوِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ: «أَنَّهُ كَانَ لَا يَرَى بَأْسًا أَنْ يَتَعَلَّمَ الرجل مِنَ النُّجُومِ مَا يَهْتَدِي بِهِ»)، إبراهيم: هو إبراهيم النَّخعِيّ من كبار التابعين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمأذون في تعلمه التسيير، لا علم التأثير)، علم التسيير: هو علم الحساب، علم الحساب هذا مباح؛ يتعلم من منازل القمر، من النجوم، من الشمس والقمر، هذا لا بأس به؛ لأن فيه فائدة للمزارعين وللذين يسيرون في البر والبحر.

وعلم التأثير: أن النجوم تحدث الحوادث في الأرض، وهو محرم، وهو اعتقاد أهل الجاهلية، وهو شرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) انظر في ترجمته: تاريخ دمشق لابن عساكر (٨/ ١١٩)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨)، وطبقات الحنابلة (١/ ١٠٩)، وتسهيل السابلة (١/ ١٩٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا». هو الإمام الحافظ حرب بن إسماعيل أبو محمد الكرماني الفقيه من جلة أصحاب الإمام أحمد)**، من تلاميذ الإمام أحمد، ومن كبرائهم: حرب الكرماني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(روى عن أحمد وإسحاق)**، إسحاق بن راهويه -أيضًا- معاصر للإمام أحمد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وابن المديني)**، ابن المديني: من كبار المحدثين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وابن معين)**، كذلك من كبار المحدثين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وله كتاب المسائل التي سئل عنها الإمام أحمد وغيره)**، كتاب المسائل مطبوع وموجود، كتاب المسائل التي سئل عنها الإمام أحمد فكان يجمعها، يجمع أجوبة الإمام أحمد على المسائل التي ترد عليه، فجمعها في مؤلف، أجوبة الإمام أحمد. كذلك عبد الله بن الإمام أحمد جمع مسائل أبيه في كتاب موجود.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما إسحاق، فهو ابن إبراهيم بن مخلد أبو أيوب الحنظلي النيسابوري)**، إسحاق بن راهويه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الإمام المعروف بابن راهويه)**، راهويه أو راهوية، اللغويين يقولون: راهويه، وأما المحدثون فيقولون: راهوية، والمعنى واحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(روى عنه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم)**، روى عنه الإمام أحمد، إسحاق بن راهويه روى عنه الإمام أحمد بعض الأحاديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وروى هو -أيضًا- عن أحمد)**، وهو -أيضًا- إسحاق روى عن الإمام أحمد ما عنده من الأحاديث.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ[(١)].

ش: هذا الحديث رواه -أيضًا- الطبراني والحاكم، وقال: صحيح. وأقره الذهبي. وتمامه «وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُدْمِنُ الخَمْرِ، سَقَاهُ اللهُ مِنْ نَهْرِ الْغُوطَةِ، نَهْرٌ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِ الْمُومِسَاتِ يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ رِيحُ فُرُوجِهِنَّ».

قوله: (وَعَنْ أَبِي مُوسَى). هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضّار -بفتح المهملة وتشديد الضاد-، أبي موسى الأشعري، صحابي جليل. مات سنة خمسين[(٢)].

قوله: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ»، هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف تأويلها، وقالوا: (أمِرُّوها كما جاءت)[(٣)]، ومن تأولها، فهو على خطر من القول على الله بلا علم.

وأحسن ما يقال: إن كل عمل دون الشرك والكفر المخرج عن ملة الإسلام، فإنه يرجع إلى مشيئة الله، فإن عذبه به، فقد استوجب العذاب، وإن غفر له، فبفضله وعفوه ورحمته.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٢/ ٣٣٩)، وابن حبان في صحيحه (١٢/ ١٦٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٣)، والطبراني كما في مجمع الزوائد (٥/ ٧٤).

(٢) انظر في ترجمته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الاستيعاب (٣/ ٩٧٩)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٠)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٤٥١)، وإكمال تهذيب الكمال (٨/ ١٢٧).

(٣) انظر: الموطأ (١/ ٢٥٢)، والشريعة للآجري (٣/ ١١٤٦)، والإبانة الكبرى لابن بطة (٧/ ٢٤١).

قوله: «مُدْمِنُ الخَمْرِ»، أي: المداوم على شربها.

قوله: «وَقَاطِعُ الرَّحِمِ»، يعني: القرابة؛ كما قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد:٢٢] الآية.

قوله: «وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ»، أي: مطلقًا. ومنه التنجيم؛ لما تقدم من الحديث، وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة.

قال الذهبي في الكبائر: ويدخل فيه تعلم السيميا وعملها، وعقد المرء عن زوجته، ومحبة الزوج لامرأته، وبغضها وبغضه، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة. قال: وكثير من الكبائر -بل عامتها إلا الأقل- يجهل خلق من الأمة تحريمه، وما بلغه الزجر فيه، ولا الوعيد عليه. اهـ[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ»)، ثلاثة -والعياذ بالله- لا يدخلون الجنة: هذا وعيد، بسبب ما عندهم من الاعتقاد الفاسد لا يدخلون الجنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مُدْمِنُ الخَمْرِ): الذي يداوم على شرب الخمر، -والعياذ بالله!

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُدْمِنُ الْخَمْرِ، كَعَابِدِ وَثَنٍ»[(٢)]؛ عليه وعيد شديد.

---

(١) انظر: الكبائر (ص١٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٣٧٥)، وابن أبي شيبة (٥/ ٩٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الواجب على من ابتلي بشيء من هذا أن يتوب إلى الله، ويبادر بالتوبة، والخمر -والعياذ بالله- رجس من عمل الشيطان، لا خير فيها بوجه من الوجوه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَاطِعُ الرَّحِمِ)**، الثاني: قَاطِعُ الرَّحِمِ، أي: القرابة، الواجب صلة القرابة، وصلة الرحم، هذا هو الواجب؛ ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ** ﴾ [محمد:٢٢، ٢٣].

قطيعة الرحم كبيرة عظيمة، الواجب على المسلم أن يصل رحمه، وإن قاطعوه هم، لا يقول: أنا لن أصلهم إلا إذا واصلني، لا، صل رحمك، وإن قطعوك، أد الحق الذي عليك، وهم عليهم الذي حملهم الله إياه، صل رحمك وإن قطعوك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ)**: السحر باطل، ولا يصدق، لكن من صدق به فعليه هذا الوعيد، الواجب على المسلم أن ينكر السحر، وأن يعتقد بطلانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هذا الحديث رواه -أيضًا- الطبراني والحاكم، وقال: صحيح)**، وقال الحاكم: صحيح في مستدركه، مستدرك الحاكم.

والحاكم إذا قال عن الحديث: إنه صحيح. فيؤخذ عنه ذلك، وإن كان عنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ تساهل في التصحيح، ولكن تصحيحه يقوي الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتمامه «وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُدْمِنُ الخَمْرِ، سَقَاهُ اللهُ مِنْ نَهْرِ الْغُوطَةِ، نَهْرٌ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِ الْمُومِسَاتِ يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ رِيحُ فُرُوجِهِنَّ»)**، «**سَقَاهُ اللهُ مِنْ نَهْرِ الْغُوطَةِ**»: هذا في النار -والعياذ بالله-، نهر الغوطة في النار، وهو ماء يجري من فروج المومسات، يعني: الزواني في الدنيا، إذا دخلن النار -والعياذ بالله- يجري من فروجهن هذا الماء الخبيث، فيشرب منه مدمن الخمر يوم القيامة؛ عقوبة له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَعَنْ أَبِي مُوسَى»، هو عبد الله بن قيس بن سليم ابن حضّار -بفتح المهملة وتشديد الضاد-؛ أبي موسى الأشعري، صحابي جليل)**، أبو موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صحابي جليل، وكان متميزًا بحسن الصوت، وقد استمع إليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يصلي في الليل، لما مرَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقف يستمع له؛ لحسن صوته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ»، هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف تأويلها)**، «**لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ**»: هذا يمر كما جاء، مع أنه مسلم، وليس معناه أنه يخلد في النار، لكن قد يدخلها من أول وهلة؛ يعذب في النار، ثم يخرج منها، ويدخل الجنة بعد أن يطهر ويمحص.

فالمؤمن وإن دخل النار فإنه لا يخلد فيها، ولكن قد يطول مقامه في النار، ويخرجون كالفحم، ويلقون في نهر يقال له: نهر الحياة، فتنبت أجسامهم، فإذا تكاملوا، أدخلوا الجنة(٢).

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٨٩).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٢، ٦٥٦٠، ٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣، ١٨٤، =

يعني: ليس معناه: «**لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ**» بمعنى أنهم مثل الكفار، لكن هذا من نصوص الوعيد التي تمر كما جاءت؛ لأجل الزجر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقالوا: «أَمِرُّوها كما جاءت»، ومن تأولها، فهو على خطر من القول على الله بلا علم)**، أنت اروها كما جاءت، أما تأويلها فهو إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن مع الاعتقاد أن المؤمن وإن دخل النار فإنه لا يخلد فيها وإن طال تعذيبه فإنه يخرج منها ويدخل الجنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأحسن ما يقال: إن كل عمل دون الشرك والكفر المخرج عن ملة الإسلام، فإنه يرجع إلى مشيئة الله)**، إن شاء الله عفا عنه، وأدخله الجنة بلا عذاب، وإن شاء عذبه، ولكن إذا عذبه، لا يخلده في النار مثل الكفار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «مُدْمِنُ الخَمْرِ». أي: المداوم على شربها)**، فالواجب على من ابتلي بشرب الخمر أن يتوب إلى الله، وأن يبادر بالتوبة ولا يداوم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَقَاطِعُ الرَّحِمِ». يعني القرابة)**، هذه الجريمة الثانية: قاطع الرحم. قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد:٢٢-٢٤]، الرحم لها حق، وإن قطعوك، تصل رحمك وإن قطعوك، لا تقل: أنا لن أصل

= ١٨٥): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ اللهُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ قَدْ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ -أَوْ قَالَ: حَمِيَّةِ السَّيْلِ**».

إلا من يواصلني من الأرحام، بل تؤدي حقهم، وهم عليهم ما تحملوا. صل رحمك وإن قطعوك.

وجاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر له أن له رحمًا يصلها، وهم يقاطعونه، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا تَقُولُ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ**»، يعني: الجمر، «**وَلَا يَزَالُ مَعَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ**»(١)، يعني: معين.

فالواجب على المسلم أن يصل رحمه ولو قطعوه، فلا يقل: أنا لن أصل إلا من يواصلني. أنت عليك حق، وهم عليهم حق، وأنت أد الحق الذي عليك، وهم يُسألون عن الحق الذي عليهم.

ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ**»، الذي يقول: إنهم إذا وصلوني أصلهم. هذه مكافئة، «**لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَإِنَّمَا الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»(٢)، هذا الواصل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «وَقَاطِعُ الرَّحِمِ». يعني القرابة)**، الرحم: هم من تربطك بهم قرابة من جهة الأب؛ كالأعمام والعمات، والإخوة والأخوات، أو من جهة الأم؛ كالأخوال والخالات، والأجداد والجدات من جهة الأم، كل من تربطك بهم قرابة من جهة الأبوين، فهم أرحامك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ»)**، السحر باطل.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه:٦٩]، السحر يعتقد بطلانه، والساحر يقتل ولا يستتاب، إذا ثبت عليه أنه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩١)، من حديث ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ساحر، يقتل ولا يستتاب؛ لأنه وإن أظهر التوبة، فإنه لا يترك السحر، وإن أظهر التوبة، الساحر حده أنه يقتل؛ قال ﷺ: **«حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ»**(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنه التنجيم)**، التنجيم نوع من السحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لما تقدم من الحديث)**، **«مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ»**(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة)**، باب ما جاء في التنجيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الذهبي في الكبائر)**، الإمام الذهبي له كتاب اسمه «الكبائر»، وهو موجود ومطبوع متوفر بأيدي الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الذهبي في الكبائر: ويدخل فيه تعلم السيميا وعملها)**، تعلم السيميا: هذا نوع من السحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعقد المرء عن زوجته)**، كف المرء عن زوجته؛ يعمل له سحر، فلا يستطيع الوصول إليها -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومحبة الزوج لامرأته)**، كذلك السحرة يعملون شيئًا يحبب المرأة إلى زوجها، والزوج إلى زوجته، هذا من عمل السحر، ليست محبة طبيعية، هذه محبة بسبب السحر الذي عُمِلَ له.

---

(١) سبق تخريجه (ص١١٤).

(٢) سبق تخريجه (ص١٦٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبغضها وبغضه)**، أو العكس، أو يعملون له عمل سحر يبغضها إليه، أو يبغضه إليها؛ ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأشباه ذلك بكلمات مجهولة)**، السحرة عنصر خبيث في المجتمع، فيجب القضاء عليهم، وعدم تركهم يعبثون في المجتمع، إذا ثبت عليهم أنهم يعمل السحر، فلابد من إتلافهم والقضاء عليهم، ولا يستتاب الساحر؛ لأنه وإن أظهر التوبة، فهو كذاب.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: الحِكْمَةُ فِي خَلْقِ النُّجُوْمِ.

الثَّانِيَةُ: الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ الخِلَافِ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلَ.

الرَّابِعَةُ: الوَعِيْدُ فِيْمَنْ صَدَّقَ بِشَيْءٍ مِنَ السِّحْرِ؛ وَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فِيْهِ مَسَائِلُ)**، يعني: في الباب.

المسائل هذه هي فقه النصوص الواردة في الباب، وهي مهمة جدًّا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الأُوْلَى: الحِكْمَةُ فِي خَلْقِ النُّجُوْمِ)**، خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدي بها. هذه هي الحكمة من خلق النجوم في السماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّانِيَةُ: الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذَلِكَ)**، من زعم في النجوم أنها تؤثر، وأنها تحصل بها الحوادث في الأرض.

هذا فيه الرد عليهم: أن النجوم مخلوقات، ليس لها أن تحدث في الأرض أشياء، إنما هي مخلوقات ومسيرة، وهي لثلاث، لا تزيد عن ثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدي بها.

أما أنها تؤثر حوادث في الأرض، أو الجدب، أو الخصب، أو غير ذلك، فهذا من أعمال الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ الخِلَافِ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلَ)**، تعلم منازل القمر هذا مباح.

ومن العلماء من يمنع منه؛ لأنه قد يكون وسيلة إلى المحرم، ولكن الصحيح أنه لا بأس به؛ لأن فيه منافع، فيه منافع للمزارعين ومنافع للناس؛ فهو علم مباح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: الوَعِيْدُ فِيْمَنْ صَدَّقَ بِشَيْءٍ مِنَ السِّحْرِ؛ وَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ)**، المصدق بالسحر لا يدخل الجنة -كما في الوعيد-؛ لأن الواجب اعتقاد بطلان السحر، ولا يصدق به.

٢٩- بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاء)، أي: من الوعيد، والمراد: نسبة السُّقيا ومجيء المطر إلى الأنواء. جمع نَوء، وهي منازل القمر.

قال أبو السعادات رَحِمَهُ اللَّهُ: وهي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس:٣٩]، يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة من طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة.

وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه إليها، ويقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وإنما سُمِي نوءًا؛ لأنه إذا سقط الساقط منها، ناء الطالع بالمشرق، أي: نهض وطلع[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاء)، الاستسقاء بالأنواء: هذا -أيضًا- من التنجيم. والأنواء: جمع نوء، وهو طلوع النجم أو غروبه؛ يعتقدون أنه إذا طلع النجم، يحصل في الأرض كذا وكذا، وإذا غرب في الفجر، فإنه يحصل كذا وكذا، وكل هذا باطل. فالنجوم -كما في الحديث- خلقت لثلاثة، لم تخلق لتؤثر في الحوادث أو لتدبر الأمور، إنما هذا من اعتقاد الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاء أي: من الوعيد)، ما جاء من الوعيد على من يعتقد السقيا بالأنواء.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٢٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو السعادات)**، أبو السعادات: ابن الأثير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو السعادات** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وهي ثمان وعشرون منزلة)**، منازل القمر: ثمان وعشرون منزلة، ثم يختفي في ليلة أو ليلتين، يستسر، يسمونه الاستسرار، إذا كان الشهر ثلاثين، يستسر في ليلتين، وإن كان تسعة وعشرين، يستسر في ليلة واحدة لا يُرى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو السعادات** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وهي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منها)**، ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس:٣٩]، العرجون يعني: عذق النخلة القديم إذا يبس تقوس، يصير الهلال مثله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنه قوله تعالى:** ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس:٣٩])، من أول الشهر يزيد، يزيد، يزيد، حتى يتكامل في الليلة الخامسة عشرة، ثم الليلة السادسة عشرة إلى نهاية الشهر ينقص كل ليلة، ينقص، ينقص، هذه منازل القمر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإنما سُمِي نوءًا؛ لأنه إذا سقط الساقط منها، ناء الطالع بالمشرق، أي: نهض وطلع)**، إذا سقط، يعني: إذا غاب في المغرب، طلع رقيبه من المشرق، يسمونه الرقيب.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢].

ش: قال: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢])، روى الإمام أحمد والترمذي -وحسنه- وابن جرير وابن أبي حاتم والضياء في المختارة عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾. يَقُولُ: شُكْرُكُمْ، ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢]. يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا وَبِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا»(١)، وهذ أولى ما فُسرت به الآية، ورُوِي ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغيرهم، وهو قول جمهور المفسرين(٢)، وبه يظهر وجه استدلال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بالآية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: وتجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم: التكذيب به، يعني: بالقرآن(٣).

قال الحسن: تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون.

قال: وخسر عبدٌ لا يكون حظه من القرآن إلا التكذيب(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٠، ٣٣٠)، والترمذي (٣٢٩٥)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٦٩-٣٧١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٣٤)، والضياء المقدسي في المختارة (٢/ ١٩١).

(٢) انظر هذه الآثار وغيرها في: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٨٤، ٢٨٥)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٣٦٩- ٣٧١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٤- ٣٣٣٥)، والدر المنثور (٦/ ٢٦٤، ٢٦٥)، (٨/ ٢٩- ٣٢).

(٣) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص٤٢).

(٤) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٨/ ٣٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢١/ ٢٦٥)، والبغوي في تفسيره (٥/ ٢١). وانظر: شفاء العليل (ص٤٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾** [الواقعة:٨٢])، ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٧٥-٨٢]: تنسبون الأرزاق إلى الأنواء، إلى طلوع النجم أو غروب النجم، هذا من اعتقاد الجاهلية، فالأرزاق بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس النجم هو الذي يجلبها، وليس هو الذي يقطعها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**عَنْ عَلِيٍّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾. يَقُولُ: شُكْرُكُمْ، ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾** [الواقعة:٨٢]. **يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا وَبِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا**)، تنسبون الرزق إلى النجوم، هذا كذب، الرزق بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، النجوم ليس لها تصرف.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ورُوِي ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغيرهم**)، هذا القول.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وبه يظهر وجه استدلال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ **بالآية**)، باب ما جاء في الاستقساء بالأنواء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: **أي: وتجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم: التكذيب به، يعني: بالقرآن**)، ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢]، يعني: تكذبون القرآن، القرآن نسب الأرزاق إلى الله جَلَّ وَعَلَا، وأنتم تقولون: لا، الأرزاق عند النجوم طلوعها أو غروبها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قال: وخسر عبدٌ لا يكون حظه من القرآن إلا التكذيب**)، يعني: تكذبون القرآن.

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»، وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)].

ش: أبو مالك اسمه: الحارث بن الحارث الشامي. صحابي تفرد عنه بالرواية أبو سلام.

وفي الصحابة أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا.

قوله: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ»: ستفعلها هذه الأمة، إما مع العلم بتحريمها، أو مع الجهل بذلك، مع كونها من أعمال الجاهلية المذمومة المكروهة المحرمة.

والمراد بالجاهلية هنا: ما قبل المبعث، سموا ذلك لفرط جهلهم. وكل ما يخالف ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو جاهلية، فقد خالفهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كثير من أمورهم أو أكثرها، وذلك يدرك بتدبر القرآن ومعرفة السنة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذمًّا لمن لم يتركه، وهذا يقتضي أن كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩) (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]، فإن في ذلك ذمًّا للتبرج، وذمًّا لحال الجاهلية الأولى، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَعَنْ أَبِي مَالِكِ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»)، الجاهلية: هي ما قبل الإسلام.

فلما بعث الله محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زالت الجاهلية العامة، لكن قد يبقى منها شيء في بعض الناس؛ مثل هذه الأربع التي ذُكِرت في هذا الباب.

يبقى من الجاهلية شيء عند بعض القبائل، عند بعض الأفراد، لكن الجاهلية العامة رُفِعت ببعثة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكل شيء نُسِب إلى الجاهلية فهو مذموم؛ حمية الجاهلية، دعوى الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ)، الفخر في الأحساب؛ يقولون: فلان من قبيلة طيبة، ومن نسب طيب، ويفتخر بذلك؛ لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى(٢).

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٥).

(٢) أخرجه أحمد (٣٨/ ٤٧٤): عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ =

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣].

لم ينفع أبا لهب أنه من أشراف قريش وعم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لما كان كافرًا، سلمان الفارسي، وبلال بن رباح، وصهيب الرومي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ لم يضرهم أنهم كانوا أرقاء، وأعتقوا وصاروا موالي، صاروا من سادات المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ)**، يقول: أنا من بني فلان، وبنو فلان لهم مفاخر، ولهم كذا وكذا. المسلمون جسد واحد، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى؛ ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣]، بالتقوى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ)**، الطعن في الأنساب؛ فلان عبد!! لا يجوز هذا، الكلام على دينه والنسب هذا لا يضر ولا ينفع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ)**، الاستسقاء بالنجوم: هذا محل الشاهد؛ ينسبون نزول المطر إلى طلوع النجم أو إلى غروبه؛ إذا طلع النجم الفلاني يحصل المطر، لا يجوز هذا، المطر من الله، وبيد الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

نعم، المطر له أوقات، لا شك أن له أوقات، لكن أنه ينسب إلى الوقت أو النجم، هذا لا يجوز.

= فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى...».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالنِّيَاحَةُ**)، النياحة: المراد بها النياحة على الميت، ضرب الخدود، وشق الجيوب، والصياح، هذا من أمر الجاهلية؛ إذا مات الميت، تشق النساء جيوبهن، وتضرب الخدود، وتنوح، هذا من أمور الجاهلية -والعياذ بالله-، الواجب الصبر، والاحتساب عند موت الميت، والدعاء له.

الله جَلَّ وَعَلَا شرع لنا إذا مات المسلم أنه يغسل، ويكفن، ويصلى عليه، ثم يدفن في مقابر المسلمين، ويوقف على قبره بعد الدفن، ويدعى له.

وأيضًا حتى ولو دُفِن يدعى له، ويستغفر له، ويتصدق عنه، لا ينقطع عنه ويتركه، ينسونه، لا، بل يعملون له أعمالًا، ويهدون ثوابها له، وينفعه ذلك بإذن الله، يحج عنه، يعتمر عنه، وهو ميت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَالَ: «النَّائِحَةُ»**)، النائحة: هي التي ترفع الصوت بالبكاء على الميت، أو تشق جيبها، أو تلطم وجهها، هذه النائحة -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا»**)، النائحة إذا لم تتب قبل موتها، فدل على أنها لو تابت، تاب الله عليها. إذا تركت النياحة، وتابت إلى الله، فإن الله يتوب عليها، أما إذا ماتت ولم تتب، فإنها تعذب -والعياذ بالله-؛ «**تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**».

القطران: معروف، هو المشتعل، هو الذي يشتعل؛ البترول يشتعل -والعياذ بالله!

والجرب: هو الحكة التي تكون في الجلد، وتقلق الإنسان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»**)؛ عقوبة لها، لكن لو تابت قبل

موتها، تاب الله عليها، الله يتوب على الكافر، فكيف بالمذنب من المسلمين؟ يتوب الله عليه، إذا تاب إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الصحابة أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا)**، أبو مالك هذه كنية يشترك فيها أكثر من واحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ» ستفعلها هذه الأمة، إما مع العلم بتحريمها، أو مع الجهل بذلك)**، قلنا: إن الجاهلية العامة زالت ببعثة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن يبقى منها شيء عند بعض القبائل أو بعض الأفراد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمراد بالجاهلية هنا: ما قبل المبعث)**، ما قبل البعثة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(سموا ذلك لفرط جهلهم)**؛ لأنه ليس فيها رسالة ولا نبوة، الجاهلية ليس فيها شيء من الرسالة أو آثار من الرسالة، ولذلك سميت بالجاهلية، وبعد إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يبعث في العرب إلا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فقد خالفهم رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في كثير من أمورهم أو أكثرها)**، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالف أهل الجاهلية في كثير من أمور الجاهلية أو أكثرها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك يدرك بتدبر القرآن ومعرفة السنة)**، يعرف ما خالف فيه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل الجاهلية من الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهذا يقتضي أن كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم، فهو مذموم في دين الإسلام)**، كل أمور الجاهلية مذمومة في الإسلام؛ لأن الله أغنى المسلمين بالإسلام عن أمور الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣])، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠].**

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]، فكل ما هو منسوب إلى الجاهلية فهو مذموم.

....

ش: قوله: «**الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ**»، أي: التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم، وذلك جهل عظيم؛ إذ لا كرم إلا بالتقوى؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧].

ولأبي داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الجِعْلَانِ...**» الحديث[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال -تعالى-: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧])**، ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾: إنما الذي يقرب عند الله هو العمل الصالح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ بَنُو**

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥)، وقال: حديث حسن، وأحمد في المسند (١٤/ ٣٤٩).

آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الجِعْلَانِ...»)، لا يجوز الافتخار بالآباء والأجداد والقبيلة.

المسلمون إخوة، والكرم بالتقوى، لا بالحسب والنسب ولا بالمال ولا بالأولاد، الكرم عند الله بالتقوى فقط.

....

ش: **قوله: «وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ»، أي: الوقوع فيها بالعيب والتنقص.**

ولما عيَّر أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا بأمه، قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» متفق عليه[1]، فدل على أن الطعن في الأنساب من عمل الجاهلية، وأن المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه. قاله شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ[2].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ»، أي: الوقوع فيها بالعيب والتنقص)، الطعن في الأنساب: أنت نسبك ليس بجيد، أنا من قبيلة فلان. لا يجوز هذا؛ فالمسلمون إخوة، المؤمنون إخوة؛ بلال وعمر أخوان في الإسلام، بل بلال وأبو بكر الصديق أخوان في الإسلام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولما عيَّر أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا بأمه، قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»)، أبو ذر من أكبر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صار بينه وبين أحد الأشخاص شيء من سوء التفاهم، فقال له أبو ذر: «يا ابن السوداء»، يعني: أمه عبدة. قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»**.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٥- ٢٣٦).

أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما قال هذه الكلمة، قال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**».

فدل على أن الجاهلية قد تبقى في بعض الأشخاص، في بعض القبائل، يبقى منها شيء، وإن ذهبت جملتها، لكن يبقى منها شيء، فالواجب ترك أمور الجاهلية والابتعاد عنها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه)**، إذا كان فيه خصلة من خصال الجاهلية، لا يوجب هذا أنه كافر، ولكن يوجب هذا أنه عنده شيء من أمور الجاهلية.

....

ش: قوله: «وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ»، أي: نسبة المطر إلى النوء، وهو سقوط النجم؛ كما أخرج الإمام أحمد وابن جرير عن جابر السوائي، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي ثَلَاثًا: اسْتِسْقَاءً بِالنُّجُومِ، وَحَيْفُ السُّلْطَانِ، وَتَكْذِيبًا بِالْقَدَرِ»(١).

فإذا قال قائلهم: مطرنا بنجم كذا، أو بنوء كذا. فلا يخلو إما أن يعتقد أن له تأثيرًا في إنزال المطر، فهذا شرك وكفر، وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية؛ كاعتقادهم أن دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعًا، أو يدفع عنهم ضرًا، أو أنه يشفع بدعائهم إياه، فهذا هو الشرك الذي بعث الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنهي عنه وقتال من فعله؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣]، والفتنة: الشرك.

وإما أن يقول: مطرنا بنوء كذا. مثلًا، لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده، لكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم، والصحيح: أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم، ولو على طريق المجاز، فقد صرح ابن مفلح في «الفروع» بأنه يحرم قول: مطرنا بنوء كذا(٢)، وجزم في «الإنصاف» بتحريمه، ولو على طريق المجاز، ولم يذكر خلافًا(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٣٤/ ٤٢٣)، والبزار (١٠/ ٢٠٠)، وأبو يعلى (١٣/ ٤٥٥، ٤٦٠)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٨٥)، وفي الأوسط (٢/ ٢٣٨)، وفي الكبير (٢/ ٢٠٨، ٨/ ٢٨٩)، والسنة لابن أبي عاصم (١/ ١٤٢).
(٢) انظر: الفروع وتصحيح الفروع (٣/ ٢٣٤).
(٣) انظر: الإنصاف للمرداوي (٢/ ٤٦١).

وذلك أن القائل لذلك نسب ما هو من فعل الله -تعالى- الذي لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر، لا ينفع ولا يضر، ولا قدرة له على شيء، فيكون ذلك شركًا أصغر. والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «**وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ**»)، نسبة المطر إلى النجوم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عن جابر السوائي قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُولُ: «أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي ثَلَاثًا: اسْتِسْقَاءً بِالنُّجُومِ، وَحَيْفُ السُّلْطَانِ، وَتَكْذِيبًا بِالْقَدَرِ**»)، هذه الثلاث خافها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تقع في بعض أمته، بعض الأفراد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**اسْتِسْقَاءً بِالنُّجُومِ**)، نسبة المطر إلى النجوم؛ إذا طلع النجم الفلاني، يحصل المطر! المطر بيد الله ليس عند النجم، هذه واحدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَحَيْفُ السُّلْطَانِ**)، حيف السلطان: يسلط الله السلطان يصير عنده جور، لكن مع هذا يجب الصبر على جوره وعلى حيفه، ولا يجوز الخروج عليه، لا يجوز الخروج على السلطان؛ اسمع وأطع، وإن أخذ مالك وضرب ظهرك؛ لأن طاعة السلطان يحصل بها مصالح؛ من استتباب الأمن، ومن كف الظلمة، ومن أمن الطرق، وغير ذلك، وإن كان عنده بعض النقائص أو بعض الجور أو بعض الظلم، يصبر عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَتَكْذِيبًا بِالْقَدَرِ**): ينسبون بعض الأمور إلى أشياء، يقولون: لم يقدرها الله، إنما فلان هو الذي فعلها، فينسبونها إليه.

لا، الله قدرها، وفلان فعلها بلا شك، لكن القدر من الله؛ الله قدر الخير والشر، قدر الكفر والإيمان، قدر الحسنات والسيئات؛ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية؛ كاعتقادهم أن دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعًا، أو يدفع عنهم ضرًّا، أو أنه يشفع بدعائهم إياه)**، في الجاهلية؛ يقولون: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣]، يتخذونهم شفعاء عند الله، وهم يعرفون أنهم بشر لايقدرون على شيء لم يقدره الله، ولكن مع هذا يعبدونهم من دون الله، وهم يعرفون أنهم بشر. ولكن يقولون: نريدهم شفعاء لنا عند الله؛ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣])**، والفتنة هنا: الشرك، ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، يعني: شرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وإما أن يقول: مطرنا بنوء كذا. مثلًا، لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده)**، وهذا مكروه -أيضًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والصحيح: أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم، ولو على طريق المجاز)**، ولو لم يعتقد أن النجم هو الذي أثر في هذا المطر، لا يجوز أن يقال: مطرنا بنوء كذا، عند طلوع النجم الفلاني.

....

ش: قوله: «وَالنِّيَاحَةُ»، أي: رفع الصوت بالندب على الميت؛ لأنها تسخط بقضاء الله، وذلك ينافي الصبر الواجب، وهي من الكبائر لشدة الوعيد والعقوبة.

قوله: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا»(١).

فيه: تنبيه على أن التوبة تكفر الذنب -وإن عظم-، هذا مجمع عليه في الجملة، وتكفر -أيضًا- الحسنات الماحية والمصائب، ودعاء المسلمين بعضهم لبعض، وبالشفاعة بإذن الله، وعفو الله عمن شاء ممن لا يشرك بالله شيئًا.

وفي الحديث عن ابن عمر مرفوعًا: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»، رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان(٢).

قوله: «تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ».

قال القرطبي: السربال واحد السرابيل، وهي الثياب والقمص، يعني: أنهن يلطخن بالقطران، فيكون لهم كالقمص؛ حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم، ورائحتهن أنتن، وألمهن بسبب الجرب أشد(٣).

وروي عن ابن عباس: «إِنَّ الْقَطِرَانَ هُوَ النُّحَاسُ الْمُذَابُ»(٤).

---

(١) سبق تخريجه (ص ٣٥٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٠/ ٣٠٠، ٤٦١)، والترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وابن حبان (٢/ ٣٩٤).

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٥٨٨).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٧٤٥)، والبيهقي في البعث والنشور (ص ٢٩٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَالنِّيَاحَةُ». أي: رفع الصوت بالندب على الميت؛ لأنها تسخط بقضاء الله)**، أما البكاء على الميت، فهذا لا يؤاخذ عليه، هذا رحمة، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما مات ابنه إبراهيم: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»(١).

فالبكاء لا يضر، وهو رحمة، وهو -أيضًا- أمرٌ يجري على الإنسان بغير اختياره، لا أحد يقدر أن يمنع البكاء إذا طرأ عليه مصيبة أو شيء، فلا يؤاخذ على البكاء، إنما يؤاخذ على النياحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا» فيه تنبيه على أن التوبة تكفر الذنب، وإن عظم)**، في الحديث أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**».

النائحة: هي التي ترفع صوتها عند المصيبة، تشق جيبها، تنادي بالويل والثبور من الحزن على الميت. وهذا من أمور الجاهلية؛ لأن هذا ينبئ عن الجزع من قضاء الله وقدره، والمؤمن يصبر عند المصائب؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥]: والشاهد في قوله: ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، فهم يصبرون، ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥]، فلا يظهرون الحزن والجزع، وأيضًا يقولون

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الكلام الطيب: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦]، فنحن كلنا لله ملكًا وعبيدًا، ونحن راجعون إليه، كلنا نقف بين يديه يوم القيامة، ويجازينا على أعمالنا، فلا مفر للعبد من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. والمصائب تجيء ولكن المؤمن يقابلها بالصبر والاحتساب، ويقول ما يرضي الرب سبحانه.

ولما مات ابن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إبراهيم، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»، والله جَلَّ وَعَلَا لا يعذب -كما في الحديث-: «**لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَإِنَّمَا يُعَذِّبُ بِهَذَا** -وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، **أَوْ يُرْحَمُ**»[(١)].

فعلى المسلم أن يقف هذا الموقف -موقف المؤمن من المصائب-؛ لتكون هذه المصائب خيرًا له وذخرًا له عند الله؛ لأن الله قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥]، فيكون ذلك خيرًا له.

أما إذا جزع أو تلفظ بكلام السوء، فإنه أصابته المصيبة، ولم يحصل على الأجر والثواب، يعني: حصل عليه مصيبتان:

الأولى: مصيبة وفاة قريبه.

والمصيبة الثانية -وهي أعظم-: وهي فوات الأجر والثواب على مصيبته.

والنائحة: هي التي ترفع صوتها عند المصيبة، وتعدد محاسن الميت، وتشق جيبها، وتنتف شعرها، وهذا من أمور الجاهلية، وعليها وعيد شديد.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٤)، ومسلم (٩٢٤)، من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا» فيه تنبيه على أن التوبة تكفر الذنب، وإن عظم**)، فإذا تابت النائحة بعد ما حصل منها، تابت إلى الله وندمت، فإن الله يتوب عليها، والله يغفر الذنوب -وإن عظمت-؛ يغفر الكفر والشرك، ويغفر الذنوب الكبائر مع التوبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وتكفر أيضًا الحسنات الماحية والمصائب**)، وتكفر المعصية بالحسنات؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا»**(١).

هذا من فضل الله على عباده أنه جعل مكفرات كثيرة للمعاصي؛ لأجل أن يغفرها لهم، ويمحصهم منها.

والمصائب لابد أن توجد، فالمسلم لا يخسر قريبه، ويخسر مع ذلك يخسر ثواب الصبر والاحتساب.

المكفرات كثيرة، أعظمها: التوبة على الله عَزَّوَجَلَّ.

وكذلك: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤]، فإذا كان له حسنات، فإنها تكفر سيئاته بها، وتكفر بالمصائب التي تصيب الإنسان، تكفر بمكفرات كثيرة.

وهناك كتاب لابن حجر «كتاب الكبائر»، ذكر حوالي سبعين كبيرة من أعظم الكبائر، وذكر مكفراتها. وكذلك ابن حجر الهيتمي له كتاب «الزواجر عن اقتراف الكبائر».

---

(١) أخرجه أحمد (٣٥/ ٢٨٤، ٣١٨، ٣٨٥، ٤٢٥)، والترمذي (١٩٨٧)، من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وتكفر أيضًا الحسنات الماحية والمصائب، ودعاء المسلمين بعضهم لبعض**)، تكفر بالمصائب التي تصيب الإنسان، فيحتسبها المسلم من مكفرات ذنوبه، فتكون خيرًا له، تكون المصائب خيرًا له؛ لأن الله كفر بها ذنوبه.

وتكفر بدعاء المسلمين له، شفاعتهم له عند الله بالدعاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وبالشفاعة بإذن الله**)، وبالشفاعة يوم القيامة، الشفاعة حق إذا كانت متوفرة على الشروط؛ تكون الشفاعة بإذن الله، ويكون المشفوع فيه ممن يرضى الله قوله وعمله؛ يعني: من المسلمين، أما الكافر: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، هذا شرط.

وأن يكون المشفوع فيه من المسلمين، وهذا الشرط الثاني، فالشفاعة فيها خير كثير.

وتكون الشفاعة بين الناس بعضهم مع بعض؛ ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَا﴾ [النساء:٨٥].

الشفاعة الحسنة هي التي تنفع المسلم؛ الشفاعة عند ولي الأمر، شفاعة عند الخلق الذين عندهم حوائج الناس؛ تشفع لهم أن يقضوا حوائج الناس، وهذا من المعروف؛ ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَا﴾ [النساء:٨٥]؛ أن تشفع لإخوانك لقضاء حوائجهم عند من هي عنده، يكن لك الأجر في ذلك.

وأما الشفاعة السيئة، فهذه -والعياذ بالله- لا تجوز؛ الشفاعة لإسقاط الحد بعدما يتقرر عند ولي الأمر أو نائبه لا يجوز لأحد أن يشفع لإسقاط الحد عنده؛ «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»(١)، ليس هناك شفاعة في الحدود، إذا وصلت إلى السلطان أو نائبه، فلا تجوز الشفاعة فيها، أما قبل ذلك فيجوز أن المسلمين يتسامحون فيما بينهم، ويسترون على العاصي والمخالف، هذا مطلوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعفو الله عمن شاء ممن لا يشرك بالله شيئًا)**، وتكفر الذنوب بعفو الله عنها ومغفرته لها.

الشفاعة إنما هي للمؤمنين، إنما الكفار ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الحديث عن ابن عمر مرفوعًا: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»)**، تكفر الذنوب بالتوبة منها، وباب التوبة مفتوح لا يغلق، إلا في آخر الزمان عند قيام الساعة. وكذلك يغلق بالنسبة للأفراد، يغلق إذا بلغت الروح الحلقوم، بلغت الغرغرة، فحينئذ لا تنفع التوبة؛ لأن وقتها انتهى. وإلا عند الموت الكل يتوب، لكن لا تقبل التوبة في ذاك الوقت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»)**، يعني: النائحة -والعياذ بالله- تقام من قبرها يوم القيامة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥، ٣٧٣٣، ٦٧٨٧، ٦٧٨٨، ٦٨٠٠)، ومسلم (١٦٨٨)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال القرطبي: السربال واحد السرابيل، وهي الثياب والقمص)**، «وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ»: القطران معروف أنه مادة اشتعال -والعياذ بالله- مثل البنزين، مثل المواد التي تشتعل.

«وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ»، يعني: ثوب، «مِنْ قَطِرَانٍ»؛ لأن هذا أشد في تعذيبها.

«وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»، وهي الحكة، والحكة عذاب أيضًا.

الجرب: هو مرض جلدي يصيب البهائم، ويصيب الناس، مرض جلدي فيه مشقة على من أصابه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وروى عن ابن عباس: «إِنَّ الْقَطِرَانَ هُوَ النُّحَاسُ الْمُذَابُ»)**، ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن:٣٥]، ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ ﴾: وهو الشهاب؛ ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ ﴾: والنحاس يراد به الدخان، يسمى نحاسًا.

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا؛ فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[(١)].

ش: (زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ) صحابي مشهور، مات سنة ثمان وستين، وقيل: غير ذلك، وله خمس وثمانون سنة[(٢)].

قوله: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، أي: بنا، فاللام بمعنى الباء.

قال الحافظ: وفيه إطلاق ذلك مجازًا. وإنما الصلاة لله[(٣)].

قوله: «بِالْحُدَيْبِيَةِ» بالمهملة المضمومة، وتخفيف يائها، وتثقل[(٤)].

قوله: «عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ» بكسر الهمزة وسكون المثلثة على المشهور، وهو ما يعقب الشيء[(٥)].

قوله: «سَمَاءٍ»، أي: مطر؛ لأنه ينزل من السحاب، والسماء يطلق على كل ما ارتفع[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦، ١٠٣٨، ٤١٤٧، ٧٥٠٣)، ومسلم (٧١).

(٢) انظر في ترجمته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: معجم الصحابة للبغوي (٢/ ٤٨٠)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/ ١١٨٩)، والاستيعاب (٢/ ٥٤٩)، والإصابة (٢/ ٤٩٩).

(٣) انظر: فتح الباري (٢/ ٥٢٣).

(٤) انظر: فتح الباري (٢/ ٥٢٣).

(٥) انظر: فتح الباري (٢/ ٥٢٣).

(٦) انظر: فتح الباري (٢/ ٥٢٣).

قوله: فَلَمَّا انْصَرَفَ -أي: من صلاته- أي: التفت إلى المأمومين؛ كما يدل عليه قوله: أقبل على الناس. ويحتمل أنه أراد السلام.

قوله: «هَلْ تَدْرُونَ». لفظ استفهام، ومعناه: التنبيه.

وفي النسائي: «أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ رَبُّكُمُ اللَّيْلَةَ؟»[(١)]، وهذا من الأحاديث القدسية. وفيه إلقاء العالم على أصحابه المسألة ليختبرهم.

قوله: «قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ». فيه حسن الأدب للمسؤول إذا سئل عما لا يعلم أن يكل العلم إلى عالمه. وذلك يجب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ»)، هذا فيه التذكير في المناسبات.

لما كانوا في الحديبية -قريب من مكة-، الحديبية هي التنعيم، التنعيم في طرف الحديبية، وهي بين مكة وجدة.

أصابهم مطر وهم في الحديبية في الليل، فلما صلى بهم رسوله الله، قوله: «صَلَّى لَنَا»، يعني: صلى بنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ»، أي مطر، المطر يسمى سماء؛ لأنه نازل من السماء؛ «عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ».

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٢/ ٣٢٦)، وأحمد في المسند (٢٨/ ٢٨٢، ٢٩٣)، من حديث زيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَقَالَ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَـدْرُوْنَ مَـاذَا قَـالَ رَبُّكُمْ؟**»: هذا فيه أن الله جَلَّ وَعَلَا يتكلم، ويقول؛ كما يليق بجلاله سبحانه، وهذا من صفات الأفعال.

«**قَالُوا: اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمَ**»: ففيه أن الإنسان لا يتخرص؛ فإذا كان لا يستحضر الجواب أو لا يعرف الجواب، فليقل: الله أعلم.

كانوا يقولون في حياة الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الله ورسوله أعلم، أما بعد وفاة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقال: الله أعلم. يرد العلم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«**قَالَ**»: يقول الله جَلَّ وَعَلَا.

«**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ**»: بسبب هذا المطر؛ فأما من نسب المطر إلى الله، فإنه مؤمن بالله كافر بالكوكب، يعني: بالنجم.

«**وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا**»، يعني: النجم، طلوع النجم أو غروب النجم؛ يعتقدون أنه عند طلوعه أو غروبه يحصل حادث أو شيء، هذا في الجاهلية، فينسبون ذلك إلى الطالع والغارب، والواجب أن تنسب الأشياء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مصرف الأمور.

«**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي**».

يقول الله: «**فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ**»: فنسب المطر إلى الله هو الذي أنزله، هو الذي قدره سبحانه، وهو الذي ساقه.

«**وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا**»، أي: عند طلوع نجم أو غروب نجم، في الجاهلية ينسبون الأمطار إلى ذلك والرياح.

فهذا من أمور الجاهلية، طلوع النجم أو غروبه لا يحدث شيئًا، وإنما الذي يحدث هو الله جَلَّوَعَلَا، والنجوم مسخرات، ليس لها من الأمر شيء.

«وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ»: كافر بالله؛ حيث نسب إنزال المطر إلى الكوكب، وهو كافر بالله عَزَّوَجَلَّ.

أما من قال: **«مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ»**: تنسب الأمور إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا تنسب إلى الأنواء أو النجوم؛ فإن هذا شرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(«زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ» صحابي مشهور)**، راوي الحديث: زيد بن خالد الجهني، من جهينة، صحابي مشهور معروف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»، أي: بنا، فاللام بمعنى الباء. قال الحافظ: وفيه إطلاق ذلك مجازًا. وإنما الصلاة لله)**، «صَلَّى لَنَا»: لو على ظاهره تصير الصلاة للمخلوق، لكن ليس على ظاهره، هذا مجاز؛ لأن «صَلَّى لَنَا» بمعنى بالباء، «صلى بنا»، تستعمل الحروف بعضها في مكان بعض في اللغة العربية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «بِالحُدَيْبِيَةِ» بالمهملة المضمومة، وتخفيف يائها، وتثقل)**، الحديبية: هي التنعيم، ما حول التنعيم، الحُدَيْبِيَة تثقل، يقال: «الحُدَيْبِيَّة»، هذا تثقيل. «الحُدَيْبِيَة»: هذا تخفيف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «عَلَى إِثْرِ» كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ بكسر الهمزة وسكون المثلثة على المشهور، وهو ما يعقب الشيء)**، المثلثة: هي الثاء، ثلاث نقط، المثناة من فوق هي التاء، مثناة من تحت هي الياء، هكذا يقولون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «سَمَاءٍ»، أي: مطر. لأنه ينزل من السحاب)**، ينزل من السماء، والسماء المراد به السحاب، السماء: اسم لكل ما علا وارتفع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: فَلَمَّا انْصَرَفَ -أي: من صلاته-، أي: التفت إلى المأمومين)**، هذا فيه مشروعية أن الإمام لا يبقى بعد السلام مستقبلًا للقبلة، وإنما يستقبل المأمومين؛ كما كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «هَلْ تَدْرُونَ». لفظ استفهام، ومعناه: التنبيه)**، هذا تعليم بطريقة السؤال والجواب، إذا كان التعليم بطريقة السؤال والجواب يكون أنبه للمتعلم، وأثبت للجواب؛ لأجل أن ينتبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي النسائي: «أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ رَبُّكُمُ اللَّيْلَةَ؟»، وهذا من الأحاديث القدسية)**، هذا من كلام الله عَزَّ وَجَلَّ الذي يرويه عنه نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيكون من الأحاديث القدسية التي هي كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الحديث القدسي: ما كان من كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[١].

والحديث النبوي: ما كان من كلام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه إلقاء العالم على أصحابه المسألة ليختبرهم)**، فيه طريقة التعليم على طريقة السؤال والجواب، يكون هذا أبلغ وأثبت.

---

(١) انظر: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (ص ٦٥- ٦٦)، والوسيط في علوم ومصطلح الحديث (ص ٢١٥- ٢١٨).

(٢) انظر: التقريب والتيسير للنووي (ص ٣٢)، والمنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي (ص٤٠)، والباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث (ص٤٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «**قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**»)، فيه أن الإنسان لا يتخرص، إذا لم يكن عنده علم، يرد العلم إلى الله وإلى رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حال حياته، وأما بعد موت الرسول، فيقول: الله أعلم.

....

ش: قوله: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي»، الإضافة هنا للعموم؛ بدليل التقسيم إلى مؤمن وكافر؛ كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن:٢].

قوله: «مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ»، إذا اعتقد أن للنوء تأثيرًا في إنزال المطر، فهذا كفر؛ لأنه شركٌ في الربوبية، والمشرك كافر.

وإن لم يعتقد ذلك، فهو من الشرك الأصغر؛ لكونه نسب نعمة الله إلى غيره، ولأن الله سبحانه لم يجعل النوء سببًا لإنزال المطر فيه، وإنما هو فضل من الله ورحمة، يحبسه إذا شاء، وينزله إذا شاء.

ودل هذا الحديث أنه لا يجوز لأحد أن يضيف أفعال الله إلى غيره، ولو على سبيل المجاز.

وأيضًا: الباء تحتمل معاني، وكلها لا تصدق بهذا اللفظ، فليست للسببية ولا للاستعانة؛ لما عرفت من أن هذا باطل، ولا تصدق -أيضًا- على أنها للمصاحبة؛ لأن المطر قد يجيء في هذا الوقت، وقد لا يجيء فيه، وإنما يجيء المطر في الوقت الذي أراد الله مجيئه فيه برحمته وحكمته وفضله.

فكل معنى تحمل عليه الباء في هذا اللفظ المنهى عنه فاسد، فيظهر على هذا تحريم هذه اللفظة مطلقًا؛ لفساد المعنى، وقد تقدم القطع بتحريمه في كلام صاحب الفروع والإنصاف.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وفيه التفطن للإيمان في هذا الموضع**[1].

يشير إلى أنه الإخلاص.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي» الإضافة هنا للعموم)**، **«أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي»**، كلمة عبادي تشمل المؤمن والكافر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي» الإضافة هنا للعموم بدليل التقسيم إلى مؤمن وكافر)**، الكافر عبدٌ لله، والمؤمن عبدٌ لله، لكن هذا مطيع، وهذا عاصي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾** [التغابن:٢]**)**، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾: هذا عام أن الله خلق كل الخلق، ومنهم كافر ومؤمن؛ ينقسمون إلى قسمين: كافر بالله، ومؤمن بالله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» إذا اعتقد أن للنوء تأثيرًا في إنزال المطر، فهذا كفر)**، إذا اعتقد أن للنوء -يعني: النجم- تأثيرًا، أي: طلوع النجم أو غروبه له تأثير في نزول المطر، فهذا من اعتقاد الجاهلية، وهو كفر بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن لم يعتقد ذلك، فهو من الشرك الأصغر؛ لكونه نسب نعمة الله إلى غيره)**، إذا جرى على لسانه نسبة الشيء إلى غير الله ولم يعتقد، فهذا كفر أصغر لا يخرج من الملة.

---

(١) انظر: التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ص ٨٦)، وتيسير العزيز الحميد (ص٣٩٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ودل هذا الحديث أنه لا يجوز لأحد أن يضيف أفعال الله إلى غيره، ولو على سبيل المجاز)**، يضيف أفعال الله إليه، لا يضيفها إلى المخلوقين؛ حتى ولو قال: أنا لا أقصد، أنا قاصد أنه من الله، لكن هذا من باب المجاز. نقول: لا، هذا لا يصح في المجاز، هذه عقيدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأيضًا: الباء تحتمل معاني، وكلها لا تصدق بهذا اللفظ، فليست للسببية ولا للاستعانة؛ لما عرفت من أن هذا باطل، ولا تصدق -أيضًا- على أنها للمصاحبة؛ لأن المطر قد يجيء في هذا الوقت، وقد لا يجيء فيه)**، هناك فرق بين قولك: مطرنا بنوء كذا، أو في نوء كذا؛ «في» هذا لا بأس به، أما الباء تكون سببية، وأما «في»، فهي ظرفية، فبينهما فرق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكل معنى تحمل عليه الباء في هذا اللفظ المنهى عنه فاسد، فيظهر على هذا تحريم هذه اللفظة مطلقًا؛ لفساد المعنى)**، نسبة الشيء إلى غير الله بالباء، لا يجوز هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه التفطن للإيمان في هذا الموضع. يشير إلى أنه الإخلاص)**، في هذا الموضع نسبة الأشياء إلى الله عَزَّوَجَلَّ: هذا توحيد، نسبتها إلى غيره: هذا شرك.

....

ش: قوله: «فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ»، **فالفضل والرحمة صفتان لله، ومذهب أهل السنة والجماعة: أن ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله من صفات الذات -كالحياة، والعلم-، وصفات الأفعال -كالرحمة التي يرحم بها عباده- كلها صفات لله قائمة بذاته، ليست قائمة بغيره. فتفطن لهذا؛ فقد غلط فيه طوائف.**

وفي هذا الحديث: أن نعم الله لا يجوز أن تضاف إلا إليه وحده، وهو الذي يحمد عليها، وهذه حال أهل التوحيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ»، فالفضل والرحمة صفتان لله)**، بفضل الله ورحمته، ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨]؛ بفضل الله ورحمته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أن ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله من صفات الذات -كالحياة، والعلم-، وصفات الأفعال -كالرحمة التي يرحم بها عباده- كلها صفات لله قائمة بذاته، ليست قائمة بغيره)**، الصفات تنقسم لقسمين:

القسم الأول: صفات ذات: مثل الوجه واليد. هذه صفة ذات.

القسم الثاني: صفة فعل: مثل الكلام، والعطاء والحرمان، فهذه صفة فعل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو الذي يعطي ويمنع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي هذا الحديث: أن نعم الله لا يجوز أن تضاف إلا إليه وحده)**، لا تضاف أفعال الله إلا إليه، لا تضاف إلى غيره، هذا ما عليه أهل التوحيد الذين يحرصون على سلامة عقيدتهم.

والعقيدة تحتاج إلى تعلم وعناية؛ لئلا يقع الإنسان في الأخطاء العقدية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي هذا الحديث: إن نعم الله لا يجوز أن تضاف إلا إليه وحده، وهو الذي يحمد عليها، وهذه حال أهل التوحيد)**، يحمد الله على نعمه، ولا يحمد عليها غير الله جَلَّ وَعَلَا، ولا تعتقد أنها من فلان أو علان، بل تنسبها إلى الله جَلَّ وَعَلَا، وتحمده عليها.

....

ش: قوله: «وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا،....» إلى آخره، قد تقدم ما يتعلق بذلك.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه التفطن للكفر في هذا الموضع. يشير إلى أن نسبة النعمة إلى غير الله كفر(١)، ولهذا قطع بعض العلماء بتحريمه، وإن لم يعتقد تأثير النوء بإنزال المطر، فيكون من كفر النعم؛ لعدم نسبتها إلى الذي أنعم بها، ونسبتها إلى غيره؛ كما سيأتي في قوله -تعالى-: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل:٨٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح حديث زيد بن خالد: وكانت العرب إذا طلع نجم من المشرق، وسقط آخر من المغرب، فحدث عند ذلك مطر أو ريح، فمنهم من ينسبه إلى الطالع، ومنهم من ينسبه إلى الغارب؛ نسبة إيجاد واختراع، ويطلقون ذلك القول المذكور في الحديث. فنهى الشارع عن إطلاق ذلك؛ لئلا يعتقد أحد اعتقادهم، ولا يتشبه بهم في نطقهم. انتهى(٢).

قوله: فمنهم من ينسبه نسبة إيجاد. يدل على أن بعضهم كان لا يعتقد ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت:٦٣]، فدل على أن منهم من

---

(١) انظر: التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ص ٨٦)، وتيسير العزيز الحميد (ص٣٩٦).

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٢٦٠).

يعرف، ويقر بأن الله هو الذي أوجد المطر، وقد يعتقد هؤلاء أن للنوء فيه شيئًا من التأثير.

والقرطبي في شرحه لم يصرح أن العرب كلهم يعتقدون ذلك المعتقد الذي ذكره، فلا اعتراض عليه بالآية للاحتمال المذكور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، قال المصنف: وهو الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مصنف كتاب التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وفيه التفطن للكفر في هذا الموضع**)، التفطن في هذا النوع، عند حدوث الشيء يفطن؛ ينسبه إلى الله جَلَّ وَعَلَا، ولا يجري مع الناس فيما يتساهلون فيه؛ لأن هذا عقيدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شرح حديث زيد بن خالد**)، القرطبي هذا غير المفسر، القرطبي هذا الذي شرح صحيح مسلم، «المفهم شرح صحيح مسلم».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فمنهم من ينسبه إلى الطالع، ومنهم من ينسبه إلى الغارب؛ نسبة إيجاد واختراع**)، هذا في الجاهلية؛ يعتقدون أن النجم هو الذي أحدث ذلك في طلوعه أو غروبه. وهذا هو التنجيم، هذا مذهب التنجيم، باب ما جاء في المنجمين؛ كما مرَّ في كتاب التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فنهى الشارع عن إطلاق ذلك؛ لئلا يعتقد أحد اعتقادهم، ولا يتشبه بهم في نطقهم. انتهى**)، انتهى كلام القرطبي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: فمنهم من ينسبه نسبة إيجاد. يدل على أن بعضهم كان لا يعتقد ذلك)**، وإنما هو تساهل في التعبير، ولا يجوز هذا -أيضًا-؛ لأنه وسيلة إلى الاعتقاد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى:** ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت:٦٣]، **فدل على أن منهم من يعرف، ويقر بأن الله هو الذي أوجد المطر)**، في الجاهلية عندهم توحيد الربوبية، أهل الجاهلية يثبتون توحيد الربوبية، وإنما حصل الخلل في توحيد الألوهية عندهم، أما الربوبية، فهم مقرون بها، فدل على أنها لا تكفي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد يعتقد هؤلاء أن للنوء فيه شيئًا من التأثير)**، يعتقدون أن النجم هو المؤثر، وإذا كان كذلك، صار هذا شركًا وكفرًا بالله عَزَّوَجَلَّ، فالنجم ليس له تأثير، وإنما المؤثر هو الله جَلَّوَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والقرطبي في شرحه)**، يعني: شرحه على صحيح مسلم.

وَلَهُمَا: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِمَعْنَاهُ، وَفِيهِ: «قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا؛ فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٧٥-٨٢]»(١).

ش: وبلفظه عن ابن عباس قال: «مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥]، هذا قسم من الله، يقسم بما شاء من خلقه على ما شاء.

وجواب القسم: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٧]، فتكون (لا) صلة لتأكيد النفي، فتقدير الكلام، ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة، بل هو قرآن كريم.

قال ابن جرير: قال بعض أهل العربية: معنى قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾: فليس الأمر كما تقولون؛ ثم استؤنف القسم بعد، فقيل: أقسم. ومواقع النجوم. قال ابن عباس: يعني: نجوم القرآن، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقًا في السنين بعد، ثم قرأ ابن عباس هذه الآية(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٧٣).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (٢٢/ ٣٥٩).

ومواقعها: نزولها شيئًا بعد شيء.

وقال مجاهد: مواقع النجوم: مطالعها ومشارقها، واختاره ابن جرير(١).

وعلى هذه فتكون المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه -وهو القرآن- من وجوه:

أحدها: أن النجوم جعلها الله يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات الغي والجهل. فتلك هداية في الظلمات الحسية، والقرآن هداية في الظلمات المعنوية. فجمع بين الهدايتين.

مع ما في النجوم من الزينة الظاهرة، وفي القرآن من الزينة الباطنة، ومع ما في النجوم من الرجوم للشياطين، وفي القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن.

والنجوم آياته المشهودة العيانية، والقرآن آياته المتلوة السمعية، مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته القرآنية، ومواقعها عند النزول، ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِمَعْنَاهُ، وَفِيهِ: قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا؛ فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٥٤٤).

(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن (ص ٢١٩- ٢٢٠).

ﱡﭐ ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﱠ [الواقعة:٧٥-٨٢])، ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾: هذا قسمٌ من الله جَلَّوَعَلَا بمواقع النجوم، والله يقسم من خلقه بما شاء، أما المخلوق، فلا يقسم إلا بالله، ولا يحلف إلا بالله عَزَّوَجَلَّ.

والمراد بالنجوم: نجوم السماء. وقيل: المراد بالنجوم: نجوم القرآن؛ لأن القرآن نزل منجمًا، لم ينزل جملة واحدة، وإنما نزل منجمًا بحسب الوقائع والحوادث.

والظاهر أن المراد بالنجوم هنا: نجوم نزول القرآن؛ لأنه قال:﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾)، ﴿إِنَّهُۥ﴾: هذا جواب القسم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾)، ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾: هو اللوح المحفوظ؛ لأن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾)، ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾: من الملائكة، الشياطين لا تقرب القرآن، ولا تقرب اللوح المحفوظ، إنما الملائكة هم الذين يمسونه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾)، (﴿تَنزِيلٌ﴾: تنزيل القرآن، ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، القرآن منزل من الله، منزل غير مخلوق، بل هو كلام الله جَلَّوَعَلَا.

الجهمية[١] والمعتزلة[٢] يقولون: القرآن مخلوق؛ لأن الله لا يتكلم في اعتقادهم -قبحهم الله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا)**، نسب المطر إلى النوء والنجم، أو طلوع النجم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾** [الواقعة:٧٥]، **هذا قسم من الله** عَزَّوَجَلَّ، **يقسم بما شاء من خلقه على ما شاء)**، ﴿فَلَآ﴾: «لا» هذه يقولون: صلة للتأكيد، والأصل: فأقسم بمواقع النجوم، ثم جاء بـ«لا» من باب التأكيد للكلام.

---

(١) هم أتباع الجهم بن صفوان أبي محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًّا عظيمًا، وهو رأس في التعطيل، قُتل سنة ١٢٨هـ، قتله سَلْم بن أحوز. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٤/ ٣٢٩)، والتعريفات للجرجاني (ص٢٢٢)، وفتح الباري (١٣/ ٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٣٩).

(٢) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذًا في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها.

وقد افترقت المعتزلة إلى فرق شتى يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة. انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠-٣٢)، والفرق بين الفرق (ص١٨، ٩٣، ٩٤)، والبدء والتاريخ (٥/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨). وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٥٣٧-٥٣٨).

وقيل: «لا» على بابها، «لا» نافية: أي ليس الأمر كما تزعمون، أقسم بمواقع النجوم أنه ليس على ما تزعمون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وجواب القسم: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾** [الواقعة:٧٧]**، فتكون (لا) صلة لتأكيد النفي)**، لا أقسم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن جرير: قال بعض أهل العربية: معنى قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾: فليس الأمر كما تقولون؛ ثم استؤنف القسم بعد، فقيل: أقسم)**، فتكون (لا) على بابها نافية، لا: أي ليس الأمر كما تظنون من اعتقاد الجاهلية؛ أن الأمور تنسب إلى الأسباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومواقع النجوم. قال ابن عباس: يعني: نجوم القرآن، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقًا في السنين بعد، ثم قرأ ابن عباس هذه الآية)**، هذا فه نظر، والشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ له رسالة مطبوعة، وهي في كيفية إنزال القرآن الكريم؛ «الجواب الواضح المستقيم في كيفية نزول القرآن الكريم».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال مجاهد: مواقع النجوم: مطالعها ومشارقها، واختاره ابن جرير)**، تكون النجوم على بابها، هي النجوم الكواكب.

والقول الأول: أن النجوم: نجوم القرآن؛ لأن القرآن نزل منجمًا، ولم ينزل جملة واحدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومع ما في النجوم من الرجوم للشياطين، وفي القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن)**، ترجمهم الآيات الكريمة، وترد عليهم، تبطل أقوالهم.

....

ش: وقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [الواقعة:٧٦].

قال ابن كثير: أَيْ: وَإِنَّ هَذَا الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمْتُ بِهِ لَقَسَمٌ عَظِيمٌ، لَوْ تَعْلَمُونَ عَظَمَتَهُ لَعَظَّمْتُمُ الْمُقْسِمَ بِهِ عَلَيْهِ[1].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة:٧٧]، هذا هو المقسم عليه، وهو القرآن، أي: وإنه وحي الله وتنزيله وكلامه، لا كما يقول الكفار: إنه سحر، أو كهانة، أو شعر. بل هو قرآن كريم، أي: عظيم كثير الخير؛ لأنه كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فوصفه بما يقتضي حسنه وكثرة خيره ومنافعه وجلالته، فإن الكريم هو البهي، الكثير الخير، العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصف نفسه بالكرم، ووصف به كلامه، ووصف به عرشه، ووصف به ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره؛ ولذلك فسر السلف (الكريم) بالحسن.

قال الأزهري: الكريم: اسم جامع لما يحمد، والله تعالى كريم جميل الفعال، وإنه لقرآن كريم، يحمد لما فيه من الهدى، والبيان، والعلم، والحكمة[2].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٥٤٤).
(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن (ص٢٢٥).

وقوله: ﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴾ [الواقعة:٧٨]، أَيْ: مُعَظَّمٌ فِي كِتَابٍ مُعَظَّمٍ مَحْفُوظٍ مُوَقَّرٍ. قاله ابن كثير(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلف المفسرون في هذا، فقيل: هو اللوح المحفوظ. والصحيح أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة، وهو المذكور في قوله: ﴿ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴾ [عبس:١٣-١٦]، ويدل على أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة قوله: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة:٧٩]، فهذا يدل على أنه بأيديهم يمسونه(٢).

قوله: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة:٧٩]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾، قال: الكتاب الذي في السماء(٣).

وفي رواية: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ يعني: الملائكة(٤).

وقال قتادة: لا يمسه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا، فإنه يمسه المجوسي النجس، والمنافق الرجس(٥).

واختار هذا القول كثيرون، منهم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورجحه(٦).

وقال ابن زيد: زعمت قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون؛ كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٥٤٤).
(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن (ص٢٢٦).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٦٢).
(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٦٤- ٣٦٥).
(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٦٦).
(٦) انظر: التبيان في أقسام القرآن (ص ٢٢٦- ٢٣٠).

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ ٢١٠ [الشعراء:٢١٠-٢١٢][1].

قال ابن كثير: هذا قول جيد. وهو لا يخرج عن القول قبله[2].

وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه في هذه الآية: لا يجد طعمه إلا من آمن به[3].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والله** سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ **وصف نفسه بالكرم، ووصف به كلامه، ووصف به عرشه)**، الله كريم، وكلامه كريم، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ [الواقعة:٧٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله:** ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ [الواقعة:٧٨]، **أَيْ: مُعَظَّمٌ فِي كِتَابٍ مُعَظَّمٍ مَحْفُوظٍ مُوَقَّرٍ)**، وهو اللوح المحفوظ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والصحيح أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة، وهو المذكور في قوله:** ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۢ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [عبس:١٣-١٦]**)**، صحف الملائكة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويدل على أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة قوله:** ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩]. **فهذا يدل على أنه بأيديهم يمسونه)**، لكن يدل بالإشارة، والمراد به المطهرون: الملائكة.

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٤)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١١/ ٧٢٩١)، والدر المنثور (٦/ ٣٢٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٥٤٥).

(٣) انظر: صحيح البخاري (٩/ ١٥٥).

لكن يدل بالإشارة على أن المصحف -أيضًا- لا يمسه إلا وهو على طهارة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال سبحانه:** ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء:٢١٠-٢١٢])، ﴿عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾: يعني الوحي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه في هذه الآية: لا يجد طعمه إلا من آمن به**)، عام، الآية عامة لهذه الأقوال.

....

ش: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا من إشارة الآية وتنبيهها، وهو أنه لا يلتذ به، وبقراءته، وفهمه، وتدبره إلا من يشهد أنه كلام الله تعالى، تكلم به حقًّا، وأنزله على رسوله وحيًا، لا ينال معانيه إلا من لم يكن في قلبه حرج منه بوجه من الوجوه[(١)].

وقال آخرون: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة:٧٩]، أي: من الجنابة والحدث. قالوا: ولفظ الآية خبر معناه الطلب.

وقالوا: والمراد بالقرآن ههنا المصحف.

واحتجوا على ذلك بما رواه مالك في الموطأ عن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: «إِنَّ فِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: أَنْ لَا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ»[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال آخرون: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة:٧٩]. أي: من الجنابة والحدث)، يعم هذا، حتى اللفظ عام، أنه: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾: من الحدث الأكبر والأصغر.

وكذلك: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾، يعني: الملائكة.

---

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن (ص٢٣٠).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١)، والدارمي (٣/ ١٤٥٥)، والبغوي في شرح السنة (٢/ ٤٧).

....

ش: وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة:٨٠].

قال ابن كثير: أي: أن هذا القرآن منزل من الله رب العالمين، وليس كما يقولون: إنه سحر، وكهانة، أو شعر. بل هو الحق الذي لا مرية فيه، وليس وراءه حق نافع(١). وفي هذه الآية: أنه كلام الله تكلم به.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ونظيره: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة:١٣]، وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢]، هو إثبات علو الله تعالى على خلقه. فإن النزول والتنزيل الذي تعقله العقول، وتعرفه الفطر هو وصول الشيء من أعلى إلى أسفل، ولا يرد عليه قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر:٦] لأنَّا نقول: إن الذي أنزلها فوق سماواته، فأنزلها لنا بأمره.

قال ابن القيم: وذكر التنزيل مضافًا إلى ربوبيته للعالمين، المستلزمة لملكه لهم وتصرفه فيهم، وحكمه عليهم، وإحسانه وإنعامه عليهم، وأن من هذا شأنه مع الخلق. كيف يليق به مع ربوبيته التامة أن يتركهم سدى، ويدعهم هملًا، ويخلقهم عبثًا: لا يأمرهم، ولا ينهاهم، ولا يثيبهم، ولا يعاقبهم؟ فمن أقر بأنه رب العالمين، أقر بأن القرآن تنزيله على رسوله. وأُستدل بكونه رب العالمين على ثبوت رسالة رسوله وصحة ما جاء به، وهذا الاستدلال أقوى

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٥٤٥).

وأشرف من الاستدلال بالمعجزات والخوارق، وإن كانت دلالتها أقرب إلى أذهان عموم الناس، وتلك إنما تكون لخواص العقلاء[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي هذه الآية: أنه كلام الله تكلم به**)، أنه كلام الله تكلم به حقيقة، وسمعه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الله، وتحمله ونزل به على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾** [النحل:١٠٢]، **هو إثبات علو الله تعالى على خلقه**)، ﴿نَزَّلَهُۥ﴾؛ لأن التنزيل لا يكون إلا من أعلى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولا يرد عليه قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾** [الزمر:٦])، الإنزال يتنوع، يكون من الجبال، لكن المراد بالإنزال في القرآن هو من الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كيف يليق به مع ربوبيته التامة أن يتركهم سدى، ويدعهم هملًا، ويخلقهم عبثًا**)، لابد أن ينزل عليهم ما يهتدون به، يستدلون به؛ بمقتضى ربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يتركهم هملًا ضائعين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**واُستدل بكونه رب العالمين على ثبوت رسالة رسوله وصحة ما جاء به**)؛ لأنه رب العالمين، لا يليق به أن يهمل عباده، ولا ينزل عليهم ما يهتدون به، ويعرفون به الحق من الباطل، مقتضى ربوبيته يأبى ذلك.

---

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن (ص٢٣٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا الاستدلال أقوى وأشرف من الاستدلال بالمعجزات والخوارق)**، أعظم معجزة لهذا الرسول هو القرآن الكريم.

له معجزات أخرى، لكن هذا القرآن هو أعظم المعجزات وأبقاها؛ لأنه باق، أما المعجزات الأخرى، فهي ذهبت مع الوقت مع زمانها، لكن هذا القرآن باق بأيدي الناس، معجزة باقية خالدة.

....

ش: قوله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ [الواقعة:٨١]، **قال مجاهد: أتريدون أن تمالئوهم فيه، وتركنوا إليهم[١]؟**

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ثم وبخهم -سبحانه- على وضعهم الإدهان في غير موضعه، وأنهم يداهنون فيما حقه أن يصدع به، ويفرق به، ويعض عليه بالنواجذ، وتثني عليه الخناصر، وتعقد عليه القلوب والأفئدة، ويحارب ويسالم لأجله، ولا يلتوى عنه يمنة ولا يسرة، ولا يكون للقلب التفات إلى غيره، ولا محاكمة إلا إليه، ولا مخاصمة إلا به، ولا اهتداء في طرق المطالب العالية إلا بنوره، ولا شفاء إلا به، فهو روح الوجود، وحياة العالم، ومدار السعادة، وفائدة الفلاح، وطريق النجاة، وسبيل الرشاد، ونور البصائر.**

فكيف تطلب المداهنة بمن هذا شأنه، ولم ينزل للمداهنة، وإنما نزل بالحق وللحق، والمداهنة إنما تكون في باطل قوي لا تمكن إزالته، أو في حق ضعيف لاتمكن إقامته، فيحتاج المداهن إلى أن يترك بعض الحق، ويلتزم بعض الباطل؟ فأما الحق الذي قام به كل حق، فكيف يداهن به[٢]؟

قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢]، **تقدم الكلام عليها أول الباب، والله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **أعلم.**

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٦٨)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٥٤٥).

(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن (ص ٢٣٤- ٢٣٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ [الواقعة:٨١]، قال مجاهد: أتريدون أن تمالئوهم فيه، وتركنوا إليهم؟)**، يعني: أنتم -أيها المؤمنون- تداهنون الكفار على هذا الحديث الذي هو القرآن؟!

لا يجوز للمؤمنين أن يداهنوهم وأن يجاروهم، ويقولون: هذه دبلوماسية. لا، لا يجوز هذا، المؤمن يتمسك بعقيدته ويصرح بها، ولا يجاري أحدًا في عقيدته، أو يداهنه في عقيدته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمداهنة إنما تكون في باطل قوي لا تمكن إزالته، أو في حق ضعيف لا تمكن إقامته، فيحتاج المداهن إلى أن يترك بعض الحق، ويلتزم بعض الباطل؟)**، هذه تسمى مداراة، المداراة تجوز عند الحاجة إليها، أما المداهنة فلا تجوز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢])**، ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾، يعني: المطر، ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾: تنسبونه إلى النجوم، إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ، هذا من الباطل. والله أعلم.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ الوَاقِعَةِ.

الثَّانِيَةُ: ذِكْرُ الأَرْبَعِ الَّتِيْ مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ الكُفْرِ فِيْ بَعْضِهَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ مِنَ الكُفْرِ مَا لَا يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ.

الخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» بِسَبَبِ نُزُوْلِ النِّعْمَةِ.

السَّادِسَةُ: التَّفَطُّنُ لِلْإِيْمَانِ فِيْ هَذَا المَوْضِعِ.

السَّابِعَةُ: التَّفَطُّنُ لِلْكُفْرِ فِيْ هَذَا المَوْضِعِ.

الثَّامِنَةُ: التَّفَطُّنُ لِقَوْلِهِ: «لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا».

التَّاسِعَةُ: إِخْرَاجُ العَالِمِ لِلْمُتَعَلِّمِ المَسْأَلَةَ بِالاسْتِفْهَامِ عَنْهَا لِقَوْلِهِ: «أَتَدْرُوْنَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟».

العَاشِرَةُ: وَعِيْدُ النَّائِحَةِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ الوَاقِعَةِ)، تفسير آية الواقعة: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥]، إلى آخرها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّانِيَةُ: ذِكْرُ الأَرْبَعِ الَّتِيْ مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ)؛ النياحة على الميت، الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، وهي محل الشاهد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: أَنَّ مِنَ الكُفْرِ مَا لَا يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ)، الكفر الأصغر لا يخرج من الملة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: التَّفَطُّنُ لِلْإِيمَانِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ**)، عند نزول النعمة التفطن أن تنسب إلى الله هذا من الإيمان، نسبتها إلى غير الله هذا كفر بالنعمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّامِنَةُ: التَّفَطُّنُ لِقَوْلِهِ: «لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا»**)، أنه كلام باطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**العَاشِرَةُ: وَعِيْدُ النَّائِحَةِ**)، «**إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا؛ تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**».

٣٠- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

ش: قوله: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥])، **لما كانت محبته -سبحانه- هي أصل دين الإسلام، الذي يدور عليه قطب رحاه، فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان، نبه المصنف على ذلك بهذه الترجمة.**

قوله تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة:١٦٥] الآية.

قال في شرح المنازل: أخبر -تعالى- أن من أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله تعالى، فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا، فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية، فإن أحدًا من أهل الأرض لا يثبت هذا الند، بخلاف ند المحبة، فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادًا في الحب والتعظيم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥])، من أنواع العبادة، بل أعظم أنواع العبادة: المحبة. والمحبة هي أعلى درجات العبادة، يعني: محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالمؤمنون يحبون الله حبًّا خالصًا، والمشركون يحبون الله، ويحبون معه غيره من الأصنام والأنداد؛ ولهذا قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥]؛

لأن محبتهم لله خالصة، والمشركون يحبون الله، لكنهم يحبون معه غيره، فمحبتهم ليست خالصة بين الله وبين أصنامهم؛ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾، يعني: المشركين، ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾: بالشرك، الشرك هو أعظم الظلم؛ ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ [البقرة:١٦٥].

﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾: قالوا: تقطعت بهم أسباب المحبة.

﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]: عند ذلك ندموا، ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾، يعني: رجعة إلى الدنيا، ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾، أي: من هذه الأصنام وهذه المعبودات التي أحببناها مع الله.

﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾، أي: أشركوا؛ ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾: يوم القيامة.

﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، يعني: أن الأصنام ليس لها قوة.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾: اتبعوا هذه المعبودات، فتبرأت منهم هذه المعبودات يوم القيامة.

﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾، يعني: رجعة إلى الدنيا، هذا من باب التمني، ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾، أي: من هذه المعبودات وهذه الأصنام.

﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾: في هذا الموقف، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، أي: هذا الأمر مثل هذا الأمر؛ ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ يوم القيامة.

﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ﴾: عملوا، وأتعبوا أنفسهم في الدنيا، لكن لما كانت أعمالهم مؤسسة على الشرك بائت بالفشل.

﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ﴾ [البقرة:١٦٦، ١٦٧]: نسأل الله العافية! لهم أعمال، لكنها صارت حسرات؛ لأنها أعمال فيها شرك بالله عَزَّوَجَلَّ، والشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأبطلها، فهذا مآل المشركين يوم القيامة.

﴿لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾، يعني: رجعة إلى الدنيا، ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ﴾، أي: من هذه المعبودات من دون الله، ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾؛ لأن هذه المعبودات تبرأت ممن عبدها؛ الملائكة يتبرؤون ممن عبدهم يوم القيامة، الأنبياء يتبرؤون ممن عبدهم يوم القيامة، الأولياء والصالحون يتبرؤون ممن عبدهم يوم القيامة، أحوج ما يكونون إليهم.

﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ الشركية ﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾: مخلدون فيها -والعياذ بالله!

هذه العاقبة: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، بل هم خالدون مخلدون فيها، هؤلاء هم المشركون.

أما المؤمن الذي عنده ذنوب ومعاص، ودخل النار بموجب ذنوبه ومعاصيه، فإنه يخرج من النار -بإذن الله- بعد أن يعذب.

يخرجون كالفحم احترقوا، ثم يلقون في نهر يقال له نهر الحياة، تنبت أجسامهم، تعود أجسامهم كاملة، ثم يؤذن لهم بدخول الجنة بعد ما طهروا ومحصوا؛ لأن الجنة لا يدخلها إلا طيب، فإذا هُذِبوا ونُقوا وطهروا، دخلوا الجنة برحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥])، ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾: المشركون يحبون الله، ولكنهم أشركوا معه غيره في هذه المحبة، فأحبوا الله وأحبوا معه غيره، فهذا شرك أكبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لما كانت محبته -سبحانه- هي أصل دين الإسلام)، المحبة هي أعظم أنواع العبادة، وهي أصل دين الإسلام، محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومحبة ما يحبه الله، وهذه هي المحبة في الله؛ تحب من يحبه الله وما يحبه الله، هذه محبة في الله عَزَّ وَجَلَّ، أما محبة المشركين، فهي محبة مع الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لما كانت محبته -سبحانه- هي أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاه)، ولهذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية(٢):

وَعِبَادَةُ الرَّحْمنِ غَايَةُ حُبِّهِ ... مَعْ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٣٩).

(٢) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٢٥٣).

محبة مع ذل لله عَزَّوَجَلَّ.

وَعِبَادَةُ الرَّحْمنِ غَايَةُ حُبِّهِ مَعْ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ
فَعَلَيْهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبانِ
وَمَدَارُهُ بِالأَمْرِ أَمْرِ رَسُولِهِ لَا بِالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(نبه المصنف على ذلك بهذه الترجمة)**، يعني: في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾** [البقرة:١٦٥] **الآية)**، يعني: ما معنى هذه الآية، فسرها وبينها بما ورد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال في شرح المنازل)**، شرح المنازل: «منازل السائرين بين مراحل إياك نعبد وإياك نستعين»، لشيخ الإسلام: أبو إسماعيل الهروي.

وقد شرحه ابن القيم في «مدارج السالكين شرح منازل السائرين» لأبي إسماعيل الهروي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال في شرح المنازل: أخبر -تعالى- أن من أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله -تعالى-، فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا، فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية)**، وند الشيء: نظيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن أحدًا من أهل الأرض لا يثبت هذا الند)**، لا أحد من أهل الأرض -لا المؤمنون ولا الكفار- يعتقدون أن أحدًا يشارك الله جَلَّوَعَلَا في الخلق والرزق والإحياء والإماتة؛ في توحيد الربوبية.

لا أحد يشرك في توحيد الربوبية؛ المشركون مقرون بتوحيد الربوبية؛ أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت؛ ولهذا جاء في القرآن: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف:٨٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بخلاف ند المحبة، فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادًا في الحب والتعظيم)**، ولولا أنهم يحبون هذه الأصنام وهذه المعبودات، لما قاتلوا دونها، يبذلون أنفسهم وأموالهم في القتال دون هذه الأصنام وهذه المعبودات.

....

ش: ثم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾: وفي تقدير الآية قولان:

أحدهما: والذين آمنوا أشد حبًّا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله.

وروى ابن جرير عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾: مُبَاهَاةً، وَمُضَاهَاةً لِلْحَقِّ بِالْأَنْدَادِ، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]. مِنَ الْكُفَّارِ لِأَوْثَانِهِمْ(١).

ثم روى عَنِ ابْنِ زَيْدٍ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ أَنْدَادُهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي عَبَدُوا مَعَ اللهِ يُحِبُّونَهُمْ كَمَا يُحِبُّ الَّذِينَ آمَنُوا اللهَ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ مِنْ حُبِّهِمْ آلِهَتَهُمْ. انتهى(٢).

والثاني: والذين آمنوا أشد حبًا لله من المشركين بالأنداد لله؛ فإن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها، والمحبة الخالصة أشد من المشتركة.

والقولان مرتبان على القولين في قوله -تعالى-: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، فإن فيها قولين -أيضًا-:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٧).

أحدهما: يحبونهم كما يحبون الله. فيكون قد أثبت لهم محبة الله، ولكنها محبة أشركوا فيها مع الله تعالى أندادهم.

والثاني: أن المعنى يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله، ثم بين -تعالى- أن محبة المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرجح القول الأول، ويقول: إنما ذموا بأن شركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة، ولم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له.

وهذه التسوية المذكورة في قوله -تعالى- حكاية عنهم، وهم في النار أنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم -وهي محضرة معهم في العذاب-: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧، ٩٨]، ومعلوم أنهم ما يسوونهم برب العالمين في الخلق والربوبية، وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم.

وهذا -أيضًا- هو العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١]، أي: يعدلون به غيره في العبادة، التي هي المحبة والتعظيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثم قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾)، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾: من محبة المشركين لله؛ لأن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة المشركين مشتركة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]. **مِنَ الْكُفَّارِ لِأَوْثَانِهِمْ**)، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من محبة المشركين لأوثانهم، هذا وجه.

والوجه الثاني: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من محبة المشركين لله؛ لأن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة المشركين مشتركة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ثم روى عَنْ ابْنِ زَيْدٍ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ أَنْدَادُهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي عَبَدُوا مَعَ اللهِ يُحِبُّونَهُمْ كَمَا يُحِبُّ الَّذِينَ آمَنُوا اللهَ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ مِنْ حُبِّهِمْ آلِهَتَهُمْ**)، هذا وجه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والثاني**)، الوجه الثاني في تفسير الآية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والثاني: والذين آمنوا أشد حبًّا لله من المشركين بالأنداد لله**)، المشركون يحبون الله، لكنها محبة مشتركة، أما محبة المؤمنين لله، فهي خالصة، ولهذا قال: ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من محبة المشركين لله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها**)، مشتركة، محبة مشتركة بين الله وبين غيره من الأصنام والأنداد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والمحبة الخالصة أشد من المشتركة**)، بلا شك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وكان شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يرجح القول الأول**)، أن المشركين يحبون الله، ويحبون معه غيره، فمحبته مشتركة، وأما المؤمنون، فهم يحبون الله محبة خالصة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكان شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يرجح القول الأول)**، هذا القول الأول: أن المشركين يحبون الله، والمؤمنون يحبون الله، ولكن محبة المؤمنين لله أشد؛ لأنها خالصة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهم في النار أنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم -وهي محضرة معهم في العذاب-: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾** [الشعراء:٩٧، ٩٨]**)**، في يوم القيامة يجمعون هم وأصنامهم في نار جهنم، وأيضًا من عبدوهم من الإنس والجن إذا رضوا بذلك، إذا رضي المعبودون بذلك، فإنهم يجعلون في النار مع من عبدهم، يجعلون في النار، ولهذا يقولون لأصنامهم وهم في النار: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٩]: دعاة الضلال ودعاة السوء الذين أضلوهم حتى عبدوا مع الله غيره.

فدعاة السوء لهم دور كبير في إضلال الناس، والدعوة إلى الشرك، والآن زاد شرهم، وزاد خطرهم على الأمة، فهم يحسنون الشرك، ويدعون إليه، ويزعمون أنه من الإسلام، وأنه من محبة الصالحين، وأنتم لا تحبون الصالحين.

نقول: نحن نحب الصالحين، لكن لا نعبدهم، أنتم تحبونهم وتعبدونهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا -أيضًا- هو العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟**

بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١])، يعني: يسوون معه غيره، يعدلون بالله: يعني يسوون معه غيره من الأصنام والأحجار والأشجار والقبور، يسوونها بالله، ويعبدونها مع الله -تعالى الله عن ذلك!

....

ش: وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١]، وهذه تسمى آية المحنة.

قال بعض السلف: ادعى قوم محبة الله، فأنزل الله تعالى آية المحنة: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١]، إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها.

فدليلها وعلامتها: اتباع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم، فما لم تحصل المتابعة، فلا محبة له حاصلة، ومحبته لكم منتفية.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة:٥٤]، ذكر لهم أربع علامات:

أحدُها: أنهم أذلة على المؤمنين، قيل: معناه: أرقاء، رحماء، مشفقين عليهم، عاطفين عليهم، فلما ضمن أذلة هذا المعنى، عداه بأداة (على).

قال عطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: للمؤمنين كالولد لوالده، والعبد لسيده، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩].

العلامة الثالثة: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد واللسان والمال. وذلك يحقق دعوى المحبة.

العلامة الرابعة: أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم. وهذه علامة صحة المحبة، فكل محب أخذه اللوم على محبوبه، فليس بمحب على الحقيقة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى**: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١]، **وهذه تسمى آية المحنة**)، هذه تسمى آية المحنة والامتحان للذين يزعمون أنهم يحبون الله؛ امتحنهم الله بهذه الآية، فقال لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: قُلْ لهم: ﴿إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [آل عمران:٣١]، فالذي يحب الله يتبع رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فإن ادعى المحبة، وهو لا يؤمن بهذا الرسول، فهو كذاب، لو كان يحب الله حبًّا صحيحًا، لاتبع رسوله ونبيه محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه يدل على الله، الرسول يدل على الله، ويبين الطريق الموصل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فالذي يحب الله يتبع هذا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

الغلاة من الصوفية -لا نقول كلهم، لكن الغلاة منهم- هم من هذه الدرجة، زادت بهم المحبة -بزعمهم-، ودرجهم الشيطان حتى عبدوا هذه المحبوبات، عبدوها مع الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الصوفية يسمون هؤلاء الذين بلغوا عندهم هذه المنزلة، يسمونهم الأقطاب والأوتاد؛ لأنهم صاروا يتصرفون في الكون، فأشركوا في الربوبية -أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال بعض السلف: ادعى قوم محبة الله، فأنزل الله تعالى آية المحنة**)، آية المحنة، يعني: آية الاختبار، المحنة والامتحان هو الاختبار؛

اختبرهم الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾: اتبعوا رسولي، ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران:٣١].

لا طريق إلى الله أبدًا إلا طريق الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه المبلغ عن الله، فالذي يزعم أنه يستغني عن الرسول هذا كذاب.

غلاة الصوفية يقولون: نحن وصلنا إلى الله، فلسنا بحاجة إلى الأنبياء، يقولون: إنهم لما جاءهم الأنبياء، قالوا لهم: اذهبوا لمن ارسلتم إليهم، أما نحن، فلسنا بحاجة إليكم، نحن وصلنا إلى الله، وعرفنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنحن نأخذ عن الله مباشرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأنزل الله تعالى آية المحنة: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾** [آل عمران:٣١]**، إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها)**، دليل المحبة: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾، هذا هو الدليل.

ثمرتها: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾، هذه ثمرة محبة الله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣١، ٣٢].

الذين يقولون: نحن لسنا بحاجة إلى الرسول؛ لأننا وصلنا إلى الله، فنحن نأخذ عن الله مباشرة -يقولون-، هذا ضلال مبين ليس بعده ضلال -والعياذ بالله-، هل هناك أحد يستغني عن الأنبياء، عن رسل الله عَزَّوَجَلَّ؟! لا أحد يستغني عنهم؛ لأن الله أرسلهم للبيان، وهداية الناس إلى الحق؛ فلا يستغني أحدٌ عنهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فدليلها وعلامتها: اتباع الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، الذي يزعم أنه يحب الله يتبع هذا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم**)، ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، هذه ثمرتها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فما لم تحصل المتابعة، فلا محبة له حاصلة**)، هذا رد على غلاة الصوفية الذين يقولون: نحن وصلنا إلى الله، يقولون: العارف بالله، يسمون الأقطاب والأوتاد -على ما زعموا-، يسمونه العارف بالله؛ يقولون: عرف الله، انتهى الأمر، ليس بحاجة إلى أحد، وصل إلى الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فما لم تحصل المتابعة فلا محبة له حاصلة، ومحبته لكم منتفية**)، ليس هناك طريق إلى الله إلا باتباع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:٥٤])، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾: الإنسان لا تؤمن عليه الفتنة؛ قد يرتد -والعياذ بالله- ولو كان من أتقى الناس، وأزهد الناس، يدرجه الشيطان حتى يخرجه من الدين، ويرتد عن دين الإسلام، لا تؤمن الفتنة على أحد؛ ولهذا قال إبراهيم الخليل الذي كسر الأصنام بيده، وعُذِبَ وألقي في النار من أجل ذلك، قال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٥،٣٦]، خاف على نفسه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عبادة الأصنام؛ لأن الإنسان بشر، لا تؤمن عليه الفتنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤])، هذا حصل شيء منه في خلافة الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، لما ارتد كثير من العرب بعد وفاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، تجرد الصديق لقتال المرتدين حتى أخضعهم للإسلام.

﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾: تمثلت في أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ ومن معه من الصحابة؛ لما ارتد من ارتد من العرب، عزم أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ على قتالهم، حتى أخضعهم لدين الإسلام، ووأد الفتنة، وقضى عليها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، فتحقق فيه قول الله تعالى: ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾)، يعني: يلينون مع المؤمنين، ويلطفون بهم، ويرأفون بهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾)، ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾: ﴿ أَعِزَّةٍ ﴾، يعني: أقوياء على الكفار، لا يلينون لهم؛ ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ ﴾ [التوبة:١٢٣]، ﴿ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [التوبة:٧٣]، لابد أن يكون هناك قوة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ ﴾)، ﴿ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ ﴾ من الناس، ولهذا يقولون: أنتم تقاتلون المسلمين، أنتم تكفرون المسلمين؟ نقول: نعم، من تحقق فيه الكفر والردة كفرناه، لا نخشى في الله لومة لائم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال عطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: للمؤمنين كالولد لوالده، والعبد لسيده، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته)، ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أقوياء كالأسد على فريسته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩])، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العلامة الثالثة: الجهاد في سبيل الله)، ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٥٤]، يجاهدون الكفار، يقاتلونهم، يجاهدونهم بالسلاح، ويجاهدنهم بالحجة والبيان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العلامة الثالثة: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد واللسان والمال. وذلك يحقق دعوى المحبة)، هذه علامة المحبة الصادقة، وإلا الكل يدعي المحبة، لكن المحبة الصادقة لها علامات، إذا وُجِدت صارت المحبة صحيحة، وإذا لم توجد المحبة، فلا تكفي الدعوى بدون دليل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العلامة الرابعة: أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم)، ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ إعلاء كلمة الله في سبيل الله؛ ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:٥٤]، يقول: أنتم تقاتلون المسلمين، أنتم تكفرون المسلمين!! نحن لم نكفر المسلمين، كفرنا المرتدين، كفرنا الخارجين عن الإسلام، لم نكفر المسلمين.

....

ش: وقال تعالى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء:٥٧].

فذكر المقامات الثلاثة -الحب وهو ابتغاء القرب إليه، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة، والرجاء، والخوف- يدل على أن ابتغاء الوسيلة أمر زائد على رجاء الرحمة وخوف العذاب.

ومن المعلوم قطعًا أنه لا يتنافس إلا في قرب من يحب قربه، وحب قربه تبع لمحبة ذاته، بل محبة ذاته أوجبت محبة القرب منه.

وعند الجهمية والمعطلة: ما من ذلك كله شيء، فإنه عندهم لا تقرب ذاته من شيء، ولا يقرب من ذاته شيء، ولا يحب لذاته ولا يحب.

فأنكروا حياة القلوب، ونعيم الأرواح، وبهجة النفوس، وقرة العيون، وأعلى نعيم الدنيا والآخرة؛ ولذلك ضربت قلوبهم بالقسوة، وضرب دونهم ودون الله حجاب على معرفته ومحبته، فلا يعرفونه، ولا يحبونه، ولا يذكرونه إلا عند تعطيل أسمائه وصفاته، فذكرهم أعظم آثامهم وأوزارهم، بل يعاقبون من يذكره بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله، ويرمونهم بالأدواء التي هم أحق بها وأهلها.

وحسب ذي البصيرة وحياة القلب ما يرى على كلامهم من القسوة والمقت والتنفير عن محبة الله تعالى ومعرفته وتوحيده، والله المستعان[١].

(١) انظر: مدارج السالكين شرح منازل السائرين (٣/ ٢٠-٢٣).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها.

وأجمع ما قيل في ذلك: ما ذكره أبو بكر الكتاني رَحِمَهُ اللَّهُ عن الجنيد، قال أبو بكر: جرت مسألة في المحبة بمكة -أعزها الله في أيام الموسم-، فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سنًّا، فقالوا: هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه، ودمعت عيناه، ثم قال: عبدٌ ذاهب عن نفسه، متصلٌ بذكر ربه، قائمٌ بأداء حقوقه، ناظرٌ إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هيبته، وصفا شرابه من كأس مودته، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو لله وبالله ومع الله. فبكى الشيوخ، وقالوا: ما على هذا مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء:٥٧])، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء:٥٧]، فيها قولان في معناها: أن قومًا كانوا يعبدون أناس شريرين، فمنَّ الله على المعبودين فأسلموا، ولم يشعر عابدوهم أنهم أسلموا وانقادوا لله.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾: صاروا -هم-

---

(١) انظر: مدارج السالكين شرح منازل السائرين (٣/ ١١، ١٨).

يبتغون إلى ربهم القرب، الوسيلة معناها القرب، ليست الوسيلة أنك تجعل بينك وبين الله واسطة، يشفع لك عند الله -كما يقوله المشركون-، الوسيلة: هي الطاعة، سميت وسيلة؛ لأنها تقرب إلى الله، وتوصل إلى الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وعند الجهمية والمعطلة: ما من ذلك كله شيء**)، الجهمية -أتباع الجهم بن صفوان- والمعطلة الذين ينفون الأسماء والصفات عن الله عَزَّوَجَلَّ بخلاف ذلك؛ لا يثبتون شيئًا من هذه المعاني الجليلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإنه عندهم لا تقرب ذاته من شيء**)، عند الجهمية أن الله لا يحب أحدًا، فلا يوصف الله بأنه يحب، فيكذبون قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، الجهمية يقولون: الله لا يحب أحدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وعند الجهمية والمعطلة: ما من ذلك كله شيء، فإنه عندهم لا تقرب ذاته من شيء، ولا يقرب من ذاته شيء، ولا يحب لذاته ولا يحب**)، هذا كلام الجهمية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فأنكروا حياة القلوب، ونعيم الأرواح**)، التي هي المحبة، حياة القلوب بالمحبة، ونعيم الأرواح بالمحبة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقرة العيون، وأعلى نعيم الدنيا والآخرة**)، وهي محبة الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ومحبة الله للعبد؛ محبة العبد لله، ومحبة الله للعبد؛ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، هذا أعلى الدرجات والمقامات في الدنيا والآخرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولذلك ضربت قلوبهم بالقسوة**)، الذين أنكروا هذه الصفة لله، قالوا: إن الله لا يحب ولا يحب. ضُرِبوا بالقسوة -قسوة القلوب والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا يعرفونه، ولا يحبونه، ولا يذكرونه إلا عند تعطيل أسمائه وصفاته)**، هذه طريقة الجهمية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحسب ذي البصيرة وحياة القلب ما يرى على كلامهم من القسوة والمقت والتنفير عن محبة الله تعالى ومعرفته وتوحيده)**، الجهمية من أبعد الفرق عن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأقسى الفرق قلوبًا؛ لأنهم أضلهم الله، وقسى قلوبهم وأعمى بصائرهم، ونسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا)**، **(قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، يعني: ابن القيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا: لا تحد المحبة بحد أوضح منها)**، المحبة تفسر نفسها، فلا تحتاج إلى تفسير.

....

ش: وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الأسباب الجالبة للمحبة عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر هذا.

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة.

السابع -وهو أعجبها-: انكسار القلب بين يديه.

الثامن: الخلوة وقت النزول الإلهي وتلاوة كتابه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشرة: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عَزَّوَجَلَّ.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب[1].

---

(١) انظر: مدارج السالكين شرح منازل السائرين (٣/ ١٨، ١٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذكر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، (ذكر): ابن القيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذكر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أن الأسباب الجالبة للمحبة عشرة)**، الجالبة لمحبة الله، محبة العبد لله، ما هي الأسباب التي تحقق ذلك، انتبهوا!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به)**، هذا واحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض)**؛ كما في الحديث: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»[1]، فمعنى هذا: أنه يكون الله معه في جوارحه؛ لا يتحرك إلا بما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ؛ فقوله: «كنت سمعه، كنت يده»، يعني: المعية، يكون مع الله سبحانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر هذا)**، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، ذكر الله بالتسبيح، والتهليل، والتكبير، والتحميد، ذكر الله بالصلاة، بالطاعات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى)**، إذا تعارضت محبة نفسك مع محبة الله، فتقدم محبة الله على محبة نفسك.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ ﴾. فإذا قدم محبة هذه الأشياء على محبة الله فإن الله هدده؛ ﴿ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ [التوبة:٢٤]، يعني: انتظروا ما يحل بكم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها)**، هذا من الأسباب -أيضًا-؛ أنك تتأمل في أسماء الله وصفاته؛ من أجل أن قلبك يطمئن لذلك، ويزيد إيمانك، ويزيد محبتك لطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، ذكر الله بالتسبيح، والتهليل، والتكبير، والصلاة، وأعظم ذلك: تلاوة القرآن، هو أعظم الذكر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السادس: مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة)**، إذا رأيت ما منَّ الله به من النعم على عباده، وتكرم به سبحانه، فإن هذا يزيد محبة الله في القلب.

جُبِلت القلوب على محبة من أحسن إليها، والله هو أعظم محسن إلى عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السابع -وهو أعجبها-: انكسار القلب بين يديه)**، يعني: خضوع، انكسار: يعني خضوع القلب بين يدي الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثامن: الخلوة وقت النزول الإلهي)**، الخلوة بالله عَزَّ وَجَلَّ وقت النزول الإلهي؛ حين يبقى ثلث الليل الآخر، هذا وقت النزول الإلهي،

ينزل سبحانه إلى سماء الدنيا، فيقول: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ»(١).

من كل ليلة ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كما يشاء، ليس كنزول المخلوق على المخلوق، لا، نزول يليق بجلال الله، لا يعلم كيفيته إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. لكن نؤمن بأنه ينزل كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا نفسر ذلك بأنه ينزل؛ كيفية النزول كذا وكذا، لا نعلم هذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الثامن: الخلوة وقت النزول الإلهي وتلاوة كتابه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة)**، ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧]، ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٧، ١٨].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(التاسع: مجالسة المحبين الصادقين)**، المجالسة لها دور كبير، إذا جالست الصالحين وأهل العلم وأهل البصيرة، فإنهم يزيدونك إيمانًا، ويزيدونك معرفة، ويزيدونك علمًا، بخلاف مجالسة الجهال أو الضلال أو الناس الغافلين، فإنهم يصيب قلبك ما يصيبه معهم، فالجليس له دور كبير:

عَنِ المَرءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بالمُقَارِنِ يَقْتَدِي(٢)

إذا أردت أن تعرف صفة الشخص، فانظر إلى من يقارن، ومن يجالس، ومن يمشي معه، تعرف اتجاهه.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (١٧٠) (٧٥٨) -واللفظ له- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثَاهُ، يَنْزِلُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ**».

(٢) البيت لطرفة بن العبد، انظر: ديوان طرفة بن العبد (ص٣٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك ومنفعة لغيرك)**، أيضًا إذا أردت أن تتكلم، تأمل في كلامك قبل أن تنطق؛ هل له فائدة؟ هل ليس له فائدة؟ هل هو مبني على دليل أو لا؟ تأمل في كلامك قبل أن تنطق؛ لأنك إذا نطقت صرت أسيرًا لكلامك، أما قبل أن تنطق، فأنت آسر كلامك، أنت الذي أسرته، إذا نطقت به، صرت أسيرًا له، زن كلامك.

وزِنِ الكلامَ إِذا نطقْتَ ولا تكنْ ثرثارةً في كلّ نادٍ تخطبُ(١)

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(العاشرة: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله** عَزَّوَجَلَّ**)**، تجنب الأسباب المغفلة؛ مثل مجالسة الغافلين واللاهين والسفهاء، هذه تزيدك غفلة، تبعدك عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) البيت من القصيدة الزينبية لصالح بن عبد القدوس، وقيل: لعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، انظر: مجاني الأدب في حدائق العرب (٤/ ٩١)، وجواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (٢/ ٤٢٩).

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

ش: أمر الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتوعد من أحب أهله وماله وعشيرته وتجارته ومسكنه، فآثرها -أو بعضها- على فعل ما أوجبه الله عليه من الأعمال التي يحبها الله تعالى ويرضاها: كالهجرة، والجهاد، ونحو ذلك.

قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أَيْ: إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾، أَيْ: انْتَظِرُوا مَاذَا يَحِلُّ بِكُمْ مِنْ عِقَابِهِ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ -وَاللَّفْظُ لَهُ- مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخُرَاسَانِيِّ، عَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تراجعوا دِينِكُمْ»(١) (٢).

فلا بد من إيثار ما أحبه الله من عبده وأراده على ما يحبه العبد ويريده، فيحب ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه، ويوالي فيه، ويعادي فيه، ويتابع رسوله

---

(١) أخرجه أحمد (٨/ ٤٤٠، ٩/ ٥١، ٣٩٥)، وأبو داود (٣٤٦٢) واللفظ له.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٢٤).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما تقدم في آية المحنة ونظائرها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤])، هذه الآية الكريمة في سياق الهجرة، وبيان من آثر بلده، فلم يهاجر، أو آثر ما عنده من الأموال، أو أقرب من ذلك آثر آباءه وأبناءه وأزواجه على الهجرة في سبيل الله.

فإذا ترك الهجرة -وهي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام فرارًا بدينه[1]-، إذا آثر هذه الأمور الثمانية على الهجرة، ترك الهجرة من أجلها، فإن الله توعده بالوعيد الشديد؛ ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾، يعني: انتظروا ما يحل بكم، ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾.

ثم قال: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾، سمى هذا فسقًا، خروجًا عن طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفي الآية الأخرى قال تعالى فيمن ترك الهجرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ﴾: المكان الذي أنتم فيه ما هو؟ ﴿ قَالُوا۟

---

(١) انظر الهجرة في اللغة: العين (٣/ ٣٨٧)، والصحاح (٢/ ٨٥١)، ومقاييس اللغة (٥/ ٤٥)، ولسان العرب (٥/ ٢٥٠).

والهجرة في الشرع: المغني لابن قدامة (٩/ ٢٩٣)، والعدة شرح العمدة (١/ ٦٥٢).

﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: لا نقدر على أن نقوم بالفرائض والأوامر والنواهي؛ لأننا مستضعفون في الأرض.

تقول لهم الملائكة وهم في سياق الموت، تقول لهم: ﴿قَالُوٓاْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [النساء:٩٧، ٩٨]: استثنى الله الذين لا يقدرون على الهجرة، تركوها؛ لأنهم لا يقدرون عليها؛ ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٨، ٩٩]، ثم قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾: يعوضه الله عَزَّوَجَلَّ عما ترك من الوطن والمال، يعوضه الله خيرًا منه، ﴿يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا﴾، يعني: محلًّا يراغم به الكفار، ويظهر دينه، ﴿وَسَعَةً﴾ بدل الضيق.

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾، يعني: في الطريق، ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾: أجر الهجرة يحصل له إذا مات في طريقها قبل الوصول إلى البلد الذي يريده، يكتب له أجر المهاجر في سبيل الله، هذا فضل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ﴾: يتركه، ﴿مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾، يعني: في الطريق، ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٠٠].

الهجرة أمرها عظيم لمن يقدر عليها، ولا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر، فإنه يجب عليه الهجرة إلى بلد يقدر فيها على إظهار دينه.

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ **هاجروا الهجرتين:**

- **الهجرة الأولى:** إلى الحبشة عند النجاشي رَحِمَهُ اللَّهُ ملك الحبشة.
- **الهجرة الثانية:** إلى المدينة.

هاجروا الهجرتين، وهؤلاء هم أفضل الصحابة الذين نالوا هذه المرتبة والمنقبة العظيمة، هاجروا الهجرتين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(عَنِ ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تراجعوا دِينِكُمْ»)**، «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ**»: والعينة نوع من الدين، بمعنى أنه يأخذ دراهم، ويرد أكثر منها، فهذه هي العينة؛ لأنه رجع إليه عين ماله، أو لأنها يقصد بها الحصول على العين، وهو النقد من الذهب والفضة.

«**وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ**»، يعني: اشتغلتم بالزرع؛ لأن البقر تستعمل في الحرث، تحرث الأرض عليها.

«**وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ**»: بدلًا من الخيل في الجهاد، فحينئذ ينتظرون ما يحل بهم من العقوبة.

«**سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلا**»، يعني: مهانة، وسلط عليكم الكفار، فأهانوكم.

«**سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»: هذا وعيد شديد، ترك الهجرة صار مثل ترك الدين.

«**حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»، يعني: الهجرة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ويوالي فيه، ويعادي فيه**)، ويوالي فيه: يعني يوالي أولياء الله؛ لأنهم مؤمنون إخوة في الإيمان، لا يواليهم من أجل طمع الدنيا أو من أجل الصداقة، لا، يوالي في الله، يحبهم في الله، يوالي في الله.

ويعادي في الله: يعادي أعداء الله من الكفار والمنافقين؛ لأن الله عدوهم، فلا يحبهم، لا يعاديهم لأنهم أضروه في الدنيا، أو لأنهم اعتدوا عليه، لا، يعاديهم في الله؛ من أجل أن الله عدو لهم.

وقد قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة:١]، فلا يجوز للمسلم أن يوالي أو يعادي من أجل الدنيا، أو من أجل الصداقة، وإنما يوالي في الله، ويعادي في الله؛ ولأجل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ويتابع رسوله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كما تقدم في آية المحنة ونظائرها**)، آية المحنة، قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣١، ٣٢]، هذه آية المحنة، يعني: من ادعى أنه يحب الله، امتحنه الله بهذه الآية.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». أَخْرَجَاهُ[(١)].

ش: قوله: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ»، أي: الإيمان الواجب، والمراد: كماله، حتى يكون الرسول أحب إلى العبد من ولده ووالده والناس أجمعين، بل ولا يحصل هذا الكمال إلا بأن يكون الرسول أحب إليه من نفسه؛ كما في الحديث: «أَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّك الآنَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ: الآنَ يَا عُمَر» رَوَاهُ البُخَارِيُّ[(٢)].

فمن قال: إن المنفي هو الكمال، فإن أراد الكمال الواجب الذي يذم تاركه، ويعرض للعقوبة، فقد صدق.

وإن أراد أن المنفي الكمال المستحب، فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قاله شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)].

فمن ادعى محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدون متابعة وتقديم قوله على قول غيره، فقد كذب؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٤٧]، فنفى الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١٥)، والإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٦).

لكن كل مسلم يكون محبًّا بقدر ما معه من الإسلام، وكل مسلم لابد أن يكون مؤمنًا، وإن لم يكن مؤمنًا الإيمان المطلق؛ لأن ذلك لا يحصل إلا لخواص المؤمنين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»)، «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ»: يكون الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب إليه «مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، فيقدم محبة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على محبة هذه القرابة القريبة، هذه محبة الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ»، أي: الإيمان الواجب)، الإيمان الواجب: ليس معناه أنه يرتد عن الإسلام، لا، ينقص إيمانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والمراد كماله)، كمال الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا يحصل هذا الكمال إلا بأن يكون الرسول أحب إليه من نفسه)، من نفسه؛ لأن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ: «لَا، يَا عُمَرُ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وَاللهِ لَأَنْتَ الْآنَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ: «الْآنَ يَا عُمَرُ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّك الآنَ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ: الآنَ يَا عُمَر)، لما بين له الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه المسألة قبلها، وبادر إليها، وقال: «أَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فمن قال: إن المنفي هو الكمال، فإن أراد الكمال الواجب الذي يذم تاركه، ويعرض للعقوبة، فقد صدق**)، كمال الإيمان على نوعين: كمال واجب، وكمال مستحب، والمراد هنا: الكمال الواجب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فمن ادعى محبة النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بدون متابعة وتقديم قوله على قول غيره، فقد كذب**)، من ادعى محبة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه ينظر؛ هل يقدم ما يحبه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو لا؟ فإن قدم ما يحبه الرسول، فهو صادق، وإن لم يقدم ما يحبه الرسول، فقد كذب في دعواه المحبة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى:** ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٤٧])، هذا في المنافقين، يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: من بعد ما قالوا هذه المقالة.

﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: نفى عنهم الإيمان، ولم ينف كل الإيمان، بل نفى كمال الإيمان الواجب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وكل مسلم لابد أن يكون مؤمنًا، وإن لم يكن مؤمنًا الإيمان المطلق؛ لأن ذلك لايحصل إلا لخواص المؤمنين**)، قد يكون عند الإنسان نقص، ولكن النقص يختلف؛ قد يكون نقص كمال في الإيمان، وقد يكون أشد من ذلك، فهو يختلف، فالمراد هنا نقص الكمال.

....

ش: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر، أو وُلِدوا على الإسلام والتزموا شرائعه، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله، فهم مسلمون، ومعهم إيمان مجمل. لكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم يحصل شيئًا فشيئًا -إن أعطاهم الله ذلك-، وإلا فكثير من الناس لا يصلون إلى اليقين ولا إلى الجهاد؛ ولو شككوا، لشكوا، ولو أمروا بالجهاد، لما جاهدوا؛ إذ ليس عندهم من علم اليقين ما يدرأ الريب، ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يقدمونه على الأهل والمال. فهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا، دخلوا الجنة؛ وإن ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات توجب ريبتهم، فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب، وإلا صاروا مرتابين، وانتقلوا إلى نوع من النفاق). انتهى[1].

وفي هذا الحديث: أن الأعمال من الإيمان؛ لأن المحبة عمل القلب.

وفيه: أن محبة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجبة، تابعة لمحبة الله، لازمة لها، فإنها محبة لله ولأجله، تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن، وتنقص بنقصها، وكل من كان محبًّا لله، فإنما يحب في الله ولأجله، كما يحب الإيمان والعمل الصالح.

وهذه المحبة ليس فيها شيء من شوائب الشرك -كالاعتماد عليه، ورجائه في حصول مرغوب منه، أو دفع مرهوب منه-، وما كان فيها ذلك، فمحبته مع الله لما فيها من التعلق على غيره والرغبة إليه من دون الله.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٧١).

فبهذا يحصل التمييز بين المحبة في الله ولأجله، التي هي من كمال التوحيد، وبين المحبة مع الله التي هي محبة الأنداد من دون الله؛ لما يتعلق في قلوب المشركين من الإلهية التي لا تجوز إلا لله وحده لا شريك له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم يحصل شيئًا فشيئًا إن أعطاهم الله ذلك)، ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤].

﴿وَلَمَّا﴾: هذا يراد به نفي ما يتوقع حصوله، وليست مثل (لم)، لا، ﴿وَلَمَّا﴾: يتوقع حصول ما نفته، يعني: أن الإيمان سيدخل في قلوبكم، لكن شيئًا فشيئًا حتى يتكامل.

الرجل أول شيء يسلم، ثم يؤمن، ويتزايد الإيمان في قلبه شيئًا فشيئًا، حتى يصل إلى كمال الإيمان، أو يصل إلى قرب الكمال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولو شككوا، لشكوا، ولو أمروا بالجهاد، لما جاهدوا؛ إذ ليس عندهم من علم اليقين ما يدرأ الريب)، يكون إيمانهم ناقصًا، كثير من الناس يكون إيمانهم ناقصًا، فيكونون على خطر؛ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الحج:١١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا، دخلوا الجنة؛ وإن ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات توجب ريبتهم، فإن لم ينعم الله عليهم

بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين، وانتقلوا إلى نوع من النفاق)، الذي لم يتكامل الإيمان في قلبه، ولم يصل إلى درجة اليقين يكون معرضًا للفتن، وقد ينقلب على عقبيه، وقد يسلمه الله من ذلك، ولكن هو على خطر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي هذا الحديث: أن الأعمال من الإيمان**)، في هذا الحديث دليل على أن الأعمال من الإيمان؛ كما قال أهل السنة والجماعة: الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان. هذا تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة[١].

يزيد بالطاعة؛ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة:١٢٤]: إذا نزلت سورة، زادت المؤمنين إيمانًا، وزادت المنافقين نفاقًا ورجسًا -والعياذ بالله-، فالإيمان يزيد بالطاعة.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

فالإيمان يزيد وينقص، يزيد حتى يكون أعظم من الجبال الراسيات، وينقص حتى يكون مقدار حبة خردل؛ كما في الحديث: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»[٢]، دل على أن الإيمان يضعف؛ «**وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»، وفي رواية:

---

(١) انظر: العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام لابن العطار (٣/ ١٤٠٠)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

«وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»(١)، حتى يكون الإيمان قدر حبة خردل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: أن محبة الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **واجبة)**، محبة الرسول واجبة، وليست مستحبة، محبة الرسول أن تحبه أحب من نفسك، ومن والديك وأولادك، ومن الناس أجمعين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: أن محبة الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **واجبة، تابعة لمحبة الله، لازمة لها)**، فمن كان يحب الله، يحب رسوله، لازم هذا، ومن ادعى محبة الله، وهو لا يحب الرسول، فهو كذاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكل من كان محبًا لله، فإنما يحب في الله ولأجله)**، كل من كان محبًا لله، فإنه يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذه المحبة ليس فيها شيء من شوائب الشرك)**، محبة الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كالاعتماد عليه ورجائه)**؛ رجاء الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمحبته مع الله؛ لما فيها من التعلق على غيره، والرغبة إليه من دون الله)**، قد يحب المرء الله، ويحب معه غيره، فيكون هذا شركًا في المحبة؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من الكافرين، الكافرين يحبون الله، لكنهم يحبون معه غيره، لا يحبون

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الله محبة خالصة، يحبون الله، ولكن يحبون معه غيره، فيشركون في المحبة، أما المؤمنون، فيخلصون المحبة لله عَزَّوَجَلَّ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، يعني: من المشركين؛ لأن محبة المؤمنين لله خالصة، ومحبة المشركين لله مشتركة.

وَلَهُمَا: عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى...» إِلَى آخِرِهِ...(٢).

ش: قوله: «وَلَهُمَا: عَنْهُ»، أي: البخاري ومسلم عن أنس.

قوله: «ثَلَاثٌ»، أي: ثلاث خصال.

قوله: «مَنْ كُنَّ فِيهِ»، أي: وجدت فيه تامة.

قوله: «وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ»، الحلاوة هنا هي التي يعبر عنها بالذوق؛ لما يحصل به من لذة القلب ونعيمه وسروره وغذائه، وهي شيء محسوس يجده أهل الإيمان في قلوبهم.

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «التوشيح»: (وجد حلاوة الإيمان فيه استعارة تخييلية: شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك الشيء، وأضافه إليه. وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: معنى حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات، وتحمل المشاق، وإيثار ذلك على أغراض الدنيا، ومحبة العبد لله بفعل طاعته وترك مخالفته. وكذلك الرسول ﷺ(٣). قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) أخرجه البخاري (١٦، ٢١)، ومسلم (٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٤١).

(٣) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (٢/ ١٣).

حقيقة الحب في الله: أن لا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء[(١)])[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَهُمَا: عَنْهُ)، «وَلَهُمَا»: البخاري ومسلم. «عَنْهُ»: راوي الحديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَهُمَا: عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»)، «ثَلَاثٌ»، يعني: ثلاث خصال، «مَنْ كُنَّ فِيهِ»: من اتصف بهن.

«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ»: الإيمان له حلاوة، يجدها الإنسان ويتلذذ بها، هذه مرتبة عالية، يكون الإنسان مؤمنًا، لكن لا يجد حلاوة الإيمان حتى يتصف بهذه الصفات: «أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ». يكون إلقاؤه في النار ورجوعه إلى الكفر سواء، هذا المؤمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ». الحلاوة هنا هي التي يعبر عنها بالذوق لما يحصل به من لذة القلب ونعيمه وسروره وغذائه، وهي شيء محسوس يجده أهل الإيمان في قلوبهم)، يذوقون حلاوة الإيمان.

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٦٢).

(٢) انظر: التوشيح شرح الجامع الصحيح (١/ ١٧٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال السيوطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «التوشيح»: وجد حلاوة الإيمان فيه استعارة تخييلية. شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك الشيء، وأضافه إليه)**، ليس بواضح هذا، شبهه بشيء حلو؟ لا، الإيمان له حلاوة يجدها المؤمن، ولا يشبه بالحلو، هو حلو، الإيمان حلو، أحلى شيء هو الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **معنى حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات)**: يتلذذ بالطاعات لا يمل منها؛ ولهذا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستريح في قيام الليل ويتلذذ به، ويستريح بصلاة الفريضة، ويقول: «**يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**»[1]، ولم يقل: أرحنا منها، بل يقول: «**أَرِحْنَا بِهَا**». فيجد في الصلاة لذة وحلاوة تنزل على قلبه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذه حلاوة الصلاة وحلاوة الطاعة. المطيع يجد لذة، ويجد حلاوة لا يجدها في غير الطاعة من ملاذ الدنيا وشهواتها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتحمل المشاق)**، إذا تلذذ بالطاعة، لم يحس بالمشقة والتعب، إذا تلذذ بالطاعة، لا يحس التعب فيها؛ ولهذا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوم من الليل حتى تفطرت قدماه من طول القيام[2]؛ لأنه يتلذذ بها- صلاة الليل- يجد لها طعمًا ولذة، فينسى التعب بهذه اللذة وهذه الطاعة.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨/ ١٧٨، ٢٢٥)، وأبو داود -واللفظ له- (٤٩٨٥).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٣٥- ٣٦): عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَفَطَّرَتْ قَدَمَاهُ دَمًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**». =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومحبة العبد لله بفعل طاعته وترك مخالفته. وكذلك الرسول** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ**)**، كذلك محبة الرسول معناها: أنه يتلذذ بطاعة الرسول واتباعه، ويتلذذ بكلام الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لأنه يحبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **حقيقة الحب في الله: أن لا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء)**، الحب في الله لا يزيد إذا أعطاك، من تحبه يعطيك شيئًا، أو يدفع لك شيئًا، فأنت تحبه، سواء أعطاك أو لم يعطك، لا يزيد حبك له بالعطاء، ولا ينقص حبه بعدم العطاء، كله سواء عنده، هذا هو الحب الصحيح.

أما الذي لا يحب إلا من يعطيه، ويكره من لا يعطيه، فهذا ليس محبًا لله، ولا محبًّا لرسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

= والحديث أصله في البخاري (١١٣٠، ٤٨٣٦، ٦٤٧١)، ومسلم (٢٨١٩): عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صَلَّى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَكَلَّفُ هَذَا؟ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: **«أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»**.

....

ش: قوله: «أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»، يعني بـ«السوى»: ما يحبه الإنسان بطبعه؛ كمحبة الولد، والمال، والأزواج، ونحوها. فتكون أحب هنا على بابها.

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المراد بالمحبة هنا: حب الاختيار، لا حب الطبع. كذا قال[١].

وأما المحبة الشركية، التي قد تقدم بيانها، فقليلها وكثيرها ينافي محبة الله ورسوله.

وفي بعض الأحاديث: «أَحِبُّوا اللهَ بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ»[٢].

فمن علامات محبة الله ورسوله: أن يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله، ويؤثر مرضاته على ما سواه، ويسعى فيما يرضيه ما استطاع، ويبعد عما حرمه الله ويكرهه أشد الكراهة، ويتابع رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويمتثل أمره، ويترك نهيه؛ كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

فمن آثر أمر غيره على أمره، وخالف ما نهى عنه، فذلك علمٌ على عدم محبته لله ورسوله؛ فإنَّ محبة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من لوازم محبة الله، فمن أحب

---

(١) انظر: أعلام الحديث (٤/ ٢٢٨٢)، وشرح السنة للبغوي (١/ ٥١).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: (٢/ ٥٢٤- ٥٢٥)، وهناد في الزهد (١/ ٢٧٩)، من طريق أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ. وانظر: سيرة ابن هشام (١/ ٥٠١)، وزاد المعاد (١/ ٣٦٣).

الله وأطاعه، أحب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وأطاعه. ومن لا، فلا؛ كما في آية المحنة ونظائرها. والله المستعان.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» يعني بالسوى: ما يحبه الإنسان بطبعه؛ كمحبة الولد، والمال، والأزواج، ونحوها)**، **«إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»**: من أقاربه؛ الإنسان يحب أقاربه محبة طبيعية، ولكن محبة الله محبة عبادة أقوى من المحبة الطبيعية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتكون أحب هنا على بابها)**، يعني: أفعل تفضيل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **المراد بالمحبة هنا: حب الاختيار، لا حب الطبع)**، حب الطبع هذا محبة طبيعية، أما حب الاختيار، فهذه محبة عبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما المحبة الشركية، التي قد تقدم بيانها، فقليلها وكثيرها ينافي محبة الله ورسوله)**، المشركون يحبون أصنامهم، ولذا يقاتلون دونها، ويبذلون دماءهم وأموالهم؛ مما يدل على أنهم يحبونها -والعياذ بالله-، يحبون الأصنام والأشجار والأحجار، ولهذا يعرضون أنفسهم للخطر دفاعًا عنها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن علامات محبة الله ورسوله: أن يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله، ويؤثر مرضاته على ما سواه، ويسعى فيما يرضيه ما استطاع، ويبعد عما حرمه الله ويكرهه أشد الكراهة، ويتابع رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ**

رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣١، ٣٢].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾** [النساء:٨٠])، ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾؛ لأن الرسول يأمر بطاعة الله، وينهى عن معصية الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فمن آثر أمر غيره على أمره)**، من آثر أمر غيره؛ يعني: غير الله، أمر غيره على أمره: على أمر الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فمن آثر أمر غيره على أمره، وخالف ما نهى عنه، فذلك علمٌ على عدم محبته لله ورسوله)**، (علمٌ): يعني: علامة على عدم محبة الله ورسوله؛ لأنه لو كان يحب الله محبة صحيحة، لآثر ما يحبه الله، وكره ما يكرهه الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما في آية المحنة ونظائرها)**، آية المحنة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣١، ٣٢].

فمثلًا الصوفية الذين يدعون أنهم يحبون الله، ننظر في أعمالهم؛ إن كانوا يؤثرون طاعة الله وطاعة رسوله، ويتبعون أمر الله وأمر رسوله، فهم صادقون، أما إن كانوا لا؛ يطيعون سادتهم وكبراءهم فيما يشرعونه لهم من البدع والمحدثات، فهم كذابون في دعوى محبة الله عَزَّوَجَلَّ.

....

ش: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ وُجُودَ الحَلَاوَةِ بِالشَّيْءِ يَتْبَعُ المَحَبَّةَ لَهُ؛ فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا وَاشْتَهَاهُ إِذَا حَصَلَ لَهُ مُرَادُهُ فَإِنَّهُ يَجِدُ الحَلَاوَةَ وَاللَّذَّةَ وَالسُّرُورَ بِذَلِكَ، وَاللَّذَّةُ أَمْرٌ يَحْصُلُ عَقِيبَ إِدْرَاكِ المُلَائِمِ الَّذِي هُوَ المَحْبُوبُ وَالمُشْتَهَى.

قال: فَحَلَاوَةُ الْإِيمَانِ المُتَضَمِّنَةُ لِلَّذَّةِ وَالْفَرَحِ تَتْبَعُ كَمَالَ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ للهِ وَذَلِكَ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ: تَكْمِيلُ هَذِهِ المَحَبَّةِ، وَتَفْرِيعُهَا، وَدَفْعُ ضِدِّهَا. فَتَكْمِيلُهَا أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا؛ فَإِنَّ مَحَبَّةَ اللهِ وَرَسُولِهِ لَا يُكْتَفَى فِيهَا بِأَصْلِ الحُبِّ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا[1].

قلت: ومحبة الله تعالى تستلزم محبة طاعته، فإنه يحب من عبده أن يطيعه، والمحب يحب ما يحبه محبوبه ولابد.

ومن لوازم محبة الله -أيضًا-: محبة أهل طاعته؛ كمحبة أنبيائه ورسله والصالحين من عباده. فمحبة ما يحبه الله ومن يحبه الله من كمال الإيمان؛ كما في حديث ابن عباس الآتي.

قال: وتَفْرِيعُهَا: أَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ.

قال: وَدَفْعُ ضِدِّهَا: أَنْ يَكْرَهَ ضِدَّ الْإِيمَانِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ. انتهى[2].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٠٥-٢٠٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٠٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن لوازم محبة الله أيضًا: محبة أهل طاعته)**، وهذا الحب في الله، محبة أهل طاعة الله من الحب في الله.

....

ش: قوله: «أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» فيه جمع ضمير الله تعالى وضمير رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه قولان:

أحدهما: أنه ثنى الضمير هنا؛ إيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين، لا كل واحدة؛ فإنها وحدها لاغية.

وأمر بالإفراد في حديث الخطيب(١)؛ إشعارًا بأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية؛ إذ العطف في تقدير التكرير، والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم.

الثاني: حمل حديث الخطيب على الأدب والأولى، وهذا على الجواز.

وجواب ثالث: وهو أن هذا ورد على الأصل، وحديث الخطيب ناقل، فيكون أرجح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأمر بالإفراد في حديث الخطيب)، الخطيب: الذي خطب عند الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: مَنْ يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى. قال له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ، قُلْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ**». بدل أن تقول: «ومن يعصهما».

---

(١) أخرجه مسلم (٨٧٠): عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا، فَقَدْ غَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ، قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ**». قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: فَقَدْ غَوِيَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأمر بالإفراد في حديث الخطيب)**، بالإفراد بدل من قوله: «وَمَنْ يَعْصِهِمَا»، أمره أن يفرد، ويقول: «وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأمر بالإفراد في حديث الخطيب؛ إشعارًا بأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية)**، يعني: ليس بلازم أن يعصيهما جميعًا، يكفي لو عصى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد عصى الله، كما أن من أطاع الرسول، فقد أطاع الله.

....

ش: قوله: «كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»، أي: يستوي عنده الأمران.

وفيه: رد على الغلاة الذين يتوهمون أن صدور الذنب من العبد نقصٌ في حقه مطلقًا، وإن تاب منه.

والصواب: أنه إن لم يتب كان نقصًا، وإن تاب فلا.

ولهذا كان المهاجرون والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أفضل هذه الأمة، مع كونهم في الأصل كفارًا، فهداهم الله إلى الإسلام، والإسلام يمحو ما قبله، وكذلك الهجرة؛ كما صح الحديث بذلك(١).

قوله: وفي رواية: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ». هذه الرواية أخرجها البخاري في الأدب من صحيحه، ولفظها: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَحَتَّى أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، وَحَتَّى يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»(٢).

وقد تقدم أن المحبة هنا عبارة عما يجده المؤمن من اللذة، والبهجة، والسرور، والإجلال، والهيبة، ولوازم ذلك. قال الشاعر(٣):

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩/ ٣١٢، ٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٤١).

(٣) البيت قيل: لمجنون ليلى في ديوانه (ص٥٨)، وقيل: لنصيب بن رباح في ديوانه (ص٦٨). انظر: سمط اللآلئ (ص٤٠١)، والمقاصد النحوية (١/ ٥٣٧)، وبلا نسبة في شرح ابن عقيل (ص١٢٣).

أَهَـابُـكِ إِجْـلَالا وَمَـا بِـكِ قُـدْرَةٌ عَـلَـيَّ ولـكِـنْ مِـلءُ عَـيْـنٍ حَبِيبُهَا

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والصواب: أنه إن لم يتب كان نقصًا، وإن تاب فلا)**، الذي يحصل منه ذنب وتاب منه، «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**»(١).

لكن هناك من يقول: إذا عصى وتاب، يكون عنده نقص، ولو تاب، وهذا خطأ بلا شك؛ «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**»، ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال:٣٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا كان المهاجرون والأنصار** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ **أفضل هذه الأمة، مع كونهم في الأصل كفارًا، فهداهم الله إلى الإسلام)**، فالذي أسلم كان كافرًا، ثم تاب وأسلم يكون ناقصًا عمن وُلِد وهو مسلم، واستمر على إسلامه؛ الكثير من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا كفارًا، فلما أسلموا، صاروا المهاجرين والأنصار أفضل الأمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: وفي رواية: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ». هذه الرواية أخرجها البخاري في الأدب من صحيحه)**، في باب الأدب من صحيحه؛ لأن له كتاب اسمه «كتاب الأدب المفرد» هذا ليس من الصحيح، هذا يجمع فيه البخاري حتى الأحاديث الحسنة أو الضعيفة، يسمى كتاب «الأدب المفرد»، أما كتاب الأدب من الصحيح فهذا جزء من صحيح البخاري.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٠)، والطبراني في الدعاء (ص٥١٠)، وفي الكبير (١٠/ ١٥٠)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢١٠)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَهَابُكِ إِجْلَالا وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ * عَلَيَّ ولكِنْ مِلءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا)**، يقول لمعشوقته: (أَهَابُكِ إِجْلَالا وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ)، يعني: لا أخاف من بطشك، لكن أهابك إجلالًا لك.

أَهَابُكِ إِجْلَالا وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ عَلَيَّ   ولكِنْ مِلءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ، وَوَالى فِي اللهِ، وَعَادَى فِي اللهِ، فَإِنَّمَا تُنالُ وَلايةُ اللهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُه وَصَوْمُهُ حَتَّى يكونَ كَذَلِكَ. وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مؤاخاةِ النَّاسِ عَلَى أمرِ الدُّنْيا، وَذَلِكَ لا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شيئًا». رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ[(١)].

ش: وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم الجملة الأولى منه فقط.

قوله: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ»، أي: أحب أهل الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك.

قوله: «وَأَبْغَضَ فِي اللهِ»، أي: أبغض من كفر بالله وأشرك به وفسق عن طاعته؛ لأجل ما فعلوه مما يسخط الله، وإن كانوا أقرب الناس إليه؛ كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢] الآية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ، وَوَالى فِي اللهِ، وَعَادَى فِي اللهِ، فَإِنَّمَا تُنالُ وَلايةُ اللهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ

---

(١) أخرج نحوه ابن أبي شيبه في مصنفه (٧/ ١٣٤)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٥/ ١٠٠٦، ١٠٠٧) موقوفًا على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ...**» الحديث.

طَعْمَ الإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُه وَصَوْمُهُ حَتَّى يكونَ كَذَلِكَ. وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مؤاخاةِ النَّاسِ عَلَى أمرِ الدُّنْيا، وَذَلِكَ لا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شيئًا»، هذا الأثر عن ابن عباس رواه ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فيجب على المسلم أن لا يكون حبه وبغضه وموالاته ومعاداته لأجل الدنيا؛ إن أُعطي منها، أحب، وإن لم يعط منها، أبغض من لا يعطيه. وإنما يكون حبه في الله، وبغضه في الله، وجميع أعماله القلبية وأعماله البدنية تكون لله عَزَّوَجَلَّ، خالصة لوجه الله؛ كما قال تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر:١٤]، فلا يصل إلى الله إلا ما كان خالصًا لوجهه، هذا الذي يقبله الله، لا يصل إلى الله إلا ما كان خالصًا لوجهه، وكان صوابًا على سنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فليتنبه لهذا، ويكون عند الإنسان علم بهذه الأمور، ومعرفة من الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح؛ لأن في وقتنا هذا اختلف الوضع عند كثير من الناس؛ فصاروا يحبون ويبغضون، ويوالون ويعادون؛ إما على حسب فهمهم القاصر: من وافقهم، أحبوه، ومن خالفهم، أبغضوه، والحزب الفلاني والجماعة الفلانية، والتنظيم الفلاني، فهم يحبون لهذه الأشياء.

هذا كله ضلال، كله وبال، وإنما يبقى ما كان خالصًا لوجه الله، وصوابًا على سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحب والبغض والموالاة والمعاداة، وجميع العبادات.

وعلى الإنسان أن يترفق ولا يستعجل في الأمور، ويتعلم قبل أن يتكلم؛ صارت الآن جماعات وحزبيات تتباغض وتتعادى وتتنافر، بل صار الأفراد الآن يتباغضون ويتعادون؛ إذا لم توافقني أبغضتك، وإن وافقتني أحببتك.

إذًا، نبغضك على ماذا، ونحبك على ماذا؟ لابد أن يكون مرجعنا جميعًا الكتاب والسنة، لا يكون مرجعنا الهوى أو الجهل، والذي لا يوافقنا، فإننا نعاديه! لا يصح هذا، فيجب التريث في هذه الأمور، يجب التركيز في هذه الأمور.

الإنسان قد يُحب حبًّا خالصًا، وقد يُبغض بغضًا خالصًا، وقد يُحب من وجه، ويُبغض من وجه، يُحب المؤمن حبًّا خالصًا، ويُبغض الكافر بغضًا خالصًا. وأما المؤمن الذي عنده مخالفات لا تصل إلى حد الكفر والشرك، فهذا يُحب من وجه، ويُبغض من وجه؛ يُحب من أجل ما فيه من إيمان، ويُبغض ما فيه من المعصية، يجتمع حب من جهة، وبغض من جهة، ومعه الإيمان لا يكون كافرًا، معه الإيمان، فهو مؤمن لا يعزل ويترك مع الكفار، هو مؤمن بما عنده من الإيمان، فهذا هو الواجب والضابط في هذه الأمور.

توافقني أحبك، تخالفني أبغضك، إن وافقت فلانًا من المشايخ، أحببناك، وإن خالفت فلانًا، أبغضناك!! لا، الضابط في هذا الكتاب والسنة، ما وافق الكتاب والسنة من المحبة والموالاة والمعاداة.

لابد أن يكون له ضوابط من الكتاب والسنة، وهذا يحتاج إلى تعلم العلم، ومعرفة العلم، ولا نقلد فلانًا وعلانًا في هذا الأمر.

المسألة مسألة ذمة، مسألة عقيدة، لابد أن يعرف الإنسان هذه الأمور، ويتأنى ويتريث في الأمور، ولا يستعجل في هذه الأمور.

الآن صارت حزبيات وجماعات، وصارت مبادئ، ولا للكتاب والسنة ذكرٌ عندهم، ولا يعرفونها، الكتاب مجرد قراءة، يقرأ القرآن والسنة مجرد قراءة؛ يقرأ الأحاديث، لكن لا يتفقه في الكتاب والسنة، ويسأل عما أشكل عليه.

فقد يكون الإنسان على ضلال، وهو يحسب أنه على هدى بسبب الجهل؛ من قرأ كتابًا صار عالمًا الآن، لا، قراءة الكتب قد تضلل الإنسان، يفهم فهمًا خاطئًا، أو تكون الكتب أيضًا فيها ضلال وهو لا يدري، وليست هي مبنية على أصول.

لابد من تعلم العلم النافع، وأخذ العقيدة عن العلماء؛ إما في المناهج الدراسية، وإما في حلقات التدريس عند العلماء، العلماء الراسخين لا المتعالمين والمدعين للعلم. لابد من مراجعة أهل العلم، ولابد من التريث في هذه الأمور، وعدم العجلة؛ حتى يعرف الحق من الباطل، والهدى من الضلال، يعرف المحبة في الله، والبغض في الله، والمعاداة في الله، والموالاة في الله، يعرف هذه الأمور، ليس من القراءة في الكتب، يعرفها عن العلماء الراسخين.

الحمد لله، الآن هناك في مقرراتنا في المدارس والمعاهد والكليات عقيدة السلف الصالح، لكن يحتاج منا أن نفهمها، أن نفهم هذه الكتب فهمًا صحيحًا على أيدي العلماء، نتلقاها على أيدي العلماء؛ إما في الحلقات، وإما في المدارس

والمعاهد الكليات، ولا نبني علمنا على إذاعات أو محطات أو مواقع، لا نبني علمنا على هذه الأمور، ليس هناك إلا دراسة نظامية، وإما حلقات علمية على أيدي الراسخين في العلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ»، أي: أحب أهل الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك**)، يحبهم من أجل ذلك، ليس من أجل طمع الدنيا أو الصداقة، وإنما من أجل أنهم يحبون الله ورسوله، ويبغضون أعداء الله ورسوله.

جيء برجل يسكر في زمن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يشرب الخمر ويسكر، فيضرب عند الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأيدي وبالثياب، فقال رجل من الحاضرين: لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به! قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَلْعَنْهُ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**»(١)، ولو كان أنه يسكر، هذه معاص، لكن العقيدة سليمة، تغلبه الشهوة، يغلبه الشيطان، يغلبه جلساء السوء، فيقع في المعصية.

فالمهم العقيدة، هل هي صحيحة أم لا؟ أما الذنب يتوب منه؛ إذا عرف خطأه، فإنه يتوب، ليس هناك أحد معصوم إلا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرج نحوه البخاري (٦٧٨٠): عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**».

الإنسان يذنب ويتوب، يذنب؛ إما بجهل، وإما بشهوة، لكن يتوب، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله: «وَأَبْغَضَ فِي اللهِ»**)، لم يبغض من أجل طمع الدنيا أو من أجل حزازات بينهم، أو أنه أخطأ في حقه، لا تبغضه من أجل ذلك، هو أخوك المسلم، تحبه في الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «**وَأَبْغَضَ فِي اللهِ**»، **أي: أبغض من كفر بالله وأشرك به وفسق عن طاعته؛ لأجل ما فعلوه مما يسخط الله**)، أبغض من كفر بالله وأشرك بالله، هذا ليس عنده عقيدة وفسق عن طاعته، أو أنه عصى؛ عنده عقيدة، لكنه وقع في معصية، هذا يُبغض من جهة، ويُحب من جهة، يُحب من جهة إيمان، ويُبغض من جهة ما يقع فيه من المعاصي إلى أن يتوب، فإذا تاب، فإنه يُحب محبة خالصة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وإن كانوا أقرب الناس إليه**)، يبغض عدو الله، يعادي عدو الله، وإن كان أقرب الناس إليه؛ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [المجادلة:٢٢].

فالحب في الله، والبغض في الله ليس من أجل أمور الدنيا أو الصداقات، أو ما أشبه ذلك من العلاقات غير الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، الإيمان برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠/ ٣٤٤)، والترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال -تعالى-: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢] الآية)، نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لما قتل أباه مع المشركين في الجهاد في سبيل الله، صار الوالد يتطلب الولد ليقتله، عند ذلك قتل أباه(١). فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾.

﴿بِرُوحٍ﴾، يعني: قوة.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٩/ ٢٦٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٩٥)، وتفسير البغوي (٥/ ٥٠)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٣٠٧).

....

ش: **قوله: «وَوَالى في اللهِ». هذا والذي قبله من لوازم محبة العبد لله تعالى، فمن أحب الله، أحب فيه، ووالى أولياءه، وعادى أهل معصيته وأبغضهم، وجاهد أعداءه، ونصر أنصاره.**

وكلما قويت محبة العبد لله في قلبه، قويت هذه الأعمال المترتبة عليها، وبكمالها يكمل توحيد العبد، ويكون ضعفها على قدر ضعف محبة العبد لربه؛ فمقل ومستكثر ومحروم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَوَالى في اللهِ». هذا والذي قبله من لوازم محبة العبد لله تعالى)**، يحب الله، ويحب في الله، يعني: يحب الناس في الله، لا من أجل هوى، أو من أجل صداقة، أو من أجل طمع دنيوي. وإنما يحب في الله عَزَّوَجَلَّ، ويبغض في الله، ويوالي لله، ويعادي في الله، من فعل ذلك، وجد طعم الإيمان، ولا يجد طعم الإيمان إلا أن يكون كذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن أحب الله أحب فيه)**، من أحب الله، أحب فيه: أحب من أجل الله، أحب الصالحين والأتقياء والمؤمنين.

المؤمنون يحبون، ولو كان عندهم مخالفات، يحبون في الإيمان بقدر ما عندهم من الدين والإيمان يحبون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعادى أهل معصيته وأبغضهم، وجاهد أعداءه ونصر أنصاره)**، جاهد أعداء الله بالسلاح، وجاهدهم بالحجة -أيضًا-، ونصر أولياء الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكلما قويت محبة العبد لله في قلبه، قويت هذه الأعمال المترتبة عليها)**، يقوى الحب في الله، والبغض في الله، والمعاداة في الله، والموالاة في الله بحسب ما في القلب من الإيمان والتقوى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبكمالها يكمل توحيد العبد)**، بكمال الموالاة في الله، والمعاداة في الله يكمل توحيد العبد، وبنقصها ينقص.

....

ش: قوله: «فَإِنَّمَا تُنالُ وَلايةُ اللهِ بِذَلِكَ»، أي: توليه لعبده. ووَلاية بفتح الواو لا غير، أي: الأخوة والمحبة والنصرة، وبالكسر: الإمارة، والمراد هنا الأول(١).

ولأحمد والطبراني عن النبي ﷺ قال: «لَا يَجِدُ الْعَبْدُ صَرِيحَ الْإِيمَانِ، حَتَّى يُحِبَّ للهِ وَيُبْغِضَ للهِ، فَإِذَا أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْوَلَايَةَ للهِ»(٢).

وفي حديث آخر: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحَبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ». رواه الطبراني(٣).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «فَإِنَّمَا تُنالُ وَلايةُ اللهِ بِذَلِكَ»، أي: توليه لعبده)**، وَلاية: بالفتح -فتح الواو-: يعني تولي الله لعبده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإذا تولاه الله، فإنه لا خوف عليه أبدًا؛ لأن الله تولاه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ووَلاية بفتح الواو لا غير)**، وَلاية: بفتح الواو، أما وِلاية: فهي الإمارة.

---

(١) الوِلاية بالكسر السلطان، والوَلاية بالفتح والكسر النصرة، والْوَلِيُّ ضد العدو، يقال منه تَوَلَّاهُ، وكل من وُلِيَ أمر واحد فهو وَلِيُّه، والمَوْلَى المُعْتِق والمُعْتَق. انظر: مختار الصحاح (ص٣٠٦)، ولسان العرب (١٥/ ٤٠٦)، والمصباح المنير (٢/ ٦٧٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤/ ٣١٧)، من حديث عمرو بن الجموح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٧١، ٢٢٠) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه في الكبير أيضًا (١١/ ٢١٥) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الولاية: الإمارة، وأما الوَلاية، فهي المحبة؛ ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [الكهف:٤٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمراد هنا الأول)**، المراد: الوَلاية بالفتح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي حديث آخر: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الحَبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ»)**، **«أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحَبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ»**، فمن أحب في الله، وأبغض في الله، تمسك بعرى الإيمان.

....

ش: قوله: «وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإيمَانِ..» إلى آخره، أي: لا يحصل له ذوق الإيمان ولذته وسروره.

«وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُه وَصَوْمُهُ، حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ»، أي: حتى يحب في الله، ويبغض في الله، ويعادي في الله، ويوالي فيه.

وفي حديث أبي أمامة مرفوعًا: «مَنْ أَحَبَّ للهَ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَى للهِ، وَمَنَعَ للهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ». رواه أبو داود[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله: «وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإيمَانِ..» إلى آخره. أي: لا يحصل له ذوق الإيمان ولذته وسروره**)، قد يكون الإنسان مؤمنًا، ولكن لا يجد طعم الإيمان، هذه مرتبة، إذا وجد طعم الإيمان واستراح للإيمان، هذه مرتبة عليا، وأما إذا نقص ذلك، يكون عنده إيمان، لكن يكون إيمانًا ناقصًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**«وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُه وَصَوْمُهُ، حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ»**)، حتى يحب في الله، ويبغض في الله، ويوالي في الله، ويعادي في الله، لا يجد الولاية لله إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع، ومن ضعفت عنده هذه الأربع، ضعف طعم الإيمان عنده.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وفي حديث أبي أمامة مرفوعًا: «مَنْ أَحَبَّ للهَ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَى للهِ، وَمَنَعَ للهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»**)، كالذي قبله.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨١).

....

ش: قوله: «وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مؤاخاةِ النَّاسِ عَلَى أمرِ الدُّنْيا، وَذَلِكَ لا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شيئًا»، أي: لا ينفعهم، بل يضرهم؛ كما قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف:٦٧]، فإذا كانت البلوى قد عمت بهذا في زمن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في خير القرون، فما زاد الأمر بعد ذلك إلا شدة، حتى وقعت الموالاة على الشرك والبدع والفسوق والعصيان.

وقد وقع ما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، كَمَا بَدَأَ»(١).

وقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في عهد نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعهد أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يؤثر بعضهم بعضًا على نفسه محبة في الله وتقربًا إليه؛ كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر:٩].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا مِنَّا أَحَدٌ يَرَى أَنَّهُ أَحَقُّ بِدِينَارِهِ ودِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ». رواه ابن ماجه(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مؤاخاةِ النَّاسِ عَلَى أمرِ الدُّنْيا، وَذَلِكَ لا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شيئًا»، أي: لا ينفعهم، بل يضرهم)، إذا كانت

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (٩/ ٣٩٥)، والطبراني في الأوسط (٤/ ١٧٨)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣٤١).

المؤاخاة والمحبة لأجل الدنيا، فهذه محبة لا تجدي على صاحبها شيئًا، هذه لا تجدي، هذه تذهب مع الدنيا، إن أُعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة:٥٨]، فهذا شأن المنافقين؛ يرضون إذا أُعطوا من طمع الدنيا، ويسخطون إذا لم يعطوا، وليس في قلوبهم إيمان صادق.

النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يوزع الغنائم، ويعطي بعض الناس، ويحرم بعضهم؛ كما وقع في وقعة حنين، فإنه لم يعط الأنصار شيئًا، أعطى المؤلفة قلوبهم، حديثي العهد بالإيمان، الذين أسلموا عام الفتح، وخرجوا مع الرسول إلى حنين، أعطاهم وأجزل لهم؛ من أجل أن يتألفهم على الإيمان، وحرم الأنصار، ولم يعطهم شيئًا؛ لقوة إيمانهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وهذا لا يؤثر فيهم عدم العطاء؛ لأن الإيمان راسخ في قلوبهم.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذِۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾** [الزخرف:٦٧])، ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ ﴾: يعني: الأصدقاء والأصحاب في يوم القيامة، ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾: يعني: يوم القيامة يكونون أعداء فيما بينهم، إذا كانت محبتهم في الدنيا لغير الإيمان، وإنما هي لأجل أطماع الدنيا وملذاتها وأهوائها يكونون أعداء يوم القيامة.

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ ﴾: يعني يوم القيامة، ﴿ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾.

﴿ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف:٦٧]، فإنها تبقى مودتهم فيما بينهم، ﴿ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾، فهذه عاقبة أهل الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا كانت البلوى قد عمت بهذا في زمن ابن عباس)**؛ لأن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مؤاخاةِ النَّاسِ عَلَى أمرِ الدُّنْيا»، فوقع في زمانه المحبة لأجل الدنيا لا أجل الدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فما زاد الأمر بعد ذلك إلا شدة، حتى وقعت الموالاة على الشرك والبدع والفسوق والعصيان)**، صاروا يحبون من هو فاسق أو كافر، يوالونه من أجل صداقة، من أجل طمع دنيوي، هذا أكثر موالاة الناس في زمن ابن عباس، فكيف بعد زمن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد وقع ما أخبر به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، كَمَا بَدَأَ»)**، «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا**»: لم يكن في أول الإسلام على الإسلام إلا أبو بكر الصديق وبلال بن أبي رباح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مؤذن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بدأ غريبًا على رجلين فقط، ثم ازداد، ازداد، ثم في آخر الزمان يعود غريبًا كما بدأ. قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ**»(١).

وفي رواية: «**الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ**»(٢)، هؤلاء هم الغرباء في آخر الزمان. طوبى لهم: أي الجنة، «طوبى»: هي الجنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في عهد نبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعهد أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يؤثر بعضهم بعضًا على نفسه محبة في الله وتقربًا**

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧/ ٢٣٧)، من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَنَّةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠)، من حديث زَيْدِ بْنِ مِلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

إليه)، في عهد النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وفي عهد أبي بكر، يعني: في خلافة أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعهد عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، يعني: في خلافة عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**كما قال تعالى:** ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩])، هذا في وصف الأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾، يعني: المدينة.

﴿مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]، يعني: حاجة وجوع، يؤثرون على أنفسهم؛ كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٨، ٩]: يؤثرون على أنفسهم وهم جياع؛ ﴿بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، يعني: جوع.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**وعن ابن عمر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولُ اللهِ** صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، **وَمَا مِنَّا أَحَدٌ يَرَى أَنَّهُ أَحَقُّ بِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ المُسْلِمِ»**)، يساعده به، ويؤثره على نفسه، هذا هو الإيمان.

وقال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]. قال: المودَّة(١).

ش: هذا الأثر رواه عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم والحاكم وصححه(٢).

قوله: (قَالَ: المَوَدَّةَ)، أي: التي كانت بينهم في الدنيا خانتهم أحوج ما كانوا إليها، وتبرأ بعضهم من بعض؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٢٥].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]. قَالَ: المَوَدَّةَ)، المودة، ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٥، ١٦٦]؛ المحبة، صار بعضهم يبغض بعضًا؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الزخرف:٦٧].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٢٧)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٧٨)، والبخاري معلقًا مجزومًا به (٨/ ١١٠)، قَالَ: «الوُصُلَاتُ فِي الدُّنْيَا».

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٩). وانظر: الدر المنثور (١/ ٤٠٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال -تعالى-**: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٢٥])، قال إبراهيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمشركين: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، فالكفار والمشركون يحب بعضهم بعضًا في الدنيا، ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: يتشاتمون -والعياذ بالله-، ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: يدعو عليه باللعنة؛ ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٢٥].

....

ش: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٧]: فهؤلاء المتبوعون كانوا على الهدى، وأتباعهم ادعوا أنهم على طريقهم ومنهاجهم، وهم مخالفون لهم سالكون غير طريقهم، ويزعمون أن محبتهم لهم تنفعهم مع مخالفتهم، فيتبرؤون منهم يوم القيامة؛ فإنهم اتخذوهم أولياء من دون الله. وهذا حال كل من اتخذ من دون الله وليجة وأولياء، يوالي لهم، ويعادي لهم، ويرضى لهم، ويغضب لهم؛ فإن أعماله كلها باطلة، يراها يوم القيامة حسرات عليه -مع كثرتها وشدة تعبه فيها ونصبه-؛ إذ لم يجرد موالاته ومعاداته، وحبه وبغضه، وانتصاره وإيثاره لله ورسوله. فأبطل الله عَزَّوَجَلَّ ذلك العمل كله، وقطع تلك الأسباب، فينقطع يوم القيامة كل سبب وصلة ووسيلة ومودة كانت لغير الله، ولا يبقى إلا السبب الواصل بين العبد وربه، وهو حظه من الهجرة إليه وإلى رسوله، وتجريده عبادته وحده ولوازمها -من الحب والبغض، والعطاء والمنع، والموالاة والمعاداة، والتقريب والإبعاد-، وتجريد ومتابعة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تجريدًا محضًا بريئًا من شوائب الالتفات إلى غيره، فضلًا عن الشرك بينه وبين غيره، فضلًا عن تقديم قول غيره عليه. فهذا السبب هو الذي لا ينقطع بصاحبه، وهذه هي النسبة التي بين العبد وربه، وهي نسبة العبودية المحضة، وهي آخيته التي يجول ما يجول وإليها مرجعه، ولا تتحقق إلا بتجريد متابعة الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم-؛ إذ هذه

العبودية إنما جاءت على ألسنتهم، وما عرفت إلا بهم، ولا سبيل إليها إلا بمتابعتهم، وقد قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣]، فهذه هي الأعمال التي كانت في الدنيا على غير سنة رسله وطريقتهم ولغير وجهه، يجعلها الله هباءً منثورًا، لا ينتفع منها صاحبها بشيء أصلًا، وهذا من أعظم الحسرات على العبد يوم القيامة أن يرى سعيه ضائعًا، وقد سعد أهل السعي النافع بسعيهم. انتهى ملخصًا[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا حال كل من اتخذ من دون الله وليجة وأولياء)، من دون الله، يعني: غير الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا حال كل من اتخذ من دون الله وليجة وأولياء، يوالي لهم، ويعادي لهم، ويرضى لهم، ويغضب لهم)، ما بالك اليوم بهذه الحزبيات والجماعات التي يتوالون عليها ويتباغضون عليها؟! الذي ليس من جماعتنا يبغضونه ويعادونه، وإن كان مؤمنًا، فقط لأنه لم يكن من جماعتهم وحزبهم.

المؤمنون إخوة، جماعة واحدة، ليس هناك حزبيات ولا جماعات، كلهم جماعة واحدة على الإيمان من أولهم إلى آخرهم، ليس هناك انقسام وجماعات ومناهج يضعونها، المنهج واحد، وهو الكتاب والسنة، كل جماعة لها منهج، كل حزب له منهج يوالون عليه، ويعادون عليه، ويتبايعون عليه، يبايع رئيس الجماعة كما يبايع ولي أمر المسلمين، هل بعد هذا الضلال وهذا الانشقاق شيء؟!!

---

(١) انظر: الرسالة التبوكية (ص ٥٦-٥٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن أعماله كلها باطلة، يراها يوم القيامة حسرات عليه، مع كثرتها وشدة تعبه فيها ونصبه)**، ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾: أعمالهم التي تعبوا فيها في الدنيا، وضيعوا فيها أعمارهم يريهم الله هذه الأعمال حسرات عليهم، ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إذ لم يجرد موالاته ومعاداته، وحبه وبغضه، وانتصاره وإيثاره لله ورسوله)**، ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة:١٦٧]؛ لأنها أعمال لغير الله، ولأن تقاربهم وتصادقهم هذا في غير الله، إنما هو من أجل أطماع الدنيا، ومن أجل الهوى، هذا يذهب كله، ولا يبقى إلا ما كان لله وفي الله، هذا الذي يبقى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأبطل الله** عَزَّوَجَلَّ **ذلك العمل كله، وقطع تلك الأسباب)**، ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]، أسباب المحبة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يبقى إلا السبب الواصل بين العبد وربه، وهو حظه من الهجرة إليه وإلى رسوله)**، الهجرة على قسمين:

القسم الأول: هجرة بالبدن من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام فرارًا بالدين.

القسم الثاني: هجرة بالقلب من الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة، هذه هجرة بالقلب.

والهجر في اللغة: الترك[١]. قال تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر:٥]. الرجز: الأصنام، وهجرها: تركها، ﴿فَٱهْجُرْ﴾، يعني: اتركها.

---

(١) انظر: العين (٣/ ٣٨٧)، وتهذيب اللغة (٦/ ٣٠)، والإبانة في اللغة العربية (٤/ ٥٧٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهذا السبب هو الذي لا ينقطع بصاحبه)**، السبب المتصل بين العبد وبين ربه عَزَّوَجَلَّ هذا لا ينقطع، وأما السبب الذي بينه وبين الناس فإنه ينقطع؛ ﴿ **ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ [الزخرف:٦٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهذا السبب هو الذي لا ينقطع بصاحبه، وهذه هي النسبة التي بين العبد وربه)**، إذا تقطعت الأسباب، لا يبقى إلا السبب الذي بين العبد وبين ربه، هذا لا ينقطع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهي آخيته التي يجول ما يجول وإليها مرجعه)**، الآخية: هي المركز الذي يدور عليه، فمثلًا: الدابة إذا صارت مربوطة، الوتد الذي رُبِطت به هو الآخية التي يدور عليها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا تتحقق إلا بتجريد متابعة الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم-؛ إذ هذه العبودية إنما جاءت على ألسنتهم، وما عرفت إلا بهم، ولا سبيل إليها إلا بمتابعتهم)**، هذه العبودية لله لم تأت إلا على يد الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، لم تأت بالذوق -كما تقول الصوفية، الذوق وغير ذلك من مصلحاتهم-، لا، إنما جاءت بالسير على منهج الله ومنهج رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾** [الفرقان:٢٣]**)**، قال الله جَلَّ وَعَلَا في شأن المشركين والكفار والمنافقين: ﴿ **وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ** ﴾، أي عمل، ﴿ **فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً**

مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣]، فكل عمل لا يؤسس على كتاب الله وسنة رسوله، فإنه يكون كذلك، يكون ﴿ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ يوم القيامة، وإن كان صاحبه أتعب نفسه فيه، وقضى حياته فيه، يصير هباء مثل الهباء الذي ترونه في الجو، الذرات التي تطير مع الهواء، فهذا عمل أهل الكفر والشرك والنفاق، تكون أعمالهم هباءً، أتعبوا أنفسهم فيها في الدنيا، وعند الحاجة إليها طارت، وصارت هباءً منثورًا لا تنفعهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهذه هي الأعمال التي كانت في الدنيا على غير سنة رسله وطريقتهم ولغير وجهه، يجعلها الله هباءً منثورًا)**، غلاة الصوفية يقولون: نحن لسنا بحاجة إلى الرسل، نحن عرفنا، وصلنا إلى الله، ولسنا بحاجة للرسل. تعالى الله عما يقولون! لا أحد يستغني عن الرسل أبدًا، ولولا أن الله أرسل الرسل، لما حصل هذا الدين، وهذا الخير، وهذا التوحيد، وهذه العقيدة الصحيحة، هذه لم تعرف إلا عن الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ؛ من آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كلهم على هذه الجادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهذه هي الأعمال التي كانت في الدنيا على غير سنة رسله وطريقتهم ولغير وجهه، يجعلها الله هباءً منثورًا)**، الأعمال التي كانت على غير الكتاب والسنة تطير يوم القيامة هباءً منثورًا، ولا تنفع أهلها، يتحسرون عليها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا من أعظم الحسرات على العبد يوم القيامة أن يرى سعيه ضائعًا، وقد سعد أهل السعي النافع بسعيهم، انتهى ملخصًا)**، كلام جميل جدًّا.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ (البَقَرَةِ).

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ (بَرَاءَةَ).

الثَّالِثَةُ: وُجُوْبُ مَحبَّتِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **عَلَى النَّفْسِ وَالأَهْلِ وَالمَالِ.**

الرَّابِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ الإِيْمَانِ لا يَدُلُّ عَلَى الخُرُوْجِ مِنَ الإِسْلَامِ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ لِلْإِيْمَانِ حَلَاوَةٌ قَدْ يَجِدُهَا الإِنْسَانُ وَقَدْ لا يَجِدُهَا.

السَّادِسَةُ: أَعْمَالُ القَلْبِ الأَرْبَعِ الَّتِيْ لا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ إِلَّا بِهَا، وَلا يَجِدُ أَحَدٌ طَعْمَ الإِيْمَانِ إِلَّا بِهَا.

السَّابِعَةُ: فَهْمُ الصِّحَابِيِّ لِلْوَاقِعِ؛ أَنَّ عَامَّةَ المُؤَاخَاةِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا.

الثَّامِنَةُ: تَفْسِيْرُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ مِنَ المُشْرِكِيْنَ مَنْ يُحبُّ اللهَ حُبًّا شَدِيْدًا.

العَاشِرَةُ: الوَعِيْدُ عَلَى مَنْ كَانَتِ الثَّمَانِيَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ دِيْنِهِ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحبَّتُهُ مَحبَّةَ اللهِ، فَهُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ «البَقَرَةِ»)**، تفسير آية البقرة، وهي: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾، يعني: شركاء لله ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾، أي: شركاء لله، ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾: يحبون الأصنام والأحجار والأشجار كما يحبون الله عَزَّوَجَلَّ، يشركون

في الله، المشركون يحبون الله، لكن لما أحبوا معه غيره من هذه الأصنام وهذه الأشجار والأحجار، صارت محبتهم باطلة، لا يقبلها الله، ولا تنفع أصحابها يوم القيامة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «بَرَاءَةَ»**)، وهي: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾ [التوبة:٢٤]: انتظروا ما يحل بكم.

هذه الثمانية الإنسان يحبها، وهم لا يلامون على أنهم يحبون هذه الثمانية، لكن يلامون إذا قدموا محبتها على محبة الله ورسوله وجهاد في سبيله، فهم يحبونها، والكل يحبها، ولكن إذا قدمت محبتها على محبة الله ورسوله، وتُرِكت الهجرة، وتُرِك الجهاد في سبيل الله، تُرِكت الأعمال الصالحة، فإنها خسارة عظيمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: وُجُوْبُ مَحَبَّتِهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَلَى النَّفْسِ وَالأَهْلِ وَالمَالِ**)؛ «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُوْنَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ**»[(١)]، قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي». قال: «**لَا؛ يَا عُمَرُ، حَتَّى أَكُوْنَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**». فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وَاللهِ -يَا رَسُوْلَ اللهِ- لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي». قال: «**الآنَ يَا عُمَرُ**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٣٢).

(٢) سبق تخريجه (ص٤٣٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ الإِيْمَانِ لَا يَدُلُّ عَلَى الخُرُوْجِ مِنَ الإِسْلَامِ**)، نفي الإيمان لا يدل على الخروج، قد يكون نفيًا للإيمان الكامل.

«**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ**»، يعني: لا يؤمن الإيمان الكامل، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

ليس معناه: «**لَا يُؤْمِنُ**»: أنه يكون كافرًا، لا، هذا نفي للكمال، ليس نفيًا لأصل الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: أَنَّ لِلْإِيمَانِ حَلَاوَةٌ قَدْ يَجِدُهَا الإِنْسَانُ وَقَدْ لَا يَجِدُهَا**)، أن للإيمان حلاوة قد يجدها أو لا يجدها -المؤمن يعني-، المؤمنون منهم من يجد هذه الحلاوة، ومنهم من لا يجدها، والكفار ليس لهم شأن بهذا، لكن المؤمنين منهم من يجد حلاوة الإيمان، ومنهم لا يجدها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: أَعْمَالُ القَلْبِ الأَرْبَعِ الَّتِيْ لَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ إِلَّا بِهَا، وَلَا يَجِدُ أَحَدٌ طَعْمَ الإِيْمَانِ إِلَّا بِهَا**)، «**مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ، وَوَالَى فِي اللهِ، وَعَادَى فِي اللهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ بِذَلِكَ**»(١)، هذه الأمور الأربع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابِعَةُ: فَهْمُ الصِّحَابِيِّ لِلْوَاقِعِ؛ أَنَّ عَامَّةَ المُؤَاخَاةِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا**)، فهم الصحابي: ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لما روى هذا الأثر، قال: «وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا»(٢)، هذا في عهد ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وعصر الصحابة، فكيف إذا تأخر الزمان؟!

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٥٤).
(٢) سبق تخريجه (ص٤٥٤).

إذا تأخر الزمان، يزيد هذا الشر، وهذا البعد عن التمسك بالدين، يزيد هذا في آخر الزمان، ويكون القابض على دينه كالقابض على الجمر؛ لشدة ما يلقى من الناس ومن الأعداء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّامِنَةُ: تَفْسِيرُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾)، أن الأسباب المراد بها: أسباب المحبة، ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾، أي: أسباب المحبة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (التَّاسِعَةُ: أَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ مَنْ يُحِبُّ اللهَ حُبًّا شَدِيْدًا)، من المشركين من يحب الله، لكن يحب معه غيره، ولذلك بطلت محبته لله، ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]: أشد حبًّا لله من محبة المشركين لله؛ لأن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة المشركين مشتركة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العَاشِرَةُ: الوَعِيْدُ عَلَى مَنْ كَانَتِ الثَّمَانِيَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ دِيْنِهِ)، التي في الآية: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ [التوبة:٢٤]، الثمانية، ثمانية الأشياء التي ذكرها الله جَلَّ وَعَلَا إذا كانت أحب إلى الإنسان من الله ورسوله وجهاد في سبيله، ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]: سماهم فاسقين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحَبَّتُهُ مَحَبَّةَ اللهِ، فَهُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ)، الشرك: هو مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣١- باب قول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥].

ش: قوله: (بَابُ قولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥]).

الخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل:٥٠]، وقال: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن:٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وقال تعالى: ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة:٤٠]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة:٤٤]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ قولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥])، هذه الآية التي ذكرها الشيخ، وترجم عليها هذا الباب، هذه نزلت في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لما رجعوا من غزوة من الغزوات، أرسل إليهم قائد المشركين، لما رجعوا من غزوة أحد التي أصيب المسلمون فيها، لما رجعوا منها إلى المدينة، واستقروا في بيوتهم، فيهم الجرحى، وفيهم المثخنون من التعب بما أصابهم في هذه الغزوة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، لما استقروا في بيوتهم، قال أبو سفيان -وكان إذ ذاك قائد المشركين-: لم نفعل

بهم شيئًا، لو رجعنا عليهم، واستأصلنا بقيتهم، فأرسل أبو سفيان إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنا راجعون إليكم لنستأصل بقيتكم.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -خصوصًا الذين خرجوا للغزوة غزوة أحد-، أمرهم أن ينفروا اللقاء المشركين، فنفروا، وفيهم الجرحى، فنفروا، ونزلوا في مكان يقال له: «حمراء الأسد» ينتظرون المشركين، وفيهم الجرحى، وفيهم الذين تعبوا من هذه الغزوة، فلما أن بلغ المشركين خروج المسلمين وترصدهم لهم ينتظرون وصولهم، قالوا: لم يخرجوا إلا وفيهم قوة، فهابوا الرجوع إليهم، وردهم الله، ورجعوا إلى مكة مهزومين مخذولين، والمسلمون انتظروهم، فلما لم يأتوا، رجع المسلمون إلى المدينة سالمين غانمين، فهذه ملخص هذه القضية.

فالله جَلَّ وَعَلَا أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]، فالذي بلغكم من خبر المشركين، وأنهم سيرجعون إليكم إنما هو تخويف من الشيطان.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾: أتباعه، يخوفهم.

قيل معناه: يخوفكم بأوليائه، أيها الصحابة، الشيطان يخوفكم بأوليائه وأتباعه؛ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وقيل: إن المعنى: أنه يخوف أولياءه، يخوف أتباعه من بأس المسلمين، فهو الشيطان -لعنه الله- يخوف أتباعه من بأس المسلمين، فرجعوا مخذولين، والآية تحتمل المعنيين.

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها)**، خوف العبادة هو أعظم أنواع التوحيد، الذي هو الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ، وألا يخاف الإنسان من غير الله عَزَّوَجَلَّ، هذا من أعظم أنواع العبادة، فهو مقام عظيم. فالعبادة أنواع كثيرة، وأعظمها: الخوف والرجاء والتوكل، هذه أعظم أنواع العبادة، الخوف من الله، والرجاء والتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذه أعمال قلبية من أعمال القلوب. والله جَلَّ وَعَلَا يقول: لا تخافوا من المشركين وتهديدهم، ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥]، فهذا حاصل ما قيل في هذه الآية الكريمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى)**، وهو خوف العبادة، الخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا أعظم أنواع العبادة، أو هو من أعظم أنواع العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل:٥٠])**، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾، ﴿ يَخَافُونَ ﴾، أي: المؤمنون ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾؛ لأن الله في العلو سبحانه، وهذه الآية من أدلة علو الله على خلقه، علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، ثلاثة أنواع للعلو كلها ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن:٤٦])**، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾، أي: مقامه بين يدي ربه، ولقاءه لربه، لمن

خاف ذلك واستعد له بالأعمال الصالحة، وترك الأعمال السيئة له ﴿جَنَّتَانِ﴾، ليست جنة واحدة، بل جنتان، وهذا وعد عظيم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لمن خافه واتقاه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨])، ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾، أي: خوفه، الخشية: هي الخوف، نوع من الخوف؛ ﴿مُشْفِقُونَ﴾، أي: خائفون من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والإشفاق: هو الخوف، فهذه الآية فيها تعظيم الخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠])، ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾، يعني: خافونِ، ارهبون: يعني خافونِ؛ لأن الرهب هو الخوف.

وقدم ﴿وَإِيَّٰىَ﴾ على الفعل لأجل الإخلاص في الرهب، وهذا مما يسمى تقديم المعمول على العامل؛ لإفادة الحصر.

﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾، أي: لا ترهبوا من غيري رهب العبادة.

أما أن الإنسان يخاف خوفًا طبيعيًّا من السباع، من الثعابين، من الذئاب، هذا خوف طبيعي لا يضر، إنما الخوف -خوف العبادة- هو الذي لا يجوز للمسلم أن يخاف إلا من الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤])، والخشية: هي الخوف، ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾، إن كنتم مؤمنين، فمن خشي الله، آمنه من الناس، وحماه من الناس.

....

ش: والخوف من حيث هو ثلاثة أقسام:

أحدها: خوف السر: وهو أن يخاف من غير الله -من وثن، أو طاغوت- أن يصيبه بما يكره؛ كما قال تعالى عن قوم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنهم قالوا له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود:٥٤، ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:٣٦]، وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان، يخافونها، ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها، وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا ينافي التوحيد.

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه؛ خوفًا من بعض الناس، فهذا محرم، وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد، وهذا هو سبب نزول هذه الآية؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٥] الآية.

وفي الحديث: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ لَا تُغَيِّرَهُ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي خَشِيتُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: إِيَّايَ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى»(١).

---

(١) أخرجه أحمد (١٧/ ٣٥٧، ١٨/ ٢٩، ٢٣٠، ٣٧٣)، وابن ماجه (٤٠٠٨)، والطبراني =

الثالث: الخوف الطبيعي، وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك؛ فهذا لا يذم؛ كما قال تعالى في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:٢١]، **الآية.**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أحدها: خوف السر)**، وهو خوف العبادة، خوف الله جَلَّ وَعَلَا، وهذا لا يجوز أن يشرك مع الله غيره فيه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما قال تعالى عن قوم هود** عَلَيْهِ السَّلَامُ **إنهم قالوا له:** ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود:٥٤، ٥٥])، فالمشركون يخافون من غير الله خوف العبادة، يخافون من أصنامهم، ولذلك عبدوها، يخافون من المشركين لهم، فيتركون ما أمرهم الله به خوفًا من المشركين، أو خوفًا من الناس. فلا يجوز للإنسان أن يخاف في الله لومة لائم، بل يخاف الله وحده، وهذا هو خوف العبادة، خوف السر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال تعالى:** ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [الزمر:٣٦])، فقوم هود لما دعاهم إلى الله، وبين لهم ما هم عليه من الشرك في عبادة الأصنام، وأمرهم بعبادة الله، هددوه بآلهتهم، قالوا: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود:٥٤]: يخوفونه بالأصنام أنها تصيبه. وهذا موجود عند المشركين اليوم من القبوريين وغيرهم، يخوفون بالموتى

= في الأوسط (٥/ ١٣٧، ٢٤٠)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٨٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأصحاب القبور، يخوفون بالميت أنه يصيبك، وأنه يقتل ولدك، وأنه.... وأنه....، موجود هذا.

فهو الذي هدد به قوم هود نبيهم هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾: هذا الذي أصابك، وصرت تدعو الناس إلى عبادة الله، وتدعوهم إلى عبادة الله، وتخوفهم من الشرك هذا إنما هو إصابة من الأوثان أصابتك؛ ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾، ماذا قال لهم؟ ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٤-٥٦].

فهو قابلهم بهذا الجواب الباهر العظيم، تبرأ منهم ومن آلهتهم، وقال: إني لا أخافكم، اجتمعوا أنتم وآلهتكم، ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا﴾: تحدي، رجل واحد يقف أمام دولة عظيمة، عظام الأجسام، قوم عاد أعظم الناس أجسامًا؛ ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ [الأعراف:٦٩]، يقف أمامهم رجل واحد، ويهددهم هذا التهديد، هذا دليل على أنه رسول الله، وأنه من عند الله، وأنه لا يخاف في الله لومة لائم؛ ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم﴾ [هود:٥٤-٥٦]، هذه أعظم آيات هود عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذه معجزة.

هم يقولون: ﴿يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود:٥٣]، ما هو أعظم من هذه البينة أنه رجلٌ واحد يتهدد أمة قاهرة، ضخام الأجسام، مشهورون بالقوة، ويقول: ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾: لا تؤخروا الانتقام مني.

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم﴾ [هود:٥٥،٥٦]، لا يصلون إليه، وهو متوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وماذا كانت النتيجة؟ أن الله أرسل عليهم الريح، الريح ألطف شيء على قوم غلاظ الأجسام كبار، أرسل عليهم الريح، لم ينزل عليهم صواعق أو أنزل عليهم حجارة من السماء، لا، ريح، هبت عليهم ريح، ريح الدَّبُور، هبت عليهم فانتزعتهم؛ تنزعهم من الأرض وتنكسهم على رؤوسهم، تدق أعناقهم حتى ماتوا جميعًا.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر:٢٠]: أعجاز نخل، لاحظ! طوال كبار مثل النخل، أعجاز نخل خاوية، ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾: هذه الريح تنزعهم من فوق الأرض، ترفعهم في الجو، ثم تنكسهم على رؤوسهم، تدق برؤوسهم الأرض فيموتون.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾: كأعجاز نخل خاوية، هذا بأس الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾** [الزمر:٣٦]**، وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان)**، ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾. أصحاب الأوثان يخوفون المسلمين من أوثانهم، وهم لا يخافون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. يخوفون المسلمين من أوثانهم، هذا من العجيب وانتكاس الفطر، هل أوثانهم أعظم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟! لا أعظم من الله جَلَّ وَعَلَا، فهم فسدت عقولهم، ونزلوا إلى هذا المستوى؛ يخوفون بأوثانهم، يخوفون بالأموات.

عباد القبور يهددون الناس، يقولون: سيضرك الميت الذي نعبده، والولي هذا سيضرك ويضر أولادك. يخوفون الناس بهذا، ولا يزال هذا موجودًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها، وأمروا بإخلاص العبادة لله**)، إذا أمرهم المسلمون بالتوحيد وإخلاص العبادة لله، هددوا المسلمين بالأوثان والموتى، الأحياء يهددونهم بالموتى، هذا شيء عجيب، هل تهدد الحي بالميت؟! هذا شيء عجيب، انتكاس في الفطرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وهذا ينافي التوحيد**)، هذا ينافي التوحيد؛ الذي يخاف من الأموات ويعبدهم، فهذا يبطل ما عنده من العقيدة ومن التوحيد.

إذا خاف من الميت أنه يصيبه، وأنه يضره، أنه يضر أولاده، فهذا ينافي التوحيد -والعياذ بالله-، وهذا موجود في عباد القبور؛ يهددون أهل التوحيد بأوثانهم أنها تضرهم، أنها تضر أولادهم.

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام:٨١]، يقول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه؛ خوفًا من بعض الناس**)، الثاني من أنواع الخوف المحرم: أن يترك الإنسان شيئًا من الطاعة؛ خوفًا من الناس أن يصيبوه، أن يقتلوه، يترك عبادة الله خوفًا من الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فهذا محرم، وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد**)، هذا النوع الثاني، هذا محرم بلا شك، وهو منقص للتوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا هو سبب نزول هذه الآية)**، هذا بعد مرجعهم من غزوة أحد هددهم أبو سفيان، وقال: إنا راجعون إليكم، وإنا سنقتل بقيتكم. فزادهم إيمانًا، المسلمون لم يتزعزعوا، خرجوا للقاء العدو، ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾: الله كافينا ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

النتيجة: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٤]، ثم قال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾: يخوفكم بأوليائه من المشركين؛ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾** [آل عمران:١٧٣])، ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾: أرسل أبو سفيان رجلًا يهدد المسلمين، فقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾، يعني: المشركين يرجعون إليكم، ويستأصلون بقيتكم. قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، لم يزدهم إلا إيمانًا بالله عَزَّ وَجَلَّ، لم يهابوا، ولم يخافوا، بل زادهم إيمانًا وتوكلًا على الله، وزادهم قوة في دينهم؛ ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٧٣]: أنتم تقولون: إن الناس جمعوا لنا، نحن حسبنا الله، الله جَلَّ وَعَلَا هو الذي بيده نواصي الناس ونواصي العباد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾)**، رجعوا إلى المدينة سالمين غانمين، ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾)، إنما هذا الخبر الذي جاءكم هو الشيطان، إبليس -لعنه الله- ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾: يخوفكم بأوليائه، أو يخوف أولياءه الذين اتبعوه يخوفهم من المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي الحديث: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ لا تُغَيِّرَهُ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي خَشِيتُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: إِيَّايَ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى»**)، هذا يوم القيامة سيحصل لمن خاف الناس بما يسخط الله عَزَّوَجَلَّ، ترك ما أوجبه الله عليه؛ خوفًا من الناس، رأى المنكر ولم يغيره، وهو عنده قدرة، وإلا الذي ليس عنده قدرة هو معذور، لكن عنده قدرة على إنكار المنكر، لكن لم يغيره؛ خوفًا من الناس، فيكون موقفه عند الله يوم القيامة هو ما ذُكِرَ هنا: «مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ لَا تُغَيِّرَهُ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي خَشِيتُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: إِيَّايَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى»، فمن رأى منكرًا، وهو يقدر على تغييره باليد، فإنه ينكره باليد إذا كان له سلطة وقدرة، فإذا لم يكن له قدرة وسلطة، ينكره بلسانه؛ يبين بطلانه ويحذر منه، ويدعو الناس إلى توحيد الله وعبادة الله، هذا التغيير باللسان، فإذا لم يستطع باللسان، يغيره بقلبه، ينكره ويبتعد عنه وعن أهله ويقاطعه.

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ**»: هذا خطاب للمسلمين. «**مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ**»: هذا لأصحاب اليد والسلطة، «**فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ**» باليد، «**فَبِلِسَانِهِ**»: بالموعظة والتذكير، بالتخويف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بالدعوة إلى الله؛ «**فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ**»: اللسان، «**فَبِقَلْبِهِ**»[1]: ينكر

(١) سبق تخريجه (ص٤٣٧).

المنكـر بقلبه، ويعتزل مكان المنكر وأهل المنكـر، ولا يخالطهم، ولا يقول: أنا أنكرنـه بقلبي. لا، لو أنت أنكرته بقلبك لما خالطتهم ولم تجلس معهم، ابتعد عن المنكر وأهله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثالث: الخوف الطبيعي)**، هذا لا يؤاخذ عليه الإنسان؛ كأن يخاف من عدو، يخاف من سبع، هذا لا يؤاخذ عليه الإنسان، ويتخذ ما يقيه منه من السلاح ومن الموانع التي تقيه وتمنعه، هذا لا بأس به أنه يتقي هذا، ويخاف منه، ويعمل ما يمنعه عنه ويبعده عنه، لا بأس أنه يتخذ الأسباب الواقية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثالث: الخوف الطبيعي، وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك، فهذا لا يذم)**، هذا لا يلام إذا خافه، ولكن يتخذ الأسباب الواقية منه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى في قصة موسى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾** [القصص:٢١]، **الآية)**، موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما جاء ووجد رجلين يقتتلان: واحد من بني إسرائيل -من شيعته- والثاني من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته، استغاثه الإسرائيلي، استغاث بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على القبطي من أتباع فرعون، فوكزه موسى، ضربه بقبضة يده ضربة واحدة، فقضى عليه؛ لأنه قوي، موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ضربة واحدة بقبضة يده فقضت عليه، **﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾** [القصص:١٥]، فندم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على هذا، وهرب من بني

إسرائيل، ذهب إلى مدين خائفًا. هذا من الخوف الطبيعي، موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خاف من فرعون وقومه، لما قتل القبطي، خاف منهم، وهذا خوف طبيعي، لا بأس به؛ أنك تخاف من عدوك، تخاف من سبع، تخاف من البرد، تخاف من الجوع.

ش: ومعنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾، أي: يخوفكم أولياءه؛ ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥]، وهذا نهيٌ من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره، وأمرٌ لهم أن يقصروا خوفهم على الله، فلا يخافون إلا إياه، وهذا هو الإخلاص الذي أمر به عباده، ورضيه منهم.

فإذا أخلصوا له الخوف وجميع العبادة، أعطاهم ما يرجون، وأمنهم من مخاوف الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ [الزمر:٣٦] الآية.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن كيد عدو الله أن يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه؛ لئلا يجاهدوهم، ولا يأمروهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر.

وأخبر -تعالى- أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافهم.

قال: والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفهم بأوليائه.

قال قتادة: يعظمهم في صدوركم[1].

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره (٦/ ٢٥٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٨٢١) عن قتادة أنه قال: (قَوْلَهُ: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾، قَالَ: يُخَوِّفُ -وَاللهِ- الْمُؤْمِنَ بِالْكَافِرِ، وَيُرْهِبُ بِالْمُؤْمِنِ الْكَافِرَ). أما الوجه الذي ذكره ابن القيم عن قتادة في تفسير الآية، فقد أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٢٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٨٢٠) عن السدي، قال: (يعظم أولياءه في صدوركم فتخافونهم).

فكلما قوى إيمان العبد، زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه، قوى خوفه منهم(١). فدلت هذه الآية على أن إخلاص الخوف من شروط كمال الإيمان(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يخوفكم أولياءه؛ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥])**، يخوف أولياءه، يخوفكم أيها المسلمون من أوليائه من الكفرة، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

أو المعنى الثاني: يخوف أولياءه؛ يخوفهم من بأس المسلمين، ومن سطوة المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا نهيٌ من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره، وأمرٌ لهم أن يقصروا خوفهم على الله، فلا يخافون إلا إياه)**؛ خوف العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا هو الإخلاص الذي أمر به عباده، ورضيه منهم)**، فلا يخاف المسلم من صنم، ولا من قبر أن يضره، ولا يخاف من ساحر، بل يخاف الله جَلَّ وَعَلَا، والله يكف عنه الأذى، ويكف عنه البأس الذي عند الأعداء، من توكل على الله، كفاه؛ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، يعني: كافيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦] الآية)**، هذا استفهام تقرير، ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾، أي: الله كاف عبده.

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ١١٠).
(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق (١/ ٣٨١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨١٧).

فقوله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾: لا أحد ينكر هذا أن الله يكفي عبده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [الزمر:٣٦])، ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾: بآلهتهم، بشياطينهم، لكن لا يؤثر ذلك في المسلم؛ لأنه متوكل على الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر:٣٦])، إذا حكم الله وقضى على عبده وقدر الضلال، فلا أحد يهديه، لو اجتمع العالم كلهم يريدون هدايته، لم يهتد إذا أراد إضلاله، لا راد لقضائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ومن كيد عدو الله أن يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه؛ لئلا يجاهدوهم، ولا يأمروهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر)**، «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان»، هذا من كلام ابن القيم في هذا الكتاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فدلت هذه الآية على أن إخلاص الخوف من شروط كمال الإيمان)**، إخلاص الخوف لله عَزَّوَجَلَّ، وألا يخاف من غيره.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨].

ش: **أخبر -تعالى- أن مساجد الله لا يعمرها إلا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر، الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم، وأخلصوا له الخشية دون من سواه. فأثبت لهم عمارة المساجد بعد أن نفاها عن المشركين؛ لأن عمارة المساجد بالطاعة والعمل الصالح، والمشرك وإن عمل فعمله: ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور:٣٩]، أو ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم:١٨]، وما كان كذلك، فالعدم خير منه. فلا تكون المساجد عامرة إلا بالإيمان، الذي معظمه التوحيد مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع، وذلك كله داخل في مسمى الإيمان المطلق عند أهل السنة والإجماع.**

قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، قال ابن عطية: يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة، ولا محالة أن الإنسان يخشى المحاذير الدنيوية، وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الخوف عبودية القلب؛ فلا يصلح إلا لله؛ كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب(٢).

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٦).

(٢) انظر: طريق الهجرتين (٢/ ٦٣٤).

قوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨].

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «إِنَّ أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ، وَكُلُّ عَسَى فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ وَاجِبَةٌ»(١).

وفي الحديث: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ. قَالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾ [التوبة:١٨]». رواه أحمد والترمذي والحاكم(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨])، ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٧، ١٨]، هذا لما منع المشركون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من دخول المسجد الحرام في عمرة الحديبية، منعوهم أن

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٧٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٦٦)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٢٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٨/ ١٩٤، ٢٥١)، والترمذي (٢٦١٧، ٣٠٩٣)، وابن ماجه (٨٠٢)، والدارمي (٢/ ٧٨٠)، والحاكم (١/ ٣٣٢)، وابن خزيمة (٢/ ٣٧٩)، وابن حبان (٥/ ٦)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٤٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يدخلوا المسجد الحرام. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ﴾، أي: المشركين.

﴿إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ [البقرة:١١٤]: من المسلمين.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾ [التوبة:١٨]: ليس المراد عمارتها بالطين والحجارة، المراد عمارتها بالعبادة.

مسجد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مم كان؟ أعمدته جذوع النخيل، وسقفه من الجريد والسعف، مسجد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم مسجد في الدنيا بعد المسجد الحرام، المسجد الذي أشع النور على العالم كانت أعمدته جذوع النخل، وكان سقفه من الجريد والخوص، كان إذا جاء المطر، نزل على الأرض، وسجد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الماء والطين، وسجد معه الصحابة(١)، هذا المسجد أنار الدنيا كلها، مسجد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أخبر -تعالى- أن مساجد الله لا يعمرها إلا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر)**، يعمرها بالطاعة، أما عمارة الطين، يعمرها أي واحد، الكافر يعمرها، والعاصي يعمرها، وأيضًا يعمرها قوية من الأسمنت ومن أشد المواد البنائية، لكن ليست هذه عمارتها، عمارتها بالطاعة.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٦٩، ٨١٣، ٨٣٦، ٢٠١٦، ٢٠١٨، ٢٠٢٧، ٢٠٣٦، ٢٠٤٠)، ومسلم (١١٦٧)، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ، فَقَالَ: جَاءَتْ سَحَابَةٌ، فَمَطَرَتْ حَتَّى سَالَ السَّقْفُ، وَكَانَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، «فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْجُدُ فِي المَاءِ وَالطِّينِ، حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ فِي جَبْهَتِهِ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فأثبت لهم عمارة المساجد بعد أن نفاها عن المشركين)، ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾، ثم أثبتها للمسلمين: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة:١٧، ١٨]، المراد عمارتها بالطاعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لأن عمارة المساجد بالطاعة والعمل الصالح)، هذه عمارتها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والمشرك وإن عمل فعمله: ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور:٣٩])، ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾، والسراب: هو شعاع الشمس إذا وقع على الأرض، صار كأنه ماء، إذا رأيته تقول عليه: بحار من الماء، العطشان إذا رآه، فرح، وقال: هذا ماء؛ سأذهب للشرب، فإذا جاءه لم يجد شيئًا؛ ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور:٣٩]، هذه أعمال المشركين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أو ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم:١٨])، ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾: الرماد إذا جاءه ريح شديدة تذهب به، فكذلك عمل المشرك، لو عمل أعمالًا صالحة وهو على الشرك، فهي مثل الرماد الذي تذهب به الريح ليس فيه فائدة؛ ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ أو ﴿كَرَمَادٍ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فلا تكون المساجد عامرة إلا بالإيمان، الذي معظمه التوحيد)، ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨]، هذا الذي تكون به عمارة المساجد الحقيقية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التوحيد مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع، وذلك كله داخل في مسمى الإيمان المطلق عند أهل السنة والإجماع)**، كل الأعمال تدخل في الإيمان.

الإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، هذا الإيمان(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن عطية)**، تفسيره موجود، تفسير ابن عطية مطبوع الآن، تسعة مجلدات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾. قال ابن عطية: يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة، ولا محالة أن الإنسان يخشى المحاذير الدنيوية)**، هذا خوف طبيعي، خوف المحاذير الطبيعية هذا خوف طبيعي لا يضر، وأنت مأمور بأن تتقيه، وتتخذ الوسائل الواقية منه، لا حرج عليك في ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه)**، يخشى البرد، يخشى العدو، ولكن لا يقتصر على هذا، بل يخشى الله أولًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويتخذ الأسباب الواقية من الخوف الطبيعي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **الخوف عبودية القلب؛ فلا يصلح إلا لله، كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء)**، العبادات تكون بالقلوب،

---

(١) سبق عزوه (ص٤٣٧).

وتكون بالجوارح. وتكون بالقلوب وهي كثيرة، أنواع العبادات القلبية -الخوف والخشية، والرغبة والرهبة، والتوكل والإنابة- كثيرة، كلها أعمال قلبية.

وأعمال بالجوارح: كالصلاة والصيام والجهاد في سبيل الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾** [التوبة:١٨])، ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الذين عمروا مساجد الله بالإيمان والطاعة، ﴿أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾، و(عسى) من الله واجبة، يقولون: عسى من الله واجبة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **يقول: «إِنَّ أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ، وَكُلُّ عَسَى فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ وَاجِبَةٌ»)**، (عسى) من الله واجبة، ليست توقعًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الحديث: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾** [التوبة:١٨])، إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد لصلاة الجماعة، يتردد عليها، ليس مرة أو مرتين، ثم يتركها، لا، يداوم على ذلك، «فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ»؛ بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨].

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت:١٠]، **الآية.**

ش: قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ صِفَاتِ قَوْمٍ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يَدَّعُونَ الْإِيمَانَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَلَمْ يَثْبُتِ فِي قُلُوبِهِمْ: إِنَّهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ مِحْنَةٌ وَفِتْنَةٌ فِي الدُّنْيَا، اعْتَقَدُوا أَنَّهَا مِنْ نِقْمَةِ اللهِ بِهِمْ، فَارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ.**

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **«يَعْنِي فِتْنَتَهُ: أَنْ يَرْتَدَّ عَنْ دِينِهِ إِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ»**(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت:١٠])، قال الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡ ﴾ [العنكبوت:١٠]، هذه حالة المنافقين؛ أنهم كانوا يظهرون أنهم مع المؤمنين، فإذا صار على المؤمنين شيء من الابتلاء والامتحان، انحازوا عنهم إلى أعدائهم، فالله جَلَّ وَعَلَا فضحهم في هذه الآية، بل في هذه السورة وبين مخازيهم، وأنهم يتظاهرون بما ليس في قلوبهم، فالمؤمن مع المؤمنين سواء انتصروا أو امتحنوا، فهو مع المؤمنين؛ يصبر على ما أصابه وأصاب المؤمنين، ولا ييأس من رحمة الله ومن نصر الله. فهذا شأن المنافق، وهذا شأن المؤمن الصادق.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٦٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا**: يَعْنِي فِتْنَتَهُ: أَنْ يَرْتَدَّ عَنْ دِينِهِ إِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ)**، ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت:١٠]، فارتد عن دينه، وصار كالمستجير من الرمضاء بالنار.

ولو أنه ثبت على دينه، ولم ييأس من رحمة الله، لعاد إليه إيمانه، وعاد إليه يقينه، وعلم أن الفتن لا تدوم، وأن البلوى لا تستمر، فهذا شأن المؤمن.

....

ش: وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النَّاسُ إِذَا أُرْسِلَ إِلَيْهِم الرُّسُلُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: آمَنَّا، وَإِمَّا أَلَّا يَقُولَ ذَلِكَ، بَلْ يَسْتَمِرُّ عَلَى السَّيِّئَاتِ وَالْكُفْرِ، فَمَنْ قَالَ: آمَنَّا، امْتَحَنَهُ رَبُّهُ وَابْتَلَاهُ وَفَتَنَهُ، وَالْفِتْنَةُ: الِابْتِلَاءُ وَالِاخْتِبَارُ لِيَتَبَيَّنَ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، وَمَنْ لَمْ يَقُلْ: آمَنَّا، فَلَا يَحْسِبْ أَنَّهُ يُعْجِزُ اللهَ وَيَفُوتُهُ وَيَسْبِقُهُ.

فَمَنْ آمَنَ بِالرُّسُلِ وَأَطَاعَهُمْ، عَادَاهُ أَعْدَاؤُهُمْ وَآذَوْهُ، فَابْتُلِيَ بِمَا يُؤْلِمُهُ، وَإِنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِمْ، وَلَمْ يُطِعْهُمْ، عُوقِبَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَحَصَلَ لَهُ مَا يُؤْلِمُهُ، وَكَانَ هَذَا الْأَلَمُ أَعْظَمَ وَأَدْوَمَ مِنْ أَلَمِ اتِّبَاعِهِمْ. فَلَا بُدَّ مِنْ حُصُولِ الْأَلَمِ لِكُلِّ نَفْسٍ، آمَنَتْ أَوْ رَغِبَتْ عَنِ الْإِيمَانِ، لَكِنَّ الْمُؤْمِنَ يَحْصُلُ لَهُ الْأَلَمُ فِي الدُّنْيَا ابْتِدَاءً، ثُمَّ تَكُونُ لَهُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَالْمُعْرِضُ عَنِ الْإِيمَانِ تَحْصُلُ لَهُ اللَّذَّةُ ابْتِدَاءً، ثُمَّ يَصِيرُ فِي الْأَلَمِ الدَّائِمِ.

وَالْإِنْسَانُ لَا بُدَّ أَنْ يَعِيشَ مَعَ النَّاسِ، وَالنَّاسُ لَهُمْ إِرَادَاتٌ وَتَصَوُّرَاتٌ، فَيَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يُوَافِقَهُمْ عَلَيْهَا، وَإِنْ لَمْ يُوَافِقْهُمْ آذَوْهُ وَعَذَّبُوهُ، وَإِنْ وَافَقَهُمْ، حَصَلَ لَهُ الْعَذَابُ، تَارَةً مِنْهُمْ وَتَارَةً مِنْ غَيْرِهِمْ، كَمَنْ عِنْدَهُ دِينٌ وَتُقًى حَلَّ بَيْنَ قَوْمٍ فُجَّارٍ ظَلَمَةٍ، وَلَا يَتَمَكَّنُونَ مِنْ فُجُورِهِمْ وَظُلْمِهِمْ إِلَّا بِمُوَافَقَتِهِ لَهُمْ، أَوْ سُكُوتِهِ عَنْهُمْ، فَإِنْ وَافَقَهُمْ أَوْ سَكَتَ عَنْهُمْ، سَلِمَ مِنْ شَرِّهِمْ فِي الِابْتِدَاءِ، ثُمَّ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِ بِالْإِهَانَةِ وَالْأَذَى أَضْعَافَ مَا كَانَ يَخَافُهُ ابْتِدَاءً لَوْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ وَخَالَفَهُمْ، وَإِنْ سَلِمَ مِنْهُمْ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُهَانَ وَيُعَاقَبَ عَلَى يَدِ غَيْرِهِمْ.

فَالحَزْمُ كُلُّ الحَزْمِ فِي الْأَخْذِ بِمَا قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا»(١).

فَمَنْ هَدَاهُ اللهُ، وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ، وَوَقَاهُ شَرَّ نَفْسِهِ، امْتَنَعَ مِنَ الْمُوَافَقَةِ عَلَى فِعْلِ الْمُحَرَّمِ، وَصَبَرَ عَلَى عُدْوَاتِهِمْ، ثُمَّ تَكُونُ لَهُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا كَانَتْ لِلرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ. ثُمَّ أَخْبَرَ -تَعَالَى- عَنْ حَالِ الدَّاخِلِ فِي الْإِيمَانِ بِلَا بَصِيرَةٍ، وَأَنَّهُ إِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ لَهُ، وَهِيَ أَذَاهُمْ، وَنَيْلُهُمْ إِيَّاهُ بِالْمَكْرُوهِ وَهُوَ الْأَلَمُ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ يَنَالَ الرُّسُلُ وَأَتْبَاعُهُمْ مِمَّنْ خَالَفَهُمْ، جَعَلَ ذَلِكَ فِي فِرَارِهِ مِنْهُمْ وَتَرْكِهِ السَّبَبَ الَّذِي يَنَالُهُ بِهِ كَعَذَابِ اللهِ الَّذِي فَرَّ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْإِيمَانِ.

فَالْمُؤْمِنُونَ لِكَمَالِ بَصِيرَتِهِمْ فَرُّوا مِنْ أَلَمِ عَذَابِ اللهِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَتَحَمَّلُوا مَا فِيهِ مِنَ الْأَلَمِ الزَّائِلِ الْمُفَارِقِ عَنْ قَرِبٍ. وَهَذَا لِضَعْفِ بَصِيرَتِهِ فَرَّ مِنْ أَلَمِ عَذَابِ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ إِلَى مُوَافَقَتِهِمْ وَمُتَابَعَتِهِمْ، فَفَرَّ مِنْ أَلَمِ عَذَابِهِمْ إِلَى أَلَمِ عَذَابِ اللهِ، فَجَعَلَ أَلَمَ فِتْنَةِ النَّاسِ فِي الْفِرَارِ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ عَذَابِ اللهِ، وَغُبِنَ كُلَّ الْغَبْنِ إِذِ اسْتَجَارَ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ، وَفَرَّ مِنْ أَلَمِ سَاعَةٍ إِلَى أَلَمِ الْأَبَدِ، وَإِذَا نَصَرَ اللهُ جُنْدَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ قَالَ: إِنِّي كُنْتُ مَعَكُمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا انْطَوَى عَلَيْهِ صَدْرُهُ مِنَ النِّفَاقِ. انتهى(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٤)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٨/ ١٤٤٦) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مرفوعًا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) انظر: زاد المعاد (٣/ ١٣- ١٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَمَنْ آمَنَ بِالرُّسُلِ وَأَطَاعَهُمْ عَادَاهُ أَعْدَاؤُهُمْ وَآذَوْهُ، فَابْتُلِيَ بِمَا يُؤْلِمُهُ، وَإِنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِمْ، وَلَمْ يُطِعْهُمْ عُوقِبَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَحَصَلَ لَهُ مَا يُؤْلِمُهُ، وَكَانَ هَذَا الْأَلَمُ أَعْظَمَ وَأَدْوَمَ مِنْ أَلَمِ اتِّبَاعِهِمْ)، المؤمن يبتلى في الدنيا، ولكنه في الآخرة يفوز فوزًا لا ينقطع؛ لأن الآخرة دار الجزاء، والدنيا دار عمل وابتلاء. فالمؤمن يصبر على ما أصابه؛ كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧]، فالمؤمن يبتلى؛ فإن كان صادقًا في إيمانه، ثبت على دينه، وصبر على الابتلاء، والشدائد لا تدوم. أما إن كان إيمانه مهزوزًا، فإنه يرتد عند أول محنة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾: يعني على طرف من الدين، ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج:١١].

فالمؤمن لابد أن يبتلى في هذه الدنيا على حسب إيمانه، فيصبر ولا ييأس من رحمة الله، وينتظر الفرج. أما المنافق، فإنه أول ما يصيبه، يتزعزع إيمانه، ويظن أن هذا بسبب الدين، فيترك دينه؛ طلبًا للسلامة -بزعمه-، وما ذهب إليه هو الهلاك، وليس هو السلامة.

الله جَلَّوَعَلَا يبتلي المؤمنين، ولو كان المؤمنون لا يأتيهم شيء في هذه الدنيا، ولا يبتلون، لأمن الناس كلهم، ولكن الفتن والابتلاء هو الذي يميز الصادق من الكاذب، والله حكيم عليم فيما يجريه على خلقه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

الله جَلَّوَعَلَا قال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ

بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٧٣، ١٧٤]، فالمؤمن يحسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، ويصبر على ما أصابه، فتكون العاقبة له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْمُعرِضُ عَنِ الْإِيمَانِ تَحْصُلُ لَهُ اللَّذَّةُ ابْتِدَاءً، ثُمَّ يَصِيرُ فِي الْأَلَمِ الدَّائِمِ)**، ولو أنه ترك دينه، وحصل على شيء من ملذات الدنيا، فإن هذه الملذة لا تدوم، ويعقبها حسرة دائمة في الدار الآخرة، ففرق بين هذا وهذا.

ماذا جرى على الصحابة من الابتلاء والامتحان، ولم يزحزحهم عن دينهم ولم يضعف إيمانهم، بل زادهم إيمانًا، زادهم ذلك إيمانًا وثقة بربهم.

فالمؤمن لابد أن يبتلى؛ ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٢، ٣]؛ حكمة من الله جَلَّوَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كَمَنْ عِنْدَهُ دِينٌ وَتُقًى حَلَّ بَيْنَ قَوْمٍ فُجَّارٍ ظَلَمَةٍ وَلَا يَتَمَكَّنُونَ مِنْ فُجُورِهِمْ وَظُلْمِهِمْ إِلَّا بِمُوَافَقَتِهِ لَهُمْ، أَوْ سُكُوتِهِ عَنْهُمْ، فَإِنْ وَافَقَهُمْ أَوْ سَكَتَ عَنْهُمْ سَلِمَ مِنْ شَرِّهِمْ فِي الِابْتِدَاءِ، ثُمَّ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِ بِالْإِهَانَةِ وَالْأَذَى أَضْعَافَ مَا كَانَ يَخَافُهُ)**، وهكذا الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لابد أن يناله من العصاة وأصحاب الشهوات، لابد أن يناله ما يناله من الأذى؛ إما بالقول، وإما بالعمل. كونه يصبر على الابتلاء في الدنيا أهون عليه من أن يعذب في الآخرة، فهو يصبر على ألم قليل يزول؛ ليتقي بذلك الألم الذي لا يزول، وهو النار يوم القيامة.

والمؤمن يبتلى على حسب إيمانه؛ «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**»(١).

ولو كان الإيمان روضة مزهرة دائمة، لما كفر أحد، ولكن الله يبتلي العباد، ويديل الأيام بينهم؛ لأجل أن يتميز الصادق في إيمانه من المنافق أو من ضعيف الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **لِمُعَاوِيَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**مَنْ أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»)، لما استولى معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على الخلافة، كتب إلى أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا يطلب منها الوصية، فكتبت إليه حديث الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ**»، هذا الذي كتبته عائشة أم المؤمنين لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهو منهج يسير عليه المؤمنون في كل زمان ومكان، والله يداول الأيام بين الناس؛ ﴿**وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ**﴾ [آل عمران:١٤٠]؛ تارة ينتصر المؤمنون، وتارة ينتصر الكفار. فالمنافق إذا انتصر الكفار، انحاز إليهم، والمؤمن يثبت على دينه مهما أصابه، حتى يأتي الله بالفرج وحسن العاقبة. وإلا ليس هناك أحد يسلم في الدنيا من المؤذيات، يسلم من الآلام، يسلم من المضايقات، فالمؤمن

---

(١) أخرجه الترمذي (٩٨٨، ٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأصله في البخاري (١٢٥٢، ١٢٨٣، ١٣٠٢، ٧١٥٤)، ومسلم (٩٢٦) بلفظ: «**الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى**».

يصبر على ذلك، ويعلم أن الإيمان لابد أن يحصل معه ما يحصل؛ ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧]، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر:٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثُمَّ تَكُونُ لَهُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا كَانَتْ لِلرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ)**، الرسل -وهم أفضل الخلق- جرى عليهم ما جرى من المحن والشدائد وأذى الكفار والمنافقين، لكنهم عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ صبروا وواصلوا دعوتهم، فكانت لهم العاقبة، ولكم قدوة في الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(جَعَلَ ذَلِكَ فِي فِرَارِهِ مِنْهُمْ وَتَرْكِهِ السَّبَبَ الَّذِي يَنَالُهُ بِهِ كَعَذَابِ اللهِ الَّذِي فَرَّ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْإِيمَانِ)**، ماذا لقي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من أذى قريش، من أذى قومه في مكة؛ ضايقوه وحاربوه، وحتى ألقوا سَلَى الجَزُورِ على ظهره وهو ساجد عند الكعبة(١)، فعلوا هذا، لكنه صبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وواصل الدعوة ونصره الله وأظهر دينه، وخذل الكفار.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٤٠، ٥٢٠، ٢٩٣٤، ٣١٨٥، ٣٨٥٤)، ومسلم (١٧٩٤): عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِذْ جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ، فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ عَلَيۡهَا ٱلسَّلَامُ، فَأَخَذَتْ مِنْ ظَهْرِهِ، وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، أَوْ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ**»، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ، فَأُلْقُوا فِي بِئْرٍ غَيْرَ أُمَيَّةَ، أَوْ أُبَيٍّ، فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا ضَخْمًا، فَلَمَّا جَرُّوهُ، تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ قَبْلَ أَنْ يُلْقَى فِي الْبِئْرِ.

هذه سنة الله في خلقه؛ أن المؤمن يبتلى على حسب إيمانه؛ فإن صبر صارت العاقبة له، وإن لم يصبر خسر الدنيا والآخرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَالْمُؤْمِنُونَ لِكَمَالِ بَصِيرَتِهِمْ فَرُّوا مِنْ أَلَمِ عَذَابِ اللهِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَتَحَمَّلُوا مَا فِيهِ مِنَ الْأَلَمِ الزَّائِلِ الْمُفَارِقِ عَنْ قَرِبٍ)**، الألم ألمان: ألم من عذاب الله، وألم من عذاب الناس وأذى الناس. فأنت تصبر على الألم الزائل من الناس؛ تفاديًا لألم الآخرة، تصبر على ألم الدنيا؛ تفاديًا لأذى الآخرة وألم الآخرة، إذا أصابك ألم أو أذى، تصبر على دينك، تمسك به.

بلال بن رباح رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما أسلم، صاروا يجرونه على الرمضاء -تعلمون رمضاء مكة ملتهبة-، يجرونه على الرمضاء؛ ليرتد عن دينه، وهو لا يزيد على قوله: «أَحَدٌ، أَحَدٌ»(١). صبر على ذلك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حتى فرج الله عنه، وأهلك عدوه، وصار من سادات المسلمين، وغيره، وغيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَهَذَا لِضَعْفِ بَصِيرَتِهِ فَرَّ مِنْ أَلَمِ عَذَابِ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ إِلَى مُوَافَقَتِهِمْ وَمُتَابَعَتِهِمْ، فَفَرَّ مِنْ أَلَمِ عَذَابِهِمْ إِلَى أَلَمِ عَذَابِ اللهِ)**، إذا لم يصبر على

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٨٢)، وابن ماجه (١٥٠)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالًا، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ».

أذى الناس ووافقهم على ما يريدون منه، فإن أمامه عذاب الله، وهو أشد، فهو كالمستجير من الرمضاء بالنار؛ كما قال الشاعر[1]:

المُسْتَجِيرُ بعَمْرٍو عند كُرْبَتِهِ كالمُسْتَجِيرِ من الرَّمْضاءِ بالنَّارِ

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَإِذَا نَصَرَ اللهُ جُنْدَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ قَالَ: إِنِّي كُنْتُ مَعَكُمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا انْطَوَى عَلَيْهِ صَدْرُهُ مِنَ النِّفَاقِ)**، فإذا حصل للمؤمنين نصرٌ وتأييد من الله ونعمة من الله، قال: أنا معكم، وإن حصل على المؤمنين كربة ومضايقة، انحاز إلى الكفار؛ طلبًا للسلامة والنجاة من الهلاك، والذي ذهب إليه هو الهلاك. فالمسلم يتمسك بدينه مهما كلفه ذلك، مهما كلفه ذلك يصبر على دينه.

ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من صحابة رسول الله، وهو من الموالي والمماليك، فصاروا يعذبونه، يعذبه الكفار لما أسلم؛ ليرتد عن دينه، حتى إنهم نزعوا ثيابه، وألقوه على الجمر، سال الماء من ظهره أو الدهن من ظهره على النار، ولم يصرفه ذلك عن دينه، بل ثبت على دينه.

---

(١) هذا البيت لم يسم قائله، وهو جار مجرى المثل لمن استجار بما يزيده ضررًا. انظر: مجمع الأمثال (١/ ٣٧٤، ٢/ ١٤٩)، والمستقصى في أمثال العرب (٢/ ١٩)، والمدخل إلى تقويم اللسان (ص ٥١٥)، والدر الفريد وبيت القصيد (٤/ ١٧٥).

....

ش: وفي الآية رد على المرجئة[١] والكرامية[٢].

ووجهه: أنه لم ينفع هؤلاء قولهم: آمنا بالله، مع عدم صبرهم على أذى من عاداهم في الله، فلا ينفع القول والتصديق بدون العمل.

فلا يصدق الإيمان الشرعي على الإنسان إلا باجتماع الثلاثة: التصديق بالقلب وعمله، والقول باللسان، والعمل بالأركان، وهذا قول أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا، والله سبحانه أعلم.

وفيه الخوف من مداهنة الخلق في الحق. والمعصوم من عصمه الله تعالى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الآية رد على المرجئة)**، المرجئة: هم الذين لا يدخلون العمل في مسمى الإيمان، سُمِوا المرجئة: من الإرجاء، وهو التأخير؛ لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان.

---

(١) **المرجئة**: قيل من الإرجاء أي: من التأخير لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، وقيل من الرجاء لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فرق شتى. انظر: (مقالات الإسلاميين) (ص١٣٢)، و(الفرق بين الفِرق) (ص١٩٠).

(٢) هم أتباع محمد بن كَرَّام بفتح الكاف وتشديد الراء، وهو الذي تنسب إليه الفرقة الكرامية، وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وكان يقول: الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد مجرد عن عقد قلب وعمل جوارح، توفي سنة ٢٥٥هـ. انظر: تاريخ دمشق (٥٥/ ١٢٧)، والمنتظم (١٢/ ٩٧)، والسير للذهبي (١١/ ٥٢٣)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٥)، والأنس الجليل (١/ ٢٩٦)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٤٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والكرامية)**، والكرامية: أتباع محمد بن كرام، وهم قريب مذهبهم من مذهب المرجئة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ووجهه: أنه لم ينفع هؤلاء قولهم: آمنا بالله)**، لا ينفع قول اللسان مع مخالفة القلب؛ فالذي يقول: آمنا بالله بلسانه، وقلبه ليس كذلك، لا ينفعه النطق، حتى ولو شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله بلسانه، لا تنفعه إذا لم يعتقدها بقلبه، إذا لم يعتقد بقلبه ما يقول لسانه، لا ينفعه النطق باللسان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ووجهه: أنه لم ينفع هؤلاء قولهم: آمنا بالله، مع عدم صبرهم على أذى من عاداهم في الله)**، المؤمن لابد أن يعادى، ولابد أن يؤذى، فيصبر على دينه، ويتمسك بدينه، ويصبر على ألم الدنيا؛ خشية من ألم الآخرة.

أما المنافق، فيفر من عذاب الدنيا إلى عذاب الآخرة؛ كالمستجير بالرمضاء بالنار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا ينفع القول والتصديق بدون العمل)**، لا ينفع أن تقول: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب، ولا تذكر العمل. هذا مذهب المرجئة، يقولون: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب، ولا يدخل فيه العمل. وهذا باطل؛ لابد من العمل.

الإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا يصدق الإيمان الشرعي على الإنسان إلا باجتماع الثلاثة)**، الإيمان الشرعي؛ لأن الحقائق ثلاث: حقيقة لغوية، وحقيقة عرفية، وحقيقة شرعية[٢]، فلابد أن تجتمع هذه الحقائق في المؤمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا يصدق الإيمان الشرعي على الإنسان إلا باجتماع الثلاثة)**، الإيمان الشرعي بخلاف الإيمان اللغوي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التصديق بالقلب وعمله، والقول باللسان، والعمل بالأركان)**، والعمل عملان: عملٌ بالقلب، وعمل بالجوارح، لابد أن يجتمعا -أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا قول أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا)**، هذا قولهم في تعريفهم للإيمان؛ أنه قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه الخوف من مداهنة الخلق في الحق. والمعصوم من عصمه الله تعالى)**، المداهنة معناها: أن تترك طاعة الله خوفًا من أذى الناس، هذه المداهنة؛ ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:٩]، يعني: ود الكفار أن

---

(١) سبق عزوه (ص٤٣٧).

(٢) انظر: ميزان الأصول في نتائج العقول (١/ ٣٧٧)، وروضة الناظر (١/ ٤٩٢، وما بعدها).

محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يداهنهم فيداهنونه، والله عصم نبيه من ذلك، فلم يداهن الكفار على دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

فهناك فرق بين المداهنة والمدارة، أما المدارة، فتجوز عند الضرورة؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران:٢٨].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَأَنْ تَذِمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»(١).

ش: هذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي، وأعله بمحمد بن مروان السدي، وقال: ضعيف.

وفي إسناده أيضًا عطية العوفي: ذكره الذهبي في الضعفاء، وموسى بن بلال، قال الأزدي: ساقط(٢).

وتمام الحديث: «وَإِنَّ اللهَ بِحِكْمَتِهِ جَعَلَ الرَّوحَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَى وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ». والحديث وإن كان في إسناده من ذُكِرَ، فمعناه صحيح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللهِ»)، هذا من ضعف اليقين أن ترضي الناس بما يسخط الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن تحمدهم على رزق الله، ليس رزقهم هم، على رزق الله، فجميع الأمور بيد الله عَزَّ وَجَلَّ، ليس بأيدي الناس شيء.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٦)، (١٠/ ٤١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٨٢).

(٢) انظر: ديوان الضعفاء (ص٢٧٦)، وطبقات المدلسين (ص٥٠- ٥١)، والجامع في الجرح والتعديل (٢/ ٢٠٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَأَنْ تَذِمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ)**، «وَأَنْ تَذِمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ»: إذا فاتتك شيء، تذم الناس، ولا تقول: هذا بقضاء الله وقدره، فلو قدر الله ليِّ ذلك لحصل، وإذا لم يقدره لم يحصل مهما عملت، وتعلق الأمل بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيْصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ)**، الحرص لا يفيد شيئًا، اعمل الأسباب ولا تحرص؛ لأنك لا تدري ماذا يكون النفع والخير، ماذا يكون فيه من الأمور، الله هو الذي يعلم ذلك. أنت اعمل السبب؛ فإن حصل شيء، تحمد الله، وإن لم يحصل فلا تجزع، وربما يكون منعه عنك خيرًا لك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية)**، حلية الأولياء، كتاب اسمه: «حلية الأولياء» لأبي نعيم، وهو مطبوع وموجود.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والبيهقي، وأعله بمحمد بن مروان السدي، وقال: ضعيف)**، أعله البيهقي.

السدي: الصغير، السدي رجلان: رجل ثقة، ورجل ضعيف.

وفي إسناده -أيضًا- عطية العوفي، وهذا -أيضًا- ضعيف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وموسى بن بلال، قال الأزدي: ساقط)**، هؤلاء رواته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتمام الحديث: «وَإِنَّ اللهَ بِحِكْمَتِهِ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَى وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الهَمَّ وَالحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ»)**، فالمؤمن مرتاح، سواء حصل له ما يطلب أو لم يحصل؛ لأنه يثق بقضاء الله وقدره، فيؤمن بذلك ويطمئن، حصل له مطلوبه أو لم يحصل.

....

ش: قوله: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ»، الضعف يضم ويحرك، ضد القوة، ضَعف ككرم ونصر، ضعفًا، وضعفة، وضعافية، فهو ضعيف وضعوف وضعفان، والجمع: ضعاف وضعفاء وضعفة وضعفى. أو الضعف -بالفتح- في الرأي وبالضم في البدن، فهي ضعيفة وضعوف(١).

واليقين: المراد به الإيمان كله؛ كما قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «اليَقِينُ: الإِيمَانُ كُلُّهُ، وَالصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ». رواه الطبراني بسند صحيح، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد من حديثه مرفوعًا(٢).

قال: ويدخل في ذلك تحقيق الإيمان بالقدر السابق؛ كما في حديث ابن عباس مرفوعًا: «فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ بِالرِّضَى فِي الْيَقِينِ فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا»(٣)، وفي رواية: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ،

---

(١) انظر مادة (ضعف) في: العين (١/ ٢٨١)، وتهذيب اللغة (١/ ٣٠٤- ٣٠٦)، والصحاح (٤/ ١٣٩٠- ١٣٩١)، ومقاييس اللغة (٣/ ٣٦٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٠٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٤)، وصححه، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٥٠، ١٢/ ١٩٣، ١٩٤)، وأخرجه البخاري معلقًا مقتصرًا على شطره الأول، في أول كتاب الإيمان (١/ ١٠). قال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٤٠): (رواه الطبراني في الكبير، ورواته رواة الصحيح، وهو موقوف، وقد رفعه بعضهم).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٤)، وهناد في الزهد (١/ ٣٠٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٣٥٣)، والقدر للفريابي (ص١١٨- ١١٩).

كَيْفَ أَصْنَعُ بِالْيَقِينِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ». الضعف يضم ويحرك)، ضُعْف، أو ضَعْف لغتان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واليقين: المراد به الإيمان كله؛ كما قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «اليَقِينُ: الإِيمَانُ كُلُّهُ، وَالصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ»)، من رُزِق اليقين، فقد استكمل الإيمان عنده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي رواية: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ أَصْنَعُ بِالْيَقِينِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»)، هذا هو اليقين: «أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ»؛ لأن الله قدره عليك، فلابد أن يصيبك؛ «أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»، والله هو الذي قدر أنه يخطئك، ولو طلبته وبذلت وبذلت، لن تحصل عليه إذا لم يقدره الله لك.

---

(١) أخرجه: الفريابي في القدر (١/ ١٣٢)، والآجري في الشريعة (٢/ ٨٢٩).

....

ش: قوله: «أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ»، أي: تؤثر رضاهم على رضا الله؛ بأن توافقهم على ترك ما أمر الله به، وفعل ما نهى عنه؛ استجلابًا لرضاهم، وهذا ينافي قوة اليقين وكمال الإيمان في إيثار ما يرضي الله على ما ترضاه النفوس، والصبر على مخالفة هواها؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب:٣٩]، وذلك إذا لم يقم بقلبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته ما يمنعه من استجلاب رضا المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه، الذي يتصرف في القلوب، ويفرج الكروب، ويغفر الذنوب.

وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك؛ لأنه آثر رضا المخلوق على رضا الله، وتقرب إليه بما يسخط الله، ولا يسلم من هذا إلا من سلمه الله، ووفقه لمعرفته ومعرفة ما يجوز على الله من إثبات صفاته على ما يليق بجلاله وتنزيهه -تعالى عن كل ما ينافي كماله-، ومعرفة توحيده في ربوبيته وإلهيته، وبالله التوفيق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ»، أي: تؤثر رضاهم على رضا الله؛ بأن توافقهم على ترك ما أمر الله به، وفعل ما نهى عنه؛ استجلابًا لرضاهم)، هذه هي المداهنة؛ أن تطيع الناس في معصية الله؛ طلبًا لرضاهم عنك، وأن تنال منهم مطلوبك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما قال تعالى:** ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب:٣٩])، ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ ﴾: يبلغونها للناس، يبلغون الحق، يبينون الدين، يبينون العقيدة الصحيحة، ولا يخشون الناس في ذلك، بل يخشون الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، لا تأخذهم في الله لومة لائم.

أنت حينما تبين العقيدة الصحيحة، يقولون لك: أنت تكفر الناس، أنت متشدد، أنت، أنت، هذا مذهب الخوارج.

لا يهمك هذا، ما دام أنك على حق، فلا يهمك كلام الناس والمخذلين، أما إذا كنت على خطأ فتراجع ولو مدحوك، لا تصبر على الخطأ، ولو مدحوك وشجعوك، لا يضرك هذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك)**، إذا آثرت رضا الناس على سخط الله، هذا يدخل في الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولا يسلم من هذا إلا من سلمه الله، ووفقه لمعرفته ومعرفة ما يجوز على الله من إثبات صفاته على ما يليق بجلاله وتنزيهه -تعالى عن كل ما ينافي كماله-، ومعرفة توحيده في ربوبيته وإلهيته)**، العقيدة الصحيحة تعصمك من هذه الأخطار، هذا يستدعي منك أن تتعلم العقيدة الصحيحة؛ لتتمسك بها، وتسير عليها، عقيدة أهل السنة والجماعة تدرسها وتعرفها.

....

ش: قوله: «وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللهِ»، أي: على ما وصل إليك على أيديهم، بأن تضيفه إليهم، وتحمدهم عليه، فإن المتفضل في الحقيقة هو الله وحده الذي قدره لك، وأوصله إليك، وإذا أراد أمرًا، قيض له أسبابًا.

ولا ينافي هذا حديث: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ»(١)؛ لأن شكرهم إنما هو في الدعاء لهم؛ لكون الله ساقه على أيديهم. فتدعو لهم، أو تكافئهم، لحديث: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»(٢).

فإضافة الصنيعة إليهم؛ لكونهم صاروا سببًا في إيصال المعروف إليك، والذي قدره وساقه هو الله وحده.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن المتفضل في الحقيقة هو الله وحده الذي قدره لك،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٢/ ٤٧٢، ١٣/ ٣٢٢، ٣٩٢، ١٥/ ١٣، ١٦/ ٣٢، ٢٤٤)، وأبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤) وقال: (حسن صحيح)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٨٥)، وابن حبان في صحيحه (٨/ ١٩٨)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٣٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي الباب من حديث أبي سعيد الخدري، والأشعث بن قيس، والنعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٩/ ٢٦٦، ٥١٦، ١٠/ ٣٣، ٢٦٧)، وأبو داود (١٦٧٢، ٥١٠٩)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٦٥)، وفي المجتبى (٢٥٦٧)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٨٥)، وابن حبان في صحيحه (٨/ ١٩٩)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٩٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٧٣)، وصححه، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٣٤)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأوصله إليك)، والناس إنما هم سبب، الناس الذين جاءوا لك بالرزق إنما هم سبب، وأما الذي قدره وساقاه لك، فهو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فتحمد الله عَزَّوَجَلَّ، وتشكره على ذلك، وتحسن -أيضًا- إلى من أحسن إليك؛ «**مَنْ صَنَعَ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ، فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَرَوْا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا ينافي هذا حديث: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ»؛ لأن شكرهم إنما هو في الدعاء لهم؛ لكون الله ساقه على أيديهم)**، «**مَنْ صَنَعَ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ، فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَرَوْا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**». «**حَتَّى تُرَوْا**» يعني: تظنوا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإضافة الصنيعة إليهم؛ لكونهم صاروا سببًا في إيصال المعروف إليك، والذي قدره وساقه هو الله وحده)**، فتشكرهم على قدر ما أسدوا إليك من المعروف، وأما الشكر المطلق فهو لله عَزَّوَجَلَّ.

....

ش: قوله: «وَأَنْ تَذِمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ»؛ لأنه لم يقدر لك ما طلبته على أيديهم، فلو قُدر، لساقته المقادير إليك. فمن علم أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده، وأنه هو الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب، ومن حيث لا يحتسب، لم يمدح مخلوقًا على رزق، ولم يذمه على منع، ويفوض أمره إلى الله، ويعتمد عليه في أمر دينه ودنياه. وقد قرر هذا المعنى بقوله في الحديث: «إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»؛ كما قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر:٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويفوض أمره إلى الله، ويعتمد عليه في أمر دينه ودنياه)، الإيمان بالقضاء والقدر يريح الإنسان كثيرًا، وإن جاءه شيء مما يحب، قال: هذا بقضاء الله وقدره، فيحمده ويشكره، وإن فاته فإنه لا يسخط ولا يغضب، وإنما يقول: لو قدره الله لحصل، ولكن الله لم يقدره، وعسى أن يكون في ذلك الخير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر:٢])، ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ ﴾: من رزق، ﴿ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ ﴾، هو الذي يعطي ويمنع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما في الحديث: «**لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٤، ٦٣٣٠، ٦٦١٥، ٧٢٩٢)، ومسلم (٥٩٣)، من حديث المغيرة ابن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: الْيَقِينَ يَتَضَمَّنُ الْيَقِينَ فِي الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللهِ وَمَا وَعَدَ اللهُ أَهْلَ طَاعَتِهِ، وَيَتَضَمَّنُ الْيَقِينَ بِقَدَرِ اللهِ وَخَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

فَإِذَا أَرْضَيْتَهُمْ بِسَخَطِ اللهِ، لَمْ تَكُنْ مُوقِنًا لَا بِوَعْدِهِ وَلَا بِرِزْقِهِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى ذَلِكَ؛ إِمَّا مَيْلٌ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَيَتْرُكُ الْقِيَامَ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللهِ؛ لِمَا يَرْجُوهُ مِنْهُمْ. وَإِمَّا ضَعْفُ تَصْدِيقِه بِمَا وَعَدَ اللهُ أَهْلَ طَاعَتِهِ مِنَ النَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالثَّوَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَإِنَّك إِذَا أَرْضَيْتَ اللهَ، نَصَرَكَ، وَرَزَقَكَ، وَكَفَاكَ مُؤْنَتَهُمْ. وَإِرْضَاؤُهُمْ بِما يسَخَطِهِ إِنَّمَا يَكُونُ خَوْفًا مِنْهُمْ وَرَجَاءً لَهُمْ؛ وَذَلِكَ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ.

وَإِذَا لَمْ يُقَدَّرْ لَك مَا تَظُنُّ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَهُ مَعَك، فَالْأَمْرُ فِي ذَلِكَ إِلَى اللهِ لَا لَهُمْ، فَإِنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

فَإِذَا ذَمَمْتَهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُقَدَّرْ، كَانَ ذَلِكَ مِنْ ضَعْفِ يَقِينِكِ، فَلَا تَخَفْهُمْ، وَلَا تَرْجُهُمْ وَلَا تَذُمَّهُمْ مِنْ جِهَةِ نَفْسِكَ وَهَوَاكَ؛ وَلَكِنْ مَنْ حَمِدَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُمْ، فَهُوَ الْمَحْمُودُ، وَمَنْ ذَمَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُمْ، فَهُوَ الْمَذْمُومُ.

وَلَمَّا قَالَ بَعْضُ وَفْدِ بَنِي تَمِيمٍ: أَيْ مُحَمَّدُ، أَعْطِنِي، فَإِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ وَذَمِّي شَيْنٌ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَاكَ اللهُ»[1][2]. ودل الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال من مسمى الإيمان.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥/ ٣٦٩، ٤٥/ ١٨٢)، من حديث الأقرع بن حابس. وأخرجه الترمذي (٣٢٦٧)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢٦٧)، من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٥١، ٥٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَمَّا قَالَ بَعْضُ وَفْدِ بَنِي تَمِيمٍ: أَيْ مُحَمَّدُ، أَعْطِنِي، فَإِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ وَذَمِّي شَيْنٌ. قَالَ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ذَاكَ اللهُ»)**، قال له رجلٌ من بني تميم: يا محمد، أعطني، فإن مدحي زين، وذمي شين. قال: «ذلك هو الله»، الله هو الذي مدحه زين وذمه شين، أما المخلوق، فلا يملك هذا الشيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ودل الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال من مسمى الإيمان)**، الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

يزيد بالطاعة، بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال:٢]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ﴾؛ يقول المنافقون بعضهم لبعض: ﴿ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾، يعني: نفاق، ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٤، ١٢٥]، فدل على أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية؛ ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريم:٧٦]، السبب أنهم اهتدوا، فزادهم الله هدى، ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ [مريم:٧٦]، فالله جَلَّ وَعَلَا أخبر أن الإيمان يزيد بالطاعة، والتصديق بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزيد الإيمان بذلك وينقص، ما الدليل على أن الإيمان ينقص؟ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(١).

وفي رواية: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ»(٢)، دل على أن الإيمان يضعف حتى يكون كحبة الخردل.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٣٧).

(٢) سبق تخريجه (ص٤٣٨).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ». رَوَاهُ ابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ[1].

ش: هذا الحديث رواه ابن حبان بهذا اللفظ، ورواه الترمذي عن رجل من أهل المدينة قال: «**كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنِ اكْتُبِي لِي كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ، وَلَا تُكْثِرِي عَلَيَّ. فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سَلَامٌ عَلَيْكَ. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مؤُونَةَ النَّاسَ. وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهَ، وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ**». رواه أبو نعيم[2].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، رَضِيَ الله عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»**)، فالله جازاه عل عكس ما يريد، «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ**»؛ لأن القلوب بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو مقلب القلوب.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١/ ٥١٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٠٠).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٤)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٨٨).

«مَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، رَضِيَ الله عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ»؛ لأن قلوب الناس بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فعلق قلبك بالله عَزَّوَجَلَّ.

....

ش: قوله: «مَنِ الْتَمَسَ»، أي: طلب.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَكَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ، وَرُوِيَ أَنَّهَا رَفَعَتْهُ: «مَنْ أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ، لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا». هَذَا لَفْظُ الْمَرْفُوعِ.

وَلَفْظُ الْمَوْقُوفِ: «مَنْ أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ عَادَ حَامِدُهُ مِنَ النَّاسِ لَهُ ذَامًّا»[1].

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّ مَنْ أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِهِمْ، كَانَ قَدْ اتَّقَاهُ، وَكَانَ عَبْدَهُ الصَّالِحَ، وَاللهُ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ، وَاللهُ كَافٍ عَبْدَهُ؛ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢، ٣]. وَاللهُ يَكْفِيهِ مُؤْنَةَ النَّاسِ بِلَا رَيْبٍ. وَأَمَّا كَوْنُ النَّاسِ كُلِّهِمْ يَرْضَوْنَ عَنْهُ، فَقَدْ لَا يَحْصُلُ ذَلِكَ؛ لَكِنْ يَرْضَوْنَ عَنْهُ إِذَا سَلِمُوا مِنَ الْأَغْرَاضِ، وَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ، لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا؛ كَالظَّالِمِ الَّذِي يَعَضُّ عَلَى يَدِهِ، وَأَمَّا كَوْنُ حَامِدِهِ يَنْقَلِبُ ذَامًّا، فَهَذَا يَقَعُ كَثِيرًا، وَيَحْصُلُ فِي الْعَاقِبَةِ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقْوَى، لَا تَحْصُلُ ابْتِدَاءً عِنْدَ أَهْوَائِهِمْ. انتهى[2].

---

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢٩٩)، والبيهقي في الزهد الكبير (ص٣٣١، ٣٣٢).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٥٢).

وقد أحسن من قال:

إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوُدُّ يَا غَايَةَ الْمُنَى فَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ[(١)]

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب، فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب؟ أم كيف يرضى التراب بسخط الملك الوهاب؟ إن هذا لشيء عجاب[(٢)].

وفي الحديث: عقوبة من خاف الناس، وآثر رضاهم على الله، وأن العقوبة قد تكون في الدين -عياذًا بالله من ذلك-؛ كما قال تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة:٧٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَرُوِيَ أَنَّهَا رَفَعَتْهُ)، رفعته: إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَفْظُ الْمَوْقُوفِ: «مَنْ أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ عَادَ حَامِدُهُ مِنْ النَّاسِ لَهُ ذَامًّا»)، معنى الحديثين واحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (انتهى)، انتهى كلام الشيخ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوُدُّ يَا غَايَةَ الْمُنَى)، إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوُدُّ: هذا يمدح بعض الملوك، وهذا المعنى لا يليق إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) هذا البيت لأبي فراس الحمداني. انظر: يتيمة الدهر (١/ ٩٥)، والدر الفريد (٣/ ١٢، ٤/ ٢٥٨).

(٢) انظر: نور الاقتباس (٣/ ١٤٢).

إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوُدُّ يَا غَايَةَ الْمُنَى فَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ

يعني: ضعفاء، لا يهمنا شأنهم، إذا رضي الله عنك، لا يهمك الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب، فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب؟)**، فَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ. كلهم مخلوقون من تراب؛ لأن أباهم آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مخلوق من تراب، فهم مخلوقون من تراب، تراب فوق تراب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن العقوبة قد تكون في الدين -عياذًا بالله من ذلك-؛ كما قال تعالى:** ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة:٧٧]**)**، وهذه أشد العقوبات في الدنيا، عقوبة القلب، إذا الله أعمى القلب هذا أشد العقوبة.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ (آلِ عِمْرَانَ).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيْهِ مَسَائِلُ**)، يعني: في هذا الباب وما جاء فيه من الآيات والأحاديث مسائل، استنبطها من هذه النصوص.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ «آلِ عِمْرَانَ»**): ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ** ﴾ [آل عمران:١٧٥]، وقد جاء في تفسيرها أنه لما حصل على المسلمين في وقعة أحد ما حصل من المصيبة؛ نتيجة لمخالفتهم لأمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تنظيمه للرماة الذين على الجبل، أنهم لا يتركون الجبل أبدًا مهما كان؛ لأن العدو ينقض على المسلمين من هذا الجبل إذا رآه خاليًا. فلما حصل على المشركين هزيمة في أول المعركة؛ ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم** ﴾: يعني تقتلونهم، ﴿ **تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ** ﴾ [آل عمران:١٥٢]: هذا في أول المعركة، والله نصر المسلمين في أولها؛ لما كانوا يمشون على خطة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رأى الذين على الجبل أن المسلمين انتصروا في أول المعركة، وأخذوا يجمعون الغنائم، ظنوا أن المهمة انتهت من بقائهم على الجبل، فنزلوا، قالوا: نعين إخواننا على جمع الغنائم، وخالفوا أمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «لا تتركوا الجبل سواء انتصرنا أو هزمنا»، فلما رأى خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -وكان حينذاك على الشرك، وكان قائدًا محنكًا، وبطلًا شجاعًا-، لما رأى أن الجبل فرغ للمشركين، جاءوا من خلف المسلمين، وانقضوا عليهم، فأصبح المسلمون بين فكي الأسد، العدو من أمامهم ومن خلفهم.

دارت المعركة من جديد، فقُتِلَ فيها من المسلمين من قُتِل، وهم كثير، وأولهم حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استشهد في هذه المعركة بسبب أنهم لم يلتزموا النظام الذي نظمه لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فحصلت نكبة على المسلمين، وقُتِلَ منهم سبعون، وأُسِرَ منهم أكثر، فدارت عليهم الدائرة بسبب مخالفتهم لأمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذه شؤم المعصية. حتى إن المصيبة عمت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فكُسِرت رباعيته، وهُشِم المغفر على رأسه، حتى غاصت منه حلقتان في رأس الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فهذا ما حصل في وقعة أحد؛ بسبب هذه المخالفة التي حصلت منهم عن اجتهاد، وأيضًا ليست منهم كلهم، بل من بعضهم، ولكن المصيبة والعقوبة إذا نزلت تعم الصالح والطالح، فحصل على المسلمين ما حصل في وقعة أحد، هذا حاصل ما حصل في وقعة أحد على المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران:١٧٥]، وذلك أن المسلمين لما رجعوا إلى المدينة فيهم الجرحى، وقد دفنوا شهداءهم في أحد، وعادوا إلى المدينة، ومعهم الجرحى، وقد نُكِبوا.

تلاوم المشركون في طريقهم لمكة، وقالوا: لو رجعنا على المسلمين واستأصلنا بقيتهم. فأرسلوا إلى المسلمين رسولًا: إنا قادمونا إليكم؛ لنستأصل بقيتكم. هذا من الابتلاء والامتحان، فأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كان حضر المعركة أن يخرج للمشركين مرة ثانية، فخرجوا وفيهم الجرحى، وقد أصابتهم النكبة والهزيمة بسبب مخالفتهم لأمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

خرجوا، ونزلوا في مكان يسمى «حمراء الأسد» ينتظرون قدوم المشركين إليهم، ورجوع المشركين عليهم. فلما علم المشركون بخروج المسلمين، قالوا: لم يخرجوا إلا وفيهم قوة، فألقى الله الرعب في قلوب المشركين، فاستمروا راجعين إلى مكة، وكفى الله المسلمين القتال. لكن لما صمد المسلمون ولم ينهزموا، ولم يتروعوا من تهديد الكفار- حصل لهم النصر، وألقى الله الرعب في قلوب أعدائهم، فسلموا -والحمد لله.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾، أي: يخوفكم بأوليائه. لما قالوا: إنا راجعون إليكم، ومستأصلون بقيتكم، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾، أي: هذا الوعيد والتهديد إنما هو من الشيطان.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]، فالمسلمون تشجعوا وخرجوا وفيهم الجرحى، وفيهم المصابون، ونزلوا في الطريق ينتظرون الكفار أن يرجعوا إليهم، فلما فعلوا هذا السبب، وعلم المشركون بخروجهم، قالوا: لم يخرجوا إلا وفيهم قوة. وألقى الله الرعب في قلوبهم، فواصلوا السير إلى مكة، ونجى الله المسلمين من كيدهم.

لو أن المسلمين بقوا في المدينة، لداهمهم الكفار، وقتلوهم، لكن لما خرجوا تشجعوا وامتثلوا أمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صارت العاقبة لهم، والحمد لله.

الثَّانِيَةُ: تفْسِيْرُ آيَةِ (بَرَاءَةَ).

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ (العَنْكَبُوْتِ).

الرَّابِعَةُ: أَنَّ اليَقِيْنَ يَضْعُفُ وَيَقْوَى.

الخَامِسَةُ: عَلامَةُ ضَعْفِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الثَّلاثُ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ إِخْلاصَ الخَوْفِ لِلّٰهِ مِنَ الفَرَائِضِ.

السَّابِعَةُ: ذِكْرُ ثَوَابِ مَنْ فَعَلَهُ.

الثَّامِنَةُ: ذِكْرُ عِقَابِ مَنْ تَرَكَهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ «بَرَاءَةَ»**)، وهي: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨]، لما كان المشركون في قبضتهم المسجد الحرام، ويسيطرون على القادمين للحج والعمرة متسلطون على المسلمين. فالله جَلَّ وَعَلَا قال: لا تتركوهم يسيطرون على المسجد الحرام، لا تتركوهم؛ ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨]، فالمسلمون -أيضًا- تشجعوا، وحصل لهم النصر، ومكنهم الله من المسؤولية على المسجد الحرام، وطرد المشركين من المسجد الحرام؛ لأن المشركين لا يعمرون مساجد الله؛ ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، فهذا تشجيع للمسلمين على أن ينزعوا السلطة على مكة والمسجد الحرام من يد المشركين، وقد نزعوها -والحمد لله-، وغزا

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة عام الفتح، ونصره الله على المشركين، وصار الإشراف على المسجد الحرام وتولي أمر الحجاج والمعتمرين بيد المسلمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «العَنْكَبُوْتِ»**)، وهي: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت:١٠]، الله لا يترك هذا يستمر، بل يختبره: هل هو صحيح أنه مؤمن بالله حقًا، أو أنه منافق؟

الله جَلَّ وَعَلَا يبتلي ويختبر عباده المؤمنين؛ ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٢، ٣]، الله يبتلي عباده المؤمنين والكفار، يبتليهم، لكن البلوى على المؤمنين تمحيص وتخليص، وأما البلوى على الكفار، فهي محقٌ وإهلاك؛ ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: أَنَّ اليَقِيْنَ يَضْعُفُ وَيَقْوَى**)، أن اليقين في القلب يضعف ويقوى، وهذا ما حصل في هذه الواقعة، لما كان يقين المسلمين في قلوبهم قويًا، نصرهم الله، وصارت العاقبة لهم، ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾: في قولهم آمنا، ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ بالابتلاء والامتحان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: عَلَامَةُ ضَعْفِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الثَّلَاثُ**)، علامة ضعف الإيمان، وهي هذه ثلاثة الأمور التي بينها.

«**أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ**»، «**إِنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِيْنِ**»، يعني: في القلب.

فالواجب أن تحمد الله، ومن كان سببًا في الخير، يثنى عليه ويحمد؛ «**مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ**»، فالمخلوق يحمد بقدر ما بذل، والشكر المطلق لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: أَنَّ إِخْلَاصَ الخَوْفِ للهِ مِنَ الفَرَائِضِ**)، أن إخلاص الخوف؛ ﴿**فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ**﴾ [آل عمران:١٧٥]، هذا أمر، والأمر يقتضي الوجوب، فالخوف من الله من الفرائض التي فرضها الله على عباده، وهذا خوف العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابِعَةُ: ذِكْرُ ثَوَابِ مَنْ فَعَلَهُ**)، ذكر ثواب من فعل الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الله يؤيده وينصره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّامِنَةُ: ذِكْرُ عِقَابِ مَنْ تَرَكَهُ**)، ذكر عقاب من ترك الخوف من الله، وخاف الناس أن الله يسلطهم عليه، ولا يمده بالنصر، بل يتركه مع عدوه.

٣٢- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

ش: قوله: (بَابُ قَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]).

قال أبو السعادات رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **يقال: توكل بالأمر، إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان، إذا اعتمدت عليه، ووكل فلان فلانًا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزًا عن القيام بأمر نفسه. اهـ**[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ قَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣])، من أنواع العبادة: التوكل على الله سبحانه، تفويض الأمور إليه عَزَّوَجَلَّ، فهو من أعظم أنواع العبادة.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، يعني: كافيه، توكل على الله عَزَّوَجَلَّ. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكر التوكل في كثير من الآيات، وأمر بإخلاص التوكل على الله جَلَّ وَعَلَا؛ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، يعني: كافيه، فلا تتكل على أحد غير الله عَزَّوَجَلَّ، نعم، عمّد من يساعدك، لكن لا تتوكل عليه، هذا سبب، التوكل على الله، والأخذ بالأسباب مأمور به، لكن لا يعتمد على الأسباب، وإنما يعتمد على الله عَزَّوَجَلَّ، وإلا لا يجوز ترك الأسباب، لابد من الجمع بين فعل الأسباب مع التوكل على الله، فلا

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٢١).

يكفي فعل الأسباب دون التوكل على الله، ولا يكفي التوكل على الله دون فعل للأسباب؛ لابد من الجمع بينهما، هذه طريقة المؤمنين التي أمر الله جَلَّ وَعَلَا بها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال أبو السعادات)**، أبو السعادات هو ابن الأثير صاحب «غريب الحديث»، يشرح غريب الحديث، يعني: الألفاظ التي تمر في الحديث يفسرها ويبينها، وهذا ما يسمى بغريب الحديث.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال أبو السعادات** رَحِمَهُ اللَّهُ: **يقال: توكل بالأمر، إذا ضمن القيام به)**، توكل فلان بالأمر، يعني: أنه تكفل به، ووعد بالقيام به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ووكلت أمري إلى فلان، إذا اعتمدت عليه)**، لا مانع من أنك تتخذ الأسباب، وتستعين بالمخلوقين فيما يقدرون عليه، لا مانع من هذا، لكن مع الاعتماد على الله، هذه أسباب، لا يجوز الاقتصار على فعل الأسباب، بل لابد مع فعل الأسباب من التوكل على الله، ولا يكتفى بالتوكل على الله وترك الأسباب؛ لابد من الجمع بينهما؛ تأخذ الأسباب النافعة، وتتوكل على الله، ولا تعتمد على الأسباب، هذا هو طريق المؤمنين، وهذا ما أمر الله به ورسوله؛ الجمع بين التوكل على الله وفعل الأسباب النافعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ووكل فلان فلانًا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزًا عن القيام بأمر نفسه)**، وَكَّلَ غير توكَّل، الوكالة: هي تعميد الإنسان بعمل شيء، تعميده أن يستلم لك مبلغًا من فلان، هذه وَكَالة، تسمى وكالة، ليست توكُّلًا، هذه وكالة.

النبي ﷺ وكَّل من ينوب عنه في جباية الزكاة، وكَّل من ينوب عنه في أخذ الخراج[١]، التوكيل جائز.

وإنما الممنوع التوكل، هذا لا يكون إلا على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فافهموا الفرق بين التوكل والتوكيل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ووكل فلان فلانًا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزًا عن القيام بأمر نفسه)، للإنسان أن يوكل، والرسول ﷺ وكل بعض أصحابه، وكَّل من ينوب عنه في ذلك، لا مانع من الوكالة، أما التوكل، فلا يجوز إلا على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فأنت توكل، ولكن لا تعتمد على الوكيل، وإنما تعتمد على الله، وتتوكل على الله.

---

(١) كما في حديث بعث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن الذي أخرجه البخاري (١٤٥٨): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَلَى اليَمَنِ، قَالَ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ**».

....

ش: وأراد المصنف بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى؛ فإن تقديم المعمول يفيد الحصر، أي: وعلى الله فتوكلوا لا على غيره، فهو من أجمع أنواع العبادة وأعظمها؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة، فإنه إذا اعتمد على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية، دون كل من سواه، صح إخلاصه ومعاملته مع الله تعالى. فهو من أعظم منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله؛ كما في هذه الآية، وكما قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤]، وقوله: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل:٩]، والآيات في الأمر به كثيرة جدًّا. قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (التوكل عمل القلب)[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأراد المصنف بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى)، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، قدم الجار والمجرور وهو المعمول على العامل.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾: هذا يقتضي الحصر، أي: لا تتوكلوا على غيره.

التوكل لا يكون إلا على الله؛ لأنه نوع من أنواع العبادة، أما التوكيل فلا بأس أن توكل من ينوب عنك، وليس هذا من العبادة، إنما هذا من المصالح التي يحتاجها الناس.

---

(١) ذكر ذلك ابن القيم في طريق الهجرتين (٢/ ٥٦١)، ومدارج السالكين (٢/ ١١٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإن تقديم المعمول يفيد الحصر**)، تقديم المعمول، وهو قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ يفيد الحصر.

الأصل: توكَّل على الله، هذا الأصل؛ الجار والمجرور يتأخر، وهو المعمول، لكن هنا قدم الجار والمجرور على التوكل؛ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾: يفيد الحصر، إذا قدم المعمول يفيد الحصر، مثل قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، قدم المعمول ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، يعني: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك؛ ليفيد الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإن تقديم المعمول يفيد الحصر**)؛ كما في الآية: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، الأصل: توكلوا على الله، لكنه قدم المعمول، وهو الجار والمجرور لإفادة الحصر، أي: لا تتوكلوا على غير الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فهو من أجمع أنواع العبادة وأعظمها؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة**)، التوكل على الله من أعظم أنواع العبادة وأشملها؛ لما ينشأ عن التوكل على الله من الأعمال الصالحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإنه إذا اعتمد على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية، دون كل من سواه، صح إخلاصه ومعاملته مع الله تعالى**)، التوكل لا يكون إلا على الله، لا تقل: توكلت على فلان، إنما تقول: وكلت فلان، ولا تقل: توكلت عليه؛ كما يقول بعضهم: أنا متوكل على الله ثم عليك، لا، لا يجوز هذا. تقول: وكلتك، لا تقول: توكلت عليك، هذا لا يكون إلا لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فهو من أعظم منازل** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥])، يعني: من أعظم ما يترتب على هذه اللفظة من التصرفات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله؛ كما في هذه الآية**)، بأنواع التوحيد الثلاثة التي تعرفونها: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله؛ كما في هذه الآية**)، لا يكمل التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بالتوكل على الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وكما قال تعالى**: ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤])، إن كنتم مسلمين فتوكلوا على الله، فالمسلم يتوكل على الله، ولا مانع أنه يوكل ويعمد وينيب من يقوم مقامه، لكن يفوض أمره إلا الله، ويجعل هذا من باب السبب فقط، لا من باب الاعتماد. توكليك لبعض المخلوقين هو من باب الاستعانة به فيما يقدر عليه؛ يبيع لك، يشتري لك، يعمل لك عملًا من الأعمال، هذا ليس من باب التوكل على المخلوق، هذا من باب الإنابة؛ تنيب من يقوم عنك في قضاء أمر من الأمور، شيء لا تقدر عليه، توكل من يقوم به، شيء ليس عندك بعيد عنك، توكل من ينيب عنك فيه، مثلما كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يوكل عماله في خيبر وفي غيرها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وكما قال تعالى:** ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤])، ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾، لا على غيره. لاحظ! قدم ﴿فَعَلَيْهِ﴾ على ﴿تَوَكَّلُوٓاْ﴾، تقديم المعمول على العامل؛ لإفادة الحصر، أي: لا تتوكلوا على غير الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله:** ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل:٩])، ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾.

المشرق: هو مطلع الكواكب كالشمس والقمر والنجوم، تطلع من المشرق.

والمغرب: مكان غروبها، تغرب في الجهة المقابلة للمشرق.

والدنيا كلها مشرق ومغرب، كل الدنيا هكذا مشرق ومغرب، الشمال والجنوب داخلان في المشرق والمغرب، ولذلك لم يرد ذكر الشمال والجنوب، وإنما ورد المشرق والمغرب؛ لأن هذا يشمل الكون كله، يشمل الأرض كلها مشرق ومغرب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والآيات في الأمر به كثيرة جدًّا**)، مثل هذه الآية: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق:٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**التوكل عمل القلب**»)، العمل يكون بالقلب، ويكون بالجوارح ظاهرًا وباطنًا، الذي في القلب هذا باطنًا، لا يعلمه إلا الله، عمل القلب لا يعلمه إلا الله، ومنه: التوكل، والإنابة،

والخوف، والخشية، والرهبة، والرغبة، والاستعانة، والاستغاثة، هذه أعمال قلوب لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هناك أعمال جوارح ظاهرة مثل الأخذ والإعطاء، والعمل باليد والحرفة وما أشبه ذلك، هذه أعمال ظاهرة، أعمال جوارح.

....

ش: وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى الآية المترجم بها: فجعل التوكل على الله شرطًا في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه. وفي الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤]، فجعل دليل صحة الإسلام: التوكل.

وكلما قوي إيمان العبد، كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان، ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفًا، كان دليلًا على ضعف الإيمان ولابد، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والهداية.

فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان، ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمَا رَجَا أَحَدٌ مَخْلُوقًا أَوْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ إِلَّا خَابَ ظَنُّهُ فِيه، فَإِنَّهُ مُشْرِكٌ: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج:٣١](٢).

---

(١) انظر: طريق الهجرتين (٢/ ٥٦٢).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٥٧).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وقال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ **في معنى الآية المترجم بها**)، الآية المترجم بها، وهي: بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ [المائدة:٢٣].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وقال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ **في معنى الآية المترجم بها: فجعل التوكل على الله شرطًا في الإيمان**)، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، والأصل: إن كنتم مؤمنين، فتوكلوا على الله، لكنه قدم المعمول؛ لإفادة الحصر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه**)، فمن لم يتوكل على الله، توكل على الأسباب، فهذا ليس بمؤمن.

وقلنا: إنه لا يصح إلا الجمع بين الأمرين: التوكل على الله مع فعل الأسباب النافعة، لابد من الجمع بينهما، فالذي يقتصر على أحدهما هذا مخطئ وضال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وفي الآية الأخرى**: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤])، لما هدد فرعون وقومه بني إسرائيل، هددهم: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف:١٢٧]، فماذا قال الله لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في مقابل ذلك؟ انتبهوا!

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾: لقومه بني إسرائيل، ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝٨٤ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [يونس:٨٤، ٨٥]، فنصرهم الله على فرعون، وأغرقه ودمره؛ ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ

﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾ [الأعراف:١٣٧]؛ بسبب أن بني إسرائيل توكلوا على الله، وصمدوا في إيمانهم، ولم يهنوا، ولم يضعفوا، وجاهدوا مع نبيهم موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فنصرهم الله على أعتى عدو على وجه الأرض، وهو فرعون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فجعل دليل صحة الإسلام: التوكل)**، ﴿إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤]، إن كنتم مسلمين، فتوكلوا على الله؛ فالذي يدل على صحة الإسلام هو التوكل على الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **يجمع بين التوكل والعبادة)**، ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [هود:١٢٣]، جمع بين التوكل والعبادة، ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾، مع أن التوكل داخلٌ في العبادة، هو نوع من أنواع العبادة، لكنه عطفه على العبادة؛ اهتمامًا به، وبيانًا لمكانة التوكل؛ مثل: قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨]، الصلاة الوسطى داخلة في الصلوات؛ لكنه عطفها من عطف الخاص على العام؛ اهتمامًا بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان)**، بين التوكل والعبادة؛ كما في قوله سبحانه: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [هود:١٢٣].

وبين التوكل والإيمان: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، فجمع بين التوكل والإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبين التوكل والتقوى)**؛ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:٢]، مع أن التوكل داخل في العبادة، لكنه أفرده بالذكر اهتمامًا به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبين التوكل والإسلام)**؛ ﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٨٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبين التوكل والهداية)**؛ ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾ [إبراهيم:١٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان)**، التوكل الذي هو الاعتماد على الله أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس)**، فالجسد لا يحيا، ولا ينفع بدون رأس، لو قُطِع رأسه، ليس فيه فائدة، وإن كان متكامل الأعضاء، لكن إذا لم يكن هناك رأس لصار جثة، كذلك الدين إذا لم يكن فيه توكل على الله، ليس فيه فائدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، يعني: ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَمَا رَجَا أَحَدٌ مَخْلُوقًا أَوْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ إِلَّا خَابَ ظَنُّهُ فِيه)**، إذا اعتمد على المخلوق، خاب ظنه في هذا المخلوق، لكن يكون ظنه بالله عَزَّوَجَلَّ، ولا بأس أن يستعين بالمخلوق فيما يقدر عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَمَا رَجَا أَحَدٌ مَخْلُوقًا أَوْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ إِلَّا خَابَ ظَنُّهُ فِيه، فَإِنَّهُ مُشْرِكٌ)**، فإنه مشرك؛ لأن التوكل نوع من أنواع العبادة، فمن جعله لغير الله هذا شرك، جعل العبادة لغير الله، أو نوع من أنواع العبادة لغير الله شرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج:٣١])، هذا مثال على بطلان الشرك؛ ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، يعني: من العلو، الإيمان ارتفاع ورفعة، فإذا أشرك بالله، فإنه يسقط من هذا العلو، ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، يعني: من علو سقط، ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾: في الجو تأكله النسور والغربان، تتخطفه الطير وتأكله. وإن سلم منها، فإن الريح تحمله إلى مكان بعيد، تبعده عن البلدان، يهلك، يسقط في مهلكة ليس حوله أحد، هذا مثل للشرك ومآله وعاقبته الوخيمة.

....

ش: **قال الشارح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قلت: لكن التوكل على غير الله قسمان:**

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله؛ كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم؛ من نصر، أو حفظ، أو رزق، أو شفاعة، فهذا شرك أكبر.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة؛ كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله -تعالى- عليه من رزق، أو دفع أذى، ونحو ذلك، فهو نوع شرك أصغر.

والوكالة الجائزة: هي توكيل الإنسان الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، لكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وُكل فيه، بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها، ولا يعتمد عليها، بل يعتمد على المسبب الذي أوجد السبب والمسبب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الشارح)**، الشارح: الذي هو الشيخ سليمان بن عبد الله، وفتح المجيد هذا مختصر من شرح الشيخ سليمان. والآن مطبوع شرح الشيخ سليمان، وهذا «فتح المجيد» تهذيب له واختصار له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله)**، هذا شرك بلا شك، التوكل على المخلوق في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله هذا شرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم)**، عباد القبور يتوكلون على القبور وعلى أصحاب القبور؛ ليقضوا حوائجهم، ويدعونهم من دون الله، ويتقربون إلى الأموات؛ لأجل أن الأموات يتوسطون لهم عند الله؛ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، فهم يجعلونهم وسائط بينهم وبين الله. والله جَلَّ وَعَلَا أمرنا أن ندعوه مباشرة، ولا نجعل بيننا وبينه واسطة؛ فإنه يسمع الدعاء، ويقضي الحاجات، ويقدر على كل شيء، ليس هناك حاجة إلى أن توسط بينك وبين الله واسطة، ادع مباشرة، ارفع حوائجك إليه مباشرة، خاطب ربك مباشرة: يا رب، يا رب. لاتذهب إلى فلان، وتقول له: اشفع لي عند الله. هذا عند المخلوقين الذين لا يعرفون حوائج الناس إلا بمن يبينها لهم، وأيضًا لو عرفوها لا تلين قلوبهم لقضائها حتى يأتيهم من يؤثر عليهم، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فإنه قريب مجيب؛ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦]، لا تجعل بينك وبين الله حجابًا، ولا تجعل بينك وبين الله واسطة، ولا تجعل بينك وبين الله من يشفع لك، ادع الله مباشرة، الليل والنهار فاتح بابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ادع.

لماذا تذهب إلى فلان وعلان والميت؟ حتى ولو كان حيًّا لكنه ميت، فالقبوريون يعتمدون على أموات، لا يقدرون على شيء، مرتهنون بأعمالهم، ويعبدونهم من دون الله؛ انتكاس الفطر والعقول.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم؛ من نصر، أو حفظ، أو رزق، أو شفاعة، فهذا شرك أكبر)**، ما يفعله هؤلاء الذين يستنجدون بالأموات؛ يذهبون إلى ضريح فلان وقبر فلان، يستنجدون به، وينسون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا من عمى البصيرة.

الله قريب مجيب، الله سميع الدعاء، لا يخفى عليه شيء، فلا حاجة إلى أنك توسط بينك وبين الله من يبلغ الله حاجتك، أو يطلب منه قضاء حاجتك، الله فتح بابه للسائلين، ارفع يديك إلى الله، واسأل الله عَزَّوَجَلَّ، ادع الله بحوائجك، وأخلص الدعاء لله، والله قريب مجيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لماذا هذه الطرق الملتوية وهذه الانعكاسات التي يفعلها عباد القبور؟! يقولون: هذا ولي من أولياء الله، وأنا مذنب، وهذا يشفع لِيِّ عند الله.

أنت مذنب، استغفر الله عَزَّوَجَلَّ، استغفر الله، يغفر لك، وليست هناك حاجة إلى أن تأتي بواحد يتوسط لك عند الله ليغفر لك، لا، ادع الله: يا ربِ اغفر لي، قل: رب اغفر لي، يا رب اغفر لي، أستغفرك اللهم وأتوب إليك، ولا حاجة إلى أنك تأتي بواحد يتوسط لك عند الله ليغفر لك ذنوبك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة)**، الأسباب الظاهرة؛ توكل واحدًا ليبيع لك، ليشتري لك، ينوب عنك في قضاء حاجة، هذا لا بأس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله تعالى عليه من رزق، أو دفع أذى ونحو ذلك، فهو نوع شرك أصغر)**، لا بأس أنه يطلب

حوائجه من السلطان أو من الغني، لكن لا يظن أن هذا المخلوق يتصرف من دون الله عَزَّوَجَلَّ، إنما يتصرف إذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ، فأنت ادع الله، مرد الأمور كلها إليه؛ ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والوكالة الجائزة)**، الوكالة في البيع والشراء والتصرفات هذه جائزة، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكل في بعض الأمور، له نواب، وله أمراء، وله من يقومون بالأعمال التي يكلها إليهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا لا بأس به، التوكيل ليس به بأس، إنما الممنوع التوكل، لا تتوكل على أحد غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وُكل فيه)**، الحصول هذا لا يقدر عليه إلا الله، لكن التوكيل هذا سبب، والسبب لابد أن الله جَلَّ وَعَلَا يجعله نافعًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه)**، مع توكيلك لإنسان فيما يقدر عليه الإنسان اعتمد على الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله لو أراد لم ينفعك هذا الإنسان، أنت وكل، لكن اعتمد على الله في حصول المطلوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها)**، التوكيل في الأمور التي يقدر عليه المخلوق هذا من فعل الأسباب الجائزة، لكن لا تعتمد عليه، إنما تعتمد على الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يعتمد عليها، بل يعتمد على المسبب الذي أوجد السبب والمسبب)**، مسبب الأسباب هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢].

ش: وَقَوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢])، **قال ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **في الآية: (الْمُنَافِقُونَ لَا يَدْخُلُ قُلُوبَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ عِنْدَ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِشَيْءٍ مِنْ آيَاتِ اللهِ، وَلَا يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ، وَلَا يُصَلُّونَ إِذَا غَابُوا، وَلَا يُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ. فَأَخْبَرَ اللهُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ:** ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال:٢] **فَأَدُّوا فَرَائِضَهُ). رواه ابن جرير وابن أبي حاتم**[(١)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢])، مما يدل على أن الإيمان يزيد هذه الآية: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢]، فهذا يدل على أن الإيمان يزيد، وإذا كان يزيد، فإن الذي يزيد ينقص -أيضًا-، فالإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[الأنفال:٢])،

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٥٥).

هذه الصفات من صفات المؤمنين، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: الكاملو الإيمان، هذا من كمال الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن عباس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **في الآية: المُنَافِقُونَ لَا يَدْخُلُ قُلُوبَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ عِنْدَ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِشَيْءٍ مِنْ آيَاتِ اللهِ، وَلَا يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ)**، المنافقون النفاق الأكبر لا يدخل في قلوبهم إيمان، وليس عندهم إيمان في الأصل يزيد وينقص، وإنما يتظاهرون بالإيمان نفاقًا، يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر، هؤلاء هم المنافقون النفاق الأكبر، وهم في الدرك الأسفل من النار؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن عباس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **في الآية: المُنَافِقُونَ لَا يَدْخُلُ قُلُوبَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ عِنْدَ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ)**، إنما يؤدون العبادات مجاراة للناس؛ لأجل ألا يقال: إنهم غير مسلمين. ليعيشوا مع المسلمين، وإلا فليس في قلوبهم إيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا يُؤْمِنُونَ بِشَيْءٍ مِنْ آيَاتِ اللهِ)**، يعني: ولا يصدقون بشيء من آيات الله: القرآن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ)**، كل هذه الصفات معدومة في المنافقين النفاق الأكبر المخرج من الله عكس المؤمنين؛ فالمنافقون لا يزيد إيمانهم عند تلاوة القرآن، لا يزيد إيمانهم؛ ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ

يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: وهو النفاق؛ ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾: نجاسة على نجاستهم، نجاسة الكفر، ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤، ١٢٥]، والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا يُصَلُّونَ إِذَا غَابُوا**)، إذا غابوا عن الناس لا يصلون، إنما يصلون إذا كان الناس يرونهم، فإذا كان الناس لا يرونهم لا يصلون، هذا النفاق الأكبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا يُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ**)، كذلك لا يؤدون زكاة أموالهم؛ لأنهم ليس عندهم إيمان، ويعتبرون الزكاة غرمًا، ولا يعتبرونها زكاة، هذه صفات المنافقين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَأَخْبَرَ اللهُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ**)، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨]، نفى الله عنهم الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ثُمَّ وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ:** ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢])، يعني: خافت من الله؛ فرق بين صفات المؤمنين وصفات المنافقين.

....

ش: ووجل القلب من الله يستلزم القيام بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه.

قال السدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، قَالَ: هُوَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يَظْلِمَ، أَوْ قَالَ: يَهِمَّ بِمَعْصِيَةٍ، فَيُقَالُ لَهُ: اتَّقِ اللهَ، فَيَجِلُّ قَلْبُهُ». رواه ابن أبي شيبة وابن جرير[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ووجل القلب من الله يستلزم القيام بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه)**، وجل القلب: يعني خوف القلب من الله ينشأ عنه فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه، فعل ما أمر الله به؛ طمعًا في ثوابه، وترك ما نهى الله عنه؛ خوفًا من عقابه، هكذا أهل الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال السدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾. قَالَ: هُوَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يَظْلِمَ، أَوْ قَالَ: يَهِمَّ بِمَعْصِيَةٍ، فَيُقَالُ لَهُ: اتَّقِ اللهَ، فَيَجِلُّ قَلْبُهُ»)**، المؤمن إذا قيل له: اتق الله. فإنه يتأثر، ويخاف من الله عَزَّوَجَلَّ، ويكف عن المعصية، ويؤدي الفريضة إذا قيل له: اتق الله.

أما المنافق: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٦].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (٢/ ٣٥)، والطبري في تفسيره (١١/ ٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٥٥).

....

ش: قوله: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال:٢]، استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه، قال عمير بن حبيب الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ»، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا زِيَادَتُهُ وَنُقْصَانُهُ؟ قَالَ: إِذَا ذَكَرْنَا اللهَ وَخَشِينَاهُ، فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ، وَإِذَا غَفَلْنَا وَنَسِينَا وَضَيَّعْنَا، فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ». رواه ابن سعد(١).

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَهُوَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ». رواه ابن أبي حاتم(٢).

وحكى الإجماع على ذلك الشافعي وأحمد وأبو عبيد وغيرهم -رحمهم الله تعالى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال:٢]. استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها على

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/ ٢٨١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٦٠)، وفي الإيمان (ص٢٠)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣١٥)، والخلال في السنة (٤/ ٤٧)، والآجري في الشريعة (٢/ ٥٨٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٥٤)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٨٤٥)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥/ ١٠١٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٨١٨، ٥/ ١٦٥٦، ٦/ ١٩١٤)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣١١)، والخلال في السنة (٤/ ٤٨)، والآجري في الشريعة (٢/ ٥٨٣)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٨٥٩)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥/ ١٠٢٣).

زيادة الإيمان ونقصانه)، على زيادة الإيمان، هذا نص في القرآن، جاء أنه يزيد إيمانهم.

وأما نقص الإيمان، ففي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «**وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ**»(١)، فالإيمان ينقص حتى لا يبقى منه شيء عند المنافق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال عمير بن حبيب الصحابي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ**»، **فَقِيلَ لَهُ: وَمَا زِيَادَتُهُ ونُقْصَانُهُ؟ قَالَ: إِذَا ذَكَرْنَا اللهَ وَخَشِينَاهُ، فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ، وَإِذَا غَفَلْنَا وَنَسِينَا وَضَيَّعْنَا، فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ**»)، هذا شيء واضح؛ أن الناس ليسوا في الإيمان على حد سواء، يتفاوتون في إيمانهم، مع دلالة القرآن والسنة على ذلك، فالإيمان يزيد وينقص.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال مجاهد** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَهُوَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ**»)، الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بذكر الله وبالطاعات والعبادات، وينقص بالمعاصي والغفلة، يزيد وينقص، هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وحكى الإجماع على ذلك الشافعي وأحمد وأبو عبيد وغيرهم)**، هؤلاء الأئمة حكوا الإجماع على أن الإيمان يزيد وينقص، وهم أئمة كبار، فدل على أن الإيمان يزيد وينقص، هذا شيء واضح في الناس.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٣٨).

....

ش: قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]، أي: يعتمدون عليه بقلوبهم، مفوضين إليه أمورهم، فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يرغبون إلا إليه، يعلمون أن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده، والمعبود وحده، لا شريك له.

وفي الآية وصف المؤمنين حقًّا بثلاث مقامات من مقامات الإحسان، وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده، وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان وحصول أعماله الباطنة والظاهرة؛ مثال ذلك: الصلاة، فمن أقام الصلاة، وحافظ عليها، وأدى الزكاة كما أمره الله، استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من الواجبات، وترك جميع المحرمات؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢])، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، قدم ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ الجار والمجرور على الفعل ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾؛ للحصر، يعني: لا يتوكلون على غيره، وإنما يتوكلون عليه وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يفوضون أمورهم إليه، ويعتمدون عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذه علامة الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأنه المتصرف في الملك وحده، والمعبود وحده، لا شريك له)، هو المتصرف في الملك، ملك السماوات والأرض وما فيهن هو الذي يتصرف فيه وحده لا شريك له بمقتضى ربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعلمه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الآية وصف المؤمنين حقًّا بثلاث مقامات من مقامات الإحسان)**، في الآية، وهي: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال:٢]، إلى آخرها، فيها ثلاث مقامات من مقامات الإيمان، انتبهوا لها!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهي: الخوف، وزيادة الإيمان)**، الخوف، وهي قوله: ﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾، وزيادة الإيمان؛ ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والتوكل على الله وحده)**، ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢]، هذه صفات المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾: الخوف، هذا الخوف من الله، ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾: هذا المقام الثاني. المقام الثالث: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان)**؛ الإيمان يكون كاملًا، ويكون ناقصًا حتى لا يبقى منه إلا مقدار حبة خردل، ينقص. يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، حتى لا يبقى منه إلا حبة خردل، وزن حبة خردل، إيمان ضعيف؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ [آل عمران:١٦٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان وحصول أعماله الباطنة والظاهرة)**، الأعمال الظاهرة كالصلاة والصيام والصدقة والجهاد في سبيل الله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه أمور ظاهرة.

والباطنة في القلب: أعمال القلوب؛ من الخوف والخشية والرغبة والرهبة، والرجاء والتوكل، هذه أعمال قلب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(مثال ذلك: الصلاة، فمن أقام الصلاة، وحافظ عليها، وأدى الزكاة كما أمره الله، استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من الواجبات)**، من أقام الصلاة، فإنه يقيم بقية دينه من باب أولى؛ لأن الصلاة كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: الصلاة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فالصلاة من حافظ عليها، حفظته من الوقوع فيما يخالف الصلاة، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥]، يعني: أعظم. الصلاة فيها ذكر الله، وهو أعظم من غيره من الأعمال، فيها أعمال كثيرة، لكن أعظمها ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ بتلاوة القرآن فيها، والتسبيح والتهليل في الركوع والسجود، والدعاء في السجود.

من حافظ على الصلاة، يتعود على فعل الطاعات، ومن أدى الزكاة، يتعود على الصدقة وبذل المال والمعروف.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥])**، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾: الذي يلازم الصلاة ويحافظ عليها ينتهي عن المعاصي والسيئات؛ لأن صلاته تنهاه عن ذلك، ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾، وفيها أعظم من ذلك، وهو ذكر الله جَلَّ وَعَلَا، ذكر الله؛ تلاوة كتابته، والتسبيح والتهليل والتكبير، والدعاء، كل ذلك في الصلاة.

وَقَـولِـهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٤].

ش: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَي: اللهُ وَحْدَهُ كَافِيكَ، وَكَافِي أَتْبَاعَكَ، فَلَا تَحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَى أَحَدٍ(١).

وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢).

وقيل: المعنى: حسبك الله، وحسبك المؤمنون.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهَذَا خَطَأٌ مَحْضٌ لَا يَجُوزُ حَمْلُ الْآيَةِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الحَسْبَ وَالْكِفَايَةَ للهِ وَحْدَهُ، كَالتَّوَكُّلِ وَالتَّقْوَى وَالْعِبَادَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٢]، فَفَرَّقَ بَيْنَ الحَسْبِ وَالتَّأْيِيدِ، فَجَعَلَ الحَسْبَ لَهُ وَحْدَهُ، وَجَعَلَ التَّأْيِيدَ لَهُ بِنَصْرِهِ وَبِعِبَادِهِ. وَأَثْنَى عَلَى أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالتَّوَكُّلِ مِنْ عِبَادِهِ حَيْثُ أَفْرَدُوهُ بِالحَسْبِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:١٧٣]. وَلَمْ يَقُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَرَسُولُهُ. وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة:٥٩].

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ جَعَلَ الْإِيتَاءَ للهِ وَالرَّسُولِ، وَجَعَلَ الحَسْبَ لَهُ وَحْدَهُ، فَلَمْ يَقُلْ: وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَرَسُولُهُ، بَلْ جَعَلَهُ خَالِصَ حَقِّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

---

(١) انظر: زاد المعاد (١/ ٣٧).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية (٧/ ٢٠١)، ومجموع الفتاوى (١٠/ ١٥٤، ٢٩٣).

﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩]. فَجَعَلَ الرَّغْبَةَ إِلَيْهِ وَحْدَهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح:٨]. فَالرَّغْبَةُ وَالتَّوَكُّلُ وَالْإِنَابَةُ وَالحَسْبُ للهِ وَحْدَهُ، كَمَا أَنَّ الْعِبَادَةَ وَالتَّقْوَى وَالسُّجُودَ للهِ وَحْدَهُ، وَالنَّذْرُ وَالحَلِفُ لَا يَكُونُ إِلَّا للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. انتهى(١).

وبهذا يتبين مطابقة الآية للترجمة. فإذا كان هو الكافي لعبده، وجب ألا يتوكل إلا عليه، ومتى التفت بقلبه إلى سواه، وُكِلَ إلى من التفت إليه؛ كما في الحديث: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَولِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤])، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: هذا خطاب للنبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ناداه الله بالنبوة، لم يقل: يا محمد، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾؛ تقديرًا له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾، أي: الله كافيك.

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فالله حسبه -أيضًا-، فالله حسبك، وحسب من اتبعك من المؤمنين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيِ: اللهُ وَحْدَهُ كَافِيكَ، وَكَافِي أَتْبَاعَكَ؛ فَلَا تَحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَى أَحَدٍ)، إذا كفاكم الله، فلا تحتاجون إلى أحد من الخلق، تستغنون بكفاية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) انظر: زاد المعاد (١/ ٣٧- ٣٩).

(٢) سبق تخريجه (ص١٧١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ)**، هذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية في معنى الآية، ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ [الأنفال:٦٤]، أي: حسبك، وحسب من اتبعك. وليس المراد ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾: يكونون حسبك مع الله، لا، هذا ليس بالمقصود، المقصود ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾: هناك تقدير في الآية: أي: وحسب من اتبعك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقيل: المعنى: حسبك الله، وحسبك المؤمنون)**، هذا قول ضعيف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهَذَا خَطَأٌ مَحْضٌ)**، حسبك الله وحسبك من اتبعك من المؤمنون: هذا قول خطأ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٢])**، ﴿حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٢]؛ أيد الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بنصر من عنده وبالمؤمنين. فالمؤمنون يعينون الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويجاهدون معه، ويلزمون سنته، ويعملون بها بعد موته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، هؤلاء هم أهل الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَفَرَّقَ بَيْنَ الحَسْبِ وَالتَّأْيِيدِ، فَجَعَلَ الحَسْبَ لَهُ وَحْدَهُ، وَجَعَلَ التَّأْيِيدَ لَهُ بِنَصْرِهِ وَبِعِبَادِهِ)**، ﴿ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فالمؤمنون أيدوا الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وجاهدوا معه وأطاعوه، صبروا معه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الجهاد والهجرة، والأعمال الصالحة. هذا شيء واضح من صحابة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومن جاء بعدهم ممن سار على منهجهم واقتفى أثرهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَثْنَى عَلَى أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالتَّوَكُّلِ مِنْ عِبَادِهِ حَيْثُ أَفْرَدُوهُ بِالحَسْبِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣])، ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾، لما حصلت وقعة أحد، وحصل على المسلمين فيها من القتل والأسر وتغلب الكفار، وذلك بعد بدر. فبدر نصر الله فيها المسلمين، ولكن لئلا يغتروا بالنصر جاءت بعدها وقعة أحد، فصار على المسلمين فيها مصيبة، وهذه من سنة الله جَلَّ وَعَلَا؛ المؤمن يصيبه الخير والشر، والضرر والآلام، ولكنه يصبر، ذلك في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢]، فالله يبتلي عباده المؤمنين بالمصائب والنكبات؛ لأجل أن يتوبوا إليه، ولأجل أن يدعوه، ويتضرعوا إليه، ولا يغتروا بما عندهم من القوة. يعتمدون على الله، لا على جهودهم، ولا على قوتهم، وإنما القوة وإعداد القوة هذا سبب؛ ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠]، هذا من فعل الأسباب، ولا يُعتمد على القوة، يُعتمد على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

في غزوة حنين يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة:٢٥]، خرجوا مع الرسول اثنا عشر ألفًا، كثرة أعجبت بعض الصحابة، قالوا: لن نغلب اليوم من قلة، وأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ

﴿شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥]، لما حصل اللقاء مع الكفار، المسلمون انهزموا، وتركوا الرسول ﷺ. ولما انهزموا وبقي الرسول ﷺ ومعه عمه العباس، نادى العباس بصوته -وكان له صوت جهوري-: يا أصحاب الشجرة، أيها المسلمون، يا أصحاب الشجرة. فلما سمعوا صوت العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عادوا أسرع من الريح إلى رسول الله ﷺ، وأحاطوا به، عند ذلك انهزم الكفار وولوا مدبرين(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣])، لم يضعفوا لما جاءهم هذا التهديد.

﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾، يعني: الكفار، ﴿قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾، يعني: القوة والجنود، ﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾، يعني: اخشوا الكفار.

لم يضر المسلمين هذا. قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾، أي: الله كافينا، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، فكانت النتيجة لهم؛ ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ [آل عمران:١٧٤، ١٧٥]، الذين يقولون: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾. ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

---

(١) انظر: مغازي الواقدي (٣/ ٨٩٨- ٨٩٩)، والمعرفة والتاريخ (٢/ ٧٣٢- ٧٣٣)، والبداية والنهاية (٤/ ٣٧٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ:** ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩]**)**، لاحظ!

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾، لم يقولوا: حسبنا الله ورسوله، قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾، الرسول يعطي مما عنده من المال، ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾، أي: ورسوله يؤتينا.

ثم قال: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩]، ولم يقل: إلى الله ورسوله راغبون، بل إلى الله وحده راغبون.

فهناك أمور ينفرد الله بها، وهناك أمور يشاركه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها؛ كالعطاء من المال، وما يقدر عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعطي أصحابه ويبذل لهم، ويعطي الفقراء والمساكين ويتصدق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَتَأَمَّلْ كَيْفَ جَعَلَ الْإِيتَاءَ للهِ وَالرَّسُولِ)**، الإيتاء لله والرسول؛ فالله يؤتي المال، والرسول يؤتي المال، هذا مما يطيقه الرسول ويستطيعه؛ إعطاء المال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَجَعَلَ الحَسْبَ لَهُ وَحْدَهُ)**، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾، ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله، بل قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾، أي: الله كافينا وحده.

﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾، ولم يقولوا: إلى الله ورسوله راغبون، بل إلى الله وحده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَجَعَلَ الرَّغْبَةَ إِلَيْهِ وَحْدَهُ، كَمَا قَالَ:** ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح:٨]**)**، ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح:٧]، يعني: اتعب في العبادة.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح:٨]: ارغب إليه وحده بالسؤال والدعاء، ولا ترغب إلى غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَالرَّغْبَةُ وَالتَّوَكُّلُ وَالْإِنَابَةُ وَالحَسْبُ للهِ وَحْدَهُ، كَمَا أَنَّ الْعِبَادَةَ وَالتَّقْوَى وَالسُّجُودَ للهِ وَحْدَهُ، وَالنَّذْرُ وَالحَلِفُ لَا يَكُونُ إِلَّا للهِ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. **انتهى)**، كلام جيد ومفيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبهذا يتبين مطابقة الآية للترجمة)**؛ بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، توكلوا على الله وحده، ولا تتوكلوا على غيره. ثم ساق هذه الآية، وهي التي بعد المقدمة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]، هذه الآية جاءت بعد الترجمة مطابقة لها تمامًا، الترجمة (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣])، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ [المائدة:٢٣]، الآية مطابقة للترجمة تمامًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومتى التفت بقلبه إلى سواه، وُكِلَ إلى من التفت إليه؛ كما في الحديث: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»)**، من تعلق شيئًا من الأشياء، وظن أنه ينفعه ويكفيه، وكله الله إليه؛ عقوبة له، والواجب أن يتعلق القلب بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإنما هذه الأسلحة وهذه الذخائر وهذه الجنود، هذه أسباب فقط؛ إن شاء الله نفعت، وإن شاء لم تنفع.

وَقَولِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

ش: وقولِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أي: كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذى لابد منه -كالحر، والبرد، والجوع، والعطش-، وأما أن يضره بما يبلغ به مراده منه، فلا يكون أبدًا.**

وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء وفي الحقيقة إحسان وإضرار بنفسه، وبين الضر الذي يتشفى به منه.

قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، **ولم يقل: فله كذا وكذا من الأجر؛ كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه -سبحانه- كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه.**

فلو توكل العبد على الله حق توكله، وكادته السماوات والأرض ومن فيهن، لجعل الله له مخرجًا، وكفاه، ونصره. انتهى[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقولِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣])، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾، يعني: يعتمد على الله، ويفوض أموره إلى الله.

﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، يعني: كافيه؛ فلا يحتاج إلى أحد.

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٩- ٢٤٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أي: كافيه)**، ﴿حَسْبُهُۥٓ﴾، أي: كافيه، فلا يحتاج إلى غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوه)**، من كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدو؛ الله يحفظه وينصره ويؤيده على الأعداء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يضره إلا أذى لابد منه: كالحر، والبرد، والجوع، والعطش)**، هذه أشياء تأتي على كل أحد؛ على المؤمن والكافر، الحر والبرد، والجوع والعطش، تأتي على كل مخلوق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما أن يضره بما يبلغ به مراده منه، فلا يكون أبدًا)**، وأما أن العدو يضر المؤمن ضررًا كاملًا، فهذا لا يكون أبدًا، يضره جزئيًّا، لكن لا يضره ضررًا كاملًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء)**، الأذى يقع على الناس وعلى المؤمنين، ولكن الضرر لا يقع على المؤمن الضرر الكامل، يقع عليه شيء من الضرر، لكن لا يقع عليه ضرر كامل ينقطع معه عن الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء وفي الحقيقة إحسان وإضرار بنفسه)**؛ لأنه تطهير له، وتربية له، تمحيص له، هذا الذي يصيب المؤمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبين الضر الذي يتشفى به منه)**، يتشفى به منه العدو.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل جعل نفسه -سبحانه- كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه)**، تكفل الله بهذا؛ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، أي: كافيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلو توكل العبد على الله حق توكله، وكادته السماوات والأرض ومن فيهن، لجعل الله له مخرجًا، وكفاه، ونصره)**، إذا اعتمد على الله وتوكل على الله، ولو كادته الأرض والسماوات ومن فيهن، لم يضروه؛ لأن الله يقيه ويمنعه من ضررهم؛ لم يضروه، لكن يتأذى، يحصل عليه أذى من الناس، لكن هذا الأذى يزول بإذن الله، ويخلفه النصر والتأييد والإعانة. والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾، يعني: الكفار، لا تضعفوا في ابتغائهم وقتالهم؛ ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء:١٠٤]، هذا ليس عندهم، رجاء الله ليس عند الكفار، إنما هو عند المؤمنين.

....

ش: وفي أثر رواه أحمد في «الزهد» عن وهب بن منبه قال: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ: بِعِزَّتِي إِنَّهُ مَنِ اعْتَصَمَ بِي فَكَادَتْهُ السَّمَاوَاتُ بِمَنْ فِيهِنَّ، وَالْأَرْضُونَ بِمَنْ فِيهِنَّ، فَإِنِّي أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَخْرَجًا. وَمَنْ لَمْ يَعْتَصِمْ بِي، فَإِنِّي أَقْطَعُ يَدَيْهِ مِنْ أَسْبَابِ السَّمَاءِ، وَأَخْسِفُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ الْأَرْضَ، فَأَجْعَلُهُ فِي الهَوَاءِ، ثُمَّ أَكِلُهُ إِلَى نَفْسِهِ. كَفَى بِي لِعَبْدِي مَآلًا. إِذَا كَانَ عَبْدِي فِي طَاعَتِي، أُعْطِيهِ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِي، وَأَسْتَجِيبَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوَنِي، فَأَنَا أَعْلَمُ بِحَاجَتِهِ الَّتِي تَرْفُقُ بِهِ مِنْهُ»(١).

وفي الآية دليل على فضل التوكل، وأنه أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار؛ لأن الله تعالى علق الجملة الأخيرة على الأولى تعليق الجزاء على الشرط، فيمتنع أن يكون وجود الشرط كعدمه؛ لأنه -تعالى- رتب الحكم على الوصف المناسب له، فعُلِمَ أن توكله هو سبب كون الله حسبًا له.

وفيها تنبيه على القيام بالأسباب مع التوكل؛ لأنه -تعالى- ذكر التقوى، ثم ذكر التوكل؛ كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة:١١]، فجعل التوكل مع التقوى الذي هو قيام [الأسباب](٢) المأمور بها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بنحوه في الزهد (ص ٨٠)، وأبو داود في الزهد (ص٣٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩١٠).

(٢) كذا في فتح المجيد، ولعله تصحيف، والصواب -والله أعلم-: (بالأسباب)؛ كما في تيسير العزيز الحميد (ص٤٣٢).

فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز محض، وإن كان مشوبًا بنوع من التوكل، فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزًا، ولا عجزه توكلًا، بل يجعل توكله من جملة الأسباب التي لا يتم المقصود إلا بها كلها. ذكره ابن القيم بمعناه(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي أثر رواه أحمد في «الزهد»)**، «الزهد»: كتاب مطبوع موجود للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن وهب بن منبه)**، وهب بن منبه: هذا من احبار اليهود، وهب بن منبه، وهمام بن منبه، وكعب الأحبار هؤلاء من كبار علماء اليهود في اليمن، فأسلموا على عهد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصاروا من علماء المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَأَنَا أَعْلَمُ بِحَاجَتِهِ الَّتِي تَرْفُقُ بِهِ مِنْهُ)**، أنا أعلم بحاجته منه، الله يعلم حوائج العبد أكثر مما يعلمها العبد نفسه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الآية دليل على فضل التوكل)**، في الآية: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢]، يقصد هذه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنه أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار)**، بلا شك، التوكل على الله والاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب؛ لابد من

---

(١) انظر: زاد المعاد (٢/ ٣٣٠- ٣٣١).

الأمرين: التوكل على الله، والأخذ بالأسباب النافعة؛ فلا يقتصر على التوكل على الله، ويترك الأسباب، ولا يأخذ بالأسباب، ويترك التوكل على الله، لابد من الجمع بينهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فعُلِمَ أن توكله هو سبب كون الله حسبًا له)**، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾، هذا سبب، ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، هذه النتيجة والفائدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيها تنبيه على القيام بالأسباب مع التوكل)**، لا تعتمد على الأسباب، وتترك التوكل على الله، ولا تعتمد على التوكل على الله، وتترك الأسباب؛ لابد من الجمع بينهما.

الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أعظم المتوكلين على الله، ومع هذا كان يأخذ بالأسباب، كان يلبس الدرع للوقاية من السهام، وكان يأخذ السلاح معه للوقاية من العدو، كان يأخذ بالأسباب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لأنه تعالى ذكر التقوى، ثم ذكر التوكل؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المائدة:١١])**، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: اجعلوا بينكم وبينه وقاية من غضبه وعقابه؛ بطاعته وامتثال أمره واجتناب نهيه. تأخذ هذه الأمور مع التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يجتمع لك فعل السبب والتوكل على الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز محض)**، الاقتصار على التوكل وترك الأسباب عجز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزًا، ولا عجزه توكلًا)**؛ كما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا تجعلوا توكلكم عجزًا[1].

(١) لم أقف عليه مرويًّا عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**؛ قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حين ألقي في النار، وقالها محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾** [آل عمران:١٧٣]**» رواه البخاري والنسائي**(١).

ش: **قوله: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾، أي: كافينا، فلا نتوكل إلا عليه، قال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾** [الزمر:٣٦].

قوله: ﴿وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]**، أي: نعم الموكول إليه؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾** [الحج:٧٨]**، ومخصوص (نِعمَ) محذوف تقديره (هو).**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ**: (وعن ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**؛ قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حين ألقي في النار، وقالها محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾** [آل عمران:١٧٣]**)، ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾** هذه كلمة عظيمة، كلمة قرآنية قالها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما ألقي في النار، لما أنكر على قومه عبادة التماثيل التي صوروها على صور الصالحين، ونصبوها، في الأول نصبوها ليتذكروا أعمالهم؛ فيقتدوا بهم، ثم مضى هذا الجيل الذي فيه العلماء، ولم تعبد هذه التماثيل؛ لأن فيهم العلماء يمنعونهم وينكرون عليهم،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٣، ٤٥٦٤)، والنسائي في الكبرى (٩/ ٢٢٣، ١٠/ ٥٤).

فلما مات العلماء، جاءهم الشيطان، وقال لهم: إن آباءكم لم ينصبوا هذه الصور إلا ليعبدوها من دون الله عَزَّوَجَلَّ، فعبدوها، فحدث الشرك في الأرض منذ ذلك التاريخ على عهد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ. ثم جاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنكر عليهم هذه التماثيل، قال: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٥٢، ٥٣]، ثم إنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى إليها على غفلة منهم، أو أنهم انشغلوا بعيد لهم، فحطمها وكسرها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بيده، وأبقى واحدًا منها، فلما جاءوا، وجدوا أصنامهم مكسرة، ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥٩]، يعني: الذي كسر الأصنام يكون من الظالمين، والذي يعبدها يكون من الصالحين؟! هذا من انتكاس الفطرة. ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى﴾: هو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ﴾ [الأنبياء:٥٩-٦١]؛ فجاءوا بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٢، ٦٣]: الصنم الذي أبقاه، ووضع الفأس في عنقه، قال: ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾، هم لا يؤمنون بالله، لا أحد يرضى أن يعبد معه أحد، ولذلك قضى عليها، ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾، فخصمهم بقوله: ﴿إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٣]، لا ينطقون، جمادات مصنوعة لا تنطق. ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنبياء:٦٥-٦٧]،

لجؤوا إلى القوة، ليس عندهم حجة إلا التقليد، ثم القوة، ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٦٨]، فجمعوا حطبًا عظيمًا، وأوقدوا منه نارًا عظيمة، لم يقدروا على أن يقربوا منها، فأخذوا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ووضعوه في المنجنيق -آلة قاذفة-، ثم رموا به في النار ليحرقوه. قال الله جَلَّ وَعَلَا للنار: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩]، فأصبحت بردًا وسلامًا وروضة، ولم تضر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل أصبح في روضة؛ لأن الله قال: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾؛ لأنه لو قال: ﴿بَرْدًا﴾ فقط، لأهلكت إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ببردها، لكن قال: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].

وحينما وضعوه في المنجنيق؛ ليقذفوه في هذه النار، قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، أي: الله كافينا، ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾؛ الذي نتوكل عليه، ونسند إليه أمورنا وشكاوانا، ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩]، هذه مناسبة أن إبراهيم قال هذه الكلمة، ونفعه الله بها.

وقال محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين بعد وقعة أحد وما جرى على المسلمين فيها من النكبة، وانصرف المشركون إلى مكة بعد الوقعة، ثم بدا لهم، وقالوا: لم نقض عليهم، تركنا منهم ناسًا، فعزموا على أن يرجعوا إلى المسلمين؛ فيقضوا عليهم مرة واحدة، وأرسلوا رجلًا منهم إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين، أخبروهم أنهم سيرجعون إليهم ويستأصلونهم، وقال هذا النذير للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣]، جمعوا لكم؛ يرجعون عليكم، قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ

ﵟٱلۡوَكِيلُﵞ [آل عمران:١٧٣]، هذه الكلمة، ﵟحَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُﵞ، وخرج الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بما فيهم الجرحى في أحد، ونزل في مكان يقال له: «حمراء الأسد» على الطريق إلى مكة؛ ينتظرون رجعة المشركين عليهم. فلما علم المشركون بخروج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، قالوا: لم يخرجوا إلا وفيهم قوة، فألقى الله الرعب في قلوبهم، وانصرفوا إلى مكة خاسئين منهزمين.

وهذه القصة بما فيها يقول المصنف: (قالَهَا إِبْرَاهِيمُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِيْنَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وقالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِيْنَ قَالُوا لَهُ: ﵟإِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡﵞ [آل عمران:١٧٣])، يقولون: اخشوهم. قال: ﵟحَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُﵞ [آل عمران:١٧٣]، فنجاهم الله من كيد العدو ونصرهم، وصارت العاقبة للمسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعن ابن عبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا**؛ قَالَ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ قالَهَا إِبْرَاهِيْمُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حِيْنَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وقالَهَا مُحَمَّدٌ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حِيْنَ قَالُوا لَهُ: ﵟإِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُﵞ** [آل عمران:١٧٣])، بدل أنهم يخشونهم ويخافون منهم زادهم إيمانًا بالله وثقة بالله، ﵟوَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُﵞ [آل عمران:١٧٣]؛ نحن متوكلون على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وسيكف شرهم عنا. فكف الله شرهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: ﵟحَسۡبُنَا ٱللَّهُﵞ، أي: كافينا، فلا نتوكل إلا عليه)**، ﵟحَسۡبُنَا ٱللَّهُﵞ، أي: كافينا؛ يكفينا شرهم وكيدهم.

ﵟحَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُﵞ [آل عمران:١٧٣]، الموكول إليه أمورنا،

هذا توكل على الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، فالله جَلَّوَعَلَا كفاهم شرهم، ورجعوا خاسئين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦])، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾؟ بلى، الله كاف عبده.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: يخوفونك بالجبابرة والطواغيت، ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ أيها الرسول ﴿بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:٣٦]؛ غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، **أي: نعم الموكول إليه)**؛ التوكل على الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال -تعالى-: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨])، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾، أي: توكلوا عليه، ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: هو مولاكم الذي يتولى أموركم، وهو الذي ينصركم ويخذل عدوكم.

﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾: كلمة مدح، ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: الله جَلَّوَعَلَا.

فمن نصره الله، فإنه لا يهزم أبدًا، وهذا ما حصل لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين، نصرهم الله على الكفار، ولم يتسلطوا عليهم، رغم المحاولات والغزوات والتألب، لم يدركوا من المسلمين شيئًا، هذه نتيجة التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومخصوص «نِعمَ» محذوف تقديره «هو»)، ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ هو، مخصوص بالمدح «هو» ضمير منفصل، «هو»: أي الله.

....

ش: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو حسب من توكل عليه، وكافٍ من لجأ إليه، وهو الذي يؤمن خوف الخائف، ويجير المستجير، فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه، وانقطع بكليته إليه، تولاه، وحفظه، وحرسه، وصانه، ومن خافه واتقاه، أمنه مما يخاف ويحذر، ويجلب إليه ما يحتاج إليه من المنافع[1].

قوله: «قالَهَا إِبْرَاهِيمُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِيْنَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴾ [الأنبياء:٦٨-٧٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**هو حسب من توكل عليه، وكافٍ من لجأ إليه، وهو الذي يؤمن خوف الخائف، ويجير المستجير**)، التوكل على الله هذه نتائجه وثمراته؛ وهذا الذي حصل للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ على قلتهم وكثرة عدوهم؛ الناس كلهم أعداء لهم في وقتهم، كل أهل الأرض أعداء لهم في وقتهم، ومع هذا حفظهم الله من شرهم وكيدهم، ونصر محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، حتى إنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما فتح مكة، دخل في الكعبة، ونقاها مما في جدرانها مما وضعه المشركون، وغسلها، ونقاها، خرج من الكعبة، وإذا أهل مكة مجتمعون في المسجد -المسجد الحرام-؛ ينتظرون ماذا يفعل بهم؛ لأنهم آذوه، وقاتلوه، وألبوا عليه، ينتظرون ماذا يفعل بهم. قال: «**يَا مَعْشَرَ**

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٧).

قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ**»[(١)]. فعفا عنهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدما مكنه الله منهم، قال: «**اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ**»، فعفا عنهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قال -تعالى-:** ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء:٦٨-٧٠])، أرادوا بإبراهيم الكيد والتهديد، فالله جَلَّ وَعَلَا كف شرهم عنه، ونصره عليهم، وقال لنارهم التي أوقدوها: ﴿كُونِى بَرْدًا﴾، أمرها الله: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾، لو لم يقل: ﴿وَسَلَٰمًا﴾، لأهلكت إبراهيم بشدة البرد، ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].

---

(١) انظر: مغازي الواقدي (٢/ ٨٣٥)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٤١٢)، وتاريخ الطبري (٣/ ٦١)، وتفسير البغوي (٥/ ٣٢٣).

....

ش: قوله: «وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، وذلك بعد منصرف قريش والأحزاب من أحد، بلغه أن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا الكرة عليهم، فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سبعين راكبًا، حتى انتهى إلى «حمراء الأسد»، فألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان، فرجع إلى مكة بمن معه.

وَمَرَّ بِهِ رَكْبٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَقَالَ، أَيْنَ تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ الْمَدِينَةَ، قَالَ: فَهَلْ أَنْتُمْ مُبَلِّغُونَ مُحَمَّدًا عَنِي رِسَالَةً؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا وَافَيْتُمُوهُ، فَأَخْبِرُوهُ أَنَّا قَدْ أَجْمَعْنَا السَّيْرَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ؛ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ، فَمَرَّ الرُّكْبُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ، فَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»(١).

ففي هاتين القصتين فضل هذه الكلمة العظيمة، وأنها قول الخليلين -عليهما الصلاة والسلام- في الشدائد. وجاء في الحديث: «إِذَا وَقَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ الْعَظِيْمِ، فَقُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»(٢).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٢٤٦).

(٢) أخرجه ابن مردويه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٧٠)، والدر المنثور (٢/ ٣٩٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك بعد منصرف قريش والأحزاب من أحد، بلغه أن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا الكرة عليهم)**، عزموا على الرجوع إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ ليستأصلوا بقيتهم، وأرسلوا إلى الرسول من يخبره بذلك؛ من باب التهديد؛ حتى يحصل أن الرسول يخاف منهم. فما كان إلا أن قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، ولم يتضعضعوا ولم يخافوا، رغم ما هم فيه من القتل والجراح وتهديد العدو، لم يضعضعهم ذلك ولم يخفهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك بعد منصرف قريش والأحزاب من أحد، بلغه أن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا الكرة عليهم)**، أي: الرجوع إليهم بعد أحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَهَلْ أَنْتُمْ مُبَلِّغُونَ مُحَمَّدًا عَنِي رِسَالَةً)**؛ يقوله أبو سفيان لبني عبد القيس، أهل الأحساء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَقَالَ: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»)**، هذه الآية ساقها الشيخ في: بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وجاء في الحديث: «إِذَا وَقَعْتُمْ فِي الأَمْرِ العَظِيمِ، فَقُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»)**، يعني: في الكرب والشدة، «فَقُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»؛ فإن هذه الكلمة عظيمة، فإذا قالها المسلم عن إيمان، فإن الله يعصمه بها ويحميه وينصره.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: أَنَّ التَّوَكُّلَ مِنَ الفَرَائِضِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ مِنْ شُرُوْطِ الإِيْمَانِ.

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ الأَنْفَالِ.

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيْرُ الآيَةِ فِي آخِرِهَا.

الخَامِسَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ الطَّلَاقِ.

السَّادِسَةُ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ الكَلِمَةِ، وَأَنَّهَا قَوْلُ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **وَمُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِي الشَّدَائِدِ.**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فِيْهِ مَسَائِلُ**)، في هذا الباب مسائل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الأُوْلَى: أَنَّ التَّوَكُّلَ مِنَ الفَرَائِضِ**)؛ أن التوكل على الله من الفرائض، يعني: واجب، فريضة؛ لأن الله أمر به في قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، فهو واجب، وهو من أعظم أنواع العبادة، التوكل على الله من أعظم أنواع العبادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ مِنْ شُرُوْطِ الإِيْمَانِ**)، ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]؛ أن التوكل على الله من شروط الإيمان، فالذي لا يتوكل على الله، فليس بمؤمن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ الأَنْفَالِ**)، ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]، هذا شأن المؤمنين أنهم ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾، أي:

يعتمدون عليه، ويفوضون أمورهم إليه، لا يتوكلون على قوتهم، ولا على كثرتهم، وإنما يتوكلون على الله، مع الأخذ بالأسباب، فلابد من الجمع بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب النافعة؛ فلا يقتصر على التوكل على الله، ويترك الأسباب، ولا يعتمد على الأسباب، ويترك التوكل على الله، بل يجمع بينهما. هذا شأن المؤمنين؛ يعمل الأسباب، ويتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا شأن المؤمنين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ فِي آخِرِهَا)**، تفسير الآية في آخرها، وآخرها: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]، أي: يعتمدون عليه، لا على غيره، بل يعدون الأسباب، ويتوكلون على الله في حصول المطلوب، وإلا الأسباب إذا لم يتوكل على الله، لا تنفع؛ ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥]، لم تنفعهم الكثرة، اثنا عشر ألفًا، لم يسبق أن تجمع هذا الجيش مع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ومع هذا لم تنفعهم كثرتهم؛ ﴿فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾؛ لأن هوازن حاصرتهم بالوادي -وادي حنين-، وهي تعرف مداخل الوادي ومخارجه، والمسلمون لا يعرفون، فحصل على المسلمين شدة، ولما رأوا شدة الكفار، وأنهم أحاطوا بهم، انصرفوا وتركوا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، لم يبق إلا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ومعه أبو عبيدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ ابن عمه ومعه عمه العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، فأمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ -وكان له صوتًا جهوريًّا-، فنادى: يا معشر المسلمين، يا معشر المسلمين،

يا أصحاب الشجرة. فلما سمعوا الصوت، انعطفوا عليه، وأحاطوا بالرسول ﷺ، فلما رآهم الكفار، انهزموا[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الطَّلَاقِ)**، وهي: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، يعني: كافيه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٣]، الاعتماد على الله والتوكل على الله شأنه عظيم مع الأخذ بالأسباب النافعة، فالجمع بين الأمرين: التوكل على الله، والأخذ بالأسباب النافعة الواقية بإذن الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةُ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ الكَلِمَةِ)**، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] كلمة عظيمة، ولها نتائج عظيمة، إذا قالها المسلم معتقدًا لمعناها، فإنها حصن حصين له من عدوه؛ عدوه الجن، وعدوه الإنس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةُ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ الكَلِمَةِ، وَأَنَّهَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **وَمُحَمَّدٍ** ﷺ **فِي الشَّدَائِدِ)**، قالها الخليلان: إبراهيم ومحمد ﷺ، إبراهيم حينما ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حينما هدده الكفار: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣].

---

(١) سبق عزوه (ص٥٧٠).

٣٣- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾

[الأعراف:٩٩].

ش: قوله: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩]).

قصد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الآية التنبيه على أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب، وأنه ينافي كمال التوحيد؛ كما أن القنوط من رحمة الله كذلك، وذلك يرشد إلى أن المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء؛ كما دل على ذلك الكتاب والسنة، وأرشد إليه سلف الأمة والأئمة.

ومعنى الآية: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل، بيَّن أن الذي حملهم على ذلك هو الأمن من مكر الله، وعدم الخوف منه؛ كما قال تعالَى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٧-٩٩]، أي: الهالكون، وذلك أنهم أمنوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء والنعم، فاستبعدوا أن يكون ذلك مكرًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩])، ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ

﴿ٱللَّهِ﴾: هذا استنكار، ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾: الله جَلَّوَعَلَا يمكر بمن مكر به، أو مكر بأوليائه.

والمكر: هو إيصال الأذى إلى الشخص من طريق لا يعرفه الشخص(١)، لا يدري من أين جاء.

والله جَلَّوَعَلَا يمكر بمن مكر به، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]، لما اجتمعوا يريدون قتل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وحاصروه، رفعه الله من بينهم، ونجاه منهم؛ ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٤].

وكذلك المشركون لما مكروا بنبي الله محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، كف الله شرهم، ونصر الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(قصد المصنف** رَحِمَهُٱللَّهُ **بهذه الآية التنبيه على أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب)**؛ يعني: إذا أنعم الله عليك وأعطاك ونصرك، فلا تغتر بهذا، وتنسى أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد يعاقبك ويسلب هذه النعمة منك، ويسلط عليك أعداءك، لا تنس هذا؛ تغتر بالنعمة، وتغتر بالقوة، وتغتر بالنصر، لا تغتر بهذا أبدًا، الله جَلَّوَعَلَا قد يسلط عليك من حيث لا تشعر، وهذا هو المكر، وهذا من باب فعل المقابلة والجزاء، فهو عدل من الله جَلَّوَعَلَا.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: (المكر: إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد والمخادعة، ولكنه نوعان: قبيح: وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه، وحسن: وهو إيصاله إلى مستحقه عقوبة له. فالأول مذموم، والثاني ممدوح، والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يُحمد عليه عدلًا منه وحكمة) إعلام الموقعين (٣/ ١٧١). وانظر -أيضًا-: تفسير السمعاني (٣/ ١٠١)، والفتاوى الكبرى (٦/ ١٣٠).

المكر عدل من الله، والمكر من المخلوق هذا جريمة، والمكر من الله عدل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من باب المقابلة؛ ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٣٠]، ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٥٤]؛ مثل: الاستهزاء؛ ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة:١٥]، هذا من باب المقابلة والجزاء، ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾، يعني: المنافقين، ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥]، العمه أشد من العمى، العمه: لايدري الإنسان أين يذهب أو أين يأتي، ولا يتصرف(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قصد المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بهذه الآية التنبيه على أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب)**، الإنسان لا يأمن مكر الله؛ ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩]، فالإنسان إذا أعطاه الله مالًا، وأعطاه أولادًا، وأعطاه مكانة، لا يغتر بهذا، بل يتذكر أن الله يبتليه ويمتحنه، وهو قادر على أن يحيط به، وأن يسلبه ما عنده في لحظة واحدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما أن القنوط من رحمة الله كذلك)**؛ يتقابلان: القنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله كلاهما مذموم، فلا يقنط من رحمة الله.

لما جاءت الملائكة إلى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبشروه بالولد، وقد بلغ التسعين أو المائة، لم يكن له أولاد، ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ

---

(١) قال الأزهري: (وَمعنى يعمهون: يتحيّرون. وَقد عَمِه يعمَه عَمَهًا. وَقَالَ بَعضهم: العَمَه فِي الرَّأْي والعَمَى فِي الْبَصَر. قلت: وَيكون العَمَى عَمَى الْقلب، يُقَال رجلٌ عَمٍ، إِذا كَانَ لَا يبصر بِقَلْبِه) تهذيب اللغة (١/ ١٠٦). وانظر -أيضًا-: مقاييس اللغة (٤/ ١٣٣)، والمحكم لابن سيده (١/ ١٢٨- ١٢٩)، ولسان العرب (١٣/ ٥١٩).

فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ [الحجر:٥٤، ٥٥]، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وذلك يرشد إلى أن المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء)**، يقولون: المؤمن يكون بين الخوف والرجاء كالطائر بالجناحين يكون معتدلًا هذا في حياته، أما إذا نزل به الموت فإنه يغلب جانب الرجاء بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن العمل انقطع وانتهى، فيعظم الأمل بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ**»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومعنى الآية: أن الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل)**، لما ذكر الله ما حلَّ بالأمم السابقة في سورة الأعراف، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا﴾ [الأعراف:٩٩-١٠١]، فهذا ذكره الله في سورة الأعراف.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(بيَّن أن الذي حملهم على ذلك هو الأمن من مكر الله، وعدم الخوف منه)**، لما أعطاهم الله وأنعم عليهم نسوا العقوبة، ونسوا أن الله يغير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليهم، نسوا هذا، واغتروا بما في أيديهم من القوة ومن النعمة، وهذه طريقة خاسرة -والعياذ بالله!

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٧)، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالإنسان لا يغتر بما أعطاه الله من الصحة ومن المال ومن الأولاد، بل يتوقع من الله التغيير؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١].

الإنسان لا يغتر بحالته وغناه وشبابه وملكه، هو فقير إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٧ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٩٨ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٧-٩٩])**، هذا في سورة الأعراف.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾، أي: البلدان، البلدان: هي القرى.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾: في الليل ينزل عليهم البلاء والعقوبة.

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾، يعني: يلعبون بما معهم من النعمة وينسون العقوبة، ويأملون ويشربون ويضحكون، ثم قال: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف:٩٩، ١٠٠]، يعني: إذا تمادوا في هذا الأمر، طبع الله على قلوبهم، ووضع عليها الطابع، فلا يصل إليها خير، ولا تنتفع بمواعظ، مطبوع عليها، الطابع إذا وُضِعَ على الكيس

انتهى، خُتِمَ، ﴿ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [النحل:١٠٨]، فلا يدخل إليها خير، ولا يدخل إليها نصيحة -نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالَى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾** [الأعراف:٩٧-٩٩])، ﴿ **وَهُمْ نَآئِمُونَ** ﴾، ﴿ **وَهُمْ يَلْعَبُونَ** ﴾: متقابلان، النائم نائم لا يدري عن شيء، لكن الذي يلعب ويذهب ويمرح هذا متيقظ، ولكنه آمن من عذاب الله -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾** [الأعراف:٩٩]، **أي: الهالكون)**، المكر في أصله مذموم، لكن المكر إذا كان في محله، فهو محمود من الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه في محله، وهو جزاء على الكفر والشرك والمعاصي، فهو عدلٌ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك أنهم أمنوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء والنعم، فاستبعدوا أن يكون ذلك مكرًا)**، ﴿ **وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ** ﴾ [الأعراف:٩٥]، يقولون: إن هذا شيء عادي، هذه المصائب والأمور التي تجري ليست دليلًا على غضب الله، هذا شيء عادي، جري على الذين من قبلنا ويجري علينا ونذهب، هكذا يظنون.

....

ش: وَقَالَ الحَسَنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرَ أَنَّهُ يَمْكُرُ بِهِ، فَلَا رَأْيَ لَهُ»(١).

وَقَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بَغَتَ الْقَوْمَ أَمْرُ اللهِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ قَوْمًا قَطُّ، إِلَّا عِنْدَ سَلْوَتِهِمْ، وَغِرَّتِهِمْ وَنِعْمَتِهِمْ، فَلَا تَغْتَرُّوا بِاللهِ»(٢).

وفي الحديث: «إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ». رواه أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم(٣).

وقال إسماعيل بن رافع(٤): «مِنَ الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ: إِقَامَةُ العَبْدُ عَلَى

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٩١)، وابن أبي الدنيا في الزهد (ص٣٧)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٥٦)، وانظر: الدر المنثور (٣/ ٢٧٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٩١، ٥/ ١٥٢٨)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٥٦)، وانظر: الدر المنثور (٣/ ٢٧٠).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ٥٤٧)، وفي الزهد (ص١٣ رقم ٦٣)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٣٠)، وفي الأوسط (٩/ ١١٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤٤١)، وفي شعب الإيمان (٦/ ٢٩٨)، وفي القضاء والقدر (ص٢٤٢، ٢٤٣)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٩٠).

(٤) هو إسماعيل بن رافع بن عويمر، ويقال ابن أبي عويمر، أبو رافع المدني، حدث عن سعيد المقبري، ومحمد بن المنكدر، وسمع مولى أبي بكر بن عبد الرحمن، وسلمان مولى أبي سعيد الخدري، وروى عنه أخوه إسحاق بن رافع، والليث بن سعد وهو من أقرانه، ووكيع، وعبدة بن سليمان، وغيرهم. ضعفه الإمام أحمد، ويحيى بن معين، والنسائي، وجماعة. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ١٦٨)، والكامل في ضعفاء الرجال (١/ ٤٥٢- ٤٥٣)، وميزان الاعتدال في نقد الرجال (١/ ٢٢٧).

الذَّنبِ يَتَمَنَّى عَلَى اللهِ المَغْفِرَةِ». رواه ابن أبي حاتم[(١)].

وهذا هو تفسير المكر في قول بعض السلف: يستدرجهم الله بالنعم إذا عصوه، ويملي لهم، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وهذا هو معنى المكر والخديعة ونحو ذلك، ذكره ابن جرير بمعناه[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَالَ الحَسَنُ)**، الحسن البصري.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَالَ الحَسَنُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«مَنْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرَ أَنَّهُ يَمْكُرُ بِهِ، فَلَا رَأْيَ لَهُ»)**، من وسع الله عليه، وأمن أن الله يمكر به ويستدرجه فلا عقل له. قال الحسن: فليس عنده رأي. أي: رأي ينفعه، بل على الإنسان أن يخاف من مكر الله؛ ﴿**أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ**﴾ [الأعراف:٩٩]؟ لا، يخاف من مكر الله، فلا يأمن ولا يغتر بما معه وما عنده من المال والقوة والشباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَالَ قَتَادَةُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**: قتادة بن دعامة الدوسي، هذا من أصحاب ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَالَ قَتَادَةُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«بَغَتَ الْقَوْمَ أَمْرُ اللهِ»)**، بغتهم على غرة، أصابهم على غرة وهم آمنون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَا أَخَذَ اللهُ قَوْمًا قَطُّ، إِلَّا عِنْدَ سَلْوَتِهِمْ، وَغِرَّتِهِمْ وَنِعْمَتِهِمْ، فَلَا تَغْتَرُّوا بِاللهِ)**، فلا تغتروا بالله إذا أعطاكم ووسع عليكم، بل خافوا أن هذا مكر من الله، وأن وراءه عقوبة، خافوا من هذا.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٢٩)، وانظر: الدر المنثور (٣/ ٥٠٧).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٣٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي الحديث: «إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»**)، إذا رأيت الله يعطي العبد، يعطيه من النعم، وهو مقيم على المعصية، فليس هذا رضا من الله، وإنما هو استدراج، فعليه التوبة إلى الله، وعدم الاغترار بهذا؛ مثل الذي حصل لقارون؛ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾: مفاتح الكنوز وحدها ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾: تثقل العصبة الجماعة ﴿أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾: هذه مفاتيح فقط، ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾: نصحوه، الفرح: المراد به فرح الغرور، ﴿لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦]، ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾: ليس لله فضل في هذا، أنا الذي حصلت عليه، وبخبرتي حصلت على هذا المال ومعرفتي؛ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ [القصص:٧٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال إسماعيل بن رافع: «مِنَ الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ: إِقَامَةُ الْعَبْدُ عَلَى الذَّنْبِ يَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الْمَغْفِرَةِ»**)، إقامة العبد على الذنب، يتمنى المغفرة وهو مقيم على الذنب؟! الذي يتمنى المغفرة هو الذي يستغفر الله، أما المقيم على الذنب ولا يستغفر الله، هذا غرور بالله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد:١٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال إسماعيل بن رافع: «مِنَ الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ: إِقَامَةُ الْعَبْدُ عَلَى الذَّنْبِ يَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الْمَغْفِرَةِ»**)، الله يغفر لمن تاب، ولا يغفر لمن أقام على الذنب ويستغفر وهو مقيم على الذنوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا هو تفسير المكر في قول بعض السلف: يستدرجهم الله بالنعم إذا عصوه، ويملي لهم، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وهذا هو معنى المكر والخديعة ونحو ذلك)**، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء:١٤٢]؛ جزاءً لهم، الله جَلَّوَعَلَا لا يخدع إلا بسبب، فهم لما عصوا الله، صار ينعم عليهم، ويعطيهم؛ من باب الخديعة لهم؛ ليستمروا على ما هم عليه.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

ش: القنوط: استبعاد الفرج واليأس منه. وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلاهما ذنب عظيم، وتقدم ما فيه لمنافاته لكمال التوحيد.

وذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الآية مع التي قبلها؛ تنبيهًا على أنه لا يجوز لمن خاف الله أن يقنط من رحمته، بل يكون خائفًا راجيًا، يخاف ذنوبه، ويعمل بطاعة الله، ويرجو رحمته؛ كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨].

فالرجاء مع المعصية وترك الطاعة غرور من الشيطان؛ ليوقع العبد في المخاوف مع ترك الأسباب المنجية من المهالك، بخلاف حال أهل الإيمان الذين أخذوا بأسباب النجاة؛ خوفًا من الله، وهربًا من عقابه، وطمعًا في المغفرة، والرجاء لثوابه.

والمعنى: أن الله تعالى حكى قول خليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما بشرته الملائكة بابنه إسحاق: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر:٥٤]؛ لأن العادة أن الرجل إذا كبر سنه وسن زوجته، استبعد أن يولد له منها. والله على كل شيء قدير.

فقالت الملائكة: ﴿بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر:٥٥] الذي لا ريب فيه؛ فإن الله إذا أراد شيئًا، إنما يقول له كن فيكون؛ ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾، أي: من الأيسين. فقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]، فإنه يعلم من قدرة الله وحكمته ما هو أبلغ من ذلك وأعظم، لكنه -والله أعلم- قال ذلك على وجه التعجب.**

قوله: ﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]. قال بعضهم: إلا المخطئون طريق الصواب، أو إلا الكافرون؛ كقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧][(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾** [الحجر:٥٦]**)**؛ كما سبق أن الواجب على المؤمن أن يكون بين الخوف والرجاء؛ فلا يكون على الرجاء فقط، ولا يكون على الخوف فقط، وإنما يجمع بينهما؛ حتى يتعادل؛ لأنه إن غلب عليه جانب الرجاء ضيع الأعمال والتوبة وتساهل، وإن غلب جانب الخوف قنط من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ.

الله جَلَّ وَعَلَا قال: **﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾** [الحجر:٥٦]، وقال في جانب الرجاء: **﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾** [الأعراف:٩٩].

والمكر من الله: هو الاستدراج، استدراج العبد، إذا أمن من مكر الله، فإنه يستدرج حتى يهلك. فلا يقتصر على الخوف فقط، ولا يقتصر على

---

(١) انظر: تفسير الكشاف (٢/ ٥٨١)، وتفسير النسفي (٢/ ١٩٣).

الرجاء فقط، وإنما يجمع بينهما، فيكون خائفًا راجيًا، هكذا يكون المؤمن في حياته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(القنوط: استبعاد الفرج واليأس منه)**، القنوط: هو استبعاد الفرج. إذا نزلت شدة، فإنه يستبعد الفرج منها. هذا هو القنوط من رحمة الله، وهذا ضلال؛ ﴿**وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ**﴾ [الحجر:٥٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو يقابل الأمن من مكر الله)**، الجانب الثاني المقابل: الأمن من مكر الله، من استدراجه للعبد، ﴿**أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ**﴾ [الأعراف:٩٩].

الإنسان لا يأمن من العقوبة؛ ﴿**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ**﴾ [المؤمنون:٥٥، ٥٦]، فالمؤمن يكون بين الخوف والرجاء، هذا الذي شرعه الله للمؤمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكلاهما ذنب عظيم)**، كلاهما: الأمن من مكر الله، واليأس من رحمة الله كلاهما منحرف عن الحق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتقدم ما فيه لمنافاته لكمال التوحيد)**، الأمن من مكر الله لا يتنافى مع التوحيد، فلا يكون كافرًا، ولكنه يتنافى مع كمال التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذكر المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **هذه الآية مع التي قبلها تنبيهًا على أنه لا يجوز لمن خاف الله أن يقنط من رحمته، بل يكون خائفًا راجيًا)**، لا يجوز لمن خاف الله أن يقنط من رحمته، ولا يجوز لمن يرجو رحمة الله أن يأمن من عقابه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(يخاف ذنوبه ويعمل بطاعة الله، ويرجو رحمته)**، يخاف ذنوبه، ويرجو رحمته؛ يخاف ويرجو، هكذا المؤمن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر:٩])**، ﴿يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ هذا محل الشاهد، ﴿يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ﴾: هذا هو الخوف، يعني: يخاف من الآخرة والمصير، ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾: هذا هو الرجاء، فيجمع بينهما.

وورد أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قرأ القرآن كله في ركعة واحدة، أطال القيام بركعة واحدة حتى قرأ القرآن كله(١).

فهذه الآية: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ﴾، يعني: قائم، ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾: ساعات الليل، كل الليل، هذا ينطبق على أمير المؤمنين عثمان بن عفان؛ حيث إنه ورد أنه قرأ القرآن كله في ركعة واحدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٨])**، أعمال جليلة: آمنوا، وهاجروا، وجاهدوا في سبيل الله، ومع هذا يرجون رحمة الله، ولا يجزمون لأنفسهم بالمغفرة، وإنما يرجون مع عملهم،

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٤٥٣)، وأحمد في الزهد (ص ١٠٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣٢٣، ٢/ ٨٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٥٧)، والخلال في السنة (٢/ ٣٣٢)، وابن الأعرابي في معجمه (٢/ ٦٣٢)، والآجري في الشريعة (٤/ ١٩٩٤): عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: قَالَتْ نَائِلَةُ بِنْتُ الْفُرَافِصَةِ الْكَلْبِيَّةُ حِينَ دَخَلُوا عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَتَلُوهُ قَالَ: فَقَالَتْ نَائِلَةُ بِنْتُ الْفُرَافِصَةِ: «إِنْ تَقْتُلُوهُ أَوْ تَدَعُوهُ فَقَدْ كَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ بِرَكْعَةٍ يَجْمَعُ فِيهَا الْقُرْآنَ».

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠]، ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾: من الطاعات والعبادات.

﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: خائفة من ربها، لا تزكي نفسها، ولا تعجب بأعمالها، وإنما تخاف من الله وترجوه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالرجاء مع المعصية وترك الطاعة غرور من الشيطان)**، الذي يعصي الله ولا يتوب، ويقول: الله غفور رحيم. نعم، الله غفور رحيم، لكن لمن تاب وآمن، وأما من يتمادى في المعاصي، فإن الله شديد العقاب.

كيف أن الإنسان يأخذ جانبًا، يأخذ أن الله غفور رحيم، وينسى أن الله شديد العقاب؟! الله جَلَّ وَعَلَا غفور رحيم، نعم، لكنه مع ذلك شديد العقاب، فيكون المؤمن يرجو رحمة الله، ويخاف من عقاب الله، هذا هو المؤمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالرجاء مع المعصية وترك الطاعة غرور من الشيطان)**؛ يستدرجه الشيطان، غرور: يعني استدراج من الشيطان؛ أنه يعمل المعاصي ولا يتوب منها، ويقول: الله غفور رحيم، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه:٨٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ليوقع العبد في المخاوف مع ترك الأسباب المنجية من المهالك)**، ولهذا يقول قائل هذا الصنف من الناس:

تَـزَوَّد مَا استَطَعتَ مِنَ الخَطايَا إِذَا كَانَ القُدومُ عَلَى كَريمِ[1]

---

(١) هذا البيت لأبي نواس، انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٩٧)، والدر الفريد (٥/ ٣٣٩)، والجواب الكافي (ص٢٢).

هذا غرور -والعياذ بالله-؛ أكثر من المعاصي؛ لأنك قادم على رحيم، ونسي أنه قادم على شديد العقاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بخلاف حال أهل الإيمان الذين أخذوا بأسباب النجاة؛ خوفًا من الله، وهربًا من عقابه، وطمعًا في المغفرة)**، يقومون الليل، ويصومون النهار، ويجاهدون في سبيل الله، ويعملون الأعمال الصالحة، وهم خائفون من الله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾: من الأعمال الصالحة، ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠]، فلا يغترون بأنفسهم وبعملهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمعنى أن الله -تعالى- حكى قول خليله إبراهيم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **لما بشرته الملائكة بابنه إسحاق: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر:٥٤])**، إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان لا ينجب، بلغ الثمانين وهو لم ينجب، ثم جاءته الملائكة بشرته بإسماعيل؛ ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١]، يعني: إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ [الحجر:٥٤، ٥٥]: لا تقنط من رحمة الله. قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لأن العادة أن الرجل إذا كبر سنه وسن زوجته، استبعد أن يولد له منها)**، ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هود:٧١، ٧٢]: تعجبت من هذا، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ

﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٢، ٧٣]، هذا ما حكاه الله عن إبراهيم وسارة -زوجه- بنت عمه أم إسحاق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فقال** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾** [الحجر:٥٦])، القنوط من رحمة الله ضلال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لكنه -والله أعلم- قال ذلك على وجه التعجب)**، هو لايستبعد أنه يولد له إذا أراد الله؛ ولكنه قال هذا من باب التعجب؛ ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ [الحجر:٥٤]، هذا من باب التعجب من أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: ﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾** [الحجر:٥٦]، **قال بعضهم: إلا المخطئون طريق الصواب)**، الضال: هو الذي يمشي على غير طريق صحيح، الضال: هو الضائع الذي أخطأ الطريق، وكذلك الذي يقنط من رحمة الله هذا يمشى على غير طريق صحيح، المسلم لا يقنط من رحمة الله مهما أصابه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: ﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾** [الحجر:٥٦]. **قال بعضهم: إلا المخطئون طريق الصواب، أو إلا الكافرون)**، الضلال يطلق على الطريق، يقال: ضل، إذا أخطأ الطريق. ويطلق الضال على الكافر، فالآية محتملة؛ ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، وكذلك لا يقنط من رحمة الله إلا المخطئون.

وَعَنْ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ، فَقَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ»**[١].

ش: هذا الحديث رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ورجاله ثقات إلا شبيب بن بشر، فقال ابن معين: ثقة. ولينه أبو حاتم[٢].

وقال ابن كثير: في إسناده نظر. والأشبه أن يكون موقوفًا[٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَعَنْ ابنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ**)، الكبائر كثيرة، وضابطها: كل ذنب توعد الله عليه بعقوبة -كاللعنة والغضب والعذاب-، فإنه كبيرة[٤]. وكل ذنب نهى الله عنه، ولم يتوعد عليه بعقوبة، فإنه من الصغائر، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١]، يعني: الصغائر، فالصغائر تكفر بمكفرات كثيرة، منها: اجتناب الكبائر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَعَنْ ابنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **سُئِلَ**

---

(١) أخرجه البزار كشف الأستار (١/ ٧١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٣١)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٦١).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام (٣/ ٨٩١)، وميزان الاعتدال (٢/ ٢٦٢)، وتهذيب الكمال (١٢/ ٣٥٩- ٣٦٠).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٧٨- ٢٧٩).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٦٥٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ٦٠)، وشعب الإيمان (١/ ٤٦٠)، وتفسير البغوي (١/ ٦٠٦).

عَنِ الكَبَائِرِ فَقَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ»، يعني: أكبر الكبائر الشرك بالله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣]، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢]، فالشرك هو أكبر الكبائر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ)**، أي: من رحمة الله، وهو القنوط؛ ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]، القنوط هو اليأس من رحمة الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ)**: الاستدراج، قد يستدرج الله العبد بالنعم، وهو يعصيه؛ لأجل أن يستدرجه، فيزداد من المعاصي -والعياذ بالله-، يستدرجه حتى يزداد من المعاصي، فيهلك؛ عقوبة له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال ابن كثير: في إسناده نظر. والأشبه أن يكون موقوفًا)**، الموقوف: ما كان من كلام الصحابي(١).

---

(١) انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص١١٧- ١١٨)، ومشيخة القزويني (ص٩٩)، والنكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي (١/ ٤١٢)، والتقييد والإيضاح (ص٦٦).

....

ش: قوله: «الشِّرْكُ باللهِ»، هو أكبر الكبائر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **الشرك بالله هضم للربوبية، وتنقص للإلهية، وسوء ظن برب العالمين. انتهى**[1].

ولقد صدق ونصح، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، **ولهذا لا يغفره الله إلا بالتوبة منه.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «الشِّرْكُ باللهِ». هو أكبر الكبائر)**، الشرك بالله هو أكبر الكبائر، والشرك بالله: هو أن يعبد مع الله غيره؛ يعبد الله، ثم يعبد الأشجار والأحجار والقبور وغير ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **الشرك بالله هضم للربوبية)**، هذا الشرك بالله، لماذا صار أكبر الكبائر؟ لأنه هضم للربوبية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتنقص للإلهية)**؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا رب العالمين، وهو الإله الحق؛ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة:١٦٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وسوء ظن برب العالمين)**، وهذا من أكبر الكبائر؛ ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤]، هذا من أمور الجاهلية: سوء الظن بالله عَزَّوَجَلَّ. والله يقول لأهل النار: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٦٠- ٦١).

ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت:٢٣]؛ لأنهم أساءوا الظن بالله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولقد صدق ونصح، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١])**، ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴾ [الأنعام:٢]، فالله جَلَّوَعَلَا هو الإله، وهو الرب الذي تفرد بالألوهية وبالربوبية، فلا يدعى إلا هو، ولا يرجى إلا هو، ولا يعتمد ولا يتوكل إلا عليه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان:١٣])**، يقول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان:١٣]، فالشرك هو أعظم الظلم، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه(١)، فمن أشرك بالله، فقد وضع العبادة في غير موضعها، وهذا ظلم، وهو أعظم الظلم. الظلم يتفاوت، بعضه أشد من بعضه، وأشد الظلم هو الشرك -والعياذ بالله-، ثم ظلم العباد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا لا يغفره الله إلا بالتوبة منه)**، والشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة منه؛ ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [المائدة:٧٢]، فالشرك لا يغفر أبدًا؛ من مات عليه، فلا يغفر له، ومأواه النار، هذا يحذر من الشرك، والإنسان يبتعد عن الشرك؛ لئلا يصيبه ويختم له به، فيكون من أهل النار، يلقى الله بالشرك

---

(١) انظر: غريب الحديث لابن قُتَيْبَةَ (٢/ ٨٤)، ومختار الصحاح (ص١٧٠)، ولسان العرب (١٢/ ٣٧٣)، والقاموس المحيط (ص١٤٦٤).

-والعياذ بالله-، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨]، لا يغفره الله، مع أن الله غفور رحيم، لكنه لا يغفر للمشرك؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾، أي: ما دون الشرك، ﴿لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، فالكبائر التي دون الشرك قد يغفرها الله جَلَّوَعَلَا، فالكبائر التي دون الشرك لايكفر الإنسان بها، وإنما يكون مذنبًا تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، وإن كان ذنبه من الكبائر التي لم تصل إلى الشرك، فإنه يرجى له المغفرة والرحمة، ما دام أنه مؤمن، ولو أساء، ولو أخطأ، ولو عصى، فإنه ترجى له المغفرة بإيمانه؛ يقول الله جَلَّوَعَلَا في الحديث القدسي: **«يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا»**، أي: ملء الأرض، **«لَوْ لَقِيتَنِي بِمِلْءَ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»**[1]، والله غفور رحيم، ما دون الشرك الله يغفره إذا شاء، وإن عذب به، فإن هذا التعذيب مؤقت -لا يخلد في النار إلا المشرك والكافر-، لا يخلد في النار وإن عُذِبَ. والمؤمن وإن عُذِبَ بسيئاته وذنوبه، فإنه لا يخلد في النار، بل يخرج منها، ويدخل الجنة، فمآله إلى الجنة.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٥/ ٣٩٨)، والترمذي (٢٤٩٥)، وابن ماجه (٣٨٢١)، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٣١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٣١)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: قوله: «واليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ»، أي: قطع الرجاء والأمل من الله فيما يخافه ويرجوه، وذلك إساءة ظن بالله، وجهل به وبسعة رحمته وجوده ومغفرته.

قوله: «وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ»، أي: من استدراجه للعبد وسلبه ما أعطاه من الإيمان -نعوذ بالله من ذلك-، وذلك جهلٌ بالله وبقدرته، وثقةٌ بالنفس وعجب بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «واليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ». أي: قطع الرجاء والأمل من الله)**، قطع الرجاء؛ رجاء الله جَلَّ وَعَلَا، والأمل من الله عَزَّ وَجَلَّ.

فأمل بربك خيرًا، وارج ربك، ولو كانت لك ذنوب، فإن الله يغفرها، وإن عذبك بها، فالعذاب مؤقت ولا يخلد في النار إلا الكافر والمشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك إساءة ظن بالله)**، ولهذا يقول الله للكفار إذا دخلوا النار: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ [فصلت:٢٣، ٢٤]، لو طلبوا المسامحة، لن يسامحهم الله، إذا لقوا الله بالشرك والكفر، لن يسامحهم الله أبدًا، أما المؤمن إذا لقى رباه بالمعاصي التي دون الشرك، فإنه حريٌ أن يغفرها الله له، وأن يسامحه.

وجاء في الحديث: أن رجلًا ممن كان قبلنا كان يرى أخاه على المعصية فينصحه وينهاه عنها، ثم يراه مرة ثانية فينصحه وينهاه عنها، ثم يراه بعد ذلك، فقال هذا الرجل: «**وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ** جَلَّوَعَلَا: **مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ** -أي: يحلف عليَّ- **أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**»[1].

المسلم يرجو رحمة الله مهما كان عمله، ما دام أنه لم يشرك بالله، يرجو رحمة الله، لكن لا يأمن من مكر الله؛ أن الله يستدرجه ثم يهلكه بذنوبه.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١)، من حديث جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

....

ش: **واعلم أن هذا الحديث لم يرد به حصر الكبائر في الثلاث، بل الكبائر كثير، وهذه الثلاث من أكبر الكبائر المذكورة في الكتاب والسنة.**

وضابطها ما قاله المحققون من العلماء: كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب[1]. زاد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أو نفي الإيمان[2].

قلت: ومن برئ منه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا»، وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «هي إِلَى سَبْعِمِائَةٍ أَقْرَبُ إِلَى سَبْعٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ»[3].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واعلم أن هذا الحديث لم يرد به حصر الكبائر في الثلاث)**، السؤال عن أكبر الكبائر، ليس عن الكبائر، إنما عن أكبر الكبائر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وضابطها ما قاله المحققون من العلماء)**، ضابط الكبيرة ما هو؟ ما هي الكبيرة؟ انتبهوا!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وضابطها ما قاله المحققون من العلماء: كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب)**، كل معصية توعد الله عليها بغضب، أو

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٦٥٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ٦٠)، وشعب الإيمان (١/ ٤٦٠)، وتفسير البغوي (١/ ٦٠٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٦٥١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٤)، البيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٤٠٦)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٦/ ١١١٠).

توعد عليها بنار، أو توعد عليها بأي نوع من أنواع الوعيد فهي كبيرة، وأما المعصية التي لم يتوعد الله عليها فهي معصية من الصغائر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وضابطها ما قاله المحققون من العلماء: كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب)**، هذا ضابط الكبيرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(زاد شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أو نفى الإيمان)**، أو ختمه بنفي الإيمان؛ كقوله: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[(١)]، بمعنى: أن الإيمان يزول عنه حال وقوعه في المعصية، ثم يرجع إليه بعد ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: ومن برئ منه رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، كذلك من ضابط الكبيرة: من برئ منه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كأن يقول: من فعل كذا وكذا، فليس منا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**هي إِلَى سَبْعِمِائَةٍ أَقْرَبُ إِلَى سَبْعٍ**»**)**، الكبائر كثيرة، هي إلى سبعمائة كبيرة أقرب، السبع هي أكبر الكبائر، وما دونها فإنها كبائر، لكنها ليست أكبر الكبائر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(غَيْرَ أَنَّهُ لَا كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ)**، انتبهوا! غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار؛ فإذا استغفر المسلم ربه، وإن كان عنده كبائر، وهو استغفر

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥، ٥٥٧٨، ٦٧٧٢، ٦٨١٠)، ومسلم (٥٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الله صادقًا بذلك، فإن الله يغفرها له، قال الله جَلَّوَعَلَا: «**إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ**): الذنب الصغير إذا تهاونت به، تساهلت به، ولم تتب منه وتتركه، فإنه يتعاظم ويصير كبيرة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ». رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ[١].

ش: ورواه ابن جرير بأسانيد صحاح عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ»، أي: في ربوبيته أو عبادته. وهذا بالإجماع.

قوله: «وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ». قال أبو السعادات: هو أشد اليأس[٢].

وفيه: التنبيه على الرجاء والخوف، فإذا خاف، فلا يقنط، ولا ييأس، بل يرجو رحمة الله.

وكان السلف يستحبون أن يقوي في الصحة: الخوف، وفي المرض: الرجاء. وهذه طريقة أبي سليمان الداراني وغيره، قال: وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا غلب الرجاء الخوف، فسد القلب[٣].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك:١٢]، وقال: ﴿يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [النور:٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠، ٦١].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤٤٨)، وفي مصنفه (١٠/ ٤٥٩)، والطبري في تفسيره (٦/ ٦٤٨).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١١٣).

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥١٣)، وفتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب (١٣/ ٢٧٧).

وقال: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر:٩] **الآية. قدم الحذر على الرجاء في هذه الآية.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ»)**، بلا شك أن الإشراك بالله هو أكبر الكبائر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ)**، وكذلك: الأمن من مكر الله؛ يقترف المعاصي، ويتساهل بها، ويقول: الله غفور رحيم. ولا يتوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ)**، واحد لما أذنب وكثرت الذنوب، ظن أن الله لا يغفر له، فترك الاستغفار؛ لأنه ظن أن الله لا يغفر له، ولا يتقبل استغفاره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ)**، من روح الله: يعني رحمة الله وفرج الله، مهما اشتد الأمر بالإنسان، فإن الفرج قريب، والفرج مع الكرب، فالفرج قريب، فلا تيأس من رحمة الله، وإن أشتد الكرب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ)**؛ عبد الرزاق الصنعاني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ورواه ابن جرير بأسانيد صحاح عن ابن مسعود)**، هذا الكلام يروى عن ابن مسعود بأسانيد ثابتة عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ» أي: في ربوبيته أو عبادته. وهذا بالإجماع)**، في ربوبيته؛ كأن يعتقد أن أحدًا يخلق مع الله، ويرزق مع الله، ويدبر مع الله، فهذا شرك في الربوبية.

أو في إلهيته؛ بأن يدعو غير الله، أو يعبد غير الله مع الله، أي: يعبد الله، ويعبد معه غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو السعادات)**، أبو السعادات: ابن الأثير شارح غريب الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ». قال أبو السعادات: هو أشد اليأس)**، القنوط: هو أشد اليأس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: التنبيه على الرجاء والخوف)**، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع بين الشرك بالله والأمن من مكر الله؛ ففيه: تنبيه على الجمع بين الرجاء والخوف؛ الخوف من الشرك، ورجاء مغفرة الله وعدم القنوط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: التنبيه على الرجاء والخوف، فإذا خاف، فلا يقنط، ولا ييأس، بل يرجو رحمة الله)**، إذا خاف، الخوف طيب، هذا من أنواع العبادة، لكن لا يحمله على أن يقنط من رحمة الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكان السلف يستحبون أن يقوي في الصحة: الخوف، وفي المرض: الرجاء)**؛ هو يخاف ويرجو، ولكنه في الصحة يقوي الخوف من الله؛ أن الله يستدرجه، يخاف من الله الذي أنعم عليه، ووالى عليه النعم أن هذا استدراج منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وفي حالة المرض وحالة الفقر والفاقة لا يقنط من رحمة الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذه طريقة أبي سليمان الداراني وغيره)**، الأكثر أنه يكون بين الخوف والرجاء، يعادل بينهما، لا يرجح جانبًا على جانب، لكن

هذا الإمام يرى أنه في حال الصحة يقوي جانب الخوف، وفي حالة المرض يقوي حال الرجاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال: وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا غلب الرجاء الخوف، فسد القلب)**، في قلبه يكون يغلب جانب الخوف، إذا غلب جانب الرجاء، قد يفسد قلبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾** [الملك:١٢])، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾، أي: في حال غيبتهم عن الناس، ليس إذا صار مع الناس تمسك وتعبد، وإذا صار لوحده ضيّع، هذا في الغيب حال غيبته عن الناس، فهو يخاف الله سواء كان مع الناس أو غائبًا عنهم، ويرجو رحمة الله سواء كان مع الناس أو غائبًا عنهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال: ﴿يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾** [النور:٣٧])، ﴿يَخَافُونَ﴾، أي: العباد المتقون.

﴿يَوۡمٗا﴾: هو يوم القيامة.

﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ﴾: تصعد إلى الحلق من الخوف، القلوب تصعد من الصدر إلى الحلق من شدة الخوف؛ ﴿إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ [غافر:١٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾** [المؤمنون:٦٠، ٦١])، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾: من الأعمال الصالحة والطاعات، ولا يغترون بذلك.

﴿وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾، أي: خائفون من الله.

﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾: يخافون الوقوف بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال**: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩])، قانت: أي: قائم بالعبادة.

وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩]، قالوا: هذه الآية- والله أعلم- تنطبق على أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فإنه قرأ القرآن في ركعة واحدة[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قدم الحذر على الرجاء في هذه الآية**)، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾، قدم الحذر، قدم الخوف على الرجاء؛ ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩].

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٠٥).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ الأَعْرَافِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ الحِجْرِ.

الثَّالِثَةُ: شِدَّةُ الوَعِيْدِ فِيمَنْ أَمِنَ مَكْرَ اللهِ.

الرَّابِعَةُ: شِدَّةُ الوَعِيْدِ فِي القُنُوطِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ**)، فيه: يعني في هذا الباب الذي هو: بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٩٩]، وما ورد فيه من الآيات، فيه مسائل، والمسائل: هي فقه الباب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ الأَعْرَافِ**)، وهي: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف:٩٩، ١٠٠].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ الحِجْرِ**)، وهي: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]، لما بشرت الملائكة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالولد، قال: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ [الحجر:٥٤، ٥٥]، قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: شِدَّةُ الوَعِيْدِ فِيْمَنْ أَمِنَ مَكَرَ اللهِ)، ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: شِدَّةُ الوَعِيْدِ فِي القُنُوْطِ)، ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

٣٤- بَابٌ مِنَ الإيمَانِ باللهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ

ش: قولِهِ: (بَابٌ مِنَ الإيمَانِ باللهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من كتابه(١).

وفي الحديث الصحيح: «الصَّبْرُ ضِيَاءٌ». رواه أحمد ومسلم(٢).

وللبخاري ومسلم مرفوعًا: «مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»(٣).

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ». رواه البخاري(٤).

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ. ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ فَقَالَ: أَلَا إِنَّهُ لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ»(٥).

واشتقاقه: من صبر إذا حبس ومنع(٦).

---

(١) انظر: عدة الصابرين (ص٧١)، ومدارج السالكين (١/ ١٣٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣)، وأحمد في المسند (٣٧/ ٥٣٥، ٥٤٢) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦٩، ٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري معلقًا - كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله (٨/ ٩٩).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٤٦٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٧٢، ٧/ ١٠١)، وفي الإيمان (ص ٤٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٧٥، ٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ١٩٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٨٢- ٣٨٣).

(٦) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٢١)، والصحاح (٢/ ٧٠٦)، ومقاييس اللغة (٣/ ٣٢٩)، ولسان العرب (٤/ ٤٣٨).

والصبر: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما. ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

واعلم أن الصبر ثلاثة أقسام: صبر على ما أمر الله به، وصبر عما نهى عنه، وصبر على ما قدره من المصائب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ**)، الإيمان- كما هو معروف-: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ؛ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[٢]، فالإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة، من لا يؤمن بالقدر، فإنه ليس بمؤمن؛ لأنه افتقد ركنًا من أركان الإيمان؛ بالقدر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من كتابه**)، مما يدل على مكانة الصبر من الإيمان، كرره في تسعين موضعًا.

والصبر ثلاثة أنواع:

النوع الأول: صبر على طاعة الله؛ لأن الطاعة فيها مشقة، لا سيما إذا تكررت الطاعة في اليوم والحياة، تحتاج إلى صبر.

النوع الثاني: صبر عن محارم الله؛ عن المعاصي والذنوب والسيئات والمنهيات، يصبر عنها، وإن كانت نفسه قد تنازعه إليها، أو دعاة الشر

---

(١) انظر: عدة الصابرين (ص١٥، ٢٧١)، ومدارج السالكين (٢/ ١٥٥).

(٢) حديث جبريل أخرجه مسلم (٨)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والضلال يزينونها لها، ويحسنونها له، لكن يصبر عنها؛ صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله.

النوع الثالث: صبر على أقدار الله المؤلمة: الإنسان في هذه الحياة لابد أن يجري عليه من أقدار الله ما يؤلمه، وما يوجعه، ولكنه يصبر على ذلك؛ طاعة لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي الحديث الصحيح: «الصَّبْرُ ضِيَاءٌ». رواه أحمد ومسلم**)، «**الصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ...**» إلى آخر الحديث.

ضِيَاءٌ: أي: أنه ينير الطريق أمام المؤمن في حياته، فيسير في نور، ويسير في وضوح لما أمامه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وللبخاري ومسلم مرفوعًا: «مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»**)؛ لأن الصبر يمنع الإنسان من الوقوع فيما يضره؛ من معصية الله، ومن شهواته المحرمة، يمنعه الصبر عن هذه الأمور، فيكون هذا خيرًا له، كما قال الشاعر[١]:

الصَبرُ مِثلُ اِسمِهِ في كُلِ نائِبَةٍ ... لَكِن عَواقِبُهُ أَحلى مِنَ العَسَلِ

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَالَ عُمَرُ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ»**)، قال عمر الخليفة الراشد، ثاني الخلفاء الراشدين، أمير المؤمنين: «وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ»؛ لأن الصبر يعينك على الاستمرار في طاعة الله، يعينك على تلقي الحوادث والمصائب بالصبر، وعدم الجزع.

---

(١) البيت لأبي تمام. انظر: الدر الفريد (٤/ ١١١).

الصبر من الدين؛ كما قال أمير المؤمنين علي بن طالب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: «الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ»، فأي دين ليس عند صاحبه صبر، فإن هذا الدين ميت؛ لأن الجسد إذا قُطِعَت رأسه مات، فالصبر رأس الإيمان؛ كما أن الرأس رأس البدن.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(قال علي** رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: **«إِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ -ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ- فَقَالَ: أَلَا إِنَّهُ لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ»)**، ثم رفع أمير المؤمنين صوته، فقال: «ألا»: تنبيه، «أَلَا إِنَّهُ لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ»، فلا يتم الإيمان إلا بالصبر، ولا يستمر الإيمان إلا بالصبر.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(واشتقاقه: من صبر إذا حبس ومنع)**، اشتقاق الصبر من الحبس؛ لأن الصابر يحبس نفسه عن الجزع، ويحبس نفسه عن الشهوات المحرمة، ويحبس نفسه عن المعاصي والذنوب، ولذلك سُمِي صبرًا من الصبر وهو الحبس، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨]، ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾، أي: احبسها مع هؤلاء، ولا تذهب مع أصحاب الثروات وأصحاب الشهوات، اصبر نفسك مع الفقراء، اصبر نفسك معهم، وإن كانوا ليس عندهم شيء تحبه النفس.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(والصبر: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما)**، الصبر فيه حبس للنفس عن الجزع، وفيه: حبس اللسان عن التسخط والشكاية لما يجري عليه، والثالث: حبس الجوارح -أي: الأعضاء- عن لطم الخدود وشق الجيوب، ودعوى الجاهلية عند المصائب. كانوا في الجاهلية

النساء إذا أصابهن مصيبة، تلطم خدودها، وتشق جيوبها، فجاء الإسلام بمنع ذلك، ومقابلة ذلك بالصبر والاحتساب.

هناك طائفة الآن يحيون هذه السنة الجاهلية في يوم عاشوراء، فيضربون صدروهم، ويلطمون خدودهم، ويشقون جيوبهم، يحيون هذه العادات الجاهلية -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واعلم أن الصبر ثلاثة أقسام: صبر على ما أمر الله به)**، صبر على طاعة الله: هذا واحد، صبر عن محارم الله، صبر على أقدار الله، هذه أقسام الصبر.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١].

ش: وأول الآية: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن:١١].
قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: بأمر الله، يعني: عن قدره ومشيئته(١).

أي: بمشيئته وإرادته وحكمته؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢]، وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، أي: من أصابته مصيبة، فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر، واحتسب، جازاه الله بهدايته قلبه التي هي أصل كل سعادة وخير في الدنيا والآخرة، وقد يخلف الله عليه في الدنيا ما كان أخذه أو خيرًا منه.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١]: تنبيه على أن ذلك إنما يصدر عن علمه المتضمن لحكمته، وذلك يوجب الصبر والرضا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٣٧).

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن:١١])، قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن:١١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأول الآية: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾** [التغابن:١١]. **قال ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **بأمر الله، يعني: عن قدره ومشيئته)**، بأمر الله: أي بقدره وقضائه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال في الآية الأخرى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾** [الحديد:٢٢])، ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: بنقص الثمار، وتلف الزروع، ونحو وذلك.

﴿ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾: من الأمراض والمصائب.

﴿ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾: كتاب القدر؛ أن الله كتبها وقدرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثم كتبها في اللوح المحفوظ، فلابد من وقوعها.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾: لا يعجزه شيء.

ثم بيّن الحكمة: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد:٢٣]، أي: أخبرناكم أن المصائب مكتوبة في اللوح المحفوظ، ولابد من وقوعها.

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ ﴾، أي: تحزنوا ﴿ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾: من ملذاتكم وشهواتكم، ﴿ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾: فرح البطر وفرح الكبر، أما الفرح الذي هو مجرد أن تفرح بفضل الله؛ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ

﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس:٥٨]، هذا فرح مشروع، والفرح الممنوع: هو الذي معه البطر والكبر؛ إذا أصابته مصيبة، يجزع من قضاء الله وقدره، وإذا أصابته نعمة، يفخر ويبطر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾)**، يقول الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، أي: أخبرهم بخبر سار يظهر أثره على بشرتهم، الإنسان إذا فرح، يظهر على وجهه الفرح والسرور والاستبشار والنور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧])**، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾: نحن ملكٌ لله يتصرف فينا كما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: يوم القيامة، فيجازينا على أعمالنا؛ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أُولَٰئِكَ﴾، أي: الذين يقولون هذه المقالة، ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: الصلاة من الله: الثناء(١)، أي: ثناء من الله، يثني عليهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

---

(١) كما أخرج البخاري في صحيحه (٦/ ١٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٣١٣٩)، والبغوي في شرح السنة (٣/ ١٨٩): قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: صَلَاةُ اللهِ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، أي: من أصابته مصيبة، فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر، واحتسب، جازاه الله بهدايته قلبه التي هي أصل كل سعادة، وخير في الدنيا والآخرة، وقد يخلف الله عليه في الدنيا ما كان أخذه أو خيرًا منه)، ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، أي: بقضائه وقدره.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، قَالَ عَلْقَمَةُ: (هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ)(١)؛ ﴿يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١]، تنبيه على أن ذلك إنما يصدر عن علمه المتضمن لحكمته، وذلك يوجب الصبر والرضا)، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، أي: لا يخفى عليه ما أصابكم، وما حصل لكم من الألم والمشقة، الله يعلم هذا، والله جَلَّ وَعَلَا بكل شيء عليم، فلا يضيع صبركم، واحتسابكم، وثباتكم على الدين عند المصائب، يعلم ذلك سبحانه؛ فلا يضيعه عليكم، إنما يحفظه لكم.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٢)، والبخاري معلقًا- كتاب التفسير، باب تفسير سورة التغابن- (٦/ ١٥٥)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ١١٠)، وشعب الإيمان (١٢/ ٣٤٥)، وانظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٣٨).

قَالَ عَلْقَمَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّها مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»**(١).

ش: قوله: (قَالَ عَلْقَمَةُ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّها مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ). هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وعلقمة: هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، وُلِدَ في حياة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسمع من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وابن مسعود وعائشة وغيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. وهو من كبار التابعين وعلمائهم وثقاتهم، مات بعد الستين(٢).

قوله: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ...». إلخ، هذا الأثر رواه الأعمش عن أبي ظبيان، قال: كنا عند علقمة، فقرئ عليه هذه الآية: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، فقال: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّها مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»، هذا سياق ابن جرير.

وفي هذا دليل على أن الأعمال من مسمى الإيمان.

قال سعيد بن جبير: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، يعني: يسترجع، يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون(٣).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٢)، والبخاري معلقًا- كتاب التفسير، باب تفسير سورة التغابن- (٦/ ١٥٥)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ١١٠)، وشعب الإيمان (١٢/ ٣٤٥)، وانظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٣٨).

(٢) انظر في ترجمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٦٨٣)، وإكمال تهذيب الكمال (٩/ ٢٧١)، والأعلام للزركلي (٤/ ٢٤٨).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٣٨).

وفي الآية بيان أن الصبر سبب لهداية القلب، وأنها من ثواب الصابر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ عَلْقَمَةُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبهُ الْمُصِيبةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»)**، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، قَالَ عَلْقَمَةُ: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبهُ الْمُصِيبةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»، ولايجزع، ولا يسخط؛ لأن الله هداه؛ ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم)**، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]. قال: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبهُ الْمُصِيبةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم)**، رواه ابن جرير الطبري، صاحب التفسير المشهور العظيم، الذي هو أم التفاسير ومرجع المفسرين.

رواه ابن جرير: أي: في تفسيره. وابن أبي حاتم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هذا الأثر رواه الأعمش)**، الأعمش: سليمان بن مهران، وكان من الحفاظ المتقنين والرواة المشهورين(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فقال: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبهُ الْمُصِيبةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»)**، يعلم أنها من عند الله: هذا ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ يعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم؛ لأن ما كان من عند الله فلابد أن يقع، إذا علم

---

(١) انظر في ترجمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٦)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٨٨٣)، وإكمال تهذيب الكمال (٦/ ٩٠)، والأعلام للزركلي (٣/ ١٣٥).

هذا أنه من عند الله، وأنه لابد أن يقع مهما حاول النجاة منه، فإنه يرضى عن الله، ويسلم له ولا يجزع ولا يسخط، تكون المصيبة بالنسبة له منحة من الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي هذا دليل على أن الأعمال من مسمى الإيمان)**؛ لأن الرضا بقضاء الله هذا عمل، وقد وصفه بأنه من الإيمان؛ ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، أي: يرضى ويسلم، هذا عمل، فعبر عن الرضا والتسليم بالإيمان، فدل على أن العمل من الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال سعيد بن جبير: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]. يعني: يسترجع. يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون)**، ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الآية بيان أن الصبر سبب لهداية القلب، وأنها من ثواب الصابر)**، ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، أي: يصبر، ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، فهذه ثمرة الصبر أنه سببٌ للهداية؛ هداية القلب.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»[(١)].

ش: أي: هما بالناس كفر؛ حيث كانتا من أعمال الجاهلية، وهما قائمتان بالناس، ولا يسلم منهما إلا من سلمه الله، ورزقه علمًا وإيمانًا يستضيء به، ولكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق؛ كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنًا الإيمان المطلق.

وفرق بين الكفر المعرف باللام؛ كما في قوله: «لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ أَوِ الشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ»[(٢)]، وبين كفر منكر في الإثبات.

قوله: «الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ»، أي: عيبه، ويدخل فيه أن يقال: هذا ليس ابن فلان. مع ثبوت نسبه.

قوله: «وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»، أي: رفع الصوت بالندب وتعداد فضائله؛ لما فيه من التسخط على القدر المنافي للصبر، كقول النائحة: واعضداه، واناصراه، ونحو ذلك.

وفيه دليل على أن الصبر واجب، وأن من الكفر ما لا ينقل عن الملة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ»)**، «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ**»، أي: كفر أصغر، ليس مخرجًا من الملة، كفر أصغر؛ لأن الكفر ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: كفر أكبر يخرج من الملة.

القسم الثاني: كفر أصغر لا يخرج من الملة، لكنه ينقص الإيمان، وما جاء في الحديث من هذا النوع؛ من الأصغر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ)**؛ بأن تطعن في أنساب الناس: فلان ليس له نسب، وفلان فيه كذا وكذا، وفلان عتيق ومملوك، وفلان من الطائفة التي ليس لها نسب -أي: نسب عربي، نسب معروف-، يحقر أنساب الناس، لا يجوز هذا، لا يجوز أن تحقر أنساب الناس؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ﴾ [الحجرات:١١]، ثم بين سبحانه أن الناس سواء في الأصل؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾: لتعارفوا، لا لتفتخروا.

قال المفسرون: الشعوب للعجم، والقبائل للعرب[١].

﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾[الحجرات:١٣]؛ لأي شيء؟ لأجل الفخر؟ لا، ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾: كل يعرف نسبه، فمعرفة النسب طيبة، دراسة الأنساب ومعرفة

---

(١) انظر: تفسير الماوردي (٥/ ٣٣٦)، وغرائب التفسير للكرماني (٢/ ١١٢٥)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٣٤٤)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٣٨٥).

الأنساب هذا طيب، لكن لا يفتخر أحد على أحد، ومعرفة النسب يحصل بها صلة الرحم، إذا عرفت بني عمك وأقاربك، يكون هناك صلة وتزاور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ)**، هذا من أمور الجاهلية، رفع الصوت، وتعداد محاسن الميت؛ ويا عضداه، ويا كذا وكذا، كانوا في الجاهلية يفعلون هذا؛ ينوحون على الميت، وهذا من أمور الجاهلية ومحرم، كبيرة من كبائر الذنوب، أما البكاء على الميت، فلا بأس من غير جزع، البكاء هذا لا يملكه الإنسان، لا يستطيع أن يدفع البكاء إذا أصابته مصيبة، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكى، لما مات ابنه إبراهيم، بكى، وقال: «**إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى الرَّبَّ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»(١)، فالحزن والبكاء لا يؤاخذ عليه، إنما رفع الصوت بالنياحة: واعضداه، واناصراه، ويا كذا وكذا، هذه من أمور الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أي: هما بالناس كفر؛ حيث كانتا من أعمال الجاهلية)**، أهل الكفرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهما قائمتان بالناس)**، يبقى في الناس من أمور الجاهلية شيء، يبقى في المسلمين شيء، لكنها لا تضرهم، هذه البقايا من أمور الجاهلية لا تضر المسلم، وإلا فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»، لما قال لعمار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا ابن السوداء، قال: «**أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٦٤).
(٢) سبق تخريجه (ص٢١٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يسلم منهما إلا من سلمه الله)**، لا يسلم من هذه البقايا وهذه الرواسب الجاهلية، إلا من سلمه الله عَزَّوَجَلَّ، ولكنهم قليل، يبقى في الناس شيء من أمور الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يسلم منهما إلا من سلمه الله، ورزقه علمًا وإيمانًا يستضيء به)**: فيه فضل العلم؛ أن العلم يقي من هذه الأمور، أما الجاهل، فإنه يندفع ويتكلم ويسخط ويبدي أشياء، أما العالم فإنه لا، العالم يضبط نفسه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولكن ليس من قام بشعبة من شعب الكفر)**، انتبهوا! هذه فائدة عظيمة، ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يكون كافرًا، وإنما يكون هذا كفر دون كفر، يكون كفرًا أصغر وإلا فهو مسلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولكن ليس من قام بشعبة من شعب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق)**، أي: الكفر الأكبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنًا الإيمان المطلق)**، يصير مؤمنًا، لكنه ناقص الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفرق بين الكفر المعرف باللام)**، هذه فائدة؛ إذا جاء الكفر بالألف واللام (الكفر)، هذا الكفر الأكبر، إذا جاء (كفر) هكذا نكرة، فهذا هو الكفر الأصغر، والذي جاء في الحديث هو هذا: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ**»، أي: كفر أصغر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفرق بين الكفر المعرف باللام؛ كما في قوله: «لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ أَوِ الشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ»، وبين كفر منكر في الإثبات)**، كفر منكر، نكرة ليس فيه ألف ولام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ»، أي: عيبه)**، عيب النسب؛ الطعن في النسب: عيب النسب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويدخل فيه أن يقال: هذا ليس ابن فلان. مع ثبوت نسبه)**، يقول: ليس ولد فلان، هذا تنقص لنسبه، وإن كان لا يقصد نفيه عن أبيه، لكن يقصد إنه ناقص عن أبيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ». أي: رفع الصوت بالندب)**، رفع الصوت بالندب؛ واعضداه، وارأساه، وهكذا، هذا الندب: رفع الصوت بالمصيبة، هذا نياحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه دليل على أن الصبر واجب)**، الصبر على المصائب واجب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن من الكفر ما لا ينقل عن الملة)**، وفيه دليل على أن من الكفر ما لا ينقل عن الملة، لقوله: «هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ»، ومع هذا هم مسلمون، فهذا كفر أصغر لا ينقل من الملة.

وَلَهُمَا عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»[١].

ش: هذا من نصوص الوعيد، وقد جاء عن سفيان الثوري وأحمد كراهة تأويلها؛ ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ في الزجر، وهو يدل على أن ذلك ينافي كمال الإيمان المطلق.

قوله: «مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ». قال الحافظ: خص الخد لكونه الغالب، وإلا فضرب بقية الوجه مثله[٢].

قوله: «وَشَقَّ الجُيُوبَ»: هو الذي يدخل فيه الرأس من الثوب، وذلك من عادة أهل الجاهلية؛ حزنًا على الميت.

قوله: «وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ». قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: هو ندب الميت[٣]. وقال غيره: هو الدعاء بالويل والثبور[٤].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء بالقبائل والعصبية، ومثله التعصب إلى المذاهب والطوائف والمشايخ، وتفضيل بعضهم على بعض، يدعو إلى ذلك، ويوالي عليه، ويعادي، فكل هذا من دعوى الجاهلية[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).

(٢) انظر: فتح الباري (٣/ ١٦٤).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٣).

(٤) انظر: فتح الباري (٣/ ١٦٤).

(٥) انظر: زاد المعاد (٢/ ٤٣١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَهُمَا عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ)**، (ولهما)، أي: للبخاري ومسلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَهُمَا عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»)**، «**لَيْسَ مِنَّا**»، أي: ليس على سنتنا وطريقتنا «**مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**»، تبرأ منه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا وعيد شديد على من فعل ذلك -شقق الجيب، ولطم الخد، ودعا بدعوى الجاهلية-، الواجب الصبر والاحتساب.

المصيبة حاصلة، لكن إن صبرت آجرك الله وكتبها لك في ديوان حسناتك، وإن جزعت أصابتك المصيبة وفاتك الثواب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هذا من نصوص الوعيد)**؛ «**لَيْسَ مِنَّا**»: من نصوص الوعيد التي تمر كما جاءت، هذه نصوص الوعيد، تمر بلفظها كما جاءت، ولا تفسر، هذا أحسن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد جاء عن سفيان الثوري وأحمد كراهة تأويلها؛ ليكون أوقع في النفوس)**؛ كراهة تأويل هذه النصوص الوعيدية، لا تقل للناس: هذا كفر أصغر، هذا شرك أصغر؛ يستهينون به، لا تنشر هذا، وإن علمته لا تنشره، اجعله كما جاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد جاء عن سفيان الثوري وأحمد كراهة تأويلها)**، كراهة، لم يقل: تحريم، قال: كراهة، يعني: كراهة تنزيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ في الزجر)**، لأنك إذا فسرتها، وقلت: هذا أصغر، هذا كذا، يهون عليهم، اجعلها كما جاءت؛ من

أجل أن تردعهم، لكن لابد أن تعلمها، لكن لا تنشرها في الناس؛ يستهينون بها، ليس كل ما يعلم يقال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو يدل على أن ذلك ينافي كمال الإيمان المطلق)**، هناك أشياء تنافي كمال الإيمان، ولا تنافي أصل الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ». وقال الحافظ: خص الخد لكونه الغالب، وإلا فضرب بقية الوجه مثله)**، لكونه الغالب، وإلا لو ضرب غير الخدود، يدخل من باب الجزع، يدخل في هذا؛ كالذين يضربون صدروهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ». قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **هو ندب الميت)**، ندب الميت؛ واعضداه، واناصراه، وهكذا إلى آخره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال غيره: هو الدعاء بالويل والثبور)**؛ يا ويلاه، يا كذا يا كذا، هذا من أمور الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء بالقبائل والعصبية)**، كل واحد ينادي قبيلته؛ ينتصر بها إذا حصل نزاع بين اثنين، كل واحد ينادي قبيلته، ولما حصل نزاع بين أنصاري ومهاجري، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «**دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»[1]، أنكر

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٥، ٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤)، من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

عليهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسمى هذا من دعوى الجاهلية، مع أن اسم الأنصار والمهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اسم طيب، ولكن إذا قاله من باب الندبة والاستعداء على الآخر، فهذا مذموم؛ لأن المؤمنين إخوة، الأنصاري والمهاجري إخوة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومثله التعصب إلى المذاهب والطوائف والمشايخ)**، إذا كان المهاجرون والأنصار لا يجوز أن الإنسان يعتز بهم، فكيف بغيرهم من العلماء ومشايخ القبائل؟! أكابر القبائل لا يعتز بهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومثله التعصب إلى المذاهب)**، ومثله التعصب للمذاهب: حنبلي يتعصب للمذهب الحنبلي، وحنفي يتعصب للمذهب الحنفي، وهكذا، لا يجوز التعصب. اتبع الدليل؛ إذا كان الدليل مع الحنبلي خذه، إذا كان الدليل مع الحنفي والحنبلي خذ بالدليل، ولو خالف مذهبك، أنت تتبع الدليل، والاجتهاد يخطئ ويصيب. فاتبع الدليل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والطوائف)**، الطوائف أن يعتزي لطائفة كذا وطائفة كذا، المسلمون إخوة سواء، ليس هناك طائفية، ليس هناك حزبية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والمشايخ)**؛ ينتسب إلى شيخ معين، ولا يقبل إلا منه، لا، اقبل الحق، ولو ليس من عند شيخك، ولو كان من الشيخ الآخر، أنت قصدك الدليل، ليس قصدك الأشخاص.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وتفضيل بعضهم على بعض)**، تفضيل بعض العلماء على بعض، علماء المسلمين لا يفضل بعضهم على بعضهم -من باب الفخر، من باب تنقص المفضول-، لا يجوز هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يدعو إلى ذلك، ويوالي عليه، ويعادي)**، هذا كلام ابن القيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكل هذا من دعوى الجاهلية)**، التعصب من دعوى الجاهلية؛ التعصب للأشخاص، التعصب للمذاهب، التعصب للقبائل كله من أمور الجاهلية.

....

ش: وعند ابن ماجه، وصححه ابن حبان عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ الخَامِشَةَ وَجْهَهَا، وَالشَّاقَّةَ جَيْبَهَا، وَالدَّاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ»(١).

وهذا يدل على أن هذه الأمور من الكبائر، وقد يعفى عنه الشيء اليسير من ذلك إذا كان صدقًا، وليس على وجه النوح والتسخط. نص عليه أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لما وقع لأبي بكر وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

وليس في هذه الأحاديث ما يدل على النهي عن البكاء؛ لما في الصحيح أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما مات ابنه إبراهيم قال: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى الرَّبَّ، وَإِنَّا بِكَ -يَا إِبْرَاهِيمُ- لَمَحْزُونُونَ»(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٨٥)، والدارمي (٣/ ١٦٠٩)، وابن حبان (٧/ ٤٢٧)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٨٦، ٥/ ٢٠١)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٣٠، ١٨٧).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٤٦٢): عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: وَا كَرْبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»، فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ، مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ، مَأْوَاهْ يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ.

وكما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٤٠/ ٣٢)، وأبو يعلى (١/ ٤٨): عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَوَضَعَ فَمَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى صُدْغَيْهِ، وَقَالَ: «وَانَبِيَّاهْ، واخَلِيلَاهْ، وَاصَفِيَّاهْ».

وانظر: عدة الصابرين (ص١٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْطَلَقَ إِلَى إِحْدَى بَنَاتِهِ وَلَهَا صَبِيٌّ فِي المَوْتِ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وعند ابن ماجه وصححه ابن حبان عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ الخَامِشَةَ وَجْهَهَا، وَالشَّاقَّةَ جَيْبَهَا، وَالدَّاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ»)، دعا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باللعنة على الخامشة وجهها عند المصيبة، والشاقة لجيبها عند المصيبة.

واللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله[2]، وهذا وعيد شديد يدل على تحريم هذه الأمور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا يدل على أن هذه الأمور من الكبائر)؛ لأن اللعن لايكون إلا على كبيرة، فالصغيرة ينهى عنها، ولا يلعن فاعلها، أما الكبيرة فينهى عنها، ويلعن فاعلها؛ يدعى عليه باللعن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد يعفى عنه الشيء اليسير من ذلك إذا كان صدقًا، وليس على وجه النوح والتسخط)، الذي لا يصل إلى الجزع والسخط لا بأس به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لما وقع لأبي بكر وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما توفي رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٤، ٥٦٥٥، ٦٦٠٢، ٦٦٥٥، ٧٣٧٧، ٧٤٤٨)، ومسلم (٩٢٣).
(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٥٥)، ومقاييس اللغة (٥/ ٢٥٢).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فإنهما تأسفا على وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبكيا، وقالت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَأَبَتَاهُ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ»(١). هذا لا يجوز هذا، لكن المصيبة قد تذهل الإنسان، وإن كان لا يقصد هذه الأشياء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وليس في هذه الأحاديث ما يدل على النهي عن البكاء**)، البكاء لا يقدر الإنسان أن يمنعه؛ غصب عنه، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، والقَلْبَ يَحْزَنُ**». فالبكاء ليس باستطاعة الإنسان، وهو يدل على الرحمة، البكاء يدل على الرحمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**أن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لما مات ابنه إبراهيم قال: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى الرَّبَّ، وَإِنَّا بِكَ -يَا إِبْرَاهِيمُ- لَمَحْزُونُونَ**»)، فدل على جواز مثل هذه الأمور: الحزن والبكاء الإنسان لا يستطيع أن يمنعهما.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، أسامة بن زيد بن حارثة حب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وابن حبه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**عن أسامة بن زيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **انْطَلَقَ إِلَى إِحْدَى بَنَاتِهِ وَلَهَا صَبِيٌّ فِي الْمَوْتِ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا كَأَنَّهَا فِي شَنٍّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»)، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكى لما رأى ابن ابنته في سكرات الموت، ونفسه تقعقع في

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٤٨).

صدره، بكى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. سأله سعد بن أبي وقاص أو سعد بن عبادة، قال ما هذا يا رسول الله؟ قَالَ: «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قَلْبِي، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»، فالبكاء رحمة.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ، عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ، أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

ش: هذا الحديث رواه الترمذي والحاكم، وحسنه الترمذي.

وأخرجه الطبراني والحاكم عن عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢)، وأخرجه ابن عدي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣)، والطبراني عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٤).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَنْ أَنَسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»**)، هذا يدل على أن المصائب من صالح المؤمن، التي تجري عليه هذا من صالحه؛ لأن الله يكفر بها خطاياه، أو يرفع بها درجاته، فهي من صالحه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٤٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٥١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٧/ ٣٦٠)، وابن حبان (٧/ ١٧٣)، والروياني (٢/ ٩٥، ٩٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٠، ٤/ ٤١٨)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٥)، والبيهقي في القضاء والقدر (ص ٢٤٣)، من حديث عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٣١٣)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» عند ترجمة علي بن ظبيان (٦/ ٣٢١- ٣٢٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٠/ ١٩٢)، من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

المصائب إذا جرت على المؤمن فهي من صالحه، وهذا مما يطمئن المؤمن، إذا علم أن المصائب من صالحه فإنه يطمئن ولا يجزع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَعَنْ أَنَسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»)**؛ لأن المؤمن كُفِّر ذنبه، ولقي الله ليس عليه ذنب بالمصيبة، أما الكافر تبقى عليه معصيته ويلقى الله بها -والعياذ بالله!

....

ش: قوله: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا»، أي: بصب عليه البلاء والمصائب؛ لما فرط من الذنوب منه، فيخرج منها، وليس عليه ذنب يوافي به يوم القيامة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المصائب نعمة؛ لأنها مكفرات للذنوب، وتدعو إلى الصبر، فيثاب عليها، وتقتضي الإنابة إلى الله والذل له، والإعراض عن الخلق، إلى غير ذلك من المصالح العظيمة، فنفس البلاء يكفر الله به الخطايا، وهذا من أعظم النعم.

فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق، إلا أن يدخل صاحبها بسببها في أعظم مما كان قبل ذلك، فتكون شرًّا عليه من جهة ما أصابه في دينه، فإن من الناس من إذا اُبتلي بفقر أو مرض أو جوع، حصل له من النفاق والجزع ومرض القلب أو الكفر الظاهر أو ترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات ما يوجب له ضررًا في دينه، فهذا كانت العافية خيرًا له من جهة ما أورثته المصيبة، لا من جهة نفس المصيبة. كما أن من أوجبت له المصيبة صبرًا وطاعة، كانت في حقه نعمة دينية، فهي بعينها فعل الرب عَزَّوَجَلَّ ورحمة للخلق، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ محمود عليها. فمن ابتلي، فرُزِق الصبر، كان الصبر عليه نعمة في دينه، وحصل له بعد ما كفر من خطاياه رحمة، وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه، قال -جل ذكره-: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ ﴾ [البقرة:١٥٧].

وحصل له غفران السيئات ورفع الدرجات. فمن قام بالصبر الواجب، حصل له ذلك. انتهى ملخصًا[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا»، أي: بصب عليه البلاء والمصائب لما فرط من الذنوب منه)؛ تمحيص، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤١]، المصائب هذه تمحيص للمؤمن ومحق للكافر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فيخرج منها، وليس عليه ذنب يوافي به يوم القيامة)؛ «إِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما أن من أوجبت له المصيبة صبرًا وطاعة، كانت في حقه نعمة دينية، فهي بعينها فعل الرب عَزَّوَجَلَّ ورحمة للخلق، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ محمود عليها)، «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»[(٢)].

---

(١) انظر: جامع المسائل (٩/ ٤٠٣- ٤٠٧).

(٢) سبق تخريجه (ص٥٠٩).

....

ش: قوله: «وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ»، أي: أخر عنه العقوبة بذنبه، «حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»، وهو بضم الياء وكسر الفاء منصوبًا بـ«حتى» مبنيًّا للفاعل.

قال العزيزي: أي: لا يجازيه بذنبه في الدنيا، حتى يجيء في الآخرة مستوفر الذنوب وافيها، فيستوفي ما يستحقه من العقاب[1]. وهذه الجملة هي آخر الحديث.

فأما قوله: «وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ...» إلى آخره»، فهو أول حديث آخر، لكن لما رواهما الترمذي بإسناد واحد وصحابي واحد، جعلهما المصنف كحديث واحد.

وفيه: التنبيه على حسن الرجاء وحسن الظن بالله فيما يقتضيه لك؛ كما قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: («حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»، وهو بضم الياء وكسر الفاء منصوبًا بـ«حتى» مبنيًّا للفاعل)، «حَتَّى يُوَافِيَ»: يوافي الفاعل ضمير مستتر يعود على ما قبله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ»، أي: أخر

---

(١) انظر: السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير للعزيزي (١/ ٨١).

عنه العقوبة بذنبه)، هذا الحديث فيه أن الله إذا أراد بعبده خيرًا، فإنه يعجل له العقوبة في الدنيا على ما يحصل منه من الذنوب، يعجل له العقوبة؛ حتى يطهره ويخلصه منها، فيأتي يوم القيامة، وليس عليه ذنب، فيدخله الله الجنة.

وإذا أراد بعبده سوءًا، فإنه يمسك عنه العقوبة في الدنيا، ويستدرجه، فيعطيه من النعم، وهو يعصي الله، وتبقى ذنوبه عليه يتحملها، ويقدم بها على الله عَزَّوَجَلَّ، ثم يحاسب عليها، فيعذبه بها في نار جهنم.

هذا هو الفرق بين المؤمن الصادق في إيمانه وبين المنافق والكافر؛ فإن الله يستدرجهم؛ ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾، يعني: القرآن، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم:٤٤، ٤٥]، نسأل الله العافية!

فلا يكره المؤمن ما يصيبه في هذه الدنيا من الجوع والمرض وفقد الأقارب والمصائب، لا يكره ذلك، بل يرضى بقضاء الله وقدره، ويحتسب الأجر عند الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يظن أن هذه البلايا وهذه المصائب تدل على غضب الله عليه، بل إنها تدل على رحمة الله به؛ ليطهره بها من الآثام في هذه الدنيا، فيلقى الله عَزَّوَجَلَّ وليس عليه ذنب، فيدخل في رحمة الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأما قوله: « وقال النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ....» إلى آخره، فهو أول حديث آخر، لكن لما رواهما الترمذي بإسناد واحد وصحابي واحد جعلهما المصنف كحديث واحد)**؛ لأن معناهما واحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: التنبيه على حسن الرجاء)**؛ أن الإنسان إذا أصابه شيء في هذه الدنيا، لا ينقطع رجاؤه بالله، ولا يظن أن هذا يدل على أن الله يبغضه، بل يحسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، ويرضى بما أصابه؛ ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحسن الظن بالله فيما يقتضيه لك)**، تحسن الظن بالله، وأنه لا يريد بك الشقاء في هذه المصائب التي تصيبك، وإنما يريد أن يطهرك بها، قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعني: يطهرهم ويخلصهم، ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤١].

فهذه المصائب تجري على المؤمنين وعلى الكفار، لكنها للمؤمنين تطهير وتمحيص، وللكافرين محق وهلاك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال -تعالى-:** ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦]**)**، قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾؛ لأن فيه تعرض للقتال والجراح، الإنسان يكره هذا بطبعه؛ ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦]، فعلى المسلم أن يرضى عن الله، ويرضى بقضاء الله وقدره، ويحتسب الأجر عند الله، ويصبر على ما أصابه.

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ». حَسَّنَهُ التِّرمِذِيُّ[(١)].

ش: قال الترمذي: حدثنا قتيبة، ثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكر الحديث السابق.

ثم قال: وبهذا الإسناد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ...» الحديث. ثم قال: حديث حسن غريب من هذا الوجه. ورواه ابن ماجه.

وروى الإمام أحمد عن محمود بن لبيد -رفعه-: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الجَزَعُ». قال المنذري: رواته ثقات[(٢)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»)، إن عظم الجزاء من الله مع عظم البلاء؛ فالمصائب والأمراض والفقر والفاقة وغير ذلك، فإذا عظمت على المسلم، فهذا دليل على أن الله يريد به خيرًا؛ لأنه يمحصه بها، ويخلصه بها في هذه الدنيا.

---

(١) أخرجه الترمذي (٩٨٨، ٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٢٣٤) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣٩/ ٣٥، ٤١، ٤٨). وانظر: الترهيب والترغيب (٤/ ٢٨٣).

وأما الكفار، فإن الله يستدرجهم من حيث لا يعلمون، فيعطيهم النعم -وهم كفار-، فيعصونه ويقتلون أولياءه، مع هذا ينعم عليهم ويعطيهم؛ لأجل أن يستدرجهم، وليزدادوا إثمًا؛ ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾ [آل عمران:١٧٨]، هذا واضح في القرآن الكريم، فلا يقل أحدٌ من الجهال: إننا نرى المسلمين في فقر وفي فاقة وتعب وكد ونكد، ونرى الكفار منعمين؛ عندهم حضارة، وعندهم مدنية، وعندهم مصانع، وعندهم، وعندهم.

فنقول: لا تغتر بما أعطى الله الكفار؛ فإنه استدراج، ولا تحزن على ما يصيب المسلمين؛ فإنه تطهير لهم وتمحيص لهم، تخليص لهم من ذنوبهم.

والله جَلَّ وَعَلَا إذا أحب عبدًا، عجل له العقوبة في الدنيا؛ لأجل أن يخلصه من ذنوبه، فيلقى الله عَزَّ وَجَلَّ وهو خال من الذنوب، فينال رضا الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الترمذي: حدثنا قتيبة، ثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**، وذكر الحديث السابق)**، هذا سنده، سند الحديث السابق: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»؛ «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ،...**» إلى آخره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم قال: حديث حسن غريب من هذا الوجه)**، الحسن: ما كان دون الصحيح وفوق الضعيف(١).

---

(١) انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص ٩٩)، ورسوم التحديث في علم الحديث (ص ٦١)، والنكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي (١/ ٣٠٤)، والشذا الفياح من علوم ابن الصلاح (١/ ١٠٦).

وقد يرويه الترمذي من وجهين: من وجه صحيح، ومن وجه حسن، فيقول: حسن صحيح، يعني: صحيح من طريق، وحسن من طريق آخر.

والغريب من الحديث: ما انفرد بروايته واحد، ما انفرد بروايته واحد، فهو غريب[(١)].

فلا يفهم من قوله: «غريب» أنه غير صحيح، لا، غريب صحيح، لكن انفرد به واحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وروى الإمام أحمد عن محمود بن لبيد -رفعه-: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الجَزَعُ»)**، كالذي قبله.

«إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا»: دل على أن الله يحب، ويبغض، ويمقت، ويسخط سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما يليق بجلاله.

«إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ»: امتحنهم، (ابْتَلَاهُمْ)، يعني: امتحنهم بالمصائب، بالأوجاع، بالفقر، بالفاقة، يبتليهم، فعليهم أن يصبروا، ولا يقنطوا من رحمة الله، ولا ييأسوا -أيضًا-، ويحتسبوا الأجر على ما أصابهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المنذري: رواته ثقات)**، المنذري: صاحب الترغيب والترهيب، إمام جليل في الحديث.

---

(١) انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص ٣٧٤)، ورسوم التحديث في علم الحديث (ص ٨٠)، والباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث (ص ١٦٦)، والشذا الفياح من علوم ابن الصلاح (٢/ ٤٦٦).

....

ش: **قوله: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ» بكسر العين وفتح الظاء فيها. ويجوز ضمها مع سكون الظاء، أي: من كان ابتلاؤه أعظم كمية وكيفية.**

وقد يحتج بهذا الحديث من يقول: إن المصائب يثاب عليها مع تكفير الخطايا، ورجح ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أن ثوابها تكفير الخطايا فقط[1]، إلا إذا كانت سببًا لعمل صالح -كالصبر، والرضا، والتوبة، والاستغفار-، فإنه حينئذ يثاب على ما تولد منه.**

وعلى هذا يقال في معنى الحديث: إن عظم الجزاء مع عظم البلاء إذا صبر واحتسب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ» بكسر العين)**، عِظَم: بكسر العين، وفتح الظاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويجوز ضمها مع سكون الظاء)**، عُظْم: يعني: يجوز ضم العين مع سكون الظاء، فيقال: عُظْم الجزاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد يحتج بهذا الحديث من يقول: إن المصائب يثاب عليها مع تكفير الخطايا)**، لا مانع من ذلك، فتكون المصيبة يثاب عليها ويكفر بها، يجتمع الثواب والتكفير، وهذا من فضل الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) انظر: عدة الصابرين (ص٨٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أي: من كان ابتلاؤه أعظم كمية وكيفية)**، (كمية وكيفية) منصوب على التمييز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ورجح ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أن ثوابها تكفير الخطايا فقط، إلا إذا كانت سببًا لعمل صالح)**، ابن القيم في كتابه «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، كتاب جميل وجليل، فيه فوائد عظيمة.

....

ش: قوله: «وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ»، ولهذا ورد في حديث سعد: «سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ، اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ». رواه الدارمي وابن ماجه والترمذي، وصححه(١).

وهذا الحديث ونحوه من أدلة التوحيد، فإذا عرف العبد أن الأنبياء والأولياء يصيبهم البلاء في أنفسهم الذي هو في الحقيقة رحمة، ولا يدفعه عنهم إلا الله، عرف أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا دفعًا، فلأن لا يملكوه لغيرهم أولى وأحرى، فيحرم قصدهم والرغبة إليهم في قضاء حاجة أو تفريج كربة.

وفي وقوع الابتلاء بالأنبياء والصالحين من الأسرار والحكم والمصالح وحسن العاقبة ما لا يحصى.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٧٨، ٨٧، ١٢٨، ١٥٩)، والترمذي (٢٣٩٨)، والنسائي في الكبرى (٧/ ٤٦)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، والدارمي في سننه (٣/ ١٨٣١)، وابن حبان في صحيحه (٧/ ١٦٠، ١٦١)، والبزار في مسنده (٣/ ٣٤٩، ٣٥٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٩، ١٠٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٢٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وترجم البخاري في صحيحه (٧/ ١١٥)، فقال: (بَابٌ: أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولهذا ورد في حديث سعد: «سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»)، أشد الناس بلاء، أي: ابتلاء من الله.

الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ يحصل عليهم من الابتلاء أشد من غيرهم؛ كما حصل ليونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لما ألقي في البحر والتقمه الحوت، وكما حصل ليوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ من أخذه من والده وبيعه واسترقاقه، وصبر على ذلك، ثم ابتلي من قبل النساء؛ تعلقن به لجماله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أعطي شطر الحسن، تعلقت به النساء، فعف، خصوصًا امرأة العزيز؛ ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣]، فعف عنها وتركها وركض إلى الباب ليخرج، فركضت وراءه لتمسكه؛ ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾، أي: زوجها ﴿لَدَا ٱلْبَابِ﴾، فقلبت الدعوى عليه؛ ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف:٢٥]: يعني جعلته هو الذي طلبها، هذا كيد النساء. ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [يوسف:٢٦]؛ فجاء شاهد من أهلها، فقال: انظروا في قميصه؛ إن كان قُدَّ من قُبُلٍ، فهو الذي طلبها -كما قالت-، وإن كان القميص قُدَّ من دبر، فهي التي طلبته. فرأوا القميص قُدَّ من دبر، قال زوجها: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٢٨، ٢٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا الحديث ونحوه من أدلة التوحيد)**، هذا الحديث ونحوه من أدلة التوحيد؛ لأن فيه الصبر على الابتلاء والامتحان، وهذا من التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا عرف العبد أن الأنبياء والأولياء يصيبهم البلاء في أنفسهم الذي هو في الحقيقة رحمة، ولا يدفعه عنهم إلا الله)**، أشد الناس بلاء: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الإنسان على قدر دينه، وماذا حصل على الأنبياء من التعب ومن مكابدة قومهم، ومن الدعوة إلى الله، والصبر عليها؟

نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله، انظر الصبر والاحتساب، إلى آخرهم نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ماذا حصل عليه من أذى قومه؛ وصل الأمر أنهم ألقوا سلى الجزور على ظهره وهو ساجد عند الكعبة صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأزالته ابنته فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا[(١)].

ووصل البلاء به من قومه الشيء الكثير -كما هو موجود في سيرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومع هذا صبر واحتسب، حتى نصره الله عَزَّ وَجَلَّ، وأظهر دينه، وأعلى كلمته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فيحرم قصدهم والرغبة إليهم في قضاء حاجة أو تفريج كربة)**، يحرم قصد المخلوقين في قضاء حاجة أو تفريج كربة، وإنما هذا يكون مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو الذي يقضي الحاجات، ويفرج الكربات.

---

(١) سبق تخريجه (ص٥١٠).

فعلى المسلم أن يعلق قلبه بالله، وأن يتوجه إلى الله بالدعاء في كشف الكربة، وفي جميع المطالب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي وقوع الابتلاء بالأنبياء والصالحين من الأسرار والحكم والمصالح وحسن العاقبة ما لا يحصى)**، ومن أهم ذلك: الاقتداء بهم، والصبر على ما يصيب أتباعهم، إذا كان الأنبياء حصل عليهم ما حصل، فأتباعهم يتسلون بذلك، ويصبرون على ما يصيبهم؛ ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٢، ٣].

....

ش: قوله: «فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا»، أي: من الله -تعالى.

والرضاء قد وصف الله تعالى به نفسه في مواضع من كتابه؛ كقوله تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة:٨].

ومذهب السلف وأتباعهم من أهل السنة: إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل.

فإذا رضي الله تعالى عنه، حصل له كل خير، وسلم من كل شر، والرضا هو أن يسلم العبد أمره إلى الله، ويحسن الظن به، ويرغب في ثوابه، وقد يجد لذلك راحة وانبساطًا محبة لله وثقة به؛ كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللهَ بِقِسْطِهِ وَعَدْلِهِ جَعَلَ الرَّوْحَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَا وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الهَمَّ وَالحَزَنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا»)، من رضي عن الله، وصبر، فله الرضا من الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٣٥٥، ٥٠٣)، وابن الأعرابي في معجمه (٢/ ٧٣٥)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢١، ٧/ ١٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٨٤).

ومن سخط فعليه السخط من الله؛ الجزاء من جنس العمل، ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والرضاء قد وصف الله -تعالى- به نفسه في مواضع من كتابه)**؛ ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [البينة:٨]، ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [التوبة:٧٢]، فالله وصف نفسه بأنه يرضى، كما أنه وصف نفسه بأنه يغضب ويسخط سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كقوله تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [البينة:٨])**، الشاهد في قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [البينة:٨]، فيه وصف الله جَلَّ وَعَلَا بالرضا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومذهب السلف وأتباعهم من أهل السنة: إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ**)**، هذا مذهب أهل السنة والجماعة من عصر الصحابة إلى آخر الدنيا؛ أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من صفات الكمال ونعوت الجلال، يصفونه بما جاء في الكتاب والسنة من صفات الكمال ونعوت الجلال؛ كما جاءت لا يحرفونها ولا يؤولونها.

وإثبات الأسماء والصفات هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومذهب السلف وأتباعهم من أهل السنة: إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **على ما يليق بجلاله وعظمته)**، فنحن لا نجعل لله صفات من عند أنفسنا، وإنما نثبت لله ما أثبته لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما يليق بجلال الله وعظمته.

فنحن نثبتها، ولا نعلم كيفيتها، لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن نثبتها، ونعلم معناها، ولا نعلم كيفيتها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل)**، لا يغلى في الإثبات، فيقال: مثل صفات المخلوقين، هذا غلو، ولا يغلى في التنزيه، حتى تنفى الصفات عنه، بل تثبت له الأسماء والصفات إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا: تنزه عن مشابهة المخلوقين، تنزيهًا بلا تعطيل، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فنفى عن نفسه المثلية، وأثبت لنفسه السمع والبصر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا رضي الله تعالى عنه، حصل له كل خير)**، إذا رضي الله عن العبد، حصل له كل خير من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وسلم من كل شر)**، من رضي الله عنه، يسلم من كل شر؛ لأن الله يحفظه ويصونه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والرضا هو أن يسلم العبد أمره إلى الله، ويحسن الظن به، ويرغب في ثوابه)**، ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة:٨]، كيف يرضى العبد

عن ربه؟ أن يسلم العبد أمره إلى الله؛ يكل أمره إلى الله جَلَّ وَعَلَا، ويحسن الظن به، ولا يسيء الظن بالله، سوء الظن بالله -والعياذ بالله- هو طريق الكفار، ولهذا إذا دخلوا النار، قال الله جَلَّ وَعَلَا لهم: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت:٢٣]. ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [آل عمران:١٥٤].

(ويرغب في ثوابه)؛ يعني: يطلب ثواب الله، ويطلب من الله حوائجه التي يحتاجها، ولا يتعلق بمخلوق، يتعلق بخالقه الذي عنده حوائجه ومطالبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد يجد لذلك راحة وانبساطًا محبة لله وثقة به)**، قد يرتاح، إذا رضي بالله، وعلق حوائجه بالله، يرتاح عند ذلك، تطمئن نفسه، ويطيب قلبه. أما إذا أساء الظن بالله، فإنه يبقى في شقاء وفي تعب، ويخيل إليه كل شيء أنه يضره ويهلكه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **إِنَّ اللهَ بِقِسْطِهِ وَعَدْلِهِ جَعَلَ الرَّوْحَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَا وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الهَمَّ وَالحَزَنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ)**، فالذي يرضى عن الله تطيب حياته، ويعيش مطمئنًا، والذي يسيء الظن بالله يعيش في ضيق وضنك، ويتصور أن كل شيء ضده ويهلكه.

....

ش: قوله: «وَمَنْ سَخِطَ»، بكسر الخاء.

قال أبو السعادات: السخط: الكراهية للشيء وعدم الرضا به[١]، أي: من سخط على الله فيما دبره، «فَلَهُ السُّخْطُ» من الله، وكفى بذلك عقوبة.

وقد يستدل به على وجوب الرضا، وهو اختيار ابن عقيل. واختار القاضي عدم الوجوب، ورجحه شيخ الإسلام وابن القيم[٢].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: ولم يجئ الأمر به كما جاء الأمر بالصبر، وإنما جاء الثناء على أصحابه.

قال: وأما ما يروى: (من لم يصبر على بلائي، ولم يرض بقضائي، فليتخذ ربًّا سوائي). فهذا إسرائيلي، لم يصح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وأعلى من ذلك -أي: من الرضا- أن يشكر الله على المصيبة؛ لما يرى من إنعام الله عليه بها. اهـ. والله أعلم[٣].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال أبو السعادات: السخط: الكراهية للشيء وعدم الرضا به)، يسخط الشيء: يعني يكرهه، ولا يرضاه؛ كما فسره أبو السعادات ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث».

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٥٠).
(٢) انظر: عدة الصابرين (ص٢٨).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٢٦٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد يستدل به على وجوب الرضا، وهو اختيار ابن عقيل)**، أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي من قدماء الحنابلة وأكابرهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واختار القاضي عدم الوجوب، ورجحه شيخ الإسلام وابن القيم)**، يعني: هل يجب على الإنسان أنه يرضى بالمصائب؟ يجب عليه أن يرضى؟ منهم من قال: نعم، يجب عليه أن يرضى بالمصيبة. ومنهم من قال: لا، لا يلزم أنه يرضى بالمصيبة. كابن القيم وشيخ الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ولم يجئ الأمر به كما جاء الأمر بالصبر)**، لم يجئ الأمر به؛ يعني: بالرضا عما قدر الله؛ كما جاء في الصبر، الصبر جاء في آيات كثيرة أنه يصبر على ما أصابه. لكن هل يصبر ويرضى؟ يصبر، هذا لأبد من الصبر، أما الرضا فليس بلازم، الإنسان يكره المرض، يكره الفقر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإنما جاء الثناء على أصحابه)**، الثناء على أصحابه في الرضا بالمكاره، أثنى الله عليهم، ولم يأمرهم بذلك، ولكن أثنى على الصابرين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما ما يروى: «من لم يصبر على بلائي، ولم يرض بقضائي، فليتخذ ربًّا سوائي»، فهذا إسرائيلي، لم يصح عن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، إسرائيلي يعني: من طريق بني إسرائيل، فلا يصدق ولا يكذب، يتوقف فيه، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا حَدَّثَكُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ»**[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٤٦٠)، وأبو داود (٣٦٤٤)، وابن حبان (١٤/ ١٥١)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ١٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وأعلى من ذلك -أي: من الرضا- أن يشكر الله على المصيبة؛ لما يرى من إنعام الله عليه بها)**، الرضا هذا فوق الصبر، وليس بواجب أنه يرضى.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ التَّغَابُنِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذَا مِنَ الإِيْمَانِ.

الثَّالِثَةُ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ.

الرَّابِعَةُ: شِدَّةُ الوَعِيْدِ فِيْمَنْ ضَرَبَ الخُدُوْدَ، وَشَقَّ الجُيُوْبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ.

الخَامِسَةُ: عَلَامَةُ إِرَادَةِ اللهِ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ.

السَّادِسَةُ: عَلَامَةُ إِرَادَةِ اللهِ بِهِ الشَّرَّ.

السَّابِعَةُ: عَلَامَةُ حُبِّ اللهِ لِلْعَبْدِ.

الثَّامِنَةُ: تَحْرِيْمُ السُّخْطِ.

التَّاسِعَةُ: ثَوَابُ الرِّضَا بِالبَلَاءِ.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (**فِيْهِ مَسَائِلُ**)، في هذا الباب مسائل، يعني: فوائد، ما يستفاد من النصوص الواردة في الباب، وهذه المسائل هي فقه الباب.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (**الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ التَّغَابُنِ**)؛ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، قَالَ: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيْبُهُ المُصِيْبَةُ؛ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»(١)، هذا تفسير الآية.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (**الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذَا مِنَ الإِيْمَانِ**)؛ الرضا بقضاء الله من الإيمان.

(١) سبق تخريجه (ص٦٣٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ**)، الطعن في الأنساب، تنقص أنساب الناس لا يجوز هذا، لا يجوز أن تقول: هذا فلان ليس بقبيلي، فلان من كذا وكذا، لا يجوز هذا، الطعن في الأنساب هذا من أمور الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: شِدَّةُ الوَعِيْدِ فِيْمَنْ ضَرَبَ الخُـدُوْدَ، وَشَقَّ الجُيُوْبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**)، شدة الوعيد على من فَعَلَ فِعْلَ الجاهلية عند المصائب؛ يشق الجيوب، ويلطم الخدود، ويدعو بدعوى الجاهلية، هذه من أمور الجاهلية -والعياذ بالله!

عند المصائب يصبر الإنسان، ويسلم لله عَزَّوَجَلَّ، ويحتسب الأجر من الله، وأما أهل الجاهلية، فعندهم النياحة، عندهم شق الجيوب، عندهم لطم الخدود، عندهم ضرب أنفسهم؛ كما هو موجود الآن في بعض الطوائف؛ يضربون أنفسهم بالسياط في يوم معين من السنة، كل هذا من أمور الجاهلية، لماذا يضربون أنفسهم؟ يقولون: من الحزن على مقتل الحسين. فيضربون أنفسهم بالسياط، وهذا من أمور الجاهلية.

مقتل الحسين مصيبة بلا شك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لكن المصيبة تقابل بالصبر، ولا تقابل بشق الجيوب وضرب الخدود ودعوى الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: عَلَامَةُ إِرَادَةِ اللهِ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ**)، «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ**»[1]، فهذا دليل على أن الله يريد بعباده المؤمنين الخير.

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٠٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السَّادِسَةُ: عَلَامَةُ إِرَادَةِ اللهِ بِهِ الشَّرَّ)، «**فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ**»، هذا الشرط، «**فَعَلَيْهِ السُّخْطُ**» من الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السَّابِعَةُ: عَلَامَةُ حُبِّ اللهِ لِلْعَبْدِ)، «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ**»، فالابتلاء من الله دليل على محبة الله للعبد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّامِنَةُ: تَحْرِيمُ السُّخْطِ)، «**وَمَنْ سَخِطَ، فَلَهُ السُّخْطُ**»، السخط على ما قدر الله محرم؛ لأن الله يسخط عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (التَّاسِعَةُ: ثَوَابُ الرِّضَا بِالبَلَاءِ)، ثواب الرضا: «**فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا**» من الله عَزَّوَجَلَّ، ثوابه أن الله يرضى عنه.

٣٥- بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ في الرِّيَاءِ)، أي: من النهي والتحذير.

قال الحافظ: هو مشتق من الرؤية، والمراد بها: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها، فيحمدون صاحبها[(١)].

والفرق بينه وبين السمعة: أن الرياء لما يرى من العمل -كالصلاة-، والسمعة لما يسمع -كالقراءة والوعظ والذكر-، ويدخل في ذلك التحدث بما عمله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ)**، أي: من الأدلة الدالة على ذم الرياء، وأنه من الشرك في العبادة.

والمسلم يحذر من هذا، يحذر من أن يرائي بأعماله؛ لأنه إذا دخل الرياء في العبادة، أبطلها، وصارت من أجل الناس. وفي يوم القيامة يقول الله جَلَّ وَعَلَا: «**اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!**»[(٢)]، وقد حذر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرياء[(٣)]، ففي الآية: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢].

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٣٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣٩/ ٣٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ١٥٤).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦): عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدُبًا الْعَلَقِيَّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعِ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ)**، الرياء لما يرى من الأعمال، والسمعة لما يسمع من الأقوال، فعلى المسلم أن يحذر في أقواله وأعماله من دخول الرياء فيها؛ لأن ذلك يبطلها، ويجعلها لا ثواب فيها؛ يكون خسارة على صاحبها. فيحرص المسلم على الإخلاص لله، وإذا عرض له رياء، فإنه يقطع الرياء، ويرجع إلى الإخلاص ولا يضره، فإن استمر معه الرياء إلى أن تنتهي العبادة، فإنها باطلة ولا ثواب له فيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «بَابُ مَا جَاءَ في الرِّيَاءِ»، أي: من النهي والتحذير)**، أي: ما جاء من النهي عن الرياء والتحذير منه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الحافظ: هو مشتق من الرؤية)**، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرياء مشتق من الرؤية، أي: مما يرى من الأعمال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمراد بها: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها، فيحمدون صاحبها)**، هذا قصده: أنه يمدح ويثنى عليه، ولذلك يحسن صلاته، ويحسن صوته بالقرآن؛ من أجل أن يمدحه الناس ويجتمعوا وراءه، ويكثر المصلون وراءه، فعلى من ابتلي بذلك أن يتوب إلى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر)**؛ كالقراءة -قراءة القرآن-؛ يحسن صوته بالقرآن؛ لأجل أن يمدحه الناس، ويكثر المصلون خلفه.

وكذلك يدخل في الرياء -أيضًا- الوعظ والتذكير؛ أن يعظ ويذكر ويحاضر، يلقي المحاضرات؛ من أجل أن يمدحه الناس، يدعو إلى الله؛ من

أجل أن يمدحه الناس، هذه المسألة خطيرة جدًّا، على المسلم أن يحذر من الرياء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويدخل في ذلك التحدث بما عمله**)؛ يدخل في الرياء التحدث بما عمله.

الواجب على المسلم أن يخفي أعماله، ولا يتحدث عنها؛ يقول: أنا تصدقت بكذا، وأنا علمت القرآن، وأنا أدعو إلى الله، وأنا، وأنا. هذا رياء؛ لأجل أن يمدحه الناس.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠].

ش: قوله: (**وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى:** ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠])، **أي: ليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شيء، بل ذلك كله لله وحده لا شريك له، أوحاه** ﴿إِلَيَّ﴾.

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾، **أي: يخافه،** ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠].

قوله: ﴿أَحَدَۢا﴾ **نكرة في سياق النهي تعُمّ، وهذا العموم يتناول الأنبياء والملائكة والصالحين والأولياء وغيرهم.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى:** ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠])، يقول الله جَلَّ وَعَلَا لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ﴾، أي: قُلْ لأمتك: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف:١١٠]، ليس بملك من الملائكة؛ ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [هود:٣١]، بشر من بني آدم، فهو بشر مثلنا من أب وأم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من قبيلة قريش، معروف نسبه، ومعروف ولادته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونشأته، معروف.؛ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعني: اليهود ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾:

يعرفون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ [البقرة:١٤٦]: يعرفون أنه رسول الله؛ لما يجدونه في التوراة من ذكره.

وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ -هو آخر أنبياء بني إسرائيل- بشر به، قال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦]، هذا من أسماء الرسول، أحمد: من أسماء الرسول، يسمى أحمد، ويسمى محمد، وله أسماء كثيرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾)**، ﴿قُلْ إِنَّمَآ﴾، ﴿إِنَّمَآ﴾: هذه للحصر، ﴿أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: مثلكم في البشرية، لست بملك من الملائكة، ولا من الجن -أيضًا-، هو من الإنس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾)**، ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾: يوحي الله جَلَّ وَعَلَا إليه، والوحي: هو الإعلام بسرعة وخفاء(١)، وينقسم إلى قسمين:

- وحي إلهام، وليس وحي إرسال؛ كما أوحى الله جَلَّ وَعَلَا إلى مريم، هذا وحي إلهام، ألهمها، مثلما أوحى إلى النحل؛ ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾، هذا وحي إلهام، ألهمها: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل:٦٨]، من العنب، من العريش، العريش معروف، فالوحي يكون إلهامًا؛ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص:٧]، هذا وحي إلهام، ألهمها.

- أما وحي الإرسال، فلا يكون للنساء، إنما يكون للرجال خاصة، كُمَّل الرجال وأعظم الرجال أخلاقًا وسيرة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٣٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٨٤)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٩٣)، ولسان العرب (١٥/ ٣٨١)، وعمدة الحفاظ (٤/ ٢٩١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾)، ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾: «أَنَّ»، وأما «مَا» المقرونة معها، فهذه يراد بها كف «أَنَّ»؛ كافة ومكفوفة، ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾، فهو كُفَّ شأنه في البشرية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾)، وهذا من رحمة الله؛ أنه أرسل الرسول منا، نراه ونتخاطب معه، ويجلس معنا، ويصلي بالمسلمين، وليس ملكًا من الملائكة؛ لأننا لا نطيق النظر إلى الملك على خلقته؛ لأن خلقة الملك عظيمة، ونحن نفزع من رؤية الملك لو رأيناه على خلقته، ولهذا كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة رجل، يأتيه في صورة دحية الكلبي فيخاطبه(١)، ويراه أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -أيضًا.

دخل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، فجلس إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أسند ركبتيه إلى ركبتيه، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ينظرون، فقال: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فأخبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام وأركانه، عدَّها عليه، قَالَ: صَدَقْتَ. قال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ»، لو كان أنه جاهل، لما صدق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنما

---

(١) كما في حديث جبريل الذي أخرجه النسائي في المجتبى (٤٩٩١)، وفي آخر الحديث: «وَإِنَّهُ لَجِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ».

وكما في الحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرك عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٣/ ٣٧)، وفيه: «وَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّ بِمَجَالِسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْظَةَ، فَقَالَ: «**هَلْ مَرَّ بِكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟**» قَالُوا: مَرَّ عَلَيْنَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ تَحْتَهُ قَطِيفَةُ دِيبَاجٍ، قَالَ: «**لَيْسَ ذَلِكَ بِدِحْيَةَ وَلَكِنَّهُ جِبْرِيلُ أُرْسِلَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ لِيُزَلْزِلَهُمْ وَيَقْذِفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**»».

قصده بهذا السؤال تعليم أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتعليم إذا كان على طريقة السؤال والجواب، فهو أثبت في الأفهام والحفظ.

«فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ»، فأخبره عن الإيمان وأركانه. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». قَالَ: صَدَقْتَ. ثم خرج، قام وخرج جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلما خرج، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذهبوا والتمسوا الرجل، فذهبوا والتمسوه، ولم يجدوه، فجاءوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: لم نجده يا رسول الله. قال: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أي: ليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شيء)**، ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: لست بملك، وليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شيء، ﴿أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: في خلقته، وفي كلامه، وفي تصرفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من حكمة الله أنه يرسل إلى الأمم رسولًا منهم يتلو عليهم آياته، يرسل إليهم رسولًا منهم، يعرفونه؛ يعرفونه نسبه، ويعرفون صدقه، ويعرفون سيرته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(بل ذلك كله لله وحده لا شريك له)**، الربوبية والإلهية والأسماء والصفات كلها لله، ليس لأحد فيها شيء؛ لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أوحاه ﴿إِلَيَّ﴾)**، أوحاه ﴿إِلَيَّ﴾: ألقاه إليه عن طريق الوحي، وهو الإعلام بسرعة وخفاء.

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا نزل عليه الوحي، يثقل حتى يكاد يرض فخذ الذي عليه فخذه من ثقله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١)، وذلك من عظمة الوحي، فإذا انتهى الوحي، عاد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما كان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله:** ﴿أَحَدًا﴾)، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ﴾، يعني: يخاف، ﴿يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾: هو يعلم أنه يلاقي ربه، ليس هناك أحد إلا سيلاقي ربه، فليستعد لهذا اللقاء.

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ﴾، يعني: يخاف ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]: يخلص العبادة لله؛ لأن الشرك إذا دخل في العبادة، أبطلها.

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾: أيّ أحد، يعني: لا من الملائكة، ولا من الرسل، ولا من الأنبياء، ولا من العلماء، أيّ أحد، فكلمة (أحدًا) عامة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله:** ﴿أَحَدًا﴾ **نكرة في سياق النهي تعُمّ**)، نكرة: يعني ليست معرفة، معرفة بالألف واللام، إنما هي نكرة، ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾: هذا الفرق: أنه يوحى إليه، وهم لا يوحى إليهم.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٨٣٢، ٤٥٩٢): عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ مَرْوَانَ بْنَ الحَكَمِ جَالِسًا فِي المَسْجِدِ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْلَى عَلَيْهِ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:٩٥]، ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٩٥]»، قَالَ: فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ -وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى- فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥].

﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: (أن أهلكم) هذا الأصل، (أن إلهكم إله واحد) فقرنت بها (ما)، (أنما) من أجل التأكيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا العموم يتناول الأنبياء والملائكة والصالحين والأولياء وغيرهم)، أيّ أحد، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾: عام في الملائكة، وفي الرسل، وفي العلماء، وفي الصالحين، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾: لا من الجن، ولا من الإنس.

....

ش: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما اللقاء، فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة، وقالوا: لقاء الله يتضمن رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يوم القيامة[(١)]. وذكر الأدلة على ذلك.

قال ابن القيم في الآية: أي: كما أن الله واحد لا إله سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له. فكما تفرد بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية، فالعمل الصالح: هو الخالص من الرياء المقيد بالسنة. انتهى[(٢)].

وفي الآية دليل على أن أصل الدين الذي بعث الله به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمرسلين قبله هو إفراد الله تعالى بأنواع العبادة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

والمخالف لهذا الأصل من هذه الأمة أقسام:

- إما طاغوت ينازع الله في ربوبيته وإلهيته، ويدعو الناس إلى عبادته.
- أو طاغوت يدعو الناس إلى عبادة الأوثان.
- أو مشرك يدعو غير الله، ويتقرب إليه بأنواع العبادة أو بعضها.
- أو شاك في التوحيد: أهو حق أم يجوز أن يجعل لله شريك في عبادته؟
- أو جاهل يعتقد أن الشرك دين يقرب إلى الله تعالى، وهذا هو الغالب على أكثر العوام لجهلهم وتقليدهم من قبلهم؛ لما اشتدت غربة الدين، ونسي العلم بدين المرسلين.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٤٦٢).

(٢) انظر: الجواب الكافي (ص١٣٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أما اللقاء)**، ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف:١١٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أما اللقاء، فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة)**، المعاينة؛ يرون الله عيانًا، يعرضون عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويرونه عيانًا بأبصارهم ويكلمهم ويجيبونه، فالموقف عظيم مهيب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكما تفرد بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية)**، الإلهية هي العبودية، فيجب أن يفرد بالعبادة، لا يشرك بالله في عبادته أحدًا.

ومن الشرك في العبادة: الرياء؛ أن يزين الصلاة من أجل نظر رجل إليه، فهذا هو الرياء وأكبر الرياء.

والسمعة بالصوت: يحسن صوته بتلاوة القرآن، وكذلك يبكي من أجل أن يجتمع عليه الناس؛ ليصلوا خلفه، فيحذر المسلم من هذا، يخلص عمله لله، لا رياء ولا سمعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالعمل الصالح: هو الخالص من الرياء المقيد بالسنة)**، العمل الصالح ما اجتمع فيه شرطان:

- أن يكون خالصًا لوجه الله، ليس فيه رياء.
- وأن يكون ثابتًا بدليل من الكتاب والسنة، لا يكون فيه بدعة، إذا كانت بدعة، فهي مردودة؛ «**مَنْ عَمِلَ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»(١)، «**وَإِيَّاكُمْ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨)، ورواه البخاري معلقًا في كتاب البيوع - باب النجش (٤/ ٣٥٦) =

وَمُحْدِثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»(١).

فالرياء خطير جدًّا؛ على المسلم أن يخلص عمله لله، يستحضر عظمة الله الذي هو واقف بين يديه يخاطبه ويدعوه، يستحضر عظمة الله؛ فيخشع، وإذا خشع، ذهب عنه الرياء -بإذن الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وفي الآية دليل على أن أصل الدين الذي بعث الله به رسوله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **والمرسلين قبله هو إفراد الله -تعالى- بأنواع العبادة**)، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، كل رسول من الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يوحي الله إليه أن يأمر الناس بالتوحيد وإفراد الله بالعبادة، فيكون العمل خالصًا لوجه الله، ويكون صوابًا على سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يقبل إلا بهذين الشرطين: خالصًا لله، صوابًا على سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾** [الأنبياء:٢٥])، كل الرسل أوحى الله إليهم بهذا الأمر: إنه لا إله إلا الله؛ فليعبده العباد والخلق، يعبدون الله وحده

= مع الفتح)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ (١٣/ ٣١٧ مع الفتح).

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (٢٨/ ٣٧٣)، والدارمي (٩٦)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٢٤٥)، وابن حبان (١/ ١٧٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٤)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩٥)، من حديث الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لا شريك له، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات:٥٦، ٥٧].

والله لا ينتفع بالعبادة؛ لأنه غنيٌّ عنها؛ ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم:٨]، وإنما مصلحة العبادة ترجع إلى الإنسان، عبادته لله ترجع مصلحتها إليه؛ من أجل أن ينجو من عذاب الله، ويفوز برضا الله وبجنته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مصلحة العبادة راجعة إليه، فهو سبحانه أمرهم بما فيه مصلحتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمخالف لهذا الأصل من هذه الأمة أقسام)**، المخالف لهذا الأصل الذي هو العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إما طاغوت)**؛ طاغوت من الطغيان، وهو الفساد والشر، هذا الطاغوت: ما تجاوز العبد به حده - كما قال ابن القيم- من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إما طاغوت ينازع الله في ربوبيته وإلهيته، ويدعو الناس إلى عبادته)**، قد يدعو الناس إلى عبادته؛ مثلما حصل من فرعون أنه أمر الناس بعبادته -لعنه الله!

وكذلك الطواغيت في كل وقت، الذين يأمرون بالشرك، ويأمرون بتعظيمهم، هؤلاء هم الطواغيت.

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (١/ ٤٠).

وكذلك من يحكم بغير ما أنزل الله فهو طاغوت؛ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ [النساء:٦٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو طاغوت يدعو الناس إلى عبادة الأوثان)**، أو يدعوهم إلى عبادة الأوثان، أو إلى عبادة القبور. القبور تصير أوثانًا إذا عبدت؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»**(١).

وهؤلاء يقولون: نحن نعرف أنهم من الخلق، وأنهم لا يملكون شيئًا، ولكنهم صالحون، فيشفعون لنا عند الله، لا نريد منهم إلا أن يشفعوا لنا عند الله.

الشفاعة ملك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليست ملكًا لهم، ملكٌ لله، ولا تحصل إلا بشرطين:

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع؛ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

الشرط الثاني: رضاؤه عن المشفوع فيه؛ فإن كان مشركًا، أو كان كافرًا، أو كان عاصيًا لله معصية تخرجه من الدين، فلا تنفعه شفاعة الشافعين؛ قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨].

إنما هي لأهل الإيمان فقط؛ من يرضى الله قوله وعمله، هذا هو الذي تنفعه الشفاعة بإذن الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو مشرك يدعو غير الله)**، من هو المشرك؟ هو الذي يدعو غير الله، يذبح لغير الله، ينذر لغير الله، يرجو من الميت، يعني: يصرف

---

(١) سبق تخريجه (ص٦).

له نوعًا من أنواع العبادة، هذا هو المشرك، وما أكثر المشركين ممن ينتسبون إلى الإسلام بهذه الطرق الشيطانية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو مشرك يدعو غير الله، ويتقرب إليه بأنواع العبادة أو بعضها)**؛ يتقرب إلى المخلوق بأنواع العبادة؛ من الدعاء، ومن الرجاء والخوف، إلى آخره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو شاك في التوحيد: أهو حق أم يجوز أن يجعل لله شريك في عبادته؟)**، أو شاكٌّ في التوحيد؛ يقول: هذا الشرك يمنع بتاتًا، أم يجوز شيء من الشرك؟ هذا -والعياذ بالله- ليس بمسلم، الذي يتشكك في الشرك، ويقول: بعضه ينفع، هذا -والعياذ بالله- كافر بالله عَزَّوَجَلَّ.

فالذين يعبدون القبور الآن هم من هذا الصنف -والعياذ بالله- مشركون شركًا أكبر، إلا من يتوب إلى الله قبل أن يموت، ويخلص العبادة لله بأنواعها، بأنواع العبادة كلها.

العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة(١)، يخلصها كلها لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو جاهل يعتقد أن الشرك دين يقرب إلى الله تعالى)**، أو جاهل يعتقد أن الشرك ينفعه عند الله، وأن هؤلاء يشفعون له عند الله، ويقربونه إلى الله؛ ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، يقولون هكذا، يقولون: نحن نعلم أنه لا يملك النفع والضر إلا الله، لكن هؤلاء

---

(١) انظر: (رسالة العبودية) ضمن مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

يشفعون لنا عند الله، شفعاء، يسمون الشرك شفاعة؛ ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، شفعاء. يقولون: نحن نعلم أنهم ضعفاء مثلنا، وأنهم لا يملكون شيئًا، ولكنهم صالحون، ونريد منهم الشفاعة فقط.

الشفاعة تطلب من الله، ليست تطلب من الخلق، الشفاعة عند الله تطلب من الله: اللهم شفع فيَّ رسولك، اللهم شفع فيَّ عبادك الصالحين، تطلب من الله عَزَّوَجَلَّ، لا تطلب من المخلوق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو جاهل يعتقد أن الشرك دين يقرب إلى الله تعالى، وهذا هو الغالب على أكثر العوام لجهلهم وتقليدهم من قبلهم لما اشتدت غربة الدين ونسي العلم بدين المرسلين)**، الشرك إنما ينتشر مع الجهل والجهال، أما إذا جاء العلم الشرعي، فإن الشرك يقل.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)].

ش: قوله: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فيهِ غَيْرِي»، أي: من قصد بعمله غيري من المخلوقين، تركته وشركه.

ولابن ماجه: «فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»[(٢)].

قال الطيبي: الضمير المنصوب في قوله: «تركته» يجوز أن يرجع إلى العمل[(٣)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»)، هذا يسمى بالحديث القدسي، وهو ما تكلم الله تعالى به، الحديث القدسي من كلام الله، فهو من حيث الصدور عن الله مثل القرآن، لكن القرآن يمتاز على غيره من كلام البشر ومن عمل البشر؛ لأنه كلام الله، وحي من الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فيهِ غَيْرِي». أي: من قصد بعمله غيري من المخلوقين، تركته وشركه)، قول الله: «مَنْ عَمِلَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: شرح المشكاة للطيبي (١١/ ٣٣٦٩).

عَمَلا»، أيّ عمل كبير أو صغير، كثير أو قليل، «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فيهِ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»: يرده الله عليه، إذا أشرك بالله في العمل، رد الله عمله عليه، ولم يقبله.

«**تَرَكْتُهُ**»: يعني لا يقبله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«**وَشِرْكَهُ**»: وكانوا في الجاهلية، وبعض ممن ينتسب إلى الإسلام يجعلون للأصنام وللأوثان يجعلون لها نصيبًا لها من أموالهم، يقولون: ﴿**هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ**﴾: يتبرأ الله جَلَّ وَعَلَا منه، ﴿**وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ**﴾ [الأنعام:١٢٦]: يتبرأ الله منه، ويصير إلى شركائهم كلهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولابن ماجه: «فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»)**، «**فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ**»: الله جَلَّ وَعَلَا بريء منه لا يقبله، أين يذهب؟ «**وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ**»: كله يصير للمخلوق، والله يتبرأ منه ولا يقبله، يصير كله للمخلوق.

هل المخلوق سينفع هذا الذي تقرب بهذا العمل إليه؟ لا ينفعه بل يضره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الطيبي: الضمير المنصوب في قوله: تركته. يجوز أن يرجع إلى العمل)**، «تركته»، ما الذي يتركه الله جَلَّ وَعَلَا؟ العمل، هذا قول.

....

ش: قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلم أن العمل لغير الله أقسام:

فتارة يكون رياء محضًا -كحال المنافقين-؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢]، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة أو الحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدى نفعها؛ فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة. وتارة يكون العمل لله، ويشاركه الرياء، فإن شاركه في أصله، فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه.

وذكر أحاديث تدل على ذلك، منها: هذا الحديث.

وحديث شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «مَنْ صَلَّى يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا خَيْرُ قَسِيمٍ لِمَنْ أَشْرَكَ بِي، فَمَنْ أَشْرَكَ بِي شَيْئًا، فَإِنَّ جدة عَمَلَهُ قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ لِشَرِيكِهِ الَّذِي أَشْرَكَ بِهِ، أَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ». رواه أحمد(١)، وذكر أحاديث في المعنى.

ثم قال: فإن خالط نية الجهاد -مثلًا- نية غير الرياء، مثل: أخذ أجرة الخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة، أو التجارة، نقص بذلك أجر جهاده، ولم يبطل بالكلية.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٨/ ٣٦٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **واعلم أن العمل لغير الله أقسام)**، انتبهوا! ابن رجب في «شرح الأربعين» تكلم على هذه المسألة كلامًا عظيمًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتارة يكون رياء محضًا)**، أي: خالصًا، رياء محضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتارة يكون رياء محضًا كحال المنافقين)**، المنافقون -والعياذ بالله- يظهرون الإسلام، ويدعون الله، ويصلون، ويتعبدون في الظاهر، ولكنهم في الباطن كفار؛ يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، هؤلاء هم المنافقون النفاق الأكبر المخرج من الملة؛ لأن النفاق قسمان:

القسم الأول: نفاق أكبر يخرج من الملة.

القسم الثاني: نفاق أصغر لا يخرج من الملة، وهو الرياء، يسير الرياء لا يخرج من الملة، لكنه ينقص العمل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى:** ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢])، المنافقون ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾.

المسلم إذا قام إلى الصلاة، يكون نشيطًا، ويكون راغبًا في الصلاة، ويكون حاضر القلب، ولهذا كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اشتد به أمر، قال: «**يَا بِلَالُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**»[1]، فكان يستريح بالصلاة مع ربه، فيخشع بين يديه، فيستريح في الصلاة.

(١) سبق تخريجه (ص٤٤٢).

والمنافق يقول: أرحنا منها، لا يقول: أرحنا بها، يقول: أرحنا منها، كـأنه في سجن إذا كان في الصلاة، يسابق الإمام أحيانًا من سرعته وحرصه على الخروج من الصلاة؛ لأنه لا يجد لها طعمًا، ولا يجد لها لذة، تكون حبسًا عليه. بخلاف المسلم؛ فإنه يطمئن في الصلاة ويفرح بها، وينشرح صدره فيها، ويتلذذ بها، هذا المسلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى:** ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢])، وهذه الصفة الثانية: أنهم لا يذكرون الله إلا قليلًا.

وأما المسلمون، فيذكرون الله كثيرًا؛ ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر عن مؤمن)**، الخالص يعني. يقول ابن رجب: هذا الرياء الذي يخرج من الملة لا يصدر من مسلم، إنما يصدر من منافق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد يصدر في الصدقة أو الحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة)**، الأعمال الظاهرة مثل: الحج، قد يحج رياءً، والصدقة؛ قد يتصدق رياءً.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو التي يتعدى نفعها)**، التي يتعدى نفعها يدخلها الرياء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط)**، حابط: يعني باطل؛ لأنه شرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة)**، ولا يستحق الثواب والجزاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتارة يكون العمل لله، ويشاركه الرياء)**، يدخل الرياء متأخرًا، هذا إن طرده في الحال لم يضره، وإن استمر معه، أبطل العبادة؛ لأنها صارت رياءً.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذكر أحاديث في المعنى)**، ذكر ابن رجب: يعني في «شرح الأربعين»، الذي هو «جامع العلوم والحكم»، هذا كتاب عظيم، «جامع العلوم والحكم» كتاب جيد مفيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم قال: فإن خالط نية الجهاد -مثلًا- نية غير الرياء، مثل: أخذ أجرة الخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة، أو التجارة، نقص بذلك أجر جهاده، ولم يبطل بالكلية)**، إذا أخذوا هذا طمعًا فيه، ينقص أجرهم. بخلاف المتعفف الذي لا يأخذه، ويريد الثواب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا كمال الإخلاص، لا يأخذه لأجل أن يبقى كمال الأجر له.

....

ش: قال ابن رجب: وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التاجر والمستأجَر والمكري أجرهم على قدر ما يخلص من نياتهم في غزواتهم، ولا يكونون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره.

وقال -أيضًا- فيمن يأخذ جعل الجهاد: إذا لم يخرج لأجل الدراهم، فلا بأس، كأنه خرج لدينه، فإن أُعطي شيئًا، أخذه.

وروي عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إذا أجمع أحدكم على الغزو، فعوضه الله رزقًا، فلا بأس بذلك، وأما إن كان أحدكم إن أعطي دراهم، غزا، وإن لم يعط، لم يغز، فلا خير في ذلك»(١).

ورُوِي عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال في حج الجمّال وحج الأجير وحج التاجر: «هو تام لا ينقص من أجورهم شيء»، أي: لأن قصدهم الأصلي كان هو الحج دون التكسب.

قال: وأما إن كان أصل العمل لله، ثم طرأ عليه نية الرياء، فإن كان خاطرًا، ثم دفعه، فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه، فهل يحبط عمله أم لا، ويجازى على أصل نيته؟

---

(١) هذا الأثر أخرجه الإمام مالك في المدونة (١/ ٥٢٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٤٢٨)، وذكره ابن المنذر في الأوسط في السنن والإجماع (١١/ ١٧٣)، رواه جميعهم عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أما ابن رجب، فقد رواه عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف، قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير، ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجازي بنيته الأولى، وهو مروي عن الحسن وغيره.

فأما إذا عمل العمل لله خالصًا، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضره بذلك.

وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الخَيْرِ، يَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» رواه مسلم(١). انتهى ملخصًا(٢).

قلت: وتمام هذا المقام يتبين في شرح حديث أبي سعيد -إن شاء الله تعالى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال ابن رجب: وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: التاجر والمستأجر والمكري أجرهم على قدر ما يخلص من نياتهم في غزواتهم)، هذا في الغزاة، التاجر الذي يغزو، وهو يبيع ويشتري في الغزو.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والمستأجَر)، الذي يخرج له من بيت المال راتب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والمكري)، والمكري: الذي يكري دوابه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا يكونون مثل من جاهد بنفسه وماله، لا يخلط به غيره)؛ جاهد بنفسه، فحمل السلاح، وقاتل لإعلاء كلمة الله، وجاهد بماله، تصدق صدقة خالصة لوجه الله؛ يريد ثوابه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٢).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩- ٨٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال -أيضًا- فيمن يأخذ جعل الجهاد: إذا لم يخرج لأجل الدراهم، فلا بأس)**، من يأخذ على الجهاد شيئًا من المال؛ إن كان قصده هذا المال، فليس له أجر، وإن كان قصده الجهاد في سبيل الله، وأخذ هذا المال ليستعين به على الجهاد، فلا بأس بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كأنه خرج لدينه فإن أُعطي شيئًا، أخذه)**، وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوزع المغانم على الصحابة -وهم أفضل القرون-، ويأخذونها لكن لا يخرجون للجهاد من أجلها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وروي عن عبد الله بن عمرو** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا**)**؛ عبد الله بن عمرو ابن العاص.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إذا أجمع أحدكم على الغزو)**، أجمع: يعني عزم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إذا أجمع أحدكم على الغزو فعوضه الله رزقًا، فلا بأس بذلك)**، إذا لم يكن هو قصده، وإنما خرج للجهاد، وأُعطي شيئًا من المال، هذا طيب من الطيبات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما إن كان أحدكم إن أعطي دراهم، غزا، وإن لم يعط، لم يغز، فلا خير في ذلك)**، لا يكتب له أجر الجهاد وإن خرج.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ورُوِي عن مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**؛ مجاهد بن جبر: تلميذ عبد الله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ورُوِي عن مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أنه قال في حج الجمال وحج الأجير، وحج التاجر: «هو تام لا ينقص من أجورهم شيء»)**، إذا لم يقصد

الدنيا بذاتها، وإنما قصدها لتعينه على الحج، على الجهاد، على الأعمال الصالحة، هذا لابأس به. فالذي ينوب في الحج عن غيره، ويعطى شيئًا من المال؛ إن كان قصده هذا المال، فليس له حج، وإن كان قصده الحج والتقرب إلى الله، ويأخذ هذا المال ليستعين به على الحج، فلا بأس بذلك، هذا من الطيبات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف، قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير، ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك)**؛ لأنه ليس قصده الأصلي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو مروي عن الحسن وغيره)**؛ الحسن البصري.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأما إذا عمل العمل لله خالصًا ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك)**، إذا مدحه الناس، وهو لم يقصد مدحهم، فهذه عاجل بشرى المؤمن، لا بأس بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **عن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الخَيْرِ، يَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»)**، إذا لم يقصد مدح الناس، وإنما هم أثنوا عليه، هذا عاجل بشرى المؤمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(انتهى ملخصًا)**، انتهى ملخصًا من كلام ابن رجب.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: الشِّرْكُ الخَفِيُّ؛ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ». رَوَاهُ أَحْمَدُ(١).

ش: وروى ابن خزيمة في صحيحه عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ. قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ، وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: يَقُوْمُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي؛ فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ الرَّجُلِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ»(٢).

قوله: (وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ)، هو الخدري، وتقدم.

قوله: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ»، سماه خفيًا؛ لأن صاحبه يُظهر أن عمله لله، وقد قصد به غيره، أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله.

وعن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا نَعُدُّ الرِّيَاءَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص، وابن جرير في التهذيب، والطبراني والحاكم وصححه(٣).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٧/ ٣٥٤)، وابن ماجه (٤٢٠٤).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٦٧)، وأحمد (٣٩/ ٤٠)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٤١٣)، وفي شعب الإيمان (٤/ ٥٠٢)، وابن أبي شيبة (٢/ ٢٢٧).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٨٩)، وفي الأوسط (١/ ٧٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٦٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ١٦٤ - ١٦٥).

أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: الشِّرْكُ الْخَفِيُّ: يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ»)، خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم يتذاكرون المسيح الدجال وخروجه؛ لأنه فتنة عظيمة إذا خرج، معه ما هو صورة الجنة وما هو صورة النار، ويأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت[1]. هذا مما أجراه الله على يده؛ امتحانًا للعباد، فمنهم من يغتر بالمسيح الدجال، فيظن أنه ينفع ويضر، وأنه يقدر على ما يريدون، ويدفع عنهم ما يخافون، فتتعلق قلوبهم به، ويحصل منهم الكفر والشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ بسبب هذا المسيح الدجال، فتنته عظيمة.

وما من نبي إلا وحذر أمته من المسيح الدجال[2]، وأشدهم تحذيرًا منه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه يخرج على أمته، يخرج على أمة محمد، فيحصل منه فتنة عظيمة، فهم يتذاكرونه من أجل الخوف منه ومن شره.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ»**. ما هو الشرك الخفي؟ **«أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ فَيُصَلِّيَ؛ وَيُزَيِّنَ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ»**، فهو يزين صلاته من أجل هذا الرجل الذي ينظر إليه، ولا يزين صلاته؛ تقربًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا لا شك أنه خطير، أخطر من المسيح الدجال.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٤٩)، ونعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٣٥).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٩٣٣): عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر»**.

فعلى المسلم أن يخاف من الرياء، وأن يخلص أعماله لله عَزَّوَجَلَّ، وإذا خطر خاطر عليه من الرياء، يدفعه بالإيمان بالله واستحضار عظمة الله، فيزول عنه بإذن الله. لكنه خطير يهلك كثيرًا من هذه الأمة، فلذلك خافه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحذر منه، وأثر هذا في أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى أشتد خوفهم منه، فجعلوا يتذاكرونه في مجالسهم؛ من أجل التحذير منه، والخوف منه، ولكن الرياء أشد خوفًا على الأمة من المسيح الدجال، هذا فيه الحذر من الرياء.

الرياء ما هو؟ لما يرى من الأعمال، السمعة ما هي؟ لما يسمع من الأقوال؛ يزين صلاته؛ من أجل أن يمدحه الناس، ويحسن قراءته وصوته بالقرآن؛ من أجل أن يمدحه الناس، ويجتمعوا عليه، ويصلوا وراءه في مسجده، هذه السمعة.

فالمسلم يحذر من هاتين الفتنتين -الرياء والسمعة-، ويخلص أعماله وأقواله لله عَزَّوَجَلَّ، فإذا خطر بنفسه خاطر من ذلك، يدفعه بالإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، ولا يضره إذا دفعه وذهب عنه، وأخلص العمل لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُوْلُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ. قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ، وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: يَقُوْمُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي؛ فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ الرَّجُلِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ»)**، الشرك ينقسم إلى:

- أكبر مخرج من الملة، وهو دعاء غير الله، والذبح لغير الله، والنذر لغير الله، صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، هذا الشرك الأكبر.

- الشرك الأصغر: الرياء؛ أن يتظاهر أو يحسن عمله؛ من أجل نظر أحدٍ إليه، هذا شرك أصغر، وهو خطير.

وهناك نوع ثالث، وهو شرك خفي، لا يظهر عليه لا على أقواله ولا على أفعاله، وإنما في نيته وقصده، من داخل نفسه، هذا يسمى الشرك الخفي.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالشِّرْكَ فَاحْذَرْهُ فَشِرْكٌ ظَاهِرٌ: وهو الجلي الواضح الذي يظهر للناس، وشرك غير ظاهر، وهو الخفي، الشرك الخفي الذي في القلب، وهذا خطير جدًّا.

وَالشِّرْكَ فَاحْذَرْهُ فَشِرْكٌ ظَاهِرٌ ... ذَا القِسْمُ لَيْسَ بِقَابِلِ الغُفْرَانِ

وَهُوَ اتِّخَاذُ النِّدِّ لِلرَّحْمنِ أيِّـ ... ـا كَانَ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ إِنْسَانِ(١)

هذا الشرك الأكبر -والعياذ بالله-، وهو ظاهر؛ فالذين يدعون غير الله، ويذبحون لغير الله، ويزورون القبور؛ يسألون الأموات، يستعينون بهم، وهذا كثير الآن في الأمصار.

وكانت هذه البلاد يكثر فيها هذا الشرك، لا سيما في البوادي والأعراب، حتى منَّ الله عليها بدعوة الشيخ المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأنقذ الله بسببه هذه البلاد -ولله الحمد-، تعلموا التوحيد، وصارت فيها مدارس للتوحيد في المساجد وفي غيرها، وفي العهد الأخير صارت المقررات التي تدرس في المدارس من كتب التوحيد والرسائل المختصرة المفيدة العظيمة، هذا من فضل الله على هذه البلاد.

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢٦٣).

ثم إن دعوته انتشرت في خارج هذه البلاد، انتشرت في مصر، انتشرت في إفريقيا، انتشرت في الهند، أنصار السنة المحمدية هم على هذا الأثر -ولله الحمد-، في كل مكان أنصار السنة المحمدية؛ في مصر، في الشام، في إفريقيا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ»، سماه خفيًّا؛ لأن صاحبه يُظهر أن عمله لله، وقد قصد به غيره، أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله)**، الشرك الخفي هذا في النفس، لا يظهر على اللسان ولا على الأفعال، وإنما هو في النية والقصد.

وقد يكون عنده شرك خفي، ولا يراه الناس؛ لأنه في قلبه، في نيته وقصده، هذا خطير جدًا، يحبط العمل، إلا إذا منَّ الله على صاحبه، فرفضه.

قد يقوم الإنسان يصلي، قد يقوم يتصدق، ينفق في سبيل الله، يجاهد، ثم يطرأ عليه هذا الشرك؛ فإن استمر معه، أبطل عمله، وإن رفضه ورجع إلى الله، لم يضره؛ لأن الشيطان قريب منه، يملي عليه هذا الشرك.

فليحذر المسلم من أن يدب إليه هذا الشرك، فيحبط أعماله، وهو لايشعر، يتعلم التوحيد، يتعلم كيف يتخلص من دعاة الضلال.

هناك دعاة من بني آدم يدعون إلى الشرك، يدعون إلى عبادة غير الله، يدرسون أولادهم، ويدرسون من حولهم، يدرسونهم الشرك باسم التوسل، يسمونه التوسل، لا يسمونه شركًا، يقولون: هؤلاء صالحون ورجال طيبون، يشفعون لنا عند الله، فينادونهم بأسمائهم: يا فلان! اشفع لي عند الله، يا فلان افعل كذا وكذا. كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ

ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨].

الأمر خطير، على المسلم أن يتعلم التوحيد، ويتعلم الشرك، ويعرف الشرك، لا يقتصر على معرفة التوحيد، بل يعرف الشرك -أيضًا-؛ من أجل أن يتجنبه، من أجل أن يبتعد عنه، قال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وعن شداد بن أوس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: «كُنَّا نَعُدُّ الرِّيَاءَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ»)**، الرياء: أن يحسن عمله من أجل الناس، من أجل أن يمدحه الناس ويثنوا عليه، هذا شرك في النية والقصد، لا في العمل ولا في القول، فهذا خطير جدًّا، فعلى المسلم أن يحذره، وقد يخطر على بال الإنسان، فيدفعه ويخلص العمل لله عَزَّ وَجَلَّ.

....

ش: قال ابن القيم: وأما الشرك الأصغر، فكيسير الرياء، والتصنع للمخلوق، والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا الله وأنت، لم يكن كذا وكذا. وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده. انتهى(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال ابن القيم: وأما الشرك الأصغر، فكيسير الرياء، والتصنع للمخلوق)، التصنع للمخلوق: إظهار العبادة، وإظهار الزهد للمخلوق؛ من أجل أن يمدحه، أن يثني عليه، فهذا أمر خطير جدًّا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال ابن القيم: وأما الشرك الأصغر، فكيسير الرياء)، كيسير الرياء، وأما الكثير، فهذا كفر؛ ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والتصنع للمخلوق)، التصنع: يعني التزين بالعبادة والزهد، وإظهار محبة العمل الصالح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والحلف بغير الله)، والحلف بغير الله: كأن يحلف بأبيه، أو بمعظم من المعظمين، هذا شرك؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٥٢).

كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»⁽¹⁾، شكٌّ من الراوي: هل قال الرسول: كَفَرَ، أو قال أَشْرَكَ؟ وكلاهما خطير؛ «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ».

فإن كان يعظم المخلوق الذي حلف به كما يعظم الله، فهو شرك أكبر يخرج من الملة، وإن كان لا يعظمه تعظيمًا كثيرًا، فهو شرك أصغر، وقد يكون أصغر في البداية، ثم يتطور إلى الشرك الأكبر، فعلى المسلم أن يحذر من الشرك.

وَالشِّرْكَ فَاحْذَرْهُ فَشِرْكٌ ظَاهِرٌ ذَا القِسْمُ لَيْسَ بِقَابِلِ الغُفْرَانِ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨].

وَهُوَ اتِّخَاذُ النِّدِّ لِلرَّحْمنِ أَيًّا كَانَ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ إِنْسَانِ⁽²⁾

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فكيسير الرياء)، كيسير الرياء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والتصنع للمخلوق)، التصنع للمخلوق: إظهار العبادة والخوف والخشية عند الناس؛ ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:١٤٢]، فالمسلم الصادق هو هو، سواء كان عند الناس أو كان خاليًا ليس عنده أحد، مخلص لله عَزَّوَجَلَّ، متوجه إلى الله، هذا هو المؤمن الصادق.

أما من كان يتصنع عند الناس إذا كانوا يرونه، وإذا خلا بنفسه، بارز الله بالشرك والرياء والسمعة، فهذا هو الشرك المخرج من الملة.

---

(١) أخرجه أحمد (١٠/٢٤٩) بلفظ: «كَفَرَ وَأَشْرَكَ»، وأبو داود (٣٢٥١) بلفظ: «فَقَدْ أَشْرَكَ»، والترمذي (١٥٣٥) بلفظ: «كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»، وأصل الحديث في البخاري (٣٨٣٦، ٦١٠٨، ٦٦٤٦، ٦٦٤٨، ٧٤٠١)، ومسلم (١٦٤٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) سبق عزوه (ص٧٠٧).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت)**، كل هذه أنواع من الشرك الأصغر، تكون بالأقوال؛ كقول الله: لو لا الله وأنت، ما شاء الله وشئت.

لما قال رجلٌ للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللهُ، وَشِئْتَ، قال: «**أَجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدًّا، قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»[1]، قد يكون بالأقوال، يكون بالأعمال، يكون بالقلب والنية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت)**، والواجب أن يقول: ما شاء الله ثم شئت، المخلوق له مشيئة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]. المخلوق له مشيئة وله إرادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهذا من الله ومنك)**، وهذا من الله ومنك، يعني: يعطف بالواو، الواو تقتضي التشريك، ولكن يقول: ما شاء الله ثم شئت، هذا من الله ثم منك، يأتي بـ(ثم) التي تجعل المخلوق بعد الخالق، ولا تجعله مع الله، تجعله بعده؛ ما شاء الله ثم شئت، لولا الله ثم أنت، أو ثم فلان، إذا جاء بـ(ثم)، زال المحذور؛ لأن (ثم) تجعل المخلوق بعد الخالق، فهي تقتضي الترتيب والتعقيب، بخلاف الواو، فهي لمطلق الجمع، ما شاء الله وشئت: يعني يجمع مشيئة الله مع مشيئة المخلوق بالواو، والواو تقتضي الجمع والتشريك، أما (ثم) تقتضي الترتيب.

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد (٣/ ٣٣٩، ٤٣١، ٤/ ٣٤١، ٥/ ٢٩٧)، والنسائي في الكبرى (٩/ ٣٦٢)، وابن ماجه (٢١١٧)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٤٤)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنا بالله وبك)**، أنا بالله وبك، يقول: أنا بالله ثم بك، ولا يقل: وأنا بالله وبك؛ هذا شرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما لي إلا الله وأنت)**، ما لي إلا الله وأنت: الواجب أن يقول: ما لي إلا الله ثم أنت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنا متوكل على الله وعليك)**، يعني: جمع بين الله وبين المخلوق في التوكل وتفويض الأمور، الواجب أن يقول: أنا متوكل على الله ثم عليك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا)**، لولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا: هذا شرك في الأقوال، الواجب أن يقول: لولا الله ثم أنت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده)**، إذا قصد أن المخلوق يساوي الخالق، صار شركًا أكبر، وإذا لم يقصد هذا، فهو شرك لفظي، يجب أن يتركه وأن يأتي بـ(ثم)، ولا يأتي بالواو؛ لأن الواو تقتضي الجمع والتشريك، فيأتي بـ(ثم)؛ لولا الله ثم أنت، ما شاء الله ثم شئت، وما أشبه ذلك.

وقد يرتقي الشرك الأصغر بقوله: ما لي إلا الله وأنت، ما شاء الله وشئت، قد يرتقي إلى الشرك الأكبر إذا اعتقد أن المخلوق يساوي الله جَلَّ وَعَلَا في العمل وفي تحصيل المطلوب.

....

ش: ولا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله، وكذلك المتابعة؛ كما قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢] قَالَ: «أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ. قِيلَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ، مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟ قَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا، لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا، لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ مَا كَانَ للهِ، وَالصَّوَابُ مَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ»(١).

وفي الحديث من الفوائد: شفقة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته ونصحه لهم، وأن الرياء أخوف على الصالحين من فتنة المسيح الدجال.

فإذا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخافه على سادات الأولياء مع قوة إيمانهم وعلمهم، فغيرهم ممن هو دونهم بأضعاف أولى بالخوف من الشرك أصغره وأكبره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله)، الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله؛ بأن يكون العمل خالصًا لله، هذا الذي ينفع العبد، إذا أخلص عمله لله، وأخلص نيته لله. ولا مانع أن يعترف

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإخلاص والنية (ص٥٠)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٩٥)، وانظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب (٢/ ٢٦٤)، وتفسير البغوي (٥٥/ ١٢٤)، ومجموع الفتاوى (١١/ ٦٠٠).

للمخلوق بها بذل من الأسباب بحسب المخلوق، فلا يسويه بالله عَزَّوَجَلَّ، يعتبره من فعل المعروف، يقول: جزاك الله خيرًا، وما أشبه ذلك.

والله جَلَّوَعَلَا لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا لوجهه، وصوابًا على سنة رسوله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ خالصًا وصوابًا، وإلا لا يقبل عند الله عَزَّوَجَلَّ، خالصًا صوابًا.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(وكذلك المتابعة)**، المتابعة للرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يخلص عمله لله، ويتابع الرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ يعمل بالسنة الثابتة عن الرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لا يعمل من غير دليل من الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(كما قال الفضيل بن عياض** رَحِمَهُٱللَّهُ**)**، الفضيل بن عياض: هذا من خيار الصالحين، كان في الأول من قطاع الطرق، كان يقطع الطريق، وينهب أموال المسافرين، ثم منَّ الله، عليه فتاب إلى الله وأخلص عمله لله، وصار من خواص أولياء الله رَحِمَهُٱللَّهُ، يقولون: إن سبب توبته أنه تسوَّر جدارًا ليسرق، فسمع قارئًا يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦]، فأثرت فيه، وتاب إلى الله، وحسن عمله[١].

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(قال الفضيل بن عياض** رَحِمَهُٱللَّهُ **في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾** [الملك:٢]. **قَالَ: أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ. قِيلَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ، مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟ قَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ**

---

(١) انظر: تاريخ دمشق (٤٨/ ٣٧٥-٣٨٤)، ووفيات الأعيان (٤/ ٤٧)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١- ٤٤٢)، وطبقات الأولياء (ص٢٦٦-٢٧١).

صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالخَالِصُ مَا كَانَ للهِ، وَالصَّوَابُ مَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ)، لابد من الشرطين:

الشرط الأول: أن يكون خالصًا لله، هذا شرط.

الشرط الثاني: أن يكون صوابًا على سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإذا اجتمع الشرطان، صح العمل وقُبِلَ، وإذا اختل شرط منهما، رد الله عمله عليه؛ إذا كان لا يخلص النية لله، وإنما يقصد الرياء، يقصد طمع الدنيا، ولا يقصد وجه الله بعمله، فعمله مردود عليه.

وإذا كان خالصًا لله، لكنه ليس على سنة رسول الله، فهو مردود -أيضًا-، وباطل، لا يقبل إلا ما كان صوابًا على سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ (سئل الفضيل: ما أخصله وأصوبه؟ قال: أخلصه أن يكون خالصًا لوجه الله، وأصوبه أن يكون موافقًا لسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفي الحديث من الفوائد: شفقة النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **على أمته ونصحه لهم)**؛ أنه يخاف على أمته، ولهذا لما وجدهم يتحدثون عن المسيح الدجال ويتذاكرونه ويتحاذرونه، قال: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُوْلَ اللهِ. قَالَ: «**الشِّرْكُ الخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْه**».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأن الرياء أخوف على الصالحين من فتنة المسيح الدجال)**؛ لأن الصالحين لا يشركون بالله الشرك في الظاهر، وإنما قد يحصل لهم الشرك الخفي؛ تزيين الأعمال من أجل مدح الناس وثنائهم عليهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخافه على سادات الأولياء»،

لاشك أن الصحابة سادات الأولياء، أفضل الأمة: صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع هذا النبي خاف من الشرك الأصغر عليهم.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ الكَهْفِ.

الثَّانِيَةُ: الأَمْرُ العَظِيْمُ فِي رَدِّ العَمَلِ الصَّالِحِ إِذَا دَخَلَهُ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللهِ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ السَّبَبِ المُوجِبِ لِذَلِكَ، وَهُوَ كَمَالُ الغِنَى.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ مِنَ الأَسْبَابِ أَنَّهُ تَعَالَى خَيْرُ الشُّرَكَاءِ.

الخَامِسَةُ: خَوْفُ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الرِّيَاءِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ فَسَّرَ ذَلِكَ بِأَنَّ يُصَلِّي المَرْءَ لِلَّهِ؛ لَكِنْ يُزَيِّنُهَا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**فِيْهِ مَسَائِلُ**)، فيه: يعني فيما مرَّ في هذا الباب من الآيات والأحاديث مسائل، وهذا فقه الباب، هذه المسائل مسائل عظيمة.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ الكَهْفِ**)؛ ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾، الصالح ما هو؟

- ما كان صوابًا على سنة الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، هذا شرط.

والشرط الثاني: ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠]، يكون خالصًا، فيجمع بين الإخلاص لله والموافقة لسنة رسول الله.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: الأَمْرُ العَظِيْمُ فِي رَدِّ العَمَلِ الصَّالِحِ إِذَا دَخَلَهُ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللهِ**)، مسألة عظيمة جدًّا: أن الله يرد العمل الصالح إذا كان فيه نية لغير الله، يرده الله ولا يقبله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: أَنَّ مِنَ الأَسْبَابِ أَنَّهُ تَعَالَى خَيْرُ الشُّرَكَاءِ)؛ لأنه جَلَّ وَعَلَا يقول: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيْهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١)، وفي رواية: «تَرَكْتُهُ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»(٢)، يعني: أشركه مع الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الخَامِسَةُ: خَوْفُ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الرِّيَاءِ)، إذا كان الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خافه على الصحابة خير القرون، أصحابه الذين معه خافه عليهم، فكيف بغيرهم ممن يأتي بعدهم؟! فعلينا أن نحذر من هذا، ونتجنبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السَّادِسَةُ: أَنَّهُ فَسَّرَ ذَلِكَ بِأَنَّ يُصَلِّيَ المَرْءَ للهِ؛ لَكِنْ يُزَيِّنُهَا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ)، يقوم يصلي لله، لكن يزين صلاته؛ لما يرى من نظر رجل إليه، ولو صلى وهو لا يراه أحد، لم يزينها.

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٩٤).

(٢) سبق تخريجه (ص٦٩٤).

٣٦- بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

ش: قوله: (بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ: إِرَادَةُ الإِنسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا).

فإن قيل: فما الفرق بين هذه الترجمة وبين ترجمة الباب قبله؟

قلت: بينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة، وهو ما إذا أراد الإنسان بعمله التزين عند الناس والتصنع لهم والثناء، فهذا رياء -كما تقدم بيانه- كحال المنافقين، وهو -أيضًا- إرادة للدنيا بالتصنع عند الناس، وطلب المدحة منهم والإكرام.

ويفارقه الرياء بكونه عمل عملًا صالحًا، أراد به عرضًا من الدنيا؛ كمن يجاهد ليأخذ مالًا؛ كما في الحديث: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ»(١).

أو يجاهد للمغنم أو غير ذلك من الأمور التي ذكرها شيخنا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره من المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ [هود:١٥].

وأراد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الترجمة وما بعدها: أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب، ويحبط الأعمال، وهو أعظم من الرياء؛ لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله.

وأما الرياء، فقد يعرض له في عمل دون عمل، ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حذرًا من هذا وهذا.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦، ٦٤٣٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ مِنَ الشِّرْكِ: إِرَادَةُ الإِنسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا)**، من أنواع الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، يعني: يعمل عملًا صالحًا لا يريد به وجه الله، وإنما يريد به طمعًا دنيويًا؛ كأن يجاهد في سبيل الله؛ من أجل المغنم، من أجل الغنيمة، ليس له أجر عند الله؛ لأنه لم يخلص لله عَزَّوَجَلَّ.

الغنيمة نعم، هي أطيب الحلال، ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال:٦٩]؛ يعني: أطيب المكاسب الغنيمة التي تحصل من الجهاد في سبيل الله مع الكفار، هم الذين تغنم أموالهم.

أما المسلمون إذا جوهدوا لأنهم بغوا أو تعدوا، جوهدوا لردعهم، فلا تحل أموالهم، أموالهم لهم، لكن الكفار تؤخذ أموالهم غنيمة في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال:٦٩]، أطيب المكاسب الغنائم التي تحصل من الجهاد في سبيل الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن قيل: فما الفرق بين هذه الترجمة وبين ترجمة الباب قبله؟)** الباب قبله، ما هو؟ (باب ما جاء في الرياء)، والترجمة الثانية: (باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا)، ما الفرق بينهما؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويفارقه الرياء بكونه عمل عملًا صالحًا، أراد به عرضًا من الدنيا، كمن يجاهد ليأخذ مالًا؛ كما في الحديث: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ»)**، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تَعِسَ عَبْدُ الدِّيْنَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيْصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْقَطِيفَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيْكَ فَلَا انْتَقَشَ»**.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو غير ذلك من الأمور التي ذكرها شيخنا عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا**)**، شيخنا: يعني المصنف، مصنف كتاب التوحيد، وهو الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأراد المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بهذه الترجمة وما بعدها: أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب)**، ينافي كمال التوحيد، العمل من أجل الدنيا شرك، لكنه ليس شركًا أكبر، لكنه دون ذلك، دون الشرك الأكبر.

والشرك الأصغر ينافي كمال التوحيد، والشرك الأكبر ينافي التوحيد من أصله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويحبط الأعمال)**، يعني: الشرك الأكبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما الرياء، فقد يعرض له في عمل دون عمل، ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حذرًا من هذا وهذا)**، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥، ١٦].

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥، ١٦].

ش: وقولِهِ تعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥، ١٦].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾، **أي: ثوابها.** ﴿وَزِينَتَهَا﴾، **أي: مالها.** ﴿نُوَفِّ﴾، **أي: نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور في المال والأهل والولد،** ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾: **لا ينقصون. ثم نسختها:** ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨] **الآية. رواه النحاس في ناسخه**(١).

قوله: (ثم نسختها)، أي: قيدتها، فلم تبق الآية على إطلاقها.

وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: **«مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمُّهُ وَطِلْبَتُهُ وَنِيَّتُهُ، جَازَاهُ اللهُ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يُفْضِي إِلَى الْآخِرَةِ وَلَيْسَ لَهُ حَسَنَةٌ يُعْطَى بِهَا جَزَاءً. وَأَمَّا**

---

(١) أخرجه ابن النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص٥٣١)، وقال عقبه: (محال أن يكون هاهنا نسخ؛ لأنه خبر، والنسخ في الأخبار محال، لو جاز النسخ فيها ما عُرف حق من باطل، ولا صدق من كذب، ولبطلت المعاني، ولجاز لرجل أن يقول: لقيت فلانًا، ثم يقول: نسخته ما لقيته).

الْمُؤْمِنُ، فَيُجَازَى بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، وَيُثَابُ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ». ذكره ابن جرير بسنده(١).

ثم ساق حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال: حدثني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان أن عقبة بن مسلم حدثه أن شفي بن ماتع الأصبحي حدثه: «أَنَّهُ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ. فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا، قُلْتُ: أَنْشُدُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ: فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا فِيهِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا فِيهِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى، ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ، وَاشْتَدَّ بِهِ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ. فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَزَلَ إِلَى أَهْلِ الْقِيَامَةِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ. فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ لَهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ قَارِئٌ، فَقَدْ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٤٨).

قِيلَ ذَلِكَ. وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ؟ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ المَلَائِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ لَهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ. وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَبِمَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ لَهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتِي، فقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقولِهِ تعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥])، وهذا مقيد في الآية الأخرى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨]، ﴿لِمَن﴾ مقيد، ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (رواه النحاس في ناسخه)، في ناسخه، كتاب «الناسخ والمنسوخ» للنحاس.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٥٠)، والترمذي (٢٣٨٢)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٣٩٥)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ١٣٦- ١٣٧) من طريق شفي بن ماتع عن أبي هريرة مرفوعًا. وأصل الحديث في صحيح مسلم (١٩٠٥) من طريق سليمان بن يسار عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «ثم نسختها»، أي: قيدتها، فلم تبق الآية على إطلاقها)، نسخت عمومها، لم تنسخ أصلها، نسخت عمومها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ)، أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يعني: صاحب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى)، يعني: بكى أبو هريرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ)، يدعو الله به: يعني يناديه: يا فلان، تعال!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ)، يعني: حفظه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَيَقُولُ اللهُ لَهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ قَارِئٌ)، يقال: فلان قارئ. يعني: رياء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتِي، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، أول من تسعر النار يوم القيامة بعالم لم يعمل بعلمه، وبمجاهد في سبيل الله لم يخلص نيته في الجهاد، بل يريد أن يقال: شجاع، وقد قيل: هو شجاع، وهو بطل.

ش: وقد سئل شيخنا المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه الآية، فأجاب بما حاصله:

ذُكِرَ عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم، ولا يعرفون معناه.

فمن ذلك: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله: من صدقة، وصلاة، وصلة، وإحسان إلى الناس، وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان، أو يتركه خالصًا لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليهم، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة من نصيب. وهذا النوع ذكره ابن عباس.

النوع الثاني -وهو أكبر من الأول وأخوف-: وهو الذي ذكره مجاهد في الآية أنها نزلت فيه، وهو أن يعمل أعمالًا صالحة، ونيته رياء الناس، لا طلب ثواب الآخرة.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالًا صالحة، يقصد بها مالًا؛ مثل: أن يحج لمال يأخذه، لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذُكِرَ أيضًا هذا النوع في تفسير هذه الآية.

وكما يتعلم الرجل؛ لأجل مدرسة أهله، أو مكسبهم، أو رئاستهم، أو يتعلم القرآن، ويواظب على الصلاة؛ لأجل وظيفة المسجد؛ كما هو واقع كثيرًا.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفرًا يخرجه عن الإسلام؛ مثل: اليهود والنصارى إذا عبدوا الله، أو تصدقوا، أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة.

ومثل: كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام، وتمنع قبول أعمالهم، فهذا النوع -أيضًا- قد ذُكِرَ في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منها.

قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت(١)؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

ثم قال: بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله، طالبًا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالًا قاصدًا بها الدنيا، مثل: أن يحج فرضه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا -كما هو واقع-، فهو لما غلب عليه منهما.

وقد قال بعضهم: القرآن كثيرًا ما يذكر أهل الجنة الخلص وأهل النار الخلص، ويسكت عن صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله. انتهى(٢).

---

(١) هذا مروي عن ابن عمر رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا. انظر: التمهيد لابن عبد البر (٤/ ٢٥٦)، وتاريخ دمشق (٣١/ ١٤٦)، وصفة الصفوة (١/ ٢١٩).

(٢) انظر: تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس) (ص ١٢٠-١٢٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكان السلف يخافون منها)**، يخافون من هذه الآية: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥، ١٦]، هذه الآية مخيفة جدًّا، فيجب على المسلم أن يقف عندها ويتأملها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت؛ لأن الله -تعالى- يقول:** ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧])، ومن يضمن لنفسه أنه من المتقين، الله شرط لأجل التقبل شرط له التقوى، ومن يضمن لنفسه أنه من أهل التقوى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم قال)**، يعني: الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تفسير هذه الآية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مثل أن يحج فرضه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا -كما هو واقع-، فهو لما غلب عليه منهما)**، يعني: الذي يغلب عليه الإخلاص لله أو يغلب عليه طمع الدنيا.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيْلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيْكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ، كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ، لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ، لَمْ يُشَفَّعْ»[1].

ش: قوله: (فِي الصَّحِيحِ)، أي: صحيح البخاري.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيْلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيْكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»)، هذا الحديث في باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا؛ بعمله الصالح والعبادة، لا يريد وجه الله، وإنما يريد طمع الدنيا، فهو يطلب الدنيا بعمل الآخرة -والعياذ بالله-، فهذا هو الذي أخبر عنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث، ودعا عليه، ومن دعا عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه خاسر، ولن يفلح.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦، ٢٨٨٧).

هذا مما يؤكد على المسلم أن يخلص عمله لله، ولا يعمل العمل الصالح والعبادة من أجل الدنيا، هذا خسران مبين وخذلان -والعياذ بالله-، وهذه طريقة المنافقين الذين هم ﴿فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

فهذا الحديث مما يؤكد على المسلم أن يخلص عمله الصالح لله عَزَّوَجَلَّ، ولا يريد به طمعًا عاجلًا، ولا يريد به الرياء والسمعة؛ فإن الله جَلَّوَعَلَا لا يخفى عليه شيء، يعلم ما في القلوب، يعلم ما في الصدور، لا يخفى عليه شيء، فعليه أن يخلص عمله لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ»)**، «**تَعِسَ**»، يعني: هلك، التعاسة هي الهلاك.

«**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ**»، الدينار هو النقد المضروب من الذهب، والدرهم هو النقد المضروب من الفضة، وهذه صكة العالم من الذهب والفضة، أو ما يقوم مقامهما من النقود الورقية، فإنها تقوم مقام الذهب والفضة؛ يدخلها الربا، ويدخلها أحكام الذهب والفضة، وتجب فيها الزكاة، إلى آخره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ»)**، «**تَعِسَ**»، يعني: هلك، وهذا دعاء عليه من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرسول مجاب الدعوة، فالواجب على المسلم أن يخلص عمله لله. الدنيا لها أعمال خاصة، والآخرة لها أعمال خاصة، فلا يجعل أعمال الآخرة لطلب الدنيا، فالذي يفعل هذا مذموم، وعمله

حابط؛ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥، ١٦].

هذا مما يحذر المسلم أن يلتمس الدنيا بعمل الآخرة، وهذا مقصد دَنِيءٌ -والعياذ بالله-، عمل الآخرة يراد به الجنة من الله عَزَّوَجَلَّ، ويراد به رضا الله والتقرب إليه، ولا يجعل لطلب الدنيا، فهذا عليه هذا الوعيد الشديد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ)، الخميصة: كساء معروف يلبس، فإذا كان يطلب الخميصة والخميلة والقطيفة، فهذا ليس له من عمله إلا الخذلان والبطلان -والعياذ بالله!

إذا كان يريد الدنيا، فالدنيا لها أعمال أخرى مكاسب، وجوه المكاسب: البيع والشراء، الزراعة، يعني: أعمال كثيرة في أمور الدنيا، وهذا مباح، الإنسان يطلب الدنيا لا بأس، أما أن يجعل عمل الآخرة للدنيا فهذا محل الوعيد الشديد، والذي يطلب الدنيا؛ ليستعين بها على عبادة الله وعلى طاعة الله، يكون عمله من أعمال الآخرة ويؤجر عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيْلَةِ)، والخميلة: هي القطيفة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ)، هؤلاء هذه صفتهم، عباد الدنيا هذه صفتهم؛ إن أعطوا من الدنيا رضوا، وإن لم يعط من الدنيا سخط، فهو يعمل لأجل الدنيا، فهو عبدٌ للخميصة، عبدٌ للخميلة، يعني: ليس عبدًا لله عَزَّوَجَلَّ، بمعنى: أن يخلص عمله لله، يعبد الله بعمله، بل هو حسب

ما نوى، قال تعالى في المنافقين: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾، يعني: الزكاة، ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة:٥٨، ٥٩]، لو قالوا هذا، لأفلحوا وفازوا عند الله عَزَّوَجَلَّ، والرزق المقسوم لابد أن يصل إلى الإنسان أبدًا، كل نفس لها رزق قسمه الله عَزَّوَجَلَّ، ولا أحد يمنعه.

فعلى المسلم أن يحسن الظن بالله، وأن يعتمد على الله، وأن يجعل طلب الدنيا ليستعين بها على طاعة الله؛ حتى يؤجر عليها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**تَعِسَ وَانْتَكَسَ**)، انتكس أمره؛ حيره الله، لا يدري أين يذهب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِذَا شِيْكَ فَلَا انْتَقَشَ**)، هذا دعاء من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذا يصيبه الله بالعجز، فلا يخلص نفسه، حتى ولو من الشوكة، يعجز أن يأخذ الشوكة من رجله أو من بدنه؛ لأن الله عاقبه وأصابه بالعجز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**طُوبَى**)، يعني: الجنة، أو شجرة في الجنة، لمن تكون؟ (**لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ**)؛ يجاهد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

والخيل من أدوات الجهاد، وقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١)، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ ﴾ [الأنفال:٦٠]، يعني: ترهبون به آخرين.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٧٢)، من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَشْعَثَ رَأْسُهُ)**: لا يفرغ أنه يمشط رأسه، ويزين رأسه، بل يكون شغله بالجهاد في سبيل الله، ويكون رأسه مغطى بالغبار في سبيل الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ)**؛ من الأرض، يسعى في سبيل الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ، كَانَ فِي السَّاقَةِ)**، لا يهمه أين يكون؛ يكون في المقدمة، يقود المجاهدين، يكون في المؤخرة، يساعد العاجزين، ويتتبع المجاهدين يساعدهم، لا يهمه المكان، يهمه طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إِنِ اسْتَأْذَنَ، لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ)**، عند الناس ليس له قيمة، ليس معه الدنيا، وليس له قيمة عند الناس، إن استأذن على الكبار وعلى الرؤساء وعلى الملوك، لا يؤذن له؛ لأن ليس أبهة، وليس له مكانة، وليس معروفًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَإِنْ شَفَعَ، لَمْ يُشَفَّعْ)**، وإن شفع في شيء، يعني: توسط في قضاء حاجة، لم يشفع، لم يشفعه الملوك، لم يشفعه الأغنياء، لم يشفعه الرؤساء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فِي الصَّحِيحِ»، أي: صحيح البخاري)**، إذا قال: «في الصحيح»، يعني: الحديث الصحيح، ويشمل ما اتفق عليه بين الشيخين: البخاري ومسلم، ويشمل ما انفرد به أحدهما، فيقال: «في الصحيح».

ش: قوله: «تَعِسَ». هو بكسر العين، ويجوز الفتح، أي: سقط، والمراد هنا: هلك. قاله الحافظ.

وقال في موضع آخر: وهو ضد سعد، أي: شقي[١].

وقال أبو السعادات: يقال: تعس، يتعس، أي: عثر وانكب لوجهه. وهو دعاء عليه بالهلاك[٢].

قوله: «عَبْدُ الدِّينَارِ»، هو المعروف من الذهب كالمثقال في الوزن زنته درهم وثمن درهم.

قوله: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ»، وهو من الفضة، قدره الفقهاء بالشعير وزنًا، وعندنا منه درهم من ضرب بني أمية، وهو زنة خمسين حبة شعير، وخمسا حبة.

سماه عبدًا له؛ لكونه هو المقصود بعمله، فكل من توجه بقصده لغير الله، فقد جعله شريكًا لله في عبوديته؛ كما هو حال الأكثر.

قوله: «تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ»، قال أبو السعادات: هو ثوب خز أو صوف معلم، وقيل: لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة، وتجمع على خمائص. والخميلة بفتح الخاء المعجمة.

---

(١) انظر: فتح الباري (٦/ ٨٢، ١١/ ٢٥٤).
(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٩٠).

قال أبو السعادات: ذات الخمل، ثياب لها خمل من أي شيء كان[(١)].

قوله: «تَعِسَ وَانْتَكَسَ». قال الحافظ: هو بالمهملة، أي: عاوده المرض[(٢)].

وقال أبو السعادات: أي: انقلب على رأسه. وهو دعاء عليه بالخيبة[(٣)].

قال الطيبي: فيه الترقي بالدعاء عليه؛ لأنه إذا تعس، انكب على وجهه، فإذا انتكس، انقلب على رأسه بعد أن سقط[(٤)].

قوله: «وَإِذَا شِيكَ»، أي: أصابته شوكة.

«فَلَا انْتَقَشَ»، أي: فلا يقدر على إخراجها بالمنقاش. قاله أبو السعادات[(٥)]، والمراد: أن من كانت هذه حاله، فإنه يستحق أن يدعى عليه بما يسوؤه في العواقب، ومن كانت هذه حاله، فلا بد أن يجد أثر هذه الدعوات من الوقوع فيما يضره في عاجل دنياه وآجل أخراه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «تَعِسَ». هو بكسر العين، ويجوز الفتح)، تَعَس.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «تَعِسَ». هو بكسر العين، ويجوز الفتح، أي: سقط، والمراد هنا: هلك. قاله الحافظ)، دعاء عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قاله الحافظ)، يعني: ابن حجر في «شرح صحيح البخاري».

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٨١).

(٢) انظر: فتح الباري (٦/ ٨٢، ١١/ ٢٥٤).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١١٥).

(٤) انظر: شرح المشكاة للطيبي (١٠/ ٣٢٧٤).

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٥١٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال في موضع آخر: وهو ضد سعد. أي: شقي)، تعس ضد سعد، يعني: شقي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال أبو السعادات)، أبو السعادات ابن الأثير صاحب «النهاية في غريب الحديث».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال أبو السعادات: يقال: تعس، يتعس، أي: عثر وانكب لوجهه. وهو دعاء عليه بالهلاك)، دعاء عليه من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهلاك، ومن دعا عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد شقي وخاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «عَبْدُ الدِّينَارِ»، هو المعروف من الذهب كالمثقال في الوزن زنته درهم وثمن درهم)، الدينار: هو النقد المضروب من الذهب، والدرهم: هو النقد المضروب من الفضة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ»، وهو من الفضة، قدره الفقهاء بالشعير وزنًا، وعندنا منه درهم من ضرب بني أمية، وهو زنة خمسين حبة شعير، وخمسا حبة)، يقول الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، يقول: عندنا هذا النقد. يحتفظون به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ». قال أبو السعادات: هو ثوب خز أو صوف معلم، وقيل: لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة)، الخميصة: ثوب مخطط، معلم: يعني مخطط، وكانت عند الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خميصة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال الطيبي: فيه الترقي بالدعاء عليه)، من أخف إلى أشد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(«فَلَا انْتَقَشَ»، أي: فلا يقدر على إخراجها بالمنقاش)**، يصاب بالعجز؛ فلا يستطيع أن يخرج الشوكة من جسده.

انتقش: يعني استعمل المنقاش الذي يخرج به الشوك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمراد أن من كانت هذه حاله، فإنه يستحق أن يدعى عليه بما يسوؤه في العواقب)**، من كان همه الدنيا؛ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥، ١٦]، ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾: هذا مقيد بقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨]، قيده بالإرادة: أراد الله؛ قد يريد، ولا يريد الله له ذلك، فيحرم، حتى من الدنيا يحرم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن كانت هذه حاله، فلا بد أن يجد أثر هذه الدعوات من الوقوع فيما يضره في عاجل دنياه وآجل أخراه)**، هذا دعاء عام يصيب كل من اتصف بهذه الصفة إلى آخر الدنيا، ففيه التحذير من إرادة الإنسان بعمله الصالح يريد به الدنيا، فليحذر المسلم من هذا؛ أنه يستعمل أمور الآخرة لأجل الدنيا، هذه خسارة عظيمة، يتعلم العمل النافع من أجل الوظيفة، يعمل من أجل أن يعطى من الدنيا بعمل الآخرة.

أما أنه يعمل بعمل الدنيا لا بأس، لكن يعمل بعمل الآخرة لا يريد الآخرة، إنما يريد به طمع الدنيا؛ يطلب العلم لأجل الدنيا، يحج لأجل الدنيا، وهكذا.

....

ش: قال شيخ الإسلام: فسماه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الدينار والدرهم، وعبد القطيفة، وعبد الخميصة، وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر، وهو قوله: «تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ»، وهذه حال من إذا أصابه شر، لم يخرج منه، ولم يفلح؛ لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه، وهذه حال من عبد المال.

وقد وصف ذلك بأنه: «إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ»؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة:٥٨]، فرضاؤهم لغير الله، وسخطهم لغير الله. وهكذا حال من كان متعلقًا منها برياسة أو صورة ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضى، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له؛ إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده، فهو عبده.

إلى أن قال: وهكذا أيضًا طالب المال؛ فإن ذلك يستعبده، ويسترقه، وهذه الأمور نوعان:

فمنها: ما يحتاج إليه العبد؛ كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك، فهذا يطلبه من الله، ويرغب إليه فيه، فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطه الذي يجلس عليه، من غير أن يستعبده، فيكون هلوعًا.

ومنها: ما لا يحتاج إليه العبد، فهذا ينبغي أن لا يعلق قلبه بها، فإذا تعلق قلبه بها، صار مستعبدًا لها، وربما صار مستعبدًا معتمدًا على غير الله فيها، فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله، ولا حقيقة التوكل عليه، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله، وهذا من أحق الناس بقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ»، وهذا هو عبد لهذه الأمور، ولو طلبها من الله، فإن الله إذا أعطاه إياها رضي، وإن منعه إياها سخط.

وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله، ويسخطه ما يسخط الله، ويحب ما أحب الله ورسوله، ويبغض ما أبغض الله ورسوله، ويوالي أولياء الله، ويعادي أعداء الله، فهذا الذي استكمل الإيمان. انتهى ملخصًا[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال -تعالى-: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة:٥٨])، ﴿ وَمِنْهُم ﴾، يعني: من المنافقين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهكذا حال من كان متعلقًا منها برياسة أو صورة ونحو ذلك من أهواء نفسه)، يتعلق بالرياسة أو صورة، يعني: عشق، يعشق الصور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إلى أن قال)، هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، (إلى أن قال)، يعني: الشيخ.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١٨٠ - ١٩٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وهذا هو عبد لهذه الأمور ولو طلبها من الله، فإن الله إذا أعطاه إياه رضي، وإن منعه إياها سخط**)، يعني: رضي عن الله، وسخط على **الله** جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**انتهى ملخصًا**)، انتهى من كلام الشيخ.

....

ش: ش: قوله: «طُوبَى لِعَبْد»، قال أبو السعادات: طوبى اسم الجنة، وقيل: هي شجرة فيها[١]. ويؤيد هذا ما رواه ابن وهب بسنده عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا طُوبَى؟ قَالَ: شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ سَنَةٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا»[٢].

ورواه الإمام أحمد قال: حدثنا حسن بن موسى، قال: سمعت عبد الله ابن لهيعة، قال: حدثنا دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، طُوبَى لِمَنْ رَآكَ، وَآمَنَ بِكَ»، قَالَ: «طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي، ثُمَّ طُوبَى، ثُمَّ طُوبَى، ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي». قَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَمَا طُوبَى؟ قَالَ: «شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ سَنَةٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا»[٣]. وله شواهد في الصحيحين[٤]، وغيرهما[٥].

وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا، قال وهب رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةٌ يُقَالُ لَهَا طُوبَى، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، زَهْرُهَا رِيَاطٌ، وَوَرَقُهَا بُرُودٌ، وَقُضْبَانُهَا عَنْبَرٌ، وَبَطْحَاؤُهَا

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٤١).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٥٢٩).
(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٨/ ٢١١).
(٤) أخرجه البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٢٨).
(٥) أخرجه الترمذي (٢٥٢٤)، وأبو يعلى (٢/ ٥١٩)، وابن حبان (١٦/ ٢١٣، ٤٢٩).

يَاقُوتٌ، وَتُرَابُهَا كَافُورٌ، وَوَحْلُهَا مِسْكٌ، يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا أَنْهَارُ الخَمْرِ وَاللَّبَنِ وَالْعَسَلِ، وَهِيَ مَجْلِسٌ لِأَهْلِ الجَنَّةِ. فَبَيْنَا هُمْ فِي مَجْلِسِهِمْ إِذْ أَتَتْهُمُ المَلَائِكَةُ مِنْ رَبِّهِمْ، يَقُودُونَ نُجُبًا مَزْمُومَةً بِسَلَاسِلَ مِنْ ذَهَبٍ، وُجُوهُهَا كَالمَصَابِيحِ مِنْ حُسْنِهَا، وَوَبَرُهَا كَخَزِّ المِرْعَزَّى مِنْ لِينِهِ، عَلَيْهَا رِحَالٌ أَلْوَاحُهَا مِنْ يَاقُوتٍ، وَدُفُوفُهَا مِنْ ذَهَبٍ، وَثِيَابُهَا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ، فَيُنِيخُونَهَا، وَيَقُولُونَ: إِنَّ رَبَّنَا أَرْسَلَنَا إِلَيْكُمْ لِتَزُورُوهُ وَتُسَلِّمُوا عَلَيْهِ.

قَالَ: فَيَرْكَبُونَهَا، قَالَ: فَهِيَ أَسْرَعُ مِنَ الطَّائِرِ، وَأَوْطَأُ مِنَ الْفِرَاشِ نُجُبًا مِنْ غَيْرِ مِهْنَةٍ، يَسِيرُ الرَّاكِبُ إِلَى جَنْبِ أَخِيهِ وَهُوَ يُكَلِّمُهُ وَيُنَاجِيهِ، لَا تُصِيبُ أُذُنُ رَاحِلَةٍ مِنْهَا أُذُنَ صَاحِبَتِهَا، وَلَا وَرِكُ رَاحِلَةٍ وَرِكَ الْأُخْرَى، حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ لَتَتَنَحَّى عَنْ طُرُقِهِمْ؛ لِئَلَّا تُفَرِّقَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَخِيهِ.

قَالَ: فَيَأْتُونَ إِلَى الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَيُسْفِرُ لَهُمْ عَنْ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَيْهِ، فَإِذَا رَأَوْهُ قَالُوا: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، وَحُقَّ لَكَ الجَلَالُ وَالْإِكْرَامُ.

قَالَ: فَيَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَ ذَلِكَ: أَنَا السَّلَامُ، وَمِنِّي السَّلَامُ، وَعَلَيْكُمْ حَقَّتْ رَحْمَتِي وَمَحَبَّتِي، وَمَرْحَبًا بِعِبَادِي الَّذِينَ خَشُوْنِي بِالْغَيْبِ وَأَطَاعُوا أَمْرِي.

قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا إِنَّا لَمْ نَعْبُدْكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ نُقَدِّرْكَ حَقَّ قَدْرِكَ، فَأْذَنْ لَنَا بِالسُّجُودِ قُدَّامَكَ.

قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّهَا لَيْسَتْ بِدَارِ نَصَبٍ وَلَا عِبَادَةٍ، وَلَكِنَّهَا دَارُ مُلْكٍ وَنَعِيمٍ، وَإِنِّي قَدْ رَفَعْتُ عَنْكُمْ نَصَبَ الْعِبَادَةِ، فَسَلُونِي مَا شِئْتُمْ، فَإِنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ أُمْنِيَّتَهُ. فَيَسْأَلُونَهُ حَتَّى إِنَّ أَقْصَرَهُمْ أُمْنِيَّةً لَيَقُولُ: رَبِّ تَنَافَسَ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ فَتَضَايَقُوا، رَبِّ فَأْتِنِي كُلَّ شَيْءٍ كَانُوا فِيهِ مِنْ يَوْمِ خَلَقْتَهَا إِلَى أَنِ انْتَهَتِ الدُّنْيَا. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: لَقَدْ قَصَّرَتْ بِكَ الْيَوْمَ أُمْنِيَّتُكَ، وَلَقَدْ سَأَلْتَ دُونَ مَنْزِلَتِكَ، هَذَا لَكَ مِنِّي، وَسَأُتْحِفُكَ بِمَنْزِلَتِي، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي عَطَائِي نَكَدٌ وَلَا قَصْرِ يدٌ.

قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: اعْرِضُوا عَلَى عِبَادِي مَا لَمْ تَبْلُغْ أَمَانِيُّهُمْ، وَلَمْ يَخْطُرْ لَهُمْ عَلَى بَالٍ قَالَ: فَيُعْرَضُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى تقصر بهم أَمَانِيَّهُمُ الَّتِي فِي أَنْفُسِهِمْ، فَيَكُونُوا فِيمَا يُعْرَضُونَ عَلَيْهِمْ بَرَاذِينُ مُقَرَّنَةٌ، عَلَى كُلِّ أَرْبَعَةٍ مِنْهَا سَرِيرٌ مِنْ يَاقُوتَةٍ وَاحِدَةٍ، عَلَى كُلِّ سَرِيرٍ مِنْهَا قُبَّةٌ مِنْ ذَهَبٍ مُفْرَغَةٌ، فِي كُلِّ قُبَّةٍ مِنْهَا فُرُشٌ مِنْ فُرُشِ الجَنَّةِ مُظَاهَرَةً، فِي كُلِّ قُبَّةٍ مِنْهَا جَارِيَتَانِ مِنَ الحُورِ الْعِينِ، عَلَى كُلِّ جَارِيَةٍ مِنْهَا ثَوْبَانِ مِنْ ثِيَابِ الجَنَّةِ، وَلَيْسَ فِي الجَنَّةِ لَوْنٌ إِلَّا وَهُوَ فِيهِمَا، وَلَا رِيحٌ طَيِّبٌ إِلَّا قَدْ عُبِّقَتَا بِهِ، يَنْفُذُ ضَوْءُ وجُوهِهِمَا غِلَظَ الْقُبَّةِ، حَتَّى يَظُنَّ مَنْ يَرَاهُمَا أَنَّهُمَا مِنْ دُونِ الْقُبَّةِ يُرَى مُخُّهُمَا مِنْ فَوْقِ سُوقِهِمَا كَالسِّلْكِ الْأَبْيَضِ فِي يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، يَرَيَانِ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ عَلَى صَحَابَتِهِ كَفَضْلِ الشَّمْسِ عَلَى الحِجَارَةِ أَوْ أَفْضَلُ، وَيَرَى لَهُمَا مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ يَدْخُلُ إِلَيْهِمَا فَيُحَيِّيَانِهِ وَيُقَبِّلَانِهِ وَيُعَانِقَانِهِ، وَيَقُولَانِ لَهُ: وَاللهِ، مَا ظَنَنَّا أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ مِثْلَكَ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ المَلَائِكَةَ فَيَسِيرُونَ بِهِمْ صَفًّا فِي الجَنَّةِ حَتَّى يَنْتَهِي كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى مَنْزِلَتِهِ الَّتِي أُعِدَّتْ لَهُ»(١).

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٢٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وله شواهد في الصحيحين)**، له شواهد في الصحيحين؛ فلا يقال: هذا من رواية ابن لهيعة، وابن لهيعة معروف أنه ضعيف في الرواية، بل له شواهد تقويه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا)**، وهب بن منبه: هذا من أحبار اليهود في اليمن، هداه الله إلى الإسلام فأسلم هو وكعب الأحبار وهمام؛ وهب بن منبه، وهمام بن منبه، وكعب الأحبار هؤلاء من أحبار اليهود في اليمن، منَّ الله عليهم فأسلموا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا أَنْهَارُ الخَمْرِ)**، الخمر في الجنة ليس مثل خمر الدنيا الخبيث، خمر الجنة طيب ليس فيه غول، يعني: لا يغتال العقول؛ لأن خمر الدنيا تغتال العقول، ويسكرون، وأما خمر الجنة، فهي طيبة منزوع منها ما كان في خمر الدنيا من الآفات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَرْحَبًا بِعِبَادِي الَّذِينَ خَشَوْنِي بِالْغَيْبِ)**، خشوه بالغيب، ولم يروه في الدنيا، آمنوا به ولم يروه في الدنيا، فيتجلى لهم في الآخرة، ويرونه عيانًا بأبصارهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّهَا لَيْسَتْ بِدَارِ نَصَبٍ وَلَا عِبَادَةٍ)**، الدنيا دار العمل، والآخرة دار الجزاء، الدنيا دار عمل ولا جزاء، والآخرة دار جزاء ولا عمل.

....

ش: وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده عن وهب بن منبه، وزاد: «فانظروا إِلَى مواهب ربكُم الَّذي وهب لكم، فَإِذا بقباب فِي الرفيق الْأَعْلَى، وغرف مَبْنِيَّة من الدّرّ والمرجان، وأَبْوَابهَا من ذهب، وسررها من ياقوت، وفرشها من سندس وإستبرق، ومنابرها من نور، يفور من أَبْوَابهَا وعراصها نور مثل شُعَاع الشَّمْس، عِنْده مثل الْكَوْكَب الدُّرِّي فِي النَّهَار المضيء. وَإِذا بقصور شامخة فِي أَعلَى عليين، من الْيَاقُوت يزهوها نورها، فلولا أَنه مسخر إِذًا لالتمع الْأَبْصَار.

فَمَا كَانَ من تِلْكَ الْقُصُور من الْيَاقُوت الْأَبْيَض، فَهُوَ مفروش بالحرير الْأَبْيَض، وَمَا كَانَ مِنْهَا من الْيَاقُوت الْأَخْضَر فَهُوَ مفروش بالسندس الْأَخْضَر، وَمَا كَانَ مِنْهَا من الْيَاقُوت الْأَصْفَر فَهُوَ مفروش بالأرجوان الْأَصْفَر، مبوبة بالزمرد الْأَخْضَر، وَالذَّهَب الْأَحْمَر، وَالْفِضَّة الْبَيْضَاء، قوائمها وأركانها من الجَوْهَر، وشرفها قباب من لُؤْلُؤ، وبروجها غرف من المرجان.

فَلَمَّا انصرفوا إِلَى مَا أَعْطَاهُم رَبهم، قُربت لَهُم براذين من ياقوت أَبيض، منفوخ فِيهَا الرّوح، تحتها الْولدَان المخلدون، بيد كل وليد مِنْهُم حِكْمَة برذون من تِلْكَ البراذين، ولجمها وأعنتها من فضَّة بَيْضَاء منظومة بالدر والياقوت، سُرُوجهَا سرر موضونة مفروشة بالسندس والاستبرق. فَانْطَلَقت بهم تِلْكَ البراذين، تزف بهم ينظرون رياض الجنَّة، فَلَمَّا انْتَهوا إِلَى مَنَازِلهمْ، وجدوا

المَلَائِكَة قعُودا على مَنَابِر من نور ينتظرونهم؛ ليزوروهم ويصافحوهم ويهنوهم كَرَامَة رَبهم.

فَلَمَّا دخلُوا قصورهم، وجدوا فِيهَا جَمِيع مَا تطاول بِهِ عَلَيْهِم وما سَأَلُوا وما تمنوا، وَإِذا على بَاب كل قصر من تِلْكَ الْقُصُور أَرْبَعَة جنان: جنتان ذواتا أفنان، وجنتان مدهامتان، وفيهما عينان نضاختان، وَفِيهِمَا من كل فَاكِهَة زوجان، وحور مقصورات فِي الخيام. فَلَمَّا تبوؤوا مَنَازِلهمْ واستقروا قرارهم، قَالَ لَهُم رَبهم: فهَل وجدْتُم مَا وعد ربكُم حَقًّا؟ قَالُوا: نعم وربنا.

قَالَ: هَل رَضِيتُمْ ثَوَاب ربكُم؟ قَالُوا: رَبنَا رَضِينَا فارض عَنَّا.

قَالَ: برضاي عَنْكُم حللتم دَارِي ونظرتم إِلَى وَجْهي.

فعند ذلك قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر:٣٤، ٣٥]»(١).

وهذا سياق غريب، وأثر عجيب، ولبعضه شواهد في الصحيحين(٢).

وقال خالد بن معدان: «إِنَّ فِي الجنَّة شَجَرَة يُقَال لَهَا: طُوبَى، ضروع كلهَا، تُرْضع صبيان أهل الجنَّة، وإن سقط الْمَرْأَة يكون فِي نهر من أَنهَار الجنَّة يتقلب فِيهِ حَتَّى تقوم الْقِيَامَة، فيبعث ابْن أَرْبَعِينَ سنة». رواه ابن أبي حاتم(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤/ ٦٤٧- ٦٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، وصحيح مسلم (١٨٢) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وانظر تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤/ ٦٤٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وجنتان مدهامتان)**، «مدهامتان» يعني: خضراوان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيهما عينان نضاختان، وَفِيهِمَا من كل فَاكِهَة زوجان)**؛ كما في سورة الرحمن، هذا في القرآن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا سياق غريب، وأثر عجيب، ولبعضه شواهد في الصحيحين)**، هذا طرف مما في كتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

....

ش: قوله: «آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ»، أي: في جهاد المشركين.

قوله: «أَشْعَثَ» مجرور بالفتحة؛ لأنه اسم لا ينصرف للوصفية ووزن الفعل.

و«رأسه» مرفوع على الفاعلية، وهو طائر الشعر، أشغله الجهاد في سبيل الله عن التنعم بالادهان وتسريح الشعر.

قوله: «مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ»، هو بالجر صفة ثانية لعبد.

قوله: «إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ»، هو بكسر الحاء، أي: حماية الجيش عن أن يهجم العدو عليهم.

قوله: «كَانَ فِي الحِرَاسَةِ»، أي: غير مقصر فيها ولا غافل، وهذا اللفظ يستعمل في حق من قام بالأمر على وجه الكمال.

قوله: «وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ، كَانَ فِي السَّاقَةِ»، أي: في مؤخرة الجيش، أي: يقلب نفسه في مصالح الجهاد، فكل مقام يقوم فيه إن كان ليلًا أو نهارًا؛ رغبة في رضا الله وطلبًا لثوابه ومحبة لطاعته.

قال ابن الجوزي: وهو خامل الذكر، لا يقصد السمو(١).

وقال الخلخالي: المعنى: ائتماره بما أُمِر، وإقامته حيث أُقيم، لا يفقد من مقامه، وإنما ذكر الحراسة والساقة؛ لأنهما أشد مشقة. انتهى(٢).

(١) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٣/ ٥٣٩).

(٢) انظر: شرح المشكاة للطيبي (١٠/ ٣٢٧٥)، وعمدة القاري (١٤/ ١٧٢)، ومرقاة المفاتيح (٨/ ٣٢٣٠).

وفيه فضل الحراسة في سبيل الله.

قوله: «إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ»، أي: إن استأذن على الأمراء ونحوهم، لم يأذنوا له؛ لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة؛ لأنه ليس من طلابها، وإنما يطلب ما عند الله، لا يقصد بعمله سواه.

قوله: «وَإِنْ شَفَعَ»: بفتح أوله وثانيه.

قوله: «لَمْ يُشَفَّعْ» -بفتح الفاء مشددة- يعني: لو ألجأته الحال إلى أن يشفع في أمر يحبه الله ورسوله، لم تقبل شفاعته عند الأمراء ونحوهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يقلب نفسه في مصالح الجهاد، فكل مقام يقوم فيه إن كان ليلًا أو نهارًا؛ رغبة في رضا الله وطلبًا لثوابه ومحبة لطاعته)، هذه صفة المجاهدين في سبيل الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو خامل الذكر لا يقصد السمو)، يعني: لا يهمه أن يكون في الساقة أو في المقدمة، أو يكون في الحراسة، لا يهمه هذا، يهمه الجهاد في سبيل الله في أي مكان كان.

(لا يقصد السمو): يعني: لا يقصد الارتفاع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفيه فضل الحراسة في سبيل الله)، في الحديث: «عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٣٩)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٠٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٣٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «لَمْ يُشَفَّعْ» -بفتح الفاء مشددة- يعني: لو ألجأته الحال إلى أن يشفع في أمر يحبه الله ورسوله، لم تقبل شفاعته عند الأمراء ونحوهم)؛ لأنه غير معروف.

....

ش: وروى الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة مرفوعًا: «رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»(١).

قال الحافظ: فيه ترك حب الرياسة والشهرة، وفضل الخمول والتواضع. انتهى(٢).

وروى الإمام أحمد -أيضًا- عن مصعب بن ثابت أن عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قَالَ عُثْمَانُ -وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى مِنْبَرِهِ-: إِنِّي مُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ بِهِ إِلَّا الضِّنُّ بِكُمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: حَرَسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلُهَا وَيُصَامُ نَهَارُهَا»(٣).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الحافظ: فيه ترك حب الرياسة والشهرة، وفضل الخمول والتواضع)، الخمول والتواضع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ بِهِ إِلَّا الضِّنُّ بِكُمْ)، «الضن بكم» يعني: الرأفة بكم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٢، ٢٨٥٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٨٣).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٥٠٩)، وابن ماجه (٢٧٦٦)، والطبراني في الكبير (١/ ٩١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٩١)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢١٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٩٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: حَرَسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلُهَا وَيُصَامُ نَهَارُهَا)، هذا فضل الجهاد في سبيل الله.

ش: وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك: قال عبد الله بن محمد قاضي نصيبين: حدثني محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة، أنه أملى عليه عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس، وودعه الخروج، وأنفذها معه إلى الفضيل بن عياض في سنة سبع وسبعين ومائة. قال:

يَا عابدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أبْصَرْتَنا ... لَعَلمْتَ أنَّكَ فِي العبادِة تَلْعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خدَّه بِدُمُوعِهِ ... فَنُحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخضَّب
أَوْ كَانَ يُتْعِبُ خَيْلَه فِي بَاطِلٍ ... فَخُيولنا يَومَ الصَّبِيحة تَتْعبُ
رِيحُ العبيرِ لَكُمْ وَنحنُ عَبِيرُنَا ... رَهَجُ السنابِك والغبارُ الأطيبُ
وَلَقَد أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِيِّنَا ... قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لَا يَكْذبُ
لَا يَسْتَوِي غُبَارَ خَيْلِ اللهِ فِي ... أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانَ نَارٍ تَلْهَبُ
هَذَا كِتَابُ اللهِ يَنْطق بَيْنَنَا ... لَيْسَ الشهيدُ بمَيِّت لَا يَكْذبُ

قال: فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأ، ذرفت عيناه، فقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصحني. ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قلت: نعم. قال لي: اكتب هذا الحديث، وأملى عليَّ الفضيل ابن عياض. قال: حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي عَمَلًا أَنَالُ بِهِ ثَوَابَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُصَلِّيَ فَلَا تَفْتُرُ، وَتَصُومُ فَلَا تُفْطِرُ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَضْعَفُ مِنْ أَنْ أَسْتَطِيعُ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ طُوِّقْتِ ذَلِكَ مَا بَلَغْتَ فَضْلُ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ فَرَسَ الْمُجَاهِدِ لَيَسْتَنُّ فِي طِوَلِهِ، فَيُكْتَبُ لَهُ بِذَلِكَ حَسَنَاتٍ؟(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(يَا عابدَ الحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنا)**، عابد الحرمين: هو الفضيل بن عياض؛ لأنه يتعبد في الحرمين: في المسجد الحرام والمسجد النبوي.

وعبد الله بن المبارك في الجهاد، فيقول: إن عملي أحسن من عملك، يَا عابدَ الحَرَمَيْنِ.

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٢/ ٤٤٩، ٤٥٠)، وأصل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري (٢٧٨٥)، ومسلم (١٨٧٨).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: إِرَادَةُ الإِنْسَانِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ هُوْدٍ.

الثَّالِثَةُ: تَسْمِيَةُ الإِنْسَانِ المُسْلِم عَبْدَ الدِّيْنَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالخَمِيْصَةِ.

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيْرُ ذَلِكَ؛ بِأَنَّهُ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ.

الخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «تَعِسَ وَانْتَكَسَ».

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: «وَإِذَا شِيْكَ فَلَا انْتَقَشَ».

السَّابِعَةُ: الثَّنَاءُ عَلَى المُجَاهِدِ المَوْصُوْفِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فِيْهِ مَسَائِلُ)، فيه: يعني الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الأُوْلَى: إِرَادَةُ الإِنْسَانِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ)، ذم من يفعل هذا، من يريد الدنيا بعمل الآخرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ هُوْدٍ)، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود:١٥]؛ آية هود.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: تَسْمِيَةُ الإِنْسَانِ المُسْلِمِ عَبْدَ الدِّيْنَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالخَمِيْصَةِ)، مع أنه مسلم فإنه يصاب بهذه الآفات؛ أنه يطلب الدينار والدرهم، ويقصر في طاعة الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الرَّابِعَةُ: تَفْسِيْرُ ذَلِكَ؛ بِأَنَّهُ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ)، يعني: تفسير كونه عبد الدينار وعبد الدرهم: إنه إذا أعطي رضي، وإذا لم يعط سخط؛ إذًا فهو عبدٌ للدينار والدرهم، يسخط إذا لم يعط،

ويرضى إذا أعطي، ولا يسخط لأجل إنكار المنكر أو يرضى بالطاعة، وإنما همه الدراهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «تَعِسَ وَانْتَكَسَ»**)، دعا عليه بدعوتين: «تَعِسَ»، أي: خسر، «وَانْتَكَسَ»، يعني: انتكس على عقبيه، فيتحير في أمره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: «وَإِذَا شِيْكَ فَلَا انْتَقَشَ»**)، يصاب بالعجز؛ فلا يقدر أن يأخذ الشوكة من بدنه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابِعَةُ: الثَّنَاءُ عَلَى الْمُجَاهِدِ الْمَوْصُوْفِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ**)، «**طُوْبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيْلِ اللهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ...**»[(١)]، إلى آخره.

فدعا له الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يعطى طوبى، وهي شجرة في الجنة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٣٠).

٣٧- بَابُ مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ وَالأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيْمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيْلِ مَا حَرَّمَ اللهُ؛ فَقَدْ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُوْنِ اللهِ

ش: قوله: (بَابُ مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ والأُمَرَاءَ في تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أو تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ)؛ لقول الله -تعالى-: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١]، وتقدم تفسير هذا في أصل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند ذكر حديث عدي ابن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ وَالأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيْمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيْلِ مَا حَرَّمَ اللهُ؛ فَقَدْ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مَنْ دُوْنِ اللهِ)، من المعلوم أن طاعة ولاة الأمور فيما هو من اختصاصهم من الأمر والنهي وغير ذلك أن هذا واجب؛ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء:٥٩]، فطاعتهم واجبة، وهي مقرونة بطاعة الله وطاعة رسوله، ولكن إذا أمروا بمعصية الله أو بما يخالف شرع الله، فإنهم لا يطاعون في ذلك؛ «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ**»(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٣٣/ ٥٨، ٦٧، ١١١، ١٣٧، ٣٤/ ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٧)، وابن أبي شيبة (٦/ ٥٤٤)، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٧٠)، والأوسط (٤/ ٣٢١)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٥٥)، وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٢٦)، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح.

أما ما دامت أوامرهم في صلاحياتهم، ولم يتجاوزوا ما شرعه الله لهم، فإن الواجب طاعتهم في المعروف.

ومناسبة ذكر هذا الباب في كتاب التوحيد قوله: (فَقَدْ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مَنْ دُوْنِ اللهِ)، يعني: من أطاعهم فيما حرم الله، فإنه اتخذهم أربابًا من دون الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لقول الله -تعالى-:** ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١])، ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ ﴾، أي: أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

فاليهود اتخذوا ﴿أَحْبَارَهُمْ﴾؛ لأن الحبر: هو العالم من اليهود.

﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ ﴾: هذا عند النصارى، والرهبان من الرهبنة، وهي: التدين الذي لا أصل له في الشرع، هؤلاء هم الرهبان.

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ ﴾: أي أهل الكتاب، ﴿أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، لماذا؟ لأنهم حرموا ما أحل الله لهم، فأطاعوهم، وأحلوا ما حرم الله عليهم، فأطاعوهم في ذلك، فهذا اتخاذهم أربابًا من دون الله؛ لأنه لا يملك التحليل والتحريم إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليس من صلاحيات العبد أنه يحلل ويحرم من دون الله عَزَّوَجَلَّ، فمن فعل هذا، فقد اتخذ نفسه شريكًا لله عَزَّوَجَلَّ، ومن أطاعه، فقد أشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

وأخرجه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠)، في حديث طويل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١])، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾، أي: اليهود والنصارى.

﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾، وهؤلاء اتخذوا أحبارهم ورهبانهم من دون الله، اتخذوا عدة أرباب مع الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١])، ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا معبود بحق إلا هو سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ومن ذلك الطاعة؛ لا يطاع مطلقًا إلا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ لأن له التصرف في ملكه، أما غيره، فهم محجوزون بأوامر لا تخالف شرع الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١])، ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: نزه نفسه، ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾: من اتخاذ أحبارهم ورهبانهم أربابًا، نزه نفسه عن ذلك؛ فإنه لا رب إلا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وتقدم تفسير هذا في أصل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند ذكر حديث عدي ابن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**)، عدي بن حاتم الطائي صحابي جليل، لما سمع هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]. قال: يا رسول الله، إنا لم نتخذهم أربابًا. فهم أن الرب هو خاص بالذي يملك الملك، ويخلق المخلوقات، ولكن هذا فهم ناقص، بل حتى من يحلل ويحرم فهو رب.

إِنَّـا لَسْـنَا نَعْبُدُهُـمْ، يَـا رَسُـوْلَ اللهِ! قَـالَ: «أَلَيْـسَ يُحِلُّـوْنَ مَا حَـرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّوْنَهُ؟»، فَقَالَ: بَلَى. قال: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُوْنَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ»، فَقَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم»[١].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، والطبري في تفسيره (١١/ ٤١٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٨٤)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٩٢)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩٨).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟»(١).

ش: قوله: «يُوشِكُ» بضم أوله وكسر الشين المعجمة، أي: يقرب ويسرع.

وهذا القول من ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جواب لمن قال له: إنَّ أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لا يريان التمتع بالعمرة إلى الحج، ويريان أن إفراد الحج أفضل، أو ما هو معنى هذا.

وكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يرى أن التمتع بالعمرة إلى الحج واجب، ويقول: إذا طاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، فقد حلَّ من عمرته، شاء أم أبى. لِحَدِيثِ سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أَمَرَهُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْعَلُوهَا عُمْرَةً وَيَحِلُّوا إِذَا طَافُوا بِالْبَيْتِ، وَسَعَوْا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَقَالَ سُرَاقَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِلْأَبَدِ؟ فَقَالَ: «بَلْ لِلْأَبَدِ». والحديث في الصحيحين(٢).

وحينئذ فلا عذر لمن أُستفتى أن ينظر في مذاهب العلماء، وما استدل به كل إمام، ويأخذ من أقوالهم ما دل عليه الدليل إذا كان له ملكة يقتدر بها على ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٢٨) بنحوه، وذكره بلفظه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢١٥، ٢٥١، ٢٦/ ٥٠، ٢٨١).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٨٥، ٧٢٣٠)، ومسلم (١٢١٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **«يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟»)**، ابن عباس قال هذه المقالة لما كان أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ينهيان عن التمتع في الحج؛ من أجل ألا يهجر البيت في سائر السنة؛ لأنهم إذا تمتعوا، أدوا العمرة مع الحج، قل من يرتاد البيت، هذا مقصود أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. ولكن هذا يخالف ما شرعه الله جَلَّ وَعَلَا من التمتع بالعمرة؛ ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾ [البقرة:١٩٦]. هذا في القرآن، ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ﴾.

التمتع: معروف، هو: أن يحرم بالعمرة من الميقات الذي يمر به، ثم يؤدي مناسكها، ويتحلل منها، ثم إذا جاء يوم التروية، أحرم بالحج.

أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لا يريدان هذا؛ لأن هذا معناه أن يهجر البيت في سائر السنة، هذا رأيهما وهذا مقصودهما.

فقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟»، فأنكر عليهم غاية الإنكار، وخشي أن يعاقبهم الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «يُوشِكُ» بضم أوله وكسر الشين المعجمة)**، يوشك: أي يقرب؛ لأن هذا من الأفعال التي يسمونها أفعال الشروع، «يُوشِكُ -يقرب- أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا القول من ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **جواب لمن قال له: إنَّ أبا بكر وعمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **لا يريان التمتع بالعمرة إلى الحج، ويريان أن إفراد الحج**

أفضل، أو ما هو معنى هذا)، يريدان أن يعمر البيت، ولا يقل رواد البيت العتيق في سائر السنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وكان ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **يرى أن التمتع بالعمرة إلى الحج واجب، ويقول: إذا طاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، فقد حلَّ من عمرته، شاء أم أبى**)، إذا أدى مناسك العمرة -وهي الطواف والسعي-، فقد اعتمر، شاء أم أبى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لِحَدِيثِ سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكِ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**حِينَ أَمَرَهُمْ النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَنْ يَجْعَلُوهَا عُمْرَةً وَيَحِلُّوا إِذَا طَافُوا بِالْبَيْتِ، وَسَعَوْا بَيْنَ الصَّفَا وَالمَـرْوَةِ**)، أحرموا مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قارنين بين الحج والعمرة، فلما وصلوا إلى مكة، وطافوا بالبيت، وسعوا بين الصفا والمروة، أرادوا أن يبقوا على إحرامهم، فأمرهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتحللوا؛ يحلقوا رؤوسهم أو يقصروا، ويتحللوا من العمرة، فإذا جاء الحج يوم الحج يحرمون بالحج، هذا هو التمتع بالعمرة إلى الحج.

كان ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يرى هذا، وهو الذي فعله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لما طافوا وسعوا، أمرهم أن يقصروا من رؤوسهم، وأن يحلوا ويجعلوها عمرة، يسمى هذا فسخ الحج إلى العمرة، أمرهم أن يفسخوا الحج الذي أحرموا به من الميقات إلى عمرة، فيتحللوا، وإذا جاء يوم التروية، يحرمون بالحج.

فكأن أبا بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لا يريان ذلك؛ لئلا يقل زوار البيت في سائر السنة، فغضب ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقال هذه المقالة: «يُوشِكُ أَنْ

تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ، وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ؟!».

ليس لأحد قول مع الله جَلَّ وَعَلَا، ليس لأحد قول مع قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَقَالَ سُرَاقَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِلْأَبَدِ؟ فَقَالَ: بَلْ لِلْأَبَدِ»)**، قالوا للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أهذه السنة فقط نتحلل من العمرة، نفسخ الحج إلى العمرة، أهذا خاص بنا في هذه السنة أو عام؟ قال: بل هو عام إلى أن تقوم الساعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحينئذ فلا عذر لمن اُستفتى أن ينظر في مذاهب العلماء، وما استدل به كل إمام، ويأخذ من أقوالهم ما دل عليه الدليل إذا كان له ملكة يقتدر بها على ذلك)**، إذا كان المسؤول له ملكة علمية يقتدر بها أن يختار من أقوال العلماء الراجح منها بالدليل، فله ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى**: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩])، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾: أيّ شيء، نكرة تعم.

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾: ومن ذلك الحج والعمرة.

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: الرد إلى الله هو الرد إلى كتاب الله، والرسول الرد إليه في حياته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلى سنته بعد وفاته.

﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، أي: مآلًا وعاقبة.

....

ش: وللبخاري ومسلم وغيرهما أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ، وَلَوْلَا أَنَّ مَعِي الْهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ»(١)، هذا لفظ البخاري في حديث عائشة.

ولفظه في حديث جابر: «افْعَلُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، فَلَوْلَا أَنِّي سُقْتُ الْهَدْيَ لَفَعَلْتُ مِثْلَ الَّذِي أَمَرْتُكُمْ»(٢) في عدة أحاديث تؤيد قول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وبالجملة فلهذا قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لما عارضوا الحديث برأي أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ...». الحديث.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: (أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد)(٣).

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: ما منا إلا راد ومردود عليه، إلا صاحب هذا القبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٤). وكلام الأئمة في هذا المعنى كثير.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وللبخاري ومسلم وغيرهما أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

(١) أخرجه البخاري (٧٢٢٩)، ومسلم (١٢١١).
(٢) أخرجه البخاري (١٦٥١، ١٧٥٨)، ومسلم (١٢١٦، ١٢١٨).
(٣) انظر: إعلام الموقعين (١/ ٦)، ومدارج السالكين (٢/ ٣١٩).
(٤) انظر: الإحكام لابن حزم (٦/ ١٧٩)، ومنهاج السنة النبوية (٣/ ٥٠٣)، والبداية والنهاية (١٤/ ١٦٠)، والآداب الشرعية (٢/ ٣٠٧، ٣/ ٢٠٠)، وإعلام الموقعين (٣/ ٢٢١).

«**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ، وَلَوْلَا أَنَّ مَعِي الْهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ**»)، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحرم بالحج من ذي الحليفة -من ميقات المدينة-، ومعه الهدي، ساقه من الحل، معه مائة بدنة ساقها هديًا، هذا الذي منعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن يفسخ الحج إلى العمرة الذي أمر به أصحابه، لم يمنعه إلا أنه ساق الهدي من الحل.

والذي ساق الهدي من الحل يلزمه أن يبقى على إحرامه حتى ينحر الهدي يوم العيد أو ما بعده؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [البقرة:١٩٦]، أي: محل ذبحه، ومنتهى الهدي إلى البيت.

فهذا الذي منع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا تأسف، وقال: «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا سُقْتُ الْهَدْيَ، وَلَأَحْلَلْتُ مَعَكُمْ**»، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تمنى أن يكون لم يسق الهدي؛ لأجل أن يحل من العمرة، ويتمتع بها إلى الحج. قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِلْأَبَدِ؟ فَقَالَ: «**بَلْ لِلْأَبَدِ**»؛ إلى أن تقوم الساعة: أن من لم يسق الهدي، فإنه يفسخ الحج إلى العمرة ويتمتع.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولفظه في حديث جابر)**، حديث جابر الطويل الذي وصف به حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ممشاه من المدينة إلى الرجعة إليها، وهو حديث طويل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(في عدة أحاديث تؤيد قول ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**)**، تؤيد قول ابن عباس الذي يرى فسخ الحج إلى العمرة لمن لم يسق الهدي، وهذا هو الموافق للدليل، ولهذا أنكر على أبي بكر وعمر والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنهم لا يرون فسخ الحج إلى العمرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وبالجملة فلهذا قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لما عارضوا الحديث برأي أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ...». الحديث)، فكيف بالذي يعارض الأحاديث برأي أي واحد، أو قول أي واحد من العلماء؟!

إذا كان قول أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لا يعارض به حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيف يعارض الحديث بأقوال من دونهم؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد)، الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد الأئمة الأربعة الكبار يقول: (أجمع العلماء)، حكى الإجماع، (أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد) مهما كان هذا الأحد، حتى ولو هو أبو بكر وعمر، السنة مقدمة.

وهناك من يقول الآن: ما دامت المسألة فيها خلاف، فنحن نأخذ بما نريد، نوسع على أنفسنا وعلى الناس ما دام فيها خلاف.

ليست العبرة بالخلاف، العبرة بالدليل، من معه الدليل فهو الذي يؤخذ بقوله، أما من ليس معه دليل، فيترك، وهو معذور؛ **«إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ»**[(١)].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٣٢٦)، والنسائي في المجتبى (٥٣٨١)، وفي الكبرى (٥/ ٣٩٦)، وابن حبان في صحيحه (١١/ ٤٤٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ما منا إلا راد ومردود عليه، إلا صاحب هذا القبر** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام دار الهجرة، وهو في مسجد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما منا إلا راد ومردود عليه، إلا صاحب هذا القبر)، يعني: رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

....

ش: وما زال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يجتهدون في الوقائع، فمن أصاب منهم، فله أجران، ومن أخطأ، فله أجر؛ كما في الحديث(١)، لكن إذا استبان لهم الدليل، أخذوا به، وتركوا اجتهادهم.

وأما إذا لم يبلغهم الحديث، أو لم يثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندهم فيه حديث، أو ثبت وله معارض أو مخصص ونحو ذلك، فحينئذ يسوغ للإمام أن يجتهد.

وفي عصر الأئمة الأربعة -رحمة الله عليهم- إنما كان طلب الأحاديث ممن هي عنده باللقى والسماع، ويسافر الرجل في طلب الحديث إلى الأمصار عدة سنين.

ثم اعتنى الأئمة بالتصانيف، ودونوا الأحاديث، ورووها بأسانيدها، وبينوا صحيحها من حسنها من ضعيفها.

والفقهاء صنفوا في كل مذهب، وذكروا حجج المجتهدين، فسهل الأمر على طالب العلم، وكل إمام يذكر الحكم بدليله عنده. وفي كلام ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما يدل على أن من بلغه الدليل، فلم يأخذ به -تقليدًا لإمامه-، فإنه يجب الإنكار عليه بالتغليظ لمخالفته الدليل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وما زال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يجتهدون في الوقائع، فمن أصاب

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

منهم، فله أجران، ومن أخطأ، فله أجر؛ كما في الحديث)، إذا كان العالم له ملكة وعنده علم فله أن يجتهد؛ فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، وأما إذا كان مبتدئًا أو متعالمًا أو مقلدًا، فليس له أن يدخل في هذا الأمر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لكن إذا استبان لهم الدليل، أخـذوا به، وتركوا اجتهادهم)**، هذا هو الواجب؛ أنه إذا استبان الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجب الأخذ بالدليل، وترك الاجتهاد، ولو كان من عالم كبير، وعالم له مكانته؛ هو يخطئ، بشر، ما دام أن قوله يخالف الدليل، فلا يؤخذ به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما إذا لم يبلغهم الحديث، أو لم يثبت عن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عندهم فيه حديث، أو ثبت وله معارض أو مخصص ونحو ذلك، فحينئذ يسوغ للإمام أن يجتهد)**، يسوغ للإمام -الإمام ليس كل أحد-، الإمام في العلم يسوغ له أن يجتهد، وما توصل إليه وترجح عنده، عمل به.

وأما غير الإمام -الإنسان العادي أو المبتدئ في طلب العلم أو المتعالم-، فليس له، ولو كان يحفظ الكتب كلها -كتب الفقه كلها- ليس له أن يأخذ ما يريد، لا يأخذ إلا ما عليه دليل من كتاب الله وسنة رسوله، إذا كان يعرف هذا، وإذا كان لا يعرف، يسأل أهل العلم؛ قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي عصر الأئمة الأربعة -رحمة الله عليهم- إنما كان طلب الأحاديث ممن هي عنده باللقى والسماع)**، بلقائه وسماع الحديث منه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويسافر الرجل في طلب الحديث إلى الأمصار عدة سنين)**، سافر جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى مصر؛ لأجل حديث واحد يرويه أحد الصحابة في مصر، سافر إليه ليس على طائرة أو على باخرة، لا، على بعير، ذهب على دابة، سافر مسافة شهر إلى مصر، وسأل هذا الرجل الذي يروي حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرواه عنه، ولطم راحلته ورجع إلى المدينة(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم اعتنى الأئمة بالتصانيف، ودونوا الأحاديث، ورووها بأسانيدها، وبينوا صحيحها)**، الحمد لله! الأحاديث تيسرت، جُمِعت في الصحاح والمسانيد، وكتب الحديث توفرت، وليست هناك حاجة إلى أنك تسافر للشرق والغرب، راجع هذه الأحاديث المدونة، وهذا من تيسير الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكل إمام يذكر الحكم بدليله عنده)**، كل إمام يذكر الحكم بدليله عنده من كتاب الله وسنة رسوله، ليس هناك حكم يقبل إلا بدليل، إذا كان مستندًا إلى دليل.

والذين يقولون الآن: ما دام أن المسألة فيها خلاف، نحن نأخذ الأيسر والأسهل، لا. لا يجوز لك -يا أخي-، لا يجوز لك أن تأخذ إلا ما قام عليه

---

(١) قصة جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخرجها أحمد في مسنده (٢٥/ ٤٣١)، مع عبد الله بن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
وقصة أبو أيوب الأنصاري وسفره إلى عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أخرجها الإمام أحمد في مسنده (٢٨/ ٦٥٦).

الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليست المسألة بأقوال، المسألة أقوال تبنى على أدلة صحيحة، وإلا فالأقوال لا عبرة بها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفي كلام ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **ما يدل على أن من بلغه الدليل، فلم يأخذ به -تقليدًا لإمامه-، فإنه يجب الإنكار عليه بالتغليظ لمخالفته الدليل)**؛ كما أنكر ابن عباس على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على أبي بكر وعمر: «أَقُوْلُ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ! وَتَقُوْلُوْنَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟! يُوْشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ»[(١)].

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٦٢).

....

ش: وقال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عمر البزار، قال: حدثنا زياد ابن أيوب، قال: حدثنا أبو عبيدة الحداد عن مالك بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيَدَعُ غَيْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

وعلى هذا فيجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد من العلماء -كائنًا من كان-، ونصوص الأئمة على هذا، وأنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الاجتهاد، التي لا دليل فيها يرجع إليه من كتاب ولا سنة، فهذا هو الذي عناه بعض العلماء بقوله: لا إنكار في مسائل الاجتهاد.

وأما من خالف الكتاب والسنة، فيجب الرد عليه؛ كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والشافعي ومالك وأحمد رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وذلك مجمع عليه؛ كما تقدم في كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيَدَعُ غَيْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»)، ما من أحد من العلماء إلا ويؤخذ من قوله ما وافق الدليل، ويترك ما خالف الدليل، إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه يؤخذ قوله على الإطلاق؛ لأنه يوحى إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) لم أقف عليه إلا عند الطبراني في الكبير (١١/ ٣٣٩)، هنا كتب اسم البزار أحمد بن عمر، والصواب: أحمد بن عمرو؛ كما في ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٥٤)، وتاريخ الإسلام (٦/ ٨٨٦)، وإكمال تهذيب الكمال (١/ ٩٤)، والأعلام للزركلي (١/ ١٨٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعلى هذا فيجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد من العلماء -كائنًا من كان)**، إما أنه يقدر هذا العالم، ويأخذ بقوله، ولا ينظر إلى دليله، وإما لأنه لا يستطيع معرفة القول بدليله، فيأخذ قول العالم بدون أن يعرف مستنده، ويعرف دليله، وهذا لا يجوز.

إذا كان هو ليس عنده استطاعة، يسأل أهل العلم؛ ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونصوص الأئمة على هذا)**، كل الأئمة ينكرون على من أخذ بقول إمام بدون معرفة دليله ومستنده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الاجتهاد، التي لا دليل فيها يرجع إليه من كتاب ولا سنة، فهذا هو الذي عناه بعض العلماء بقوله: لا إنكار في مسائل الاجتهاد)**، الاجتهاد: لا ينكر مجتهد على مجتهد؛ لأنهم سواء، فلا يؤخذ بقول إمام بدون معرفة مستنده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما من خالف الكتاب والسنة، فيجب الرد عليه)**، ليس هناك شك أن من خالف الكتاب والسنة يجب الرد عليه كائنًا من كان.

وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ؛ يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ!! وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]. أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ: الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ(١).

ش: قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا الكلام من الإمام أحمد، رواه عنه الفضل بن زياد وأبو طالب.

قال الفضل عن أحمد: نظرت في المصحف، فوجدت طاعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثلاثة وثلاثين موضعًا، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣](٢).

فذكر من قوله: (الفِتْنَةُ: الشِّرْكُ). إلى قوله: (فَيَهْلِكَ). ثم جعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

هو سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام التابعين.

---

(١) انظر: الجامع لعلوم الإمام أحمد -أصول الفقه (٥/ ١٥٨- ١٥٩)، والصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٥٧)، والفروع وتصحيح الفروع (١١/ ١٠٧)، وأصول الفقه لابن مفلح (٤/ ١٥٧٢).

(٢) انظر: الجامع لعلوم الإمام أحمد -العقيدة (٤/ ١١٣)، والإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٦٠)، والصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٥٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، الذي هو مؤلف فتح المجيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ؛ يَذْهَبُوْنَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ!! وَاللهُ تَعَالَى يَقُوْلُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ: الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إذا رَدَّ بَعضَ قَولِهِ أَنْ يَقَعَ في قَلْبِهِ شيء مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ»)، من ترك الدليل وهو يعرفه، وأخذ بقول لا دليل عليه؛ لأنه يوافق هواه، ربما يبتلى بالزيغ -والعياذ بالله- والردة عن دين الإسلام، فيهلك.

الله تعالى أمرنا باتباع الكتاب والسنة، وأن نأخذ من أقوال العلماء ما يوافق الكتاب والسنة، ولا نأخذ بأقوالهم إلا إذا لم يكن عندنا دليل واضح من الكتاب والسنة، فنأخذ من أقوال العلماء ما يوافق الكتاب والسنة، ولا نأخذ ما يوافق أهواءنا؛ لأن بعض الناس يأخذ من أقوال العلماء ما يوافق رغبته وهواه -ولو خالف الدليل-، فيأخذ ما يوافق هواه، وأما أهل العلم والتحقيق، فيأخذون ما يوافق الدليل، ولو خالف أهواءهم؛ لأنهم يعلمون أن الخير في اتباع الدليل، وأن اتباع الأهواء يوقع في المحذور، يوقع في الخطر والهلاك.

أقوال العلماء إنما تعرض على الأدلة؛ ما كان له دليل منها، فيؤخذ به، ومن لا يعرف هذا، يسأل العلماء، لا يأخذ ما قال به فلان وفلان، وهو لا يعرف دليله، ولا يعرف حقيقته، وإنما لأنه يوافق رغبته، ويوافق هواه، فهذا ضال، هذا ضال لا يريد الدليل، وإنما يريد ما يوافق هواه.

أقوال العلماء لا شك -العلماء المجتهدين الأكفاء- قد يقع فيها خطأ؛ لأنهم ليسوا معصومين، لكن الذي إذا اجتهد المجتهد من العلماء، وأصاب فله أجران، وإذا اجتهد وأخطأ، فله أجر واحد على اجتهاده، والخطأ مغفور له؛ لأنه لم يقصده، أما من يتبع ما يصلح له، ويوافق هواه من أقوال العلماء، ويقول: هذا قال به فلان. فهذا لا يغنيه شيئًا عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو مسؤول عنه يوم القيامة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الفضل عن أحمد: نظرت في المصحف، فوجدت طاعة الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في ثلاثة وثلاثين موضعًا، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [النور:٦٣]**، قال: أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ: الشِّرْكُ).**

يقول أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ قال: الفِتْنَةُ: الشِّرْكُ؛ لأنه جعل هذا العالم شريكًا لله في التحليل والتحريم. التحليل والتحريم إنما هو إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإلى رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس لأهل العلم، إنما يؤخذ من أقوالهم ما يوافق الدليل.

قد يقول قائل: إذا كان الإنسان لا يعرف ما له دليل، لا يعرف من أقوال العلماء ما له دليل، نقول: يسأل أهل العلم، ولا يأخذ به على الفور، يسأل أهل العلم عن هذا؛ ليرشدوه. والمسألة مسألة ذمة، مسألة دين، والإنسان لا يفرط بدينه باتباع لقول فلان وعلان.

اسمعوا هذا الكلام! يقول الإمام أحمد: «عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ؛ يَذْهَبُوْنَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ!!».

ومن هو سفيان؟ سفيان الثوري الإمام الجليل، ولكن لا يؤخذ بقوله إلا إذا استند إلى دليل من الكتاب والسنة.

«يَذْهَبُوْنَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُوْلُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾، أي: عن أمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟»، يقول أحمد.

«الفِتْنَةُ: الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إذا رَدَّ بَعضَ قَولِهِ»، أي: بعض قول الرسول.

«أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شيءٍ مِنَ الزَّيْغِ»، الزيغ: هو الضلال عن الحق، يزيغ، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥].

فإذا زاغ الإنسان عن الحق اتباعًا لهواه، وأخذ ما يوافق هواه، فإنه يصاب بالفتنة؛ ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور:٦٣]، والفتنة هنا: هي الشرك؛ لأنه جعل العلماء شركاء لله في التحليل والتحريم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم جعل يتلو هذه الآية:** ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥])، يقول الله تعالى لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾: أقسم بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمخاطب هو الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: فيما اختلفوا فيه، يحكمون الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، ويحكمون سنته بعد موته.

﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: يعني فيما اختلفوا فيه، الاشتجار: هو الاختلاف.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾: تطيب أنفسهم، تطمئن، ولا يحصل عندهم شكوك، بل يقبل ويقتنع، ولا يكفي هذا؛ ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾: يسلموا؛ ينقادوا انقيادًا تامًا لقول الرسول وحكمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. لا يعترضون، وإنما ينقادون لله عَزَّ وَجَلَّ ولحكمه، ولحكم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾، يحكمونك، ثم لا يجدون حرجًا في أنفسهم إذا كان ما قضى به الرسول ثقيلًا عليهم، لا يكون فيه حرج، بل تطمئن نفوسهم بهذا؛ لأنه الحق.

....

ش: وقال أبو طالب عن أحمد: وقيل له: إن قومًا يدعون الحديث، ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره، فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث، وعرفوا الإسناد وصحته، يدعونه، ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]. أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الكفر. قال الله -تعالى-: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة:٢١٧]، فيدعون الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي. ذكر ذلك عنه شيخ الإسلام[١].

قوله: (عَرَفُوا الإسنادَ)، أي: إسناد الحديث وصحته، فإن صح إسناد الحديث، فهو صحيح عند أهل الحديث وغيرهم من العلماء.

وسفيان: هو الثوري، الإمام الزاهد العابد الثقة الفقيه[٢]، وكان له أصحاب يأخذون عنه، ومذهبه مشهور، يذكره العلماء في الكتب التي يذكر فيها مذاهب الأئمة؛ كالتمهيد لابن عبد البر، والاستذكار له، وكتاب الإشراف على مذاهب الأشراف لابن المنذر، والمحلى لابن حزم، والمغني لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة الحنبلي، وغير هؤلاء.

---

(١) انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٥٦- ٥٧).

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الثوري، من أهل الكوفة، ولد سنة سبع وتسعين، كان من كبار أئمة المسلمين لا يختلف في إمامته وأمانته وحفظه وعلمه وزهده، توفي سنة إحدى وستين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٣٥٠)، وحلية الأولياء (٦/ ٣٥٦) وتاريخ بغداد (٩/ ١٥٣)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩)، وطبقات الحفاظ (ص٩٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أبو طالب عن أحمد)**، أبو طالب: من أصحاب الإمام أحمد ومن تلاميذه، حنبلي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره)**، سفيان الثوري، وهناك سفيان بن عيينة، سفيان الثوري في العراق، وسفيان بن عيينة في مكة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة:٢١٧])**، الفتنة: الكفر -والعياذ بالله- والردة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ذكر ذلك عنه شيخ الإسلام)**، شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإذا صح إسناد الحديث، فهو صحيح عند أهل الحديث وغيرهم من العلماء)، إذا صح الحديث -سند الحديث برجاله الثقات- عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخذوا به، وإن كان في بعض رجاله مقال أو ضعف أو سوء حفظ، فإنهم لا يعتمدون عليه؛ حفظًا لدينهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وسفيان: هو الثوري، الإمام الزاهد العابد الثقة الفقيه)**، السفيانان: سفيان بن عيينة في مكة، وسفيان الثوري في العراق، هذان هما السفيانان إذا قيل: السفيانان. والحمادان: حماد بن زيد، وحماد بن سلمة. هذا إذا قالوا: الحمادان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يذكره العلماء في الكتب التي يذكر فيها مذاهب الأئمة، كالتمهيد لابن عبد البر، والاستذكار له، وكتاب الإشراف على مذاهب الأشراف لابن المنذر، والمحلى لابن حزم، والمغنى لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن**

قدامة الحنبلي)، يرون فيها أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأسانيدها. هكذا ضبط أقوال أهل العلم، لها دواوين معروفة، ولا يؤخذ بها إلا إذا وافقت الدليل من الكتاب والسنة.

بعض الناس يقول: مادام قال به فلان، فاللوم عليه هو، أنا أخذ بقوله، واللوم عليه هو، نقول: اللوم عليك أنت؛ هو مجتهد يصيب ويخطئ، فأنت لاتأخذ بقوله قضية مسلمة، إذا كنت لا تحسن الاختيار، فاسأل أهل العلم الذين يعرفون القول الصحيح من غيره، ولم يبق لك عذر في هذا.

....

ش: فقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَجِبْتُ لِقَومٍ عَرَفُوا الإسنادَ وَصِحَّتَهُ... إلخ) إنكار منه لذلك، وأنه يؤول إلى زيغ القلوب، الذي يكون به المرء كافرًا.

وقد عمت البلوى بهذا المنكر، خصوصًا ممن ينتسب إلى العلم، نصبوا الحبائل في الصد عن الأخذ بالكتاب والسنة، وصدوا الناس عن متابعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيم أمره ونهيه، فمن ذلك قولهم: لا يستدل بالكتاب والسنة إلا المجتهد، والاجتهاد قد انقطع.

ويقول: هذا الذي قلدته أعلم منك بالحديث وبناسخه ومنسوخه، ونحو ذلك من الأقوال التي غايتها ترك متابعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى، والاعتماد على قول من يجوز عليه الخطأ، وغيره من الأئمة يخالفه، ويمنع قوله بدليل، فما من إمام إلا والذي معه بعض العلم لا كله.

فالواجب على كل مكلف إذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفهم معنى ذلك أن ينتهي إليه، ويعمل به، وإن خالفه من خالفه؛ كما قال -تعالى-: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [العنكبوت:٥١].

وقد تقدم حكاية الإجماع على ذلك، وبيان أن المقلد ليس من أهل العلم، وقد حكى -أيضًا- أبو عمر ابن عبد البر وغيره الإجماع على ذلك(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فقول الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَجِبْتُ لِقَومٍ عَرَفُوا الإسنادَ وَصِحَّتَهُ... إلخ)**. إنكار منه لذلك، وأنه يؤول إلى زيغ القلوب)، فالذي يترك العمل بالدليل إلى أقوال العلماء التي لا دليل عليها، وإنما هي اجتهاد منهم، يبتلى بالزيغ -والعياذ بالله.

فهذا العامل الذي يأخذ ما يوافق هواه -ولو خالف الدليل- هذا يصاب بالزيغ؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥]، فمن زاغ عن الحق إلى الباطل -لأنه يوافق هواه-، فإنه يزيغ الله قلبه -والعياذ بالله-؛ عقوبة له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد عمت البلوى بهذا المنكر، خصوصًا ممن ينتسب إلى العلم)**، انتبهوا!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن ذلك قولهم: لا يستدل بالكتاب والسنة إلا المجتهد. والاجتهاد قد انقطع)**، قالوا: إن الاجتهاد انقطع؛ لأن العلماء الذين يبلغون حد الاجتهاد ماتوا، وانقطعوا، ونحن نأخذ من أقوالهم، ليس لنا سبيل إلا أن نأخذ من أقوالهم.

---

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٧).

نقول: نعم، خذوا من أقوالهم ما وافق الدليل، هم ليسوا مشرعين، إنما هم مجتهدون، فخذوا من أقوالهم ما وافق الدليل، إذا لم تعرفوا، فاسألوا أهل العلم عن ذلك.

هذا قول باطل، إذا قيل لهم: أين الدليل؟ قالوا: ليس عندنا استطاعة للدليل، هذا انقطع، انقطع القول بالدليل، نحن نأخذ بأقوال الفقهاء، ولو لم نعرف دليلها، ما دام أنه قول عالم ومجتهد، نأخذ به، وليس عندنا استطاعة لمعرفة الدليل، هذا انقطع، أهله ماتوا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويقول: هذا الذي قلدته أعلم منك بالحديث وبناسخه ومنسوخه)**، إذا أنكر عليه أحد أخذه بقول فلان أو علان من العلماء، أنكر عليه ذلك، قال: هو أعلم مني ومنك. ولو كان أعلم مني ومنك ليس معصومًا، قد يخطئ، لا يكفي أنه أعلم مني ومنك، العصمة إنما هي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى؛ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤].

فهذا الذي إذا أنكر عليه العالم تقليده، قال: الذي قلدته أعلم منك، لا يقول: جزاك الله خيرًا، وهذا هو الواجب، لا، يقول: أنا قلدت عالم أعلم منك. العالم الذي هو أعلم مني ألا يخطئ، ألا يخفى عليه بعض الأمور، هل هو معصوم؟!!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ونحو ذلك من الأقوال التي غايتها ترك متابعة الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الذي لا ينطق عن الهوى، والاعتماد على قول من يجوز عليه**

الخطأ)، كل عالم يجوز عليه الخطأ، إلا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقول إلا بالوحي؛ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والاعتماد على قول من يجوز عليه الخطأ)**، يبحثون عن أقوال العلماء، ويأخذون بما يوافق هواهم، ولا يسألون عن دليله ومستنده، ولا يحرصون؛ لأنه ربما يتبين أنه ليس له دليل، وهم يريدون هذا القول؛ لأنه يوافق هواهم، فلا يبحثون عن هذا، ولا يسألون عنه، ما دام قال به عالم من العلماء، فهذا عذري.

الله لم يتعبدك بأقوال العلماء، تعبدك بقوله وقول نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقوال العلماء تعرض على الأدلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والاعتماد على قول من يجوز عليه الخطأ، وغيره من الأئمة يخالفه، ويمنع قوله بدليل)**، لماذا تأخذ بقول هذا العالم وتترك من خالفه من العلماء إلا لأنه خالف هواك؟ ما دام خالفه أحد من العلماء، فعليك أن تسأل: أيهما أصح: قول فلان أو قول فلان؟ لأجل أن تأخذ بالصحيح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فما من إمام إلا والذي معه بعض العلم لا كله)**، ما من إمام، فكيف بطالب العلم؟! الإمام معه بعض العلم، وليس كل العلم؛ ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

مهما بلغ العالم، فإنه لا يحيط بالعلم، العلم أوسع من هذا، العلم بحر غزير.

إِنَّمَا العِلْمُ كَبَحْرٍ زَاخِرٍ فخذ من كل قول أعدله(١)

---

(١) الشطر الأول من البيت ينسب للإمام الشافعي كما في شرح البخاري للسفيري (٢/ ٨٩).

الله جَلَّوَعَلَا عاب على اليهود والنصارى، فقال: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [التوبة:٣١]، فمهما بلغ العالم من العلم ومن الرتبة والشرف، فليس بمعصوم، فقد يخطئ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالواجب على كل مكلف إذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وفهم معنى ذلك أن ينتهي إليه، ويعمل به، وإن خالفه من خالفه)**، إذا عرفت دليل القول من أقوال العلماء ومستنده، فخذ به -ولو خالفه من خالفه-؛ لأن الحجة مع من معه الدليل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾** [الأعراف:٣])، ﴿ ٱتَّبِعُواْ ﴾: هذا أمرٌ من الله جَلَّوَعَلَا لنا: للأولين والآخرين، ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الأعراف:٣].

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ على لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نتبع المنزل، لا نتبع الاجتهاد، إنما نتبع الاجتهاد إذا استند إلى المنزل من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمسألة مسألة ذمة ومسؤولية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾** [الأعراف:٣])، والذي أُنزل إلينا من ربنا هو كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن ما يقوله الرسول وحيٌ من الله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣، ٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى:** ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت:٥١])، فالكتاب يكفي وهو القرآن، والسنة مفسرة للقرآن ومبينة له.

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ ﴾، يكفي العالم كلهم.

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾، هذا يكفي كل مسلم: الكتاب وهو القرآن، والسنة النبوية؛ لأنها مفسرة للقرآن، وهي وحي من الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد تقدم حكاية الإجماع على ذلك، وبيان أن المقلد ليس من أهل العلم**)؛ أن المقلد الذي لا يعتمد على الدليل الصحيح، إنما يقلد العلماء ويقول بقولهم، يقولون: هذا ليس بعالم، إنما العالم الذي يأخذ القول بدليله، والحكم بدليله.

فالمقلد الذي يأخذ أقوال الفقهاء ليس من العلماء. العالم هو الذي يعرف القول بدليله من الكتاب والسنة، هذا هو العالم الحقيقي، أما المقلد فلا يعتبرونه عالمًا.

....

ش: قلت: ولا يخالف في ذلك إلا جهال المقلدة؛ لجهلهم بالكتاب والسنة، ورغبتهم عنهما، وهؤلاء وإن ظنوا أنهم قد اتبعوا الأئمة، فإنهم في الحقيقة قد خالفوهم، واتبعوا غير سبيلهم؛ كما قدمنا من قول مالك والشافعي وأحمد.

لكن في كلام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إشارة إلى أنَّ التقليد قبل بلوغ الحجة لا يذم، وإنما ينكر على من بلغته الحجة، وخالفها؛ لقول إمام من الأئمة، وذلك إنما نشأ عن الإعراض عن تدبر كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإقبال على كتب من تأخر، والاستغناء بها عن الوحيين، وهذا يشبه ما وقع من أهل الكتاب الذين قال الله فيهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]؛ كما سيأتي بيان ذلك في حديث عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قلت: ولا يخالف في ذلك إلا جهال المقلدة)، يقول الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا يخالف في ذلك إلا جهال المقلدة؛ لجهلهم بالكتاب والسنة، ورغبتهم عنهما، وهؤلاء وإن ظنوا أنهم قد اتبعوا الأئمة، فإنهم في الحقيقة قد خالفوهم، واتبعوا غير سبيلهم؛ كما قدمنا من قول مالك والشافعي وأحمد)، الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»، فهو

يتبع الحديث الصحيح، فما وافق الدليل من أقوال أهل العلم المجتهدين يؤخذ به، يأخذ به المحتاج الذي لا يقدر على الأخذ مما أخذوا، ولا يأخذ أقوال العلماء على الفور من غير تمحيص ومن غير سؤال عنها، ومن غير مراجعة للكتب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لكن في كلام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **إشارة إلى أنَّ التقليد قبل بلوغ الحجة لا يذم، وإنما ينكر على من بلغته الحجة، وخالفها؛ لقول إمام من الأئمة)**، فالتقليد إنما يصار إليه لمن لا يعرف الدليل ومستنده وهو محتاج، لابأس أن يقلد في بعض المسائل إلى أن يقدر على معرفة الأقوال الراجحة والمرجوحة والصحيحة وغير الصحيحة؛ لأن المسألة مسألة ذمة، ذمتك أنت، ليست ذمة الذي قلدته، فلا تتبع إلا ما صح به الدليل وإذا لم تعرف، اسأل أهل العلم؛ ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْـلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

أنت لست في متاهة -والحمد لله-، عندك الكتاب والسنة، ثم عندك العلماء الربانيون، فأنت تسير مع الطريق الصحيح الموصل إلى الله إذا أحسنت السير، وحرصت على الحق وبحثت عنه، فإنك توفق- بإذن الله-، ولو أخطأت في بعض الأشياء، فخطؤك مغفور؛ لأن هذا منتهى قدرتك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك إنما نشأ عن الإعراض عن تدبر كتاب الله وسنة رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **والإقبال على كتب من تأخر، والاستغناء بها عن الوحيين)**، الكتب كل ما تقدم منها فهو أصح منها من المتأخر؛ فعليك بالأخذ بالقديم مهما أمكنك ذلك من كتب أهل العلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا يشبه ما وقع من أهل الكتاب الذين قال الله فيهم:** ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ **[التوبة:٣١])**، ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ ﴾، أي: اليهود والنصارى، أهل الكتاب: اليهود والنصارى.

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ ﴾ [التوبة:٣١]، والحبر: هو العالم عندهم، والراهب: هو العابد، فهم يقلدون الأحبار والرهبان، هذه طريقة اليهود والنصارى.

أما المسلمون، فإنما يتبعون الكتاب والسنة، ولا يأخذون من أقوال الأحبار والرهبان إلا ما وافق الدليل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما سيأتي بيان ذلك في حديث عدي بن حاتم** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**)**، عدي بن حاتم لما سمع الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ ﴾ [التوبة:٣١]؛ لأن عدي بن حاتم، كان حاتم الجواد المشهور كان نصرانيًّا، وابنه عدي أسلم، وصار صحابيًّا من صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو عدي بن حاتم.

قال: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، يَا رَسُولَ اللهِ. لما سمع قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ ﴾ [التوبة:٣١]، يعني: اليهود والنصارى، وهو كان نصرانيًّا.

قال: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ! فَقَالَ: «**أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ؟**» قال: بَلَى، قال: «**أَلَيْسَ يُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟**» قال: بَلَى، قَالَ: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**»[١].

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٦١).

قال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**»، ليست عبادتهم أنك تركع له وتسجد له وتدعوه، إنما إذا اتبعته من غير دليل إلا أنه يوافق هواك، هذه عبادتهم؛ ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

....

ش: **فيجب على من نصح نفسه إذا قرأ كتب العلماء، ونظر فيها، وعرف أقوالهم، فليعرضها على ما في الكتاب والسنة، فإنَّ كل مجتهد من العلماء ومن تبعه وانتسب إلى مذهبه لابد أن يذكر دليله. والحق في المسألة واحد، والأئمة مثابون على اجتهادهم، فالمصنف يجعل النظر في كلامهم وتأمله طريقًا إلى معرفة المسائل واستحضارها ذهنًا وتمييزًا للصواب من الخطأ بالأدلة، التي يذكرها المستدلون، وتعرف بذلك من هو أسعد بالدليل من العلماء، فيتبعه.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فيجب على من نصح نفسه إذا قرأ كتب العلماء، ونظر فيها، وعرف أقوالهم فليعرضها على ما في الكتاب والسنة)**، لا تأخذه قولًا مجردًا حتى تعرف دليله، فإن كنت لا تعرف دليله، اسأل أهل العلم؛ حتى تكون على بصيرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والحق في المسألة واحد)**، الحق لا يتعدد واحد، فمن أصاب الدليل، فهو على الحق، ومن خالف الدليل، فهو مخطئ للحق، لكن إن كان مجتهدًا فقد يعذر، وإن كان غير مجتهد، وإنما يأخذ ما يوافق هواه، فهو ضال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والأئمة مثابون على اجتهادهم)**، مثابون على اجتهادهم؛ من أصاب فله أجران، ومن أخطأ له أجر واحد، والخطأ مغفور.

....

ش: والأدلة على هذا الأصل في كتاب الله أكثر من أن تحصى وفي السنة كذلك؛ كما أخرج أبو داود بسنده عن أناس من أصحاب معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟ قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللهِ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا فِي كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، وَلَا آلُو. قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ، وَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ، رَسُولِ اللهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللهِ».

وساق بإسناده عن الحارث ابن عمر عن أناس من أصحاب معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعثه إلى اليمن. بمعناه[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عن أناس من أصحاب معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟ قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللهِ)، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أراد أن يبعث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن قاضيا ومعلما -وكان شابًّا عالمًا تقيًّا-، سأله: كيف يقضي بين الناس؛ لأنه بعثه قاضيًا وداعيًا ومعلمًا. قال له: كيف تقضي؟ يختبره.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٩٢، ٣٥٩٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ: كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟ قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللهِ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَلَا فِي كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، وَلَا آلُو**)، هذا كلام معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الإجابة للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يختبره قبل أن يرسله، وهكذا يجب أن يختبر القاضي قبل أن يرسل ويولى القضاء، يختبر عند المرجع الذي يعين القضاة، يختبره أولًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، وَلَا آلُو**)، «**وَلَا آلُو**» يعني: ولا أقصر في الاجتهاد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **صَدْرَهُ، وَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ، رَسُولِ اللهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللهِ**)، نجح في الاختبار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فأثنى عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودعا له.

....

ش: والأئمة رحمهم الله لم يقصروا في البيان، بل نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السنة؛ لعلمهم أن من العلم شيئًا لم يعلموه، وقد يبلغ غيرهم، وذلك كثير؛ كما لا يخفى على من نظر في أقوال العلماء.

قال أبو حنيفة رحمه الله: (إذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة رضي الله عنهم، فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين، فنحن رجال، وهم رجال)(١).

وقال: (إذا قلت قولًا وكتاب الله يخالفه، فاتركوا قولي لكتاب الله. قيل: إذا كان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالفه؟ قال: واتركوا قولي لخبر الرسول صلى الله عليه وسلم. قيل إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: واتركوا قولي لقول الصحابة رضي الله عنهم)(٢).

وقال الربيع: سمعت الشافعي رحمه الله يقول: (إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعوا ما قلت)(٣).

---

(١) أخرج البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص١١١) نحو هذا الأثر، وفيه: (إذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نختار من قولهم، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم). وانظر: الإحكام لابن حزم (٤/ ١٨٨)، والانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء للقرطبي (ص١٤٤)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ٩٩٠).

(٢) انظر: إرشاد النقاد للأمير الصنعاني (ص١٤١-١٤٢)، وعقد الجيد للدهلوي (ص٢٢).

(٣) أخرجه البيهقي في الخلافيات بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه (٢/ ٣٣٦)، =

وقال: (إذا صح الحديث بما يخالف قولي، فاضربوا بقولي الحائط)(١).

وقال مالك: (كل أحدٍ يؤخذ من قوله، ويترك إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)(٢).

وتقدم له مثل ذلك، فلا عذر لمقلد بعد هذا.

ولو استقصينا كلام العلماء في هذا، لخرج بنا عما قصدناه من الاختصار، وفيما ذكرناه كفاية لطالب الهدى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والأئمة رَحِمَهُمُ اللَّهُ لم يقصروا في البيان، بل نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السنة؛ لعلمهم أن من العلم شيئًا لم يعلموه، وقد يبلغ غيرهم، وذلك كثير؛ كما لا يخفى على من نظر في أقوال العلماء)،

إنما العلم كبحر زاخر فخذ من كل قول أحسنه.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر:١٨]، فكن على هذا الطريق، لا تأخذ الأقوال قضية مسلمة، بل تمحصها، وتعرضها على الكتاب والسنة، وإذا لم يكن عندك مقدرة، فاسأل أهل العلم عنها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا جاء الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعلى الرأس والعين)، أبو حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أقدم الأئمة الأربعة،

= وفي المدخل إلى السنن الكبرى (ص٢٠٥)، وفي معرفة السنن والآثار (١/ ٢١٧)، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ٣٨٩)، والهروي في ذم الكلام وأهله (٣/ ١٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١/ ٣٨٦).

(١) ذكره ابن شبيب الحنبلي في صفة الفتوى (ص٣٨)، وفي صفة المفتي والمستفتي (ص٢٠٢)، وابن العطار في الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد (ص١٨٩)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢١١)، والذهبي في تذكرة الحفاظ (١/ ٢٦٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٧٧٤).

يقال: إنه أدرك بعض الصحابة، والصحيح: أنه لم يدرك أحدًا من الصحابة، وإنما أدرك التابعين، فهو من أتباع التابعين، وأقدم الأئمة الأربعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو حنيفة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إذا جاء الحديث عن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، **فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين، فنحن رجال، وهم رجال)**، القرن الأول والقرن الثاني على الرأس والعين، أما الثالث -وهم التابعون-، فأبو حنيفة يقول: هم رجال ونحن رجال، ومن هو أبو حنيفة؟ الإمام الجليل.

بعض الشباب يقول هذه الكلمة: «نحن رجال وهم رجال»، أين أنتم منهم؟ هم رجال، لكن أنت لست برجل علم، ولست مثلهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال: «إذا قلت قولًا وكتاب الله يخالفه»)**، هذا أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(«قيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: واتركوا قولي لقول الصحابة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ**»)**، يقدمون قول الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ على قول أبي حنيفة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال: «إذا صح الحديث بما يخالف قولي، فاضربوا بقولي الحائط»)**، هذا قول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اضربوا بقولي عرض الحائط إذا خالف قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال مالك: «كل أحدٍ يؤخذ من قوله، ويترك إلا رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»)**، يقول مالك: «كُلُّنا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر»، يعني: رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه في المسجد النبوي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولو استقصينا كلام العلماء في هذا، لخرج بنا عما قصدناه من الاختصار، وفيما ذكرناه كفاية لطالب الهدى)**، الحمد لله.

....

ش: قوله: (لَعَلَّهُ إذا رَدَّ بعضَ قَولِهِ)، أي: قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (أَنْ يَقَعَ في قَلْبِهِ شيء مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ). نبه رَحِمَهُ اللَّهُ أن رد قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبب لزيغ القلب، وذلك هو الهلاك في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف:٥].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى قول الله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ [النور:٦٣]، فإن كان المخالف عن أمره قد حُذر من الكفر والشرك، أو من العذاب الأليم، دل على أنه قد يكون مفضيًا إلى الكفر والعذاب الأليم. ومعلوم أن إفضاءه إلى العذاب الأليم هو مجرد فعل المعصية، فإفضاؤه إلى الكفر إنما هو لما يقترن به من الاستخفاف في حق الآمر؛ كما فعل إبليس لعنه الله تعالى. اهـ[(١)].

وقال أبو جعفر ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ عن الضحاك: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [النور:٦٣] قال: يطبع على قلبه، فلا يؤمن أن يظهر الكفر بلسانه، فتضرب عنقه.

قال أبو جعفر بن جرير: أدخلت (عن)؛ لأن معنى الكلام: فليحذر الذين يلوذون عن أمره، ويدبرون عنه معرضين[(٢)].

---

(١) انظر: الصارم المسلول (ص٥٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٩١-٣٩٢).

قوله: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ﴾ في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع على خلافهم أمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «لَعَلَّهُ إذا رَدَّ بَعضَ قَولِهِ». أي: قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنْ يَقَعَ في قَلْبِهِ شيء مِنَ الزَّيْغ فَيَهْلِكَ»)، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾: أمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، فمن بلغه قول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يجب عليه أن يأخذه، ويقبله، ولو خالف هواه ورغبته؛ لأن الخير فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (نبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن رد قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبب لزيغ القلب، وذلك هو الهلاك في الدنيا والآخرة)، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]، لما زاغوا عن الحق متعمدين، ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: فسدت قلوبهم -والعياذ بالله-، وضلت، صارت زائغة، لا تقبل الحق بعد ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥])، فهم السبب، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، هم السبب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال أبو جعفر)، الطبري.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال أبو جعفر بن جرير: أدخلت «عن»)، أدخلت «عن» في الآية: ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور:٦٣].

وَعَنْ عَدِيِّ بنِ حَاتِم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«أَنَّهُ سَمِعَ النبيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقْرأُ هَذِه الآيةَ:** ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]. **فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُم. قَالَ: أَلَيْسَ يُحَرِّمُوْنَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّوْنَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّوْنَهُ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم». رَوَاهُ أَحْمَدُ والترمذيُّ وَحَسَّنَهُ**[1].

ش: هذا الحديث قد روي من طرق، رواه ابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني، وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي.

قوله: (وَعَنْ عَدِيٍّ بنِ حَاتِم). أي: الطائي المشهور.

وحاتم: هو ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج -بفتح الحاء- المشهور بالسخاء والكرم. قدم عدي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شعبان سنة تسع من الهجرة. فأسلم وعاش مائة وعشرين سنة[2].

---

(١) أخرجه الترمذي بنحو هذا اللفظ (٣٠٩٥)، والطبري في تفسيره (١١/ ٤١٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٨٤)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٩٢)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩٨).

(٢) انظر في ترجمته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/ ٢١٩٠)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٠٥٧)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٢)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٦٧٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ)**، يقول عدي بن حاتم للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وكان نصرانيًّا قبل أن يسلم-: «إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ»: إنا لسنا نعبد العلماء، قَالَ: **أَلَيْسَ يُحَرِّمُوْنَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّوْنَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّوْنَهُ؟** فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم**»، طاعتهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحلَّ الله هذه عبادة، هذه عبادتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحاتم: هو ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج -بفتح الحاء- المشهور بالسخاء والكرم)**، حاتم الطائي مشهور بالكرم.

....

ش: وفي الحديث دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

ونظير ذلك قوله -سبحانه-: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١]، وهذا قد وقع فيه كثير من الناس مع من قلدوهم؛ لعدم اعتبارهم الدليل إذا خالف المقلد، وهو من هذا الشرك.

ومنهم من يغلو في ذلك، ويعتقد أن الأخذ بالدليل والحالة هذه يكره، أو يحرم، فعظمت الفتنة، ويقول: هم أعلم منا بالأدلة، ولا يأخذ بالدليل إلا المجتهد، وربما تفوهوا بذم من يعمل بالدليل، ولا ريب أن هذا من غربة الإسلام؛ كما قال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسائل.

فتغيرت الأحوال، وآلت إلى هذه الغاية، فصار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، ويسمونها ولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه. ثم تغيرت الحال إلى أن عُبد من ليس من الصالحين، وعُبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

وأما طاعة الأمراء ومتابعتهم فيما يخالف ما شرعه الله ورسوله، فقد عمت بها البلوى قديمًا وحديثًا في أكثر الولاة بعد الخلفاء الراشدين، وهلم

جرًّا. وقد قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص:٥٠].

وَعَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ قَالَ: قَالَ لِيّ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «هَلْ تَعْرِفُ مَا يَهْدِمُ الإِسْلَامَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ، وَحُكْمُ الأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ». رواه الدارمي أيضًا[1]. جعلنا الله وإياكم من الذين يهدون بالحق، وبه يعدلون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي الحديث دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله)، «أَلَيْسَ يُحَرِّمُوْنَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّوْنَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّوْنَهُ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله)، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨]، فإذا مات الإنسان على الشرك الأكبر، فإنه لا يغفر له، بخلاف الذنوب التي دون الشرك؛ فإنها على رجاء المغفرة، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ ما دون الشرك، ﴿لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ونظير ذلك قوله -سبحانه-: ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٢٩٥)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٥٢٨)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٩٦)، والبيهقي في المدخل للسنن الكبرى (١/ ٤٤٣)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٧٩، ٩٨٠).

وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٢١])، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾، يعني: عند الذبح، فلابد من ذكر اسم الله عليه؛ حتى يكون حلالًا، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾، أي: خروج عن طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾، ماذا يقولون؟ يقولون لهم: أنتم تستحلون ما ذبحتم بأيديكم، ولا تستحلون ما ذبحه الله، يسمون الميتة ذبيحة الله، يقولون: الله ذبحها بِشِمْشيرٍ من الذهب(١). هكذا يفترون على الله عَزَّوَجَلَّ أنه ذبح الميتة؛ فهي حلال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام:١٢١])، هذه الكلمة، يقولون: أنتم تأكلون مما ذبحتم، ولا تأكلون مما ذبح الله، وهي الميتة، فإن الشياطين يوحون لهم بهذا، شياطين الإنس والجن، ليس بلازم أنهم شياطين الجن، بل شياطين الإنس -أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٢١])، هذا من شرك الطاعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا قد وقع فيه كثير من الناس مع من قلدوهم)**، مع من قلدوهم؛ ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٥٢٠)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنهم من يغلو في ذلك، ويعتقد أن الأخذ بالدليل والحالة هذه يكره، أو يحرم، فعظمت الفتنة)**، يقولون: أنتم لا تعرفون الدليل، مات الذين يعرفون الدليل، ليس لكم إلا أن تقلدوا.

يا سبحان الله! هل العلم انتهى ومات؟!

العلم باق -ولله الحمد-، ولا يرفع إلا في آخر الزمان عند قيام الساعة، من طلبه وأراده، موجود، والحمد لله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا ريب أن هذا من غربة الإسلام؛ كما قال شيخنا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في المسائل)**، شيخنا، يعني: الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد قال -تعالى-: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾** [القصص:٥٠])، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ﴾: هذا في كل وقت وفي كل زمان، ليس في وقت نزول القرآن فقط. الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تجب طاعته والاستجابة له أن تقوم الساعة، لا يجوز العدول عن قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قول غيره كائنًا من كان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَعَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ قَالَ: قَالَ لِيّ عُمَرُ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«هَلْ تَعْرِفُ مَا يَهْدِمُ الإِسْلَامَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ وَحُكْمُ الأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ»)**، هذه الثلاثة هي التي تهدم الإسلام.

الأولى: (زَلَّةُ الْعَالِمِ)، العالم ليس معصومًا، يزل ويخطئ، ولا يجوز لنا أن نقول: هذا قول فلان العالم الفلاني، لا؛ إن كان قوله يوافق الدليل، أخذنا به وإلا تركناه، وإن كان من أجلّ العلماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَجِـدَالُ المُنَافِقِ بِالْكِتَابِ**)، وهذه المصيبة أن هناك المنافقين الذين يظهرون الإسلام، وهم يبطنون الكفر، ويجادلون بالقرآن؛ لأجل أن يقبل قولهم، فلا يقبل. وإن جادل بالقرآن، لا يقبل هذا؛ لأنه منافق، والمنافق هو الكافر، لكنه يظهر الإسلام بلسانه، وهو كافر في قلبه، هذا الكفر الاعتقادي. أما الكفر العملي، فلا، لا يصل إلى حد الكفر؛ «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[1]، هذا النفاق العملي وليس النفاق الاعتقادي.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣، ٢٦٨٢، ٢٧٤٩، ٦٠٩٥)، ومسلم (٥٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النُّورِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةِ.

الثَّالِثَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى الْعِبَادَةِ الَّتِي أَنْكَرَهَا عَدِيٌّ.

الرَّابِعَةُ: تَمْثِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وتَمْثِيلُ أَحْمَدَ بِسُفْيَانَ.

الْخَامِسَةُ: تَغَيُّرُ الْأَحْوَالِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ، حَتَّى صَارَ عِنْدَ الْأَكْثَرِ عِبَادَةُ الرُّهْبَانِ هِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، وَتُسَمَّى الْوِلَايَةَ، وَعِبَادَةُ الْأَحْبَارِ هِيَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ، ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الْحَالُ إِلَى أَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَيْسَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَعُبِدَ بِالْمَعْنَى الثَّانِي مَنْ هُوَ مِنَ الْجَاهِلِينَ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ: الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النُّورِ**)، وهي قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

﴿فَلْيَحْذَرِ﴾: هذه لام الأمر، والفعل مجزوم بها.

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾، أي: أمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، أحد أمرين:

- ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾، هذه أشد، وهي الشرك، ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾، يعني: الشرك -كما يأتي.

- ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم، وهذا أخف من الشرك.

وعلى كل حال هذا فيه التحذير من مخالفة أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فمن بلغه أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصح سنده، فليس له خيار فيه -إن شاء فعل، وإن شاء ترك-، بل يلزمه أن يعمل بقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةٍ)**، سورة التوبة، وهي قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ ﴾، أي: اليهود.

﴿ وَرُهْبَانَهُمْ ﴾، أي: النصارى، فالأحبار من اليهود والرهبان، يعني: العباد من النصارى.

ولا شك أن الأحبار أكثر علمًا من الرهبان، ومع هذا عاب الله عليهم أنهم يأخذون أقوال أحبارهم ورهبانهم، ويعملون به، ولا يأخذون أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا فيه تحذير ممن يقدم أقوال العلماء والعباد على قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الثَّالِثَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى الْعِبَادَةِ الَّتِي أَنْكَرَهَا عَدِيٌّ)**، لما سمع عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان نصرانيًّا من نصارى طيء مثل أبيه، ثم أسلم؛ منَّ الله عليه بالإسلام وأسلم عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان قائدًا من قواد جيوش المسلمين.

لما سمع هذه الآية: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ [التوبة:٣١]، قال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ! فهم أن اتخاذهم أربابًا هو عبادتهم، فهم هذا، فبين له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذا ليس هو المراد.

فَقَالَ له: «**أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ؟**» قال: بَلَى، قال: «**أَلَيْسَ يُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟**» قال: بَلَى، قَالَ: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**»[1]، ففسر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبادة الأحبار والرهبان بأنه تحليل الحرام وتحريم الحلال؛ يغيرون أحكام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيطيعونهم في ذلك.

«**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**»؛ لأنه لا يحلل ولا يحرم إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والرسول مبلغٌ عن الله جَلَّ وَعَلَا، التحليل والتحريم يرجع إلى الله، هو الذي يحلل ويحرم على حسب ما تقتضيه حكمته وعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: تَمْثِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**)، تمثيل ابن عباس، ابن عباس مثل طاعتهم للعلماء والأمراء بقوله: «يُوْشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ»، لماذا؟ قال: «أَقُوْلُ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ! وَتَقُوْلُوْنَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟!»[2].

«يُوْشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ»؛ عقوبة لهم، الذي يقدم قول أبي بكر وقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فكيف بالذي يقدم من ليس كذلك، من ليس عنده علم، كيف بذلك؟!

لا يقدم على قول الله ورسوله قول أحد كائنًا من كان، قال لهم هذا بمناسبة أنهم يرون منع فسخ الحج إلى العمرة؛ فلا يرون ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ من أجل أن يعمر البيت، يخافون إذا جمع بين الحج والعمرة أنه لا يأتي إلى العمرة مرة ثانية على مدار السنة، فيهجر البيت بسبب ذلك، هذا مرادهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٦١).

(٢) سبق تخريجه (ص٧٦٢).

ومع هذا قال ابن عباس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا هذه المقالة، الرسول أمرهم أن يفسخوا حجهم إلى عمرة في حجة الوداع، أن يجعلوها عمرة، ويتحللوا من إحرامهم الحل الكامل، ثم يحرمون بالحج متمتعين.

أبو بكر وعمر رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا يرون أنه لا يتمتع بالعمرة إلى الحج؛ لأجل أن يعمر البيت في سائر السنة؛ لأنهم إذا جمعوا بينهم في سفرة واحدة للحج -يقولون- يتعطل زيارة البيت، هذا قصدهم، ولكن هذا لا يعارض به أمر الله ورسوله.

«أَقُوْلُ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ!»، الرسول أمر بفسخ الحج إلى العمرة؛ «وَتَقُوْلُوْنَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟!».

قوله رَحِمَهُاللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: تَمْثِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَتَمْثِيلُ أَحْمَدَ بِسُفْيَانَ**)، وتمثيل أحمد بسفيان الثوري؛ سفيان الثوري إمام التابعين، مثل به أنه لا يقدم قوله مع ما له من العلم وجلالة القدر لا يقدم قوله على قول رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يقول أحمد رَحِمَهُاللَّهُ: «عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ؛ وَيَذْهَبُوْنَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ!! وَاللهُ تَعَالَى يَقُوْلُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور:٦٣]. قال: أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ- أي قول الرسول صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلَكَ»(١)، فلايجوز رد قول الرسول صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ برأي عالم من العلماء، ولو كان أبا بكر وعمر.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٧٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: تَغَيُّرُ الْأَحْوَالِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ، حَتَّى صَارَ عِنْدَ الْأَكْثَرِ عِبَادَةُ الرُّهْبَانِ هِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، وَتُسَمَّى الْوِلَايَةَ**)، اتخذوا الأولياء والصالحين أربابًا من دون الله؛ من الغلو فيهم، يغلون فيهم حتى يعتقدوا فيهم أنهم ينفعون ويضرون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَعِبَادَةُ الْأَحْبَارِ هِيَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الحَالُ إِلَى أَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَيْسَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَعُبِدَ بِالمَعْنَى الثَّانِي مَنْ هُوَ مِنَ الجَاهِلِينَ**)، (عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَيْسَ مِنَ الصَّالِحِينَ): من ليس مثل أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إِلَى أَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَيْسَ مِنَ الصَّالِحِينَ**)، يعبدون أناسًا يعترفون أنهم ليسوا من الصالحين، وأنهم لم يركعوا لله ركعة، ولا يعرفون بدين، وإنما يقولون: هؤلاء أولياء، من أولياء الله، ولا حرج عليهم فيما يفعلون؛ لأنهم وصلوا، كذا تقول الصوفية في رؤسائهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَعُبِدَ بِالمَعْنَى الثَّانِي مَنْ هُوَ مِنَ الجَاهِلِينَ**)، (وَعُبِدَ بِالمَعْنَى الثَّانِي- وهو طاعة العلماء- مَنْ هُوَ مِنَ الجَاهِلِينَ): يعظمونه ويقولون: هذا له رؤيا. لا يصح هذا، هذا دين الله عَزَّ وَجَلَّ لا يتلاعب به، ولا يتساهل فيه، ويمنح العباد والرهبان يمنحون حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحق الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣٨- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:٦٠ -٦٢].

ش: قوله: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء:٦٠] **الآيات**).

قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: والآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا[(١)].

وتقدم ما ذكره العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في حده للطاغوت، وأنه كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

فكل من حاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد حاكم إلى الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكفروا به، فإن التحاكم ليس إلا إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن كان يحكم بهما، فمن تحاكم إلى غيرهما، فقد تجاوز به حده، وخرج عما شرعه الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنزله منزلة لا يستحقها.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٦).

وكذلك من عبد شيئًا دون الله، فإنما عبد الطاغوت، فإن كان المعبود صالحًا، صارت عبادة العابد له راجعة إلى الشيطان الذي أمره بها؛ كما قال -تعالى-: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [يونس:٢٨-٣٠]، وكقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ:٤٠، ٤١].

وإن كان ممن يدعو إلى عبادة نفسه، أو كان شجرًا أو حجرًا أو قبرًا أو غير ذلك مما يتخذه المشركون أصنامًا على صور الصالحين أو الملائكة أو غير ذلك، فهي من الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده أن يكفروا بعبادته، ويتبرؤوا منه، ومن عبادة كل معبود سوى الله كائنًا من كان.

وهذا كله من عمل الشيطان وتسويله، فهو الذي دعا إلى كل باطل، وزينه لمن فعله، وهذا ينافي التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

فالتوحيد هو: الكفر بكل طاغوت عبده العابدون من دون الله؛ كما قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤]، وكل من عبد غير الله، فقد جاوز به حده، وأعطاه من العبادة ما لا يستحقه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ قَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:٦٠-٦٢])، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [النساء:٦٣]، ﴿يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء:٦٣]، وهو النفاق -والعياذ بالله.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، هذا تهديد لهم، إذا أعرض عنهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فماذا يرجى لهم؟!

﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء:٦٣]، ﴿وَعِظْهُمْ﴾ عن هذا القول، ازجرهم عن هذا القول، ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء:٦٣].

ففيه أنه يجب بيان الحق وتوضيحه، ولا يجوز السكوت على جهل الجاهلين والمتعالمين، لابد من بيان الحق والصدع به، وتعليم الجاهل وتذكير الغافل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال العماد ابن كثير)، العماد: هذا لقبه، وإلا اسمه: إسماعيل، لكن يلقب بعماد الدين، اختصره المصنف، قال: العماد، وهو عماد الدين، هكذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال العماد ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **والآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل)**، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٦٠].

كانت بين يهودي وبين واحد من المنافقين خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، وقال المنافق: نتحاكم إلى عمر.

فجاءوا إلى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأخبروه بالواقع، فقال: أهكذا؟ قالوا: نعم، فسل السيف، وقتل هذا المنافق الذي يقول: نتحاكم إلى عمر ولا نتحاكم إلى الكتاب والسنة(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال العماد ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **والآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا)**، الطاغوت: مشتق من الطغيان، والطواغيت -كما قال ابن القيم- كثيرون، ورؤوسهم خمسة: إبليس- لعنه الله-، ومن عُبِد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن حكم بغير ما أنزل الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتقدم ما ذكره العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في حده للطاغوت، وأنه كل ما تجاوز به العبد حده)**، مأخوذ من الطغيان، فتجاوز الحد هذا طغيان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنه كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع)**، أو مطاع في غير طاعة الله، فهو طاغوت.

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٤)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٥١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فكل من حاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فقد حاكم إلى الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكفروا به، فإن التحاكم ليس إلا إلى كتاب الله وسنة رسوله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ومن كان يحكم بهما)**، التحاكم إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله، وإلى من يحكم بهما، لا من يحكم بالقوانين، أو يحكم بالأنظمة، ويقول: هذا أصلح للناس، وهذا....

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فمن تحاكم إلى غيرهما، فقد تجاوز به حده، وخرج عما شرعه الله ورسوله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وأنزله منزلة لا يستحقها)**، أنزل هذا الذي تحاكم إليه منزلة لا يستحقها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وكذلك من عبد شيئًا دون الله، فإنما عبد الطاغوت)**، وهذا أشد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فإن كان المعبود صالحًا، صارت عبادة العابد له راجعة إلى الشيطان الذي أمره بها)**؛ لأن المسلم التقي لا يرضى بذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما قال تعالى:** ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٢٨-٣٠])، هذه الآيات من سورة يونس.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾)، يعني: الزموا مكانكم ولا تتعدوه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾)، فرقنا بينهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾)، تبرءوا منهم في يوم القيامة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾)، قد يكونون ميتين، ويعبدونهم من دون الله، ميتين لا يدرون عنهم، ميتون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾)، ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ ﴾: تختبر ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ عملها الذي قدمته: هل هو صحيح أو غير صحيح؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾)، في هذا الموقف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١])، ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، الذين يعبدون الملائكة.

يسأل الله الملائكة: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ ﴾: ينزهون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾، يعني: الشياطين.

﴿ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠ ، ٤١]؛ لأن الجن شياطينهم الذين أمروهم بذلك، أما الملائكة فحاشا وكلا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن كان ممن يدعو إلى عبادة نفسه، أو كان شجرًا أو حجرًا أو قبرًا أو غير ذلك مما يتخذه المشركون أصنامًا على صور الصالحين أو الملائكة أو غير ذلك، فهي من الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده أن يكفروا بعبادته)**، كل ما عُبِدَ من دون الله فهو طاغوت، عبادتهم للطاغوت وليس عبادتهم لذلك الرجل الصالح، عبادتهم للذي أمرهم بهذا، وهو الشيطان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا كله من عمل الشيطان وتسويله، فهو الذي دعا إلى كل باطل، وزينه لمن فعله)**، الشيطان هو الذي زين هذا لبني آدم؛ لأنه عدوهم.

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦]، يحذرنا الله من هذا الشيطان، ولكن بعض الذين لا يفقهون لا ينتبهون لهذا التحذير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا ينافي التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله)**، دعوة الأولياء والصالحين تنافي التوحيد، فمن يدع غير الله -من حي أو ميت، أو جن أو إنس، أو حجر أو شجر-، فإن عبادته يوم القيامة تكون خسارة عليه؛ لأنه عبد ما لا يستحق العبادة، ووضع العبادة في غير موضعها، ولهذا يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣]؛ لأنه وضع العبادة في غير موضعها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالتوحيد هو: الكفر بكل طاغوت عبده العابدون من دون الله)**، هذا هو التوحيد الحق: الكفر بكل طاغوت عبده العابدون من دون الله؛ من الأحياء والأموات والقبور والأضرحة وغيرها، كلها طاغوت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى**: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤])، هذه ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه يصرح بالبراءة ممن يعبدون غير الله، يصرح بالبراءة؛ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾: من أتباعه.

﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ﴾ من البابليين الذين هم في عهد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾)؛ **تبرءوا من قومهم، ولم تأخذهم حمية الجاهلية على أن يدافعوا عنهم أو يتلطفوا معهم، بل قالوا**: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وهكذا المسلم، والدين ولاء وبراء، الدين هو الولاء والبراء.

وَمَا الدِّيْنُ إلاّ الحُبُ والبُغْضُ والوَلا ... كَذاكَ البَرا مِنْ كُلِ غاوٍ وآثِمِ[1]

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤])، **هذه ملة إبراهيم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وكل من عبد غير الله، فقد جاوز به حده**)، فقد جاوز به حده، فإن كان المعبود راض بهذا، فهو طاغوت، وإن لم يرض بهذا، فهو لم يعبده، وإنما عبد الطاغوت الذي هو الشيطان.

---

(١) هذا البيت لسليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انظر: منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع (ص٩٨).

قولـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكل مـن عبد غـير الله، فقد جاوز به حـده، وأعطاه من العبادة ما لا يسـتحقه)**، العبادة حقٌّ لله جَلَّ وَعَلَا، حقٌّ خالصٌ لله عَزَّوَجَلَّ؛ لا يعبد مـع الله أحد -كائنًـا مـن كان-؛ لا الملائكة، ولا الصالحـون، ولا الصحابة، ولا من جاء بعدهم.

....

ش: قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **الطاغوت: ما عُبِدَ من دون الله**(١).

وكذلك من دعا إلى تحكيم غير الله ورسوله، فقد ترك ما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورغب عنه، وجعل لله شريكًا في الطاعة، وخالف ما جاء به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أمره الله تعالى به في قوله: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة:٤٩]، وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

فمن خالف ما أمر الله به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله، أو طلب ذلك اتباعًا لما يهواه ويريده، فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه، وإن زعم أنه مؤمن، فإن الله تعالى أنكر على من أراد ذلك، وأكذبهم في زعمهم الإيمان؛ لما في ضمن قوله: ﴿يَزْعُمُونَ ﴾ من نفي إيمانهم، فإنَّ ﴿يَزْعُمُونَ ﴾ إنما يقال غالبًا لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب؛ لمخالفته لموجبها، وعمله بما ينافيها. يحقق هذا قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ﴾ [النساء:٦٠]؛ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد؛ كما في آية البقرة، فإن لم يحصل هذا الركن، لم يكن موحدًا. والتوحيد هو أساس الإيمان، الذي

---

(١) انظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ١١١)، والهداية الى بلوغ النهاية (٢/ ١٣٥٥)، وتفسير القرطبي (٥/ ٢٤٨).

تصلح به جميع الأعمال، وتفسد بعدمه؛ كما أن ذلك بينٌ في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦] الآية. وذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الطاغوت: ما عُبِدَ من دون الله)، ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠]، يعني: عُبد الطاغوت؛ في قراءة: (وَعُبُد الطَّاغُوتَ)(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكذلك من دعا إلى تحكيم غير الله ورسوله، فقد ترك ما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورغب عنه)، كذلك من يطلب التحاكم إلى القوانين الوضعية والأنظمة البشرية، ويترك حكم الله في كتابه وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويدعي أنه مسلم!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وخالف ما جاء به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أمره الله تعالى به في قوله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة:٤٩])، الله أمر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحكم بين الناس بما أنزل الله من الوحي، ولا يحكم بينهم برأيه أو بما عليه الناس، لا؛ يحكم بما أنزل الله، الكتاب والسنة فيهما الكفاية، ولله الحمد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥])، أقسم بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ

---

(١) انظر: (ص٢٠).

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: نفى عنهم الإيمان، ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، ﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، يعني: فيما اختلفوا فيه؛ من الشجار، وهو الخلاف.

﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، ﴿فِيمَا﴾: عام هذا، في كل خلاف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾)، ولا يكفي التحكيم، بل لابد أن يقتنعوا، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾: يكرهونه أو يستثقلونه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥])، يسلموا لله ولرسوله، ولا يعترضون، ويقولون: اذهب للقانونيين لينظروا فيه أو لفلان، أو حتى العلماء، يذهبون لهم لعلهم يغيرون هذا الحكم، وهو موافق للكتاب والسنة، يريدون أن يتخلصوا منه، فلا يجوز هذا، بل يقتنع بحكم الله ورسوله؛ لك أو عليك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فمن خالف ما أمر الله به رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله، أو طلب ذلك اتباعًا لما يهواه ويريده، فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه**)، هذا كفرٌ أكبر مخرج من الملة -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه، وإن زعم أنه مؤمن**)، وإن زعم أنه مؤمن؛ لأنه أبطل إيمانه بتحاكمه لغير كتاب الله وسنة رسوله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن الله تعالى أنكر على من أراد ذلك، وأكذبهم في زعمهم الإيمان)**؛ ﴿يَزْعُمُونَ﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ [النساء:٦٠]، زعم وليس حقيقة، ﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء:٦٠]: يزعمون هذا، ثم يناقضونه بتحاكمهم إلى غير ما أنزل الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يحقق هذا قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء:٦٠])**، بالطاغوت يعني، ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾، أُمروا أن يكفروا به، وهم يريدون أن يتحاكموا إليه، أين الامتثال؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يحقق هذا قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء:٦٠]؛ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد)**، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦]، قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله؛ لأن الإيمان لا يصح إلا بعد الكفر بالطاغوت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والتوحيد هو أساس الإيمان)**، التوحيد هو أصل الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما أن ذلك بينٌ في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦])**، هذا معنى «لا إله إلا الله»: الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

«لا إله إلا الله»، أي: لا معبود حقٌّ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن عبادة الله تحكيم كتابه، وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا من الإيمان بالله.

....

ش: قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

يبين -تعالى- في هذه الآية أن التحاكم إلى الطاغوت مما يأمر به الشيطان، ويزينه لمن أطاعه، ويبين أن ذلك مما أضل به الشيطان من أضله، وأكده بالمصدر، ووصفه بالبعد، فدل على أن ذلك من أعظم الضلال وأبعده عن الهدى. ففي هذه الآية أربعة أمور:

الأول: أنه من إرادة الشيطان.

الثاني: إنه ضلال.

الثالث: تأكيده بالمصدر.

الرابع: وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى.

فسبحان الله! ما أعظم هذا القرآن! وما أبلغه! وما أدله على أنه كلام رب العالمين! أوحاه إلى رسوله الكريم، وبلغه عبده الصادق الأمين -صلوات الله وسلامه عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠])، أن يبعدهم، يريد الشيطان إبليس -لعنه الله- وأعوان إبليس -شياطين الإنس والجن- يريدون أن يبعدوا المسلمين عن حكم الله ورسوله، وأن يجلبوا لهم حكم الطاغوت، ويقولون: هذا أصلح لكم، هذا أصلح للناس؛ ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:٦٢]،

هذا يعني: أن حكم الله لا يصلح، ولذلك هناك من يقول الآن: هذا لأمة سبقت، القرآن والسنة لأمة سبقت؛ فلابد أن نضع لنا أحكامًا جديدة، وأما هذه أمور مضت وسبقت لمن قبلنا؛ يريدون أن يعطلوا القرآن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يبين -تعالى- في هذه الآية أن التحاكم إلى الطاغوت مما يأمر به الشيطان، ويزينه لمن أطاعه)**، وليس خاصًّا بالشيطان من الجن، بل حتى شياطين الإنس، وهم أشد؛ لأن الله قدم ذكر شياطين الإنس على شياطين الجن، شياطين الإنس قدمهم على شياطين الجن لخطرهم؛ لخطر شياطين الإنس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويبين أن ذلك مما أضل به الشيطان من أضله، وأكده بالمصدر، ووصفه بالبعد، فدل على أن ذلك من أعظم الضلال وأبعده عن الهدى)**، ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا﴾ [النساء:٦٠]، أكده بالمصدر، وهو ﴿ضَلَٰلًۢا﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الأول: أنه من إرادة الشيطان)**؛ أن تحكيم القوانين من إرادة الشيطان، لا من إرادة الرحمن؛ الإرادة الشرعية يعني، الإرادة الشرعية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثاني: إنه ضلال)**، الثاني: أن ذلك ضلال؛ ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠]، ليس ضلالًا سهلًا؛ يبعدهم عن الحق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثالث: تأكيده بالمصدر)**: ﴿ضَلَٰلًۢا﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الرابع: وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى)، ﴿ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فسبحان الله! ما أعظم هذا القرآن! وما أبلغه! وما أدله على أنه كلام رب العالمين!)، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

....

ش: قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:٦١]، بين -تعالى- أن هذه صفة المنافقين، وأن من فعل ذلك أو طلبه، وإن زعم أنه مؤمن، فإنه في غاية البعد من الإيمان.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا دليل على أن من دعي إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى، أنه من المنافقين(١).

قوله: ﴿يَصُدُّونَ﴾، لازم، وهو بمعنى: يعرضون؛ لأن مصدره صدودًا.

فما أكثر من اتصف بهذا الوصف، خصوصًا ممن يدعى العلم! فإنهم صدوا عما توجبه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أقوال من يخطئ كثيرًا ممن ينتسب إلى الأئمة الأربعة في تقليدهم من لا يجوز تقليده، واعتمادهم على قول من لا يجوز الاعتماد على قوله، ويجعلون قوله المخالف لنص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة هو المعتمد عندهم، الذي لا تصح الفتوى إلا به.

فصار المتبع للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أولئك غريبًا؛ كما تقدم التنبيه على هذا في الباب الذي قبل هذا.

---

(١) انظر: زاد المعاد (٤/ ٥).

فتدبر هذه الآيات وما بعدها، يتبين لك ما وقع فيه غالب الناس من الإعراض عن الحق وترك العمل به في أكثر الوقائع. والله المستعان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:٦١])، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور:٥١]، وأما المنافق، فلا يقول هذا، وهو يدعي الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا دليل على أن من دُعي إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى، أنه من المنافقين)، من دُعي إلى تحكيم الكتاب والسنة- في الخصومات، في العقائد، في كل شيء- فأبى، هذا دليل على أنه من المنافقين؛ هم الذين يأبون التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: ﴿يَصُدُّونَ ﴾، لازم، وهو بمعنى: يعرضون؛ لأن مصدره صدودًا)، ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:٦١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واعتمادهم على قول من لا يجوز الاعتماد على قوله، ويجعلون قوله المخالف لنص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة هو المعتمد عندهم، الذي لا تصح الفتوى إلا به)، حتى الفتاوى وأقوال العلماء والفقهاء يجب أن ترد إلى الكتاب والسنة؛ فما وافق الكتاب والسنة فهو حق، وما خالف الكتاب والسنة فهو ضلال. ولكن إذا كان قائله أو المفتي به مجتهدًا فاجتهاده خطأ وهو مغفور له؛ لأنه بذل وسعه وجهده وهذا ما توصل إليه.

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١].

ش: قال أبو العالية في الآية: يعني: لا تعصوا في الأرض؛ لأن من عصى الله في الأرض، أو أمر بمعصية الله، فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء إنما هو بطاعة الله ورسوله(١).

وقد أخبر -تعالى- عن إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [يوسف:٧٠-٧٣]، فدلت الآية على أن كل معصية فساد في الأرض.

ومناسبة الآية للترجمة: أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين، وهو الفساد في الأرض.

وفي الآية: التنبيه على عدم الاغترار بأقوال أهل الأهواء، وإن زخرفوها بالدعوى.

وفيها التحذير من الاغترار بالرأي ما لم يقم على صحته دليل من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما أكثر من يصدق بالكذب، ويكذب بالصدق إذا جاءه!

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٤٤، ٤٥) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية، وأخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٢٩٧- ٢٩٨) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع، ولم يذكر أبا العالية.

وهذا من الفساد في الأرض، ويترتب عليه من الفساد أمور كثيرة، تخرج صاحبها عن الحق، وتدخله في الباطل -نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة! فتدبر، تجد ذلك في حال الأكثر إلا من عصمه الله، ومنَّ عليه بقوة داعي الإيمان، وأعطاه عقلًا كاملًا عند ورود الشهوات، وبصرًا نافذًا عند ورود الشبهات، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقولِهِ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة:١١])، قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:١١، ١٢]، هذه في المنافقين الذين أظهروا الإسلام، وهم في الباطن على ضده، هم كفار في الباطن، ولكنهم أظهروا الإسلام؛ ليعيشوا مع المسلمين. فالله جَلَّ وَعَلَا فضحهم، وقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالنفاق، ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾، فيصفون عملهم هذا -النفاق- يصفونه بأنه إصلاح. رد الله عليهم بقوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ ﴾، حصر الفساد فيهم، ﴿ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ بخطر ما هم عليه؛ يريدون أن يعيشوا مع المسلمين، ويتظاهروا بالإسلام، ليس لأجل الرغبة فيه، وإنما لأجل أن يتعيشوا به، ويتستروا به. والله فضحهم؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر:١٩]، فمهما حاول المنافق

وأشباهه أن يلبسوا على الناس، فإنهم لا يلبسون على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه يعلم ما في قلوبهم، فهذا فيه التحذير من النفاق والمنافقين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو العالية في الآية: يعني: لا تعصوا في الأرض؛ لأن من عصى الله في الأرض، أو أمر بمعصية الله، فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء إنما هو بطاعة الله ورسوله)**، وهذا فيه أن المعاصي فساد في الأرض، وليست إصلاحًا، إنما الإصلاح باتباع ما أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ظاهرًا وباطنًا، لا ظاهرًا فقط، وإنما ظاهرًا وباطنًا، والله يعلم سبحانه ما تخفي الصدور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد أخبر -تعالى- عن إخوة يوسف** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **في قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [يوسف:٧٠-٧٣])، الشاهد في قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف:٧٣]، يعني: بالسرقة التي اُتهموا فيها، وهم براء.

فهم قالوا: ﴿مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف:٧٣]، يعني: لنسرق، فعبر عن السرقة بالفساد في الأرض، وهكذا كل المعاصي فساد في الأرض، وإنما صلاحها بطاعة الله ورسوله.

وهذه الآية في قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه كان ملكًا على مصر، يوسف ملك على مصر، فجاؤوا إخوته يمتارون من مصر؛ لأنهم يسكنون في بادية

في فلسطين، فجاؤوا لطلب الميرة، يعني: لطلب أن يكتالوا طعامًا لأهلهم، ولم يعرفوا أخاهم يوسف؛ أن هذا الملك هو أخوهم، لم يعرفوه.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ [يوسف:٧٠]، يعني: كال لهم ما يريدون طلب منهم أن يحضروا معهم أخاهم بنيامين الصغير، وهو شقيق ليوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، طلب منهم أن يحضروه معهم، وأن يوفي لهم الكيل إذا جاؤوا به. فلما كال لهم، ﴿وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ﴾، يعني: لخدمه، ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يوسف:٦٢]، فوجدوها، ورجعوا ليكتالوا مرة ثانية من مصر، فطلب منهم أن يحضروا أخاهم بنيامين الصغير الذي هو شقيقه، فأحضروه، وكال له معهم، ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ يقولون لأبيهم: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾، يعني: لأخينا، ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف:٦٥]، أحضروه معهم، وكال له معهم، ولكنه احتال على بقاء أخيه عنده في مصر، احتال بأن جعل الصواع -وكانوا يقولون: كان صواعًا من ذهب-، أن يجعلوا الصواع في رحل أخيهم الصغير، ولم يكن يعلم بهذا، وهم لم يعلموا بهذا، دسوه في رحل الصغير. فلما اكتالوا ومشوا معهم أخوهم الصغير، ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾، يعني: نادى منادٍ، ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ۝٧٠ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۝٧١ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [يوسف:٧٠-٧٢]، يعني: كفيل.

﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾: فلما فتشوا في الحملة، وجدوا الصواع في رحل أخيهم الصغير، فأراد يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يبقيه عنده؛ لأنه كان في دينهم

أن السارق يملكه المسروق منه، فهذا بما ظهر أنه سرق، فيملكه ملك مصر، أخذه عنده، قالوا: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ حلف، ﴿أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف:٧٨، ٧٩]. فأخذه عنده ليأنس به، وانفجع أبوهم، لما جاؤوا وليس معهم، انفجع أبوهم، فُقِد له ابنان؛ يوسف وأخوه فقدهم، أُخذوا، فانصاب الأب بسبب فقد ابنيه. فلما أرادوا الرجوع، قال كبيرهم -وكان كبيرهم معتدلًا-: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾، أي: لن أسافر معكم، ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف:٨٠]، فجلس في مصر، صاروا ثلاثة -إذًا- من أبناء يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ماذا تكون المصيبة عليه؟ ثلاثة، ثلاثة من أبنائه أُخِذوا، وصاروا في مصر، فماذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:٨٣]، والصبر الجميل هو الذي ليس معه شكوى إلى مخلوق(١)، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف:٨٣]. فهذا ما حصل من يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وفي النهاية طلبهم يوسف الذي هو ملك مصر، طلب أباه وإخوته وجميع الأسرة أن يأتوا عنده في مصر، بدل ما هم في البادية طلبهم أن يأتوا عنده في مصر وهو ملك مصر؛ ليأنس بهم، فذهبوا جميعًا، وصاروا عند يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بهذه الحيلة، ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ كاد الله له بهذه المكيدة، ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف:٧٦]، يعني: ملك مصر، يعني: في نظامه

(١) انظر: الهداية الى بلوغ النهاية (٥/ ٣٥٢١، ٣٦١٦)، وتفسير البغوي (٢/ ٤٨٠)، وزاد المسير (٢/ ٤٢١)، وتفسير القرطبي (٩/ ١٥٢، ١٨/ ٢٨٤).

وشرعه، وإنما أخذه في دين يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ أن السارق يملكه المسروق منه، ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يوسف:٧٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فدلت الآية على أن كل معصية فساد في الأرض)**، هذا هو الشاهد من الآية، ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف:٧٣]، يعني: لنسرق، فدل على أن المعصية فساد في الأرض في حين أن الطاعة عمارة للأرض.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومناسبة الآية للترجمة: أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين، وهو الفساد في الأرض)**، هذا ما يستفاد من الآية: أن التحاكم إلى غير شرع الله من أعظم الفساد في الأرض؛ لأن الأرض لا تصلح إلا بحكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما الأنظمة والقوانين البشرية، فكلها باطلة، وكلها فساد في الأرض، ليست صلاحًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الآية: التنبيه على عدم الاغترار بأقوال أهل الأهواء، وإن زخرفوها بالدعوى)**، يعني: مادامت المعصية فسادًا في الأرض -ومنها السرقة-، فمهما حاول المنافقون والكفار أن يزينوا المعصية، فإنها تبقى فسادًا في الأرض، وليست صلاحًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيها التحذير من الاغترار بالرأي ما لم يقم على صحته دليل من كتاب الله وسنة رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، فيها دليل على أنه لا يجوز الأخذ بالرأي المخالف لكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أن هذا من الفساد في الأرض، الحكم بغير ما أنزل الله فساد في الأرض.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فما أكثر من يصدق بالكذب)**، يصدق الكذب، الكاذبين والمموهين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويكذب بالصدق إذا جاءه)**، ويكذب بالصدق إذ جاءه من عند الله ورسوله، ويقدم عليه الكذب، هذا أعظم الفساد في الأرض.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا من الفساد في الأرض، ويترتب عليه من الفساد أمور كثيرة)**، فساد يجر إلى فساد، الفساد يجر إلى فساد، لا يكفي الفساد الأصلي، بل يضاف إليه مفاسد كثيرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتدبر، تجد ذلك في حال الأكثر إلا من عصمه الله)**، يقول الشارح: تدبر هذا الأمر الذي هو ترويج المعاصي والكذب، وماذا يجر على الناس من الشر، بل من الشرور والآفات، وإن كانوا يسمونه تقدمًا وحضارةً، وأنه نتيجة للعقول، من نتاج الفكر والعقول، إنما هو فساد في الأرض.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتدبر، تجد ذلك في حال الأكثر إلا من عصمه الله، ومنَّ عليه بقوة داعي الإيمان)**، لا يعصم من هذه الآفة -وهي رواج الفساد في الأرض- إلا الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتحكيم الشريعة الإسلامية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتدبر، تجد ذلك في حال الأكثر إلا من عصمه الله، ومنَّ عليه بقوة داعي الإيمان، وأعطاه عقلًا كاملًا عند ورود الشهوات، وبصرًا نافذًا عند ورود الشبهات، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم)**،

فالعاقل والعالم لا تروج عليه الشبهات، إنما تروج على المنافقين أو تروج على ضعاف الإيمان أو الجهال تروج عليهم الشبهات؛ لأنهم لا يعرفون أنها باطل؛ لأنها مُلبسة بلباس، مزخرفة تضر من مرت عليه، إلا من أعطاه الله بصيرة وعلمًا ينقد به ما يمر عليه، فيخرج الزيف من الصحيح.

وقوله: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف:٥٦].

ش: قال أبو بكر بن عياش[١] في الآية: إن الله بعث محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أهل الأرض، وهم في فساد، فأصلحهم الله بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو من المفسدين في الأرض[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله لها ببعث الرسل، وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله، فإن عبادة غير الله، والدعوة إلى غيره، والشرك به هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به ومخالفة أمره، فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره، ومطاع متبع غير رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أعظم فساد في الأرض، ولا صلاح لها، ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المطاع، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته، فلا سمع له ولا طاعة.

---

(١) هو الإمام أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي مولاهم الكوفي، شيخ الكوفة في القراءة والحديث، قال الإمام أحمد: (قد اختلفوا في اسمه، وغلبت عليه كنيته). ا.هـ. فقيل: اسمه شعبة، وقيل: محمد، وقيل: اسمه كنيته، وقيل غير ذلك، توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة. انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٣٧٤)، والوافي بالوفيات (١٠/ ١٥١)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٤٣٠)، وطبقات الحفاظ (ص١١٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٠١)، (٥/ ١٥٢٠). وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٧٦، ٤٧٧) لأبي الشيخ في التفسير.

ومن تدبر أحوال العالم، وجد كل صلاح في الأرض، فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكل شر في العالم، وفتنة وبلاء وقحط، وتسليط عدو، وغير ذلك، فسببه مخالفة رسوله، والدعوة إلى غير الله ورسوله. اهـ[(١)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾** [الأعراف:٥٦])، **﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾** [الأعراف:٥٦]، الله أصلح الأرض بإرسال الرسل وإنزال الكتاب، هذا صلاح الأرض.

وجاء في الحديث: «**حَدٌّ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ، خَيْرٌ لِلنَّاسِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا**»[(٢)].

«**حَدٌّ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ**»، يعني: من حدود الله، «**خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُمْطَرَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا**»، فما تعمر الأرض إلا بشرع الله ودينه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال أبو بكر بن عياش في الآية: إن الله بعث محمدًا** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى أهل الأرض، وهم في فساد، فأصلحهم الله بمحمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، تعلمون حالة العرب قبل بعثة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما هم فيه من الأمر المريج ومن الفساد، ومن التقاتل بين القبائل، بل بين الإخوة والأقارب، فساد ذريع.

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٣/ ١٤- ١٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٤/ ٣٥١)، والنسائي في الكبرى (٧/ ١٩)، وفي المجتبى (٤٩٠٤، ٤٩٠٥)، وابن ماجه (٢٥٣٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلما بُعِثَ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أصلح الله به الأرض، حتى الكفار استفادوا من رسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فهو من المفسدين في الأرض**)، من دعا إلى خلاف ما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأنظمة والقوانين، فإنه من أعظم الفساد في الأرض، هذا من أعظم الفساد في الأرض، وإن زعموا أنه رقي، وأنه تحضر، وأنه...، وأنه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: **قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله**)، ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦].

الله أصلح الأرض بإرسال الرسل، فلا تفسدوا فيها بدين الجاهلية المخالف لدين الرسل، الأرض لا تصلح إلا بإقامة شرع الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فإن عبادة غير الله، والدعوة إلى غيره، والشرك به هو أعظم فساد في الأرض**)، الشرك أعظم فساد في الأرض، والتوحيد أعظم إصلاح في الأرض.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره، ومطاع متبع غير رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **هو أعظم فساد في الأرض**)، فلا يطاع إلا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا صلاح الأرض، وطاعة غير الرسول في معصية الله فساد في الأرض.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا صلاح لها، ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المطاع)**، إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود؛ لأن الله خلق الخلق لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]: خلقهم لعبادته، وعبادته ترجع مصلحتها ومنفعتها إليهم.

أما الله جَلَّ وَعَلَا فهو غني عنهم وعن عبادتهم؛ ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم:٨]، إنما يرجع هذا إلى الناس، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فإنه لا يتضرر بشيء، لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، وإنما مضرة المعصية ومنفعة الطاعة ترجع إلى العباد، إلى أنفسهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، لا تجب طاعة أحد إلا إذا أمر بطاعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته، فلا سمع له ولا طاعة)**، لا سمع ولا طاعة لمن يدعو إلى الشرك، يدعو إلى تعطيل الشريعة واستبدالها بأنظمة البشر، لا سمع له ولا طاعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن تدبر أحوال العالم، وجد كل صلاح في الأرض، فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، كل صلاح في الأرض إنما سببه طاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكل فساد في الأرض فإنما سببه معصية الله ومعصية رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكل شر في العالم، وفتنة وبلاء وقحط، وتسليط عدو، وغير ذلك، فسببه مخالفة رسوله، والدعوة إلى غير الله ورسوله)**، هذا كلام أبي العالية.

....

ش: ووجه مطابقة هذه الآية للترجمة: أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعظم ما يفسد الأرض من المعاصي، فلا صلاح لها إلا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو سبيل المؤمنين؛ كما قال -تعالى-: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ووجه مطابقة هذه الآية للترجمة: أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعظم ما يفسد الأرض من المعاصي) الترجمة: باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء:٦٠]، والطاغوت: كل من حكم بغير ما أنزل الله، فهو طاغوت من الطواغيت، والطاغوت مأخوذ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلا صلاح لها إلا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو سبيل المؤمنين)، قد يقول قائل: هؤلاء الكفار وأكثر الناس يحكمون بالقوانين والأنظمة البشرية، وهؤلاء في نعمة. نقول لهم: هذا استدراج من الله، لا تغتر بهذا، هذا استدراج، يملي لهم، ﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴾ [الأعراف:١٨٣]. يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡ ﴾، ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٢]، فلا يغتر بهذا، إذا كانت النعمة على

عبادة وعلى طاعة لله ورسوله، فهي لا شك أنها من الله، وأنها صلاح للعباد والبلاد، أما إذا كانت النعمة مع المعاصي والكفر، فإن هذا استدراج لهم، ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾، يعني: القرآن، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم:٤٤، ٤٥].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥])، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾، يعني: يكون في شق والرسول في الشق الآخر، لا يسير مع الرسول، وإنما يسير في طريق غير طريق الرسول، هذا مشاق للرسول.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، قالوا: هذه الآية فيها دليل على الإجماع، ﴿سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:١١٥].

والإجماع هو من الأدلة: الكتاب والسنة والإجماع، هذه الأدلة، إجماع العلماء ليس إجماع الغوغاء والناس، إجماع العلماء الربانيين المحققين، هذه الآية دليل على الاحتجاج بالإجماع؛ لأنه سبيل المؤمنين.

وقولِهِ: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

ش: قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ينكر -تعالى- على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله؛ كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات، كما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيزخان، الذي وضع لهم كتابًا مجموعًا من أحكام قَدِ اقْتبَسَهَا من شرائع شتى، وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره، فصارت في بنيه شرعًا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله، فمن فعل ذلك، فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير)[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقولِهِ: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠])، ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾، حكم الجاهلية منصوب لقوله: ﴿يَبْغُونَ﴾، أي: يبغون حكم الجاهلية، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

حكم الجاهلية باطل وشر، وما اجتمعت كلمة المسلمين وصلحت الأرض إلا ببعثة هذا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلا كانت قبل بعثته في أمر

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٣١).

مريج، السلطان للقبائل والحكم بالعادات والعرف والتقاليد، وكان العرب منهبة للدول الكبرى؛ من يتبع الفرس، ومن يتبع الروم، ليس لهم دولة، العرب لم يكن لهم دولة، لكن بعضهم يتبع الفرس، وبعضهم يتبع الروم، فلما جاء الله بهذا الرسول وهذا الدين، قامت دولة الإسلام، وسادت على الأرض، سادت الأرض دولة الإسلام، انتشر الإسلام في المشرق والمغرب، صارت الدولة للإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره، فصارت في بنيه شرعًا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله، فمن فعل ذلك، فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير)**، الحكم بغير ما أنزل الله كفر؛ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]؛ ثلاث آيات فيها أن من لم يحكم بما أنزل الله تنطبق عليه هذه الأوصاف.

....

ش: قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠] استفهام إنكار، أي: لا حكم أحسن من حكمه -تعالى.

وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس له في الطرف الآخر مشارك، أي: ومن أعدل من الله حكمًا لمن عقل عن الله شرعه، وآمن، وأيقن أن الله تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، العليم بمصالح عباده، القادر على كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله وشره وقدره؟

وفي الآية: التحذير من حكم الجاهلية واختياره على حكم الله ورسوله، فمن فعل ذلك، فقد أعرض عن الأحسن -وهو الحق-، إلى ضده من الباطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠] استفهام إنكار، أي: لا حكم أحسن من حكمه -تعالى- وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل)، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾، ﴿أَحْسَنُ﴾: أفعل تفضيل، وليس له طرف آخر، تقول: زيد أحسن من عمرو، هذا فيه طرفان؛ واحد أفضل من الآخر، لكن قد يكون التفضيل ليس له طرف آخر، من ذلك هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٥٠]: ليس هناك حكم يعادل حكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويكون طرفًا آخر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي الآية: التحذير من حكم الجاهلية**)، والجاهلية المراد بها: ما قبل الإسلام. ولما بُعِثَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زالت الجاهلية العامة، لكن يبقى شيء من الجاهلية في بعض الناس، لكن الجاهلية العامة زالت بالإسلام، لكن يبقى منها شيء في الناس. ولهذا لما عير صحابي أخاه، قال له: يا ابن السوداء، يعني: ابن أمة، قال له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»[1]، فدل على أنها تبقى شيء من خصال الجاهلية في بعض الناس، في بعض القبائل، في بعض البلدان، لكن الجاهلية العامة زالت بالإسلام، والحمد لله.

(١) سبق تخريجه (ص٢١٦).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ».

قَالَ النَّوَوِي: حَدِيثٌ صَحِيحٌ رُوِّينَاهُ فِي كِتَابِ الحُجَّة بإِسْنَادٍ صَحِيحٍ[(١)].

ش: هذا الحديث رواه الشيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب: الحجة على تارك المحجة بإسناد صحيح. كما قاله المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ عن النووي. ورواه الطبراني وأبو بكر بن عاصم، والحافظ أبو نعيم في الأربعين التي شرط لها أن تكون من صحيح الأخبار[(٢)].

وشاهده في القرآن قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء:٦٥]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٣٦]، وقوله: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [القصص:٥٠]، ونحو هذه الآيات.

---

(١) انظر: الأربعين النووية، الحديث الحادي والأربعين (ص١١٣).

(٢) رواه البخاري في قرة العينين (ص ٣٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٢)، والنسوي في الأربعين (ص٥١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٣٨٧)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص١٨٨)، وقال: (تفرد به نعيم بن حماد)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٢- ٢١٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ١٣٣)، وانظر: تعليل الحافظ ابن رجب للحديث في جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٣- ٣٩٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا)، عبد الله بن عمرو بن العاص هو صحابي، وأبوه صحابي، فيقال: رضي الله عنهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ النَّوَوِي: حَدِيثٌ صَحِيحٌ رُوِّيناهُ فِي كِتَابِ الحُجَّة بإِسْنَادٍ صَحِيحٍ**)، هذا الحديث من أحاديث الأربعين النووية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**»)، «**حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ**»: أي ما يشتهيه ويميل إليه تابعًا لما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والمراد: لا يؤمن الإيمان الكامل، نفي الكمال للإيمان؛ لأنه يوجد من عنده هوى، عنده كذا، لكن هذا نوع من الجاهلية، ولا يقتضي كفره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**هذا الحديث رواه الشيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب: الحجة على تارك المحجة بإسناد صحيح**)، «الحجة على تارك المحجة» هذا كتاب موجود، مطبوع متداول.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وشاهده في القرآن قوله -تعالى-**: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ﴾ [النساء:٦٥])، ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ** ﴾: أقسم بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿ **لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء:٦٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله**: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ [الأحزاب:٣٦])، ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ [الأحزاب:٣٦]،

ليس فيه الخيرة، يجب اتباع ما أمر الله به ورسوله، ولا أمر لأحد مع أمر الله ورسوله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾** [القصص:٥٠]**)**، ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ﴾: أيها الرسول، ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٥٠].

....

ش: قوله: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ»، أي: لا يكون من أهل كمال الإيمان الواجب الذي وعد الله أهله عليه بدخول الجنة والنجاة من النار، وقد يكون في درجة أهل الإساءة والمعاصي من أهل الإسلام.

قوله: «حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»، (الهوى) بالقصر أي: ما يهواه، وتحبه نفسه، وتميل إليه، فإن كان الذي تحبه، وتميل إليه نفسه، ويعمل به، تابعًا لما جاء به رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لا يخرج عنه إلى ما يخالفه، فهذه صفة أهل الإيمان المطلق، وإن كان بخلاف ذلك، أو في بعض أحواله أو أكثرها انتفى عنه من الإيمان كماله الواجب؛ كما في حديث أبي هريرة: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(١)، يعني: أنه بالمعصية ينتفي عنه كمال الإيمان الواجب، وينزل عنه في درجة الإسلام، وينقص إيمانه، فلا يطلق عليه الإيمان إلا بقيد المعصية، أو الفسوق، فيقال: مؤمن عاص، أو يقال: مؤمن بإيمانه، فاسق بمعصيته، فيكون معه مطلق الإيمان الذي لا يصح إسلامه إلا به؛ كما قال تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النساء:٩٢]. والأدلة على ما عليه سلف الأمة وأئمتها أن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أكثر من أن تحصر. فمن ذلك قوله تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥، ٥٥٧٨، ٦٧٧٢، ٦٨١٠)، ومسلم (٥٧).

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ [البقرة:١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة.

وقول النبي ﷺ لوفد عبد القيس: «آمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،..». الحديث، وهو في الصحيحين والسنن[(١)].

والدليل على أن الإيمان يزيد قوله تعالى: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ [المدثر:٣١] الآية، وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [التوبة:١٢٤] الآية، خلافًا لمن قال: إن الإيمان هو القول. وهم المرجئة، ومن قال: إن الإيمان هو التصديق. كالأشاعرة[(٢)].

ومن المعلوم عقلًا وشرعًا أن نية الحق تصديق، والعمل به تصديق، وقول الحق تصديق، فليس مع أهل البدع ما ينافي قول أهل السنة والجماعة، ولله الحمد والمنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣، ٨٧، ٥٢٣، ١٣٩٨)، ومسلم (١٠٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، نشأ على مذهب المعتزلة، وتتلمذ على يد أبي علي الجبائي ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه، وسلك طريقة ابن كلاب وانتشر مذهبه ثم رجع عنه إلى مذهب أهل الحديث وانتسب للإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة والجماعة: الإبانة، والموجز، ورسائل الثغر، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب، وتوفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال الذهبي: ويقال بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة. اهـ. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)، وشذرات الذهب (٤/ ١٢٩- ١٣٣)، والبداية والنهاية (١١/ ٢١٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والأدلة على ما عليه سلف الأمة وأئمتها أن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية من كتاب الله وسنة رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أكثر من أن تحصر**)، الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، هذا تعريف الإيمان[1].

قول باللسان: لابد أن ينطق الإنسان بالشهادتين، وبأحكامهما.

واعتقاد بالقلب: لابد أن يعتقد بقلبه ما ينطق به لسانه.

وعمل بالجوارح: عمل بالجوارح بالأعضاء، فلا يكفي الإيمان بالقلب، لابد من العمل؛ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام، وما يتبع ذلك من الأعمال الصالحة.

يزيد الطاعة: الإيمان يزيد بالطاعة؛ كلما ازداد الإنسان من الطاعة، زاد إيمانه، وكلما نقص العمل، نقص الإيمان، فلابد من العمل الذي يكون مع الاعتقاد بالقلب.

يزيد بالطاعة: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، يعني: نفاق، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]؛ لأنهم يقولون بألسنتهم ما لا يعتقدونه في قلوبهم.

وينقص بالمعصية: لأن الذي يزيد ينقص، الذي يقبل الزيادة يقبل النقصان، فينقص حتى لا يبقى منه إلا مثقال ذرة أو أقل من ذلك في القلب.

---

(١) سبق عزوه (ص٤٣٧).

فالمعاصي تنقص الإيمان، حتى لا يبقى منه إلا مثقال ذرة من الإيمان، فإذا لم يبق منه شيء، صار كافرًا، ولهذا يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**»(١)، يعني: لا يبقى شيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والأدلة على ما عليه سلف الأمة وأئمتها أن الإيمان قول وعمل ونية -يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية**)، هذا ما عليه سلف الأمة وخلفها من أهل السنة والجماعة.

هناك فرقٌ ضالة -كالمعتزلة والأشاعرة- متفاوتة، والكرامية متفاوتة في ذلك، ولكنهم عندهم نقص عظيم في الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة**)، هذا دليل على أن الأعمال من الإيمان؛ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]، والمراد بذلك: الصلاة إلى بيت المقدس قبل أن تنسخ القبلة وتحول إلى الكعبة.

لما نزل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٤٤]، تحولت القبلة من التوجه إلى بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، قبلة أبينا إبراهيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. تأسف بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ على الذين ماتوا وهم يتوجهون إلى بيت المقدس، الذين ماتوا قبل نسخ القبلة، خافوا عليهم، فطمأنهم الله

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٣٨).

بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]: أن الذين ماتوا وهم يتوجهون إلى بيت المقدس قبل نسخ القبلة هم على خير، وصلاتهم صحيحة ومقبولة عند الله؛ لأن الله لم يكن ليضيع صلاتهم إلى بيت المقدس بأمر الله، لم يكن الله ليضيعها ويبطلها، بل هي باقية لهم، والنسخ إنما جاء فيما بعد، كانوا في وقتهم على دينه وعلى دليل شرعي، يتوجهون إلى بيت المقدس. فالله طمأن المسلمين على أمواتهم، وهذا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]، يدل على أن العمل من الإيمان، هذا وجه الشاهد، فسمى الصلاة إيمانًا، فهذا معنى قولهم: الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، هذا تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة[1]، وهو المطابق لكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقول النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لوفد عبد القيس: «آمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،..». الحديث)**، وفد عبد القيس: هذا أهل الأحساء أهل البحرين، جاءوا إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبايعوه على الإيمان وعلى السمع والطاعة، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل منهم بيعتهم، وحكم لهم بالإيمان، وقالوا: إنا بيننا وبينك قبائل تعتدي، وبيننا وبينك حوائل لا نصل إليك، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طمأنهم على أنهم على خير، وإن بقوا في بلادهم، ما داموا تمسكوا بهذا الدين، وعملوا به، ففي أي مكان وفي أي أرض هم مقبولون عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) سبق عزوه (ص٤٣٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقول النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لوفد عبد القيس: «آمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،..». الحديث)**، هذا قول باللسان، ذكر لهم الإيمان بالله: «أَتَـدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟» الشهادتان، إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلًا، وما يتبع ذلك من الأعمال الصالحة القولية والفعلية والاعتقادية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والدليل على أن الإيمان يزيد قوله تعالى:** ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١])، هذا الدليل من القرآن على أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، حتى لا يبقى منه إلا وزن حبة خردل من الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله -تعالى-:** ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة:١٢٤])، ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، يعني: نفاق وشك، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤، ١٢٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(خلافًا لمن قال: إن الإيمان هو القول وهم المرجئة)**، المرجئة يقولون: الإيمان هو القول باللسان، ولو لم يعمل، وهؤلاء هم المرجئة، سُمِوا مرجئة؛ لأنهم أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، وأرجؤوها، والإرجاء هو التأخير، فسموا مرجئة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن قال: إن الإيمان هو التصديق. كالأشاعرة)**، ومن قال: إن الإيمان هو التصديق بالقلب، ولو لم يعمل الإنسان بجوارحه، وهم الأشاعرة؛ نسبة إلى أبي الحسن الأشعري، ولكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تراجع عن هذا المذهب، وأخذ بمذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصرح بذلك في كتبه أنه تراجع، وأنه على معتقد الإمام أحمد بن حنبل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن المعلوم عقلًا وشرعًا أن نية الحق تصديق، والعمل به تصديق، وقول الحق تصديق)**، كله تصديق: القول والاعتقاد والعمل كله تصديق؛ تصديق لكتاب الله وسنة رسوله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فليس مع أهل البدع ما ينافي قول أهل السنة والجماعة، ولله الحمد والمنة)**، قول أهل السنة والجماعة هو الحق والصواب، وأما غيرهم من الفرق، فعندهم حق وباطل، وقريب وبعيد.

....

ش: قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ [البقرة:١٧٧]، أي: فيما عملوا به في هذه الآية من الأعمال الظاهرة والباطنة.

وشاهده في كلام العرب قولهم: حملة صادقة[(١)].

وقد سمى الله تعالى الهوى المخالف لما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلهًا، فقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]. قال بعض المفسرين: (لَا يَهْوَى شَيْئًا إِلَّا رَكِبَهُ لَا يَخَافُ اللهَ)[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ

---

(١) انظر: المحكم لابن سيده (٦/ ١٩٠)، والمخصص له -أيضا- (١/ ٢٩٢)، ولسان العرب (١٠/ ١٩٥)، وتاج العروس (٢٦/ ١٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٩٣)، وتفسير عبد الرزاق (٣/ ١٩١)، وزاد المسير (٣/ ٣٢٢)، ومجموع الفتاوى (١٠/ ٤٧٩)، والدر المنثور (٧/ ٤٢٦).

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ﴾ [البقرة:١٧٧]، أي: فيما عملوا به في هذه الآية من الأعمال الظاهرة والباطنة)، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧]، فالله جَلَّ وَعَلَا حكم لهم بالصدق في أقوالهم وأعمالهم واعتقاداتهم، لما كانوا على وفق الكتاب والسنة، وأن قصدهم ونيتهم خالصة لوجه الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد سمى الله تعالى الهوى المخالف لما جاء به الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلهًا، فقال تعالى:** ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية:٢٣])؛ لأنهم يتبعون أهواءهم كما تهواه نفوسهم، ولا يتبعون ما أمر الله به، وأمر به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم يدورون مع أهوائهم، فهم اتخذوا أهواءهم آلهة من دون الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال بعض المفسرين: (لَا يَهْوَى شَيْئًا إِلَّا رَكِبَهُ لَا يَخَافُ اللهَ))**، يعني: لا يشتهي شيئًا إلا ركبه، يعني: فعله، فهو يتبع هواه؛ ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية:٢٣]: فما يهواه من الأشياء يأخذ به، وما لا يوافق هواه لا يؤمن به ولا يعمل به، وإن عمل به، لا يخلصه لوجه الله.

....

ش: قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما معنى الحديث: فهو أن الإنسان لا يكون مؤمنًا كامل الإيمان الواجب، حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأوامر والنواهي وغيرها، فيحب ما أمر به، ويكره ما نهى عنه.

وقد ورد في القرآن مثل هذا المعنى في غير موضع، وذم سبحانه من كره ما أحبه الله، أو أحب ما كرهه الله؛ كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:٢٨].

فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الإتيان بما أوجب عليه منه، فإن زادت المحبة، حتى أتى بما نُدب إليه منه، كان ذلك فضلًا.

وأن يكره ما يكرهه الله كراهة توجب له الكف عما حرم عليه منه، فإن زادت الكراهة، حتى أوجبت الكف عما كرهه تنزيهًا، كان ذلك فضلًا.

فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه، أوجب ذلك له أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، فيرضى ما يرضى به الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض. فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك؛ بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، وترك ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه، دل

ذلك على نقص محبته الواجبة، فعليه أن يتوب من ذلك، ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة، التي هي ركن العبادة إذا كملت، فجميع المعاصي تنشأ عن تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله.

وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص:٥٠].

وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا سمي أهلها أهل الأهواء، وكذلك المعاصي إنما تنشأ من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه الله.

وكذلك حب الأشخاص: الواجب فيه أن يكون تبعًا لما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجب على المؤمن محبة ما يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عمومًا، ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الإيمان أن يحب المرء لا يحبه إلا لله[(١)]، فتحرم موالاة أعداء الله ومن يكرهه الله عمومًا، وبهذا يكون الدين كله لله.

ومن أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه، كان ذلك نقصًا في إيمانه الواجب، فتجب التوبة من ذلك. انتهى ملخصًا[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٦، ٢١)، ومسلم (٤٣) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٧- ٣٩٨).

ومناسبة الحديث للترجمة: بيان الفرق بين أهل الإيمان وأهل النفاق والمعاصي في أقوالهم وأفعالهم وإرادتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، الإمام الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو من أئمة أهل السنة وأقواله معروفة ومشهورة، وكتبه مقبولة ونافعة ومفيدة؛ مثل: كتاب «جامع العلوم والحكم»، هذا كتاب عظيم ومفيد وشامل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أما معنى الحديث، فهو أن الإنسان لا يكون مؤمنًا كامل الإيمان الواجب، حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **من الأوامر والنواهي وغيرها)**، محبته وهواه تابعة لما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو يدور مع ما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يتبع ما تشتهيه نفسه أو يمليه عليه هواه أو ما يأمر به أهل الضلال، إنما يتبع ما جاء في الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد ورد في القرآن مثل هذا المعنى في غير موضع، وذم سبحانه من كره ما أحبه الله، أو أحب ما كرهه الله؛ كما قال تعالى:** ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:٢٨]**)**، يعني: هواهم هو معبودهم، ما يشتهونه يعملونه، وما لا يشتهونه يتركونه، ولو كان هذا من أوامر الله ورسوله، إنما يقدمون ما تحبه أنفسهم وأهواؤهم، هؤلاء ليسوا مؤمنين؛ ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان:٤٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله)**، تدور محبته وبغضه على ما أحبه الله وكرهه الله؛ فلا يكره إلا ما كرهه الله، ولا يحب إلا ما أحبه الله من الأعمال والأقوال والمقاصد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن زادت المحبة، حتى أتى بها نُدب إليه منه، كان ذلك فضلًا)**، يعني: أتى بالفرائض، وأتى بالمندوبات والمستحبات من الأعمال؛ لأنها مكملة للإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن يكره ما يكرهه الله كراهة توجب له الكف عما حرم عليه منه، فإن زادت الكراهة، حتى أوجبت الكف عما كرهه تنزيهًا، كان ذلك فضلًا)**، فيكرهون المحرمات، ويكرهون -أيضًا- المكروهات، التي دون المحرمات يكرهونها، هذا دليل على صحة إيمانهم وقوة إيمانهم؛ لا يقتصرون على تجنب المحرمات، بل ويتجنبون المكروهات كراهة التنزيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فيرضى ما يرضى به الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض)**، هذا هو الإيمان الصحيح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك، بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، وترك ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه، دل ذلك على نقص محبته الواجبة)**، فالمعاصي تنقص الإيمان، وقد تزيل الإيمان بالكلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فعليه أن يتوب من ذلك، ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة، التي هي ركن العبادة إذا كملت)**، وهذا من فضل الله: أن الإنسان إذا أخطأ، وإذا عمل شيئًا من المعاصي والمخالفات، فإن الله فتح له باب التوبة وأمهله، فباب التوبة مفتوح؛ «**إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»[١]، أي: ما لم تبلغ روحه الحلقوم، يقبل الله توبته متى تاب، ورجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه، فقال -تعالى-: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠])**، يقول الله جَلَّ وَعَلَا لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾، يعني: لم يتبعوك ويطيعوك، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع)**، البدع جمع بدعة، وهي: ما أُحدث في الدين مما ليس منه، فالواجب اتباع ما جاء في الكتاب والسنة، ولا يحدث شيء من غير دليل يتقرب به إلى الله، هذا فعل المبتدعة؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[٢]، يعني: مردود عليه، مهما أتعب نفسه فيه، ما دام أنه لم يشرعه الله ورسوله، فإنه مردود، وإن كان قصده التقرب إلى الله؛ لا يتقرب إلى الله إلا

---

(١) أخرجه أحمد (١٠/ ٣٠٠، ٤٦١)، والترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) سبق تخريجه (ص٦٦).

بما شرع، بما شرعه الله أو شرعه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما خالف ذلك، فهو بدعة، «**وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»[(١)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا سمي أهلها أهل الأهواء)**، سُمِي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم يتبعون أهواءهم، ولا يتبعون الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وكذلك المعاصي إنما تنشأ من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه الله)**، فالمعاصي تنقص محبة الله في قلب العبد، كلما عصى الله، نقص حب الله في قلبه، فإذا تاب ورجع، تاب الله عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وكذلك حب الأشخاص: الواجب فيه أن يكون تبعًا لما جاء به الرسول** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**؛ يحب في الله، ويبغض في الله، هذا المسلم المؤمن حقًّا، يحب في الله، يحب أهل الخير وأهل الطاعات وأهل السنة والجماعة، ويكره العصاة والمبتدعة، ويخالفهم إلى ما أمر الله به ورسوله، ولا يميل معهم أو يحابي معهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فيجب على المؤمن محبة ما يحبه الله)**، كذلك مع محبة الله يحب من يحبه الله؛ يحب أهل الإيمان وأهل التوحيد؛ لأنهم إخوانه، لأنهم أعوانه، لأنهم أمة واحدة وجماعة واحدة، فيحب أهل التوحيد وأهل الإيمان وأهل السنة، ويبغض أهل المعاصي وأهل البدع والمحدثات؛ لأنهم عندهم مخالفة لما أمر الله به ورسوله.

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٦).

وهذا هو الولاء والبراء؛ يوالي من يوالي الله، ويبرأ ممن تبرأ الله منه من الأشخاص والأعمال، هذا هو المؤمن المطيع لله ورسوله.

والآن يحذرون من الولاء والبراء، يسمونه الكراهة، ويريدون من الإنسان أن يكون إِمَّعة، وأن يقدم ما تهواه نفسه على ما يريده الله سبحانه ويحبه الله، هذا ينقص من العبودية لله عَزَّوَجَلَّ، وقد يناقض العبودية أصلًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فيجب على المؤمن محبة ما يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عمومًا)**، على درجات، يحب المؤمنين على درجاتهم؛ من الصديقين ومن دونهم من أهل الإيمان، يحبهم ويواليهم بقدر إيمانهم واستقامتهم، وهذا يسمى الحب في الله، والبغض في الله؛ تحب أهل الإيمان وتواليهم وتبغض أهل المعاصي وتعاديهم.

من المؤمنين من يحب محبة خالصة؛ مثل: الملائكة والأنبياء والمرسلين، ومثل: أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المهاجرين والأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وهناك من يحب من وجه، ويبغض من وجه، وهو المسلم العاصي؛ تحبه من جهة أنه مطيع لله وأنه مؤمن، وتبغضه لأنه عنده معاص ومخالفات.

وهناك من يحب محبة خالصة، وهم الملائكة والأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون والمهاجرين والأنصار يحبون محبة خالصة، وهناك من يبغض بغضًا خالصًا، وهم الكفار والمنافقون، يبغضون بغضًا خالصًا، وهناك من يحب من وجه، ويبغض من وجه، وهو المؤمن العاصي؛ تحبه لإيمانه، وتبغضه من أجل معصيته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الإيمان أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، فتحرم موالاة أعداء الله ومن يكرهه الله عمومًا)**، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان)**، هناك إيمان كامل، وهناك إيمان ناقص، فالمعاصي والمخالفات تنقص الإيمان، والطاعات والقربات تكمل الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(انتهى ملخصًا)**، انتهى كلام ابن رجب ملخصًا.

وَقَالَ الشَّعْبِي: «كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ المُنَافِقِيْنَ وَرَجُلٍ مِنَ اليَهُوْدِ خُصُوْمَةٌ، فَقَالَ اليَهُوْدِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ -عَرَفَ أَنَّهُ لا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ-، وَقَالَ المُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى اليَهُوْدِ -لِعَلِمَهُ أَنَّهُمْ يَأْخُذُوْنَ الرِّشْوَةَ-، فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء: ٦٠] الآيةَ»[(١)].

وَقِيلَ: «نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا القِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ»[(٢)].

ش: قوله: «وقال الشعبي». هو عامر بن شراحيل الكوفي، عالم أهل زمانه، وكان حافظًا علامة، ذا فنون. كان يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء، وأدرك خلقًا كثيرًا من الصحابة، وعاش بضعًا وثمانين سنة. قاله الذهبي[(٣)].

وفيما قاله الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يبين أن المنافق يكون أشد كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى، ويكون أشد عداوة منهم لأهل الإيمان؛ كما

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ١٩٠)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٥٨).

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص١٠٧، ١٠٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٤٢، ٢٤٣) معلقًا من طريق الكلبي، عن أبي صالح باذام، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا به.

وأخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٩٤) من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠١).

هو الواقع في هذه الأزمنة وقبلها من إعانة العدو على المسلمين، وحرصهم على إطفاء نور الإسلام والإيمان.

ومن تدبر ما في التاريخ، وما وقع منهم من الوقائع، عرف أن هذا حال المنافقين قديمًا وحديثًا، وقد حذر الله نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من طاعتهم والقرب منهم، وحضه على جهادهم في مواضع من كتابه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣] الآية.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِيْنَ وَرَجُلٍ مِنَ اليَهُوْدِ خُصُوْمَةٌ، فَقَالَ اليَهُوْدِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ -عَرَفَ أَنَّهُ لا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ)، هو يهودي، ولكن عرف أن محمدًا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يأخذ الرشوة، ولا يغير حكم الله، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، وقال المنافق: نتحاكم إلى عمر بن الخطاب. فلما جاءوا إلى عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ذكروا له القصة، فقال: أهكذا؟ قال: نعم، فجرد السيف، وقتل المنافق الذي يقول: نتحاكم إلى عمر بن الخطاب، ولا نتحاكم إلى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. عمر بن الخطاب يتحاكم إليه، ويترك الشرع والكتاب والسنة!

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (وَقَالَ الْمُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى اليَهُوْدِ -لَعَلِمَهُ أَنَّهُمْ يَأْخُذُوْنَ الرِّشْوَةَ)، منافق -والعياذ بالله- يدعي الإيمان، ويقول: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، ويغيرون الحكم، فهذا يدعي الإيمان، ومع هذا يقول: نتحاكم إلى اليهود، واليهودي يقول: نتحاكم إلى محمد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ**)، والكاهن هو الذي يدعي علم الغيب، الذي يدعي علم الغيب هذا هو الكاهن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء:٦٠] الآية**)، المنافقون ﴿يَزْعُمُونَ﴾، والزعم: أكذب الحديث، فهم يدعون أنهم مؤمنون، وليسوا مؤمنين حقًّا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَقَالَ الآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ**)، كعب بن الأشرف زعيم من زعماء اليهود.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا القِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ**)، ضربه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالسيف، فقتله؛ لأنه لا يريد التحاكم إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما يريد التحاكم إلى اليهود.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله: «وقال الشعبي». هو عامر بن شراحيل الكوفي**)، يعني: تعريف الشعبي من هو؟

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**هو عامر بن شراحيل الكوفي، عالم أهل زمانه، وكان حافظًا علامة، ذا فنون. كان يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء**)، علمه بالتلقين، لم يكن يكتب في الأوراق، الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ إمام جليل ومن التابعين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وفيما قاله الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ ما يبين أن المنافق يكون أشد كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى**)، منافق.

اليهود والنصارى عندهم اعتراف بما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمنافق ينكر ما أنزل على محمد، فاليهود والنصارى خيرٌ من المنافق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويكون أشد عداوة منهم لأهل الإيمان؛ كما هو الواقع في هذه الأزمنة وقبلها)**، يقول الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ الشيخ عبد الرحمن بن حسن: (كما هو الواقع في هذه الأزمنة)، يعني: في زمان الشيخ عبد الرحمن بن حسن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما هو الواقع في هذه الأزمنة وقبلها من إعانة العدو على المسلمين، وحرصهم على إطفاء نور الإسلام والإيمان)**، أهل النفاق أو المنافقون.

....

ش: وفي قصة عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقتله المنافق الذي طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي دليلٌ على قتل من أظهر الكفر والنفاق، وكان كعب بن الأشرف هذا شديد العداوة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأذى له، والإظهار لعداوته، فانتقض به عهده، وحل به قتله.

روى مسلم في صحيحه عن عمرو: سَمِعْتُ جَابِرًا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ». فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: ائْذَنْ لِي، فَلْأَقُلْ، قَالَ: «قُلْ»، فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: وَذَكَرَ مَا بَيْنَهُمَا، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً، وَقَدْ عَنَّانَا، فَلَمَّا سَمِعَهُ قَالَ: وَأَيْضًا وَاللهِ، لَتَمَلُّنَّهُ. قَالَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ الْآنَ، وَنَكْرَهُ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ، قَالَ: وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تُسْلِفَنِي سَلَفًا، قَالَ: فَمَا تَرْهَنُنِي؟ قَالَ: مَا تُرِيدُ؟ قَالَ: تَرْهَنُنِي نِسَاءَكُمْ، قَالَ: أَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ، أَنَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا؟ قَالَ: تَرْهَنُونِي أَوْلَادَكُمْ، قَالَ: يُسَبُّ ابْنُ أَحَدِنَا، فَيُقَالُ: رُهِنَ فِي وَسْقَيْنِ مِنْ تَمْرٍ، وَلَكِنْ نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ -يَعْنِي: السِّلَاحَ-، قَالَ: فَنَعَمْ. وَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْحَارِثِ، وَأَبِي عَبْسِ بْنِ جَبْرٍ، وَعَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ، قَالَ: فَجَاءُوا فَدَعَوْهُ لَيْلًا، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ صَوْتُ دَمٍ، قَالَ: إِنَّمَا هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَرَضِيعُهُ، وَأَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ لَيْلًا لَأَجَابَ. قَالَ مُحَمَّدٌ: إِنِّي إِذَا جَاءَ، فَسَوْفَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ، فَدُونَكُمْ.

قَالَ: فَلَمَّا نَزَلَ نَزَلَ وَهُوَ مُتَوَشِّحٌ، فَقَالُوا: نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الطِّيبِ، قَالَ: نَعَمْ تَحْتِي فُلَانَةُ أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ، قَالَ: فَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ مِنْهُ، قَالَ: نَعَمْ فَشُمَّ، فَتَنَاوَلَ فَشَمَّ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَعُودَ، قَالَ: فَاسْتَمْكَنَ مِنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: دُونَكُمْ، قَالَ: فَقَتَلُوهُ»[١].

وفي قصة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيان أن المنافق المغموص بالنفاق إذا أظهر نفاقه قُتِلَ؛ كما في الصحيحين وغيرهما أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما ترك قتل من أظهر نفاقه منهم تأليفًا للناس، فإنه قال: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[٢]. صلوات الله وسلامه عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي قصة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتله المنافق الذي طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي دليلٌ على قتل من أظهر الكفر والنفاق)، لأن الذي طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي ترك التحاكم إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا مع أنه يدعي الإيمان، فالذي يكره حكم الله ورسوله يعتبر كافرًا؛ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد:٩].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً، وَقَدْ عَنَّانَا، فَلَمَّا سَمِعَهُ قَالَ: وَأَيْضًا وَاللهِ، لَتَمَلُّنَّهُ)، «إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ»، يعني: محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ مُحَمَّدٌ: إِنِّي إِذَا جَاءَ، فَسَوْفَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَدُونَكُمْ)؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٠١).
(٢) أخرجه البخاري (٣٥١٨، ٤٩٠٥، ٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤).

الأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ»، فانتدب هؤلاء الصحابة وقتله، وجاءوه بالليل ونادوه، فلما نزل إليهم ومشى معهم حينئذ قتلوه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما ترك قتل من أظهر نفاقه منهم تأليفًا للناس، فإنه قال: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»)، لما قال: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون:٨]، يعني بالأعز: المنافق، والأذل: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقوله عبد الله بن أُبَيّ بن سلول.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْإِعَانَةِ عَلَى فَهْمِ الطَّاغُوتِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١].

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦].

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

الْخَامِسَةُ: مَا قَالَهُ الشَّعْبِيُّ فِي سَبَبِ نُزُولِ الْآيَةِ الْأُولَى.

السَّادِسَةُ: تَفْسِيرُ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ.

السَّابِعَةُ: قِصَّةُ عُمَرَ مَعَ الْمُنَافِقِ.

الثَّامِنَةُ: كَوْنُ الْإِيمَانِ لَا يَحْصُلُ لِأَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْإِعَانَةِ عَلَى فَهْمِ الطَّاغُوتِ**). ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء:٦٠]، ما هو الطاغوت؟ الطاغوت: هو من حكم بغير ما أنزل الله متعمدًا، أما إذا حكم بغير ما أنزل الله مجتهدًا وأخطأ، فهذا لا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١])، إذا قيل للمنافقين:

﴿لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالمعاصي؛ لأن المعاصي إفساد في الأرض، والنفاق إفساد في الأرض، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ [البقرة:١١]، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾ [البقرة:١٢]، يعني: المنافقين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾** [الأعراف:٥٦])؛ أن المراد الإفساد في الأرض: المعاصي، و﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ بالطاعات، وبعثة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ﴾** [المائدة:٥٠])، ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وهذا حكم الجاهلية، ولا يريدون حكم الله ورسوله.

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، يعني: المنافقين لا يريدون حكم الله ورسوله، وإنما يريدون حكم الجاهلية.

والمراد بالجاهلية: ما قبل الإسلام، الجاهلية العامة، ثم تبقى بعد الجاهلية العامة جاهلية خاصة لبعض الأفراد؛ قد يكون مسلمًا وفيه نوع من خصال الجاهلية؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سمع رجلًا يقول لأخيه: «يا ابن السوداء»، قال له: «**أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**». «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»(١)، فدل على أنه يبقى من الجاهلية ومن صفات الجاهلية في بعض الناس، في بعض المسلمين، وتجب التوبة من ذلك.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢١٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: مَا قَالَهُ الشَّعْبِيُّ فِي سَبَبِ نُزُولِ الْآيَةِ الأُولَى)**؛ كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِيْنَ وَرَجُلٍ مِنَ اليَهُوْدِ خُصُوْمَةٌ. فأراد اليهودي أن يتحاكموا إلى الرسول، وأراد المنافق أن يتحاكموا إلى كعب بن الأشرف، وهو يدعي الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةُ: تَفْسِيرُ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ)**، تفسير الإيمان الصادق، وهو العمل بطاعة الله ورسوله، وترك معصية الله ورسوله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّابِعَةُ: قِصَّةُ عُمَرَ مَعَ الْمُنَافِقِ)**، قصة عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع المنافق الذي قال: نتحاكم إلى عمر، واليهودي يقول: نتحاكم إلى رسول الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّامِنَةُ: كَوْنُ الْإِيمَانِ لَا يَحْصُلُ لِأَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، وذلك في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُوْنَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»**[1].

(١) سبق تخريجه (ص٨٥٠).

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله الجزء الثالث،

ويليه الجزء الرابع: ويبدأ بـ(بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ)